الكِفايـة

في التَّفسيرِ بالمأثورِ والدِّراية

تأليف الفقير إلى رحمة ربه
عبدالله خضر حمد
باحث عراقي

الجزء الثامن والثلاثون

[سورة المزمل، الآية: ١]- [آخر سورة عبس]

منشور إلكترونياً
١٤٣٨ هـ - ٢٠١٧ م

حقوق النسخ والطبع والنشر مسموح بها لكل مسلم

ملاحظة:

إلى الذين يرغبون بطبع التفسير من دور النشر والجهات الخيرية، يرجى مراسلة المؤلف -لطفا وتكرما- على البريد الالكتروني الآتي، وذلك لإرسال التفسير بأحدث نسخة إن شاء الله، وفقنا الله تعالى وإيَّاكم لما يرضيه برحمته، آمين.

abdulla.khdhir@gmail.com

{بسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ}

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المزمل»

«سورة المزمل» هي السورة الثالثة والسبعون في القرآن الكريم، نزلت بعد «سورة القلم»، وهي من سور المفصّل، وآياتها ثمان عشرة في عد الكوفة، وتسعة عشر في البصرة، وعشرون في الباقين. وكلماتها مائتان وخمس وثمانون. وحروفها ثمانمائة وست وثلاثون. المختلف فيها ثلاث آيات: {الْمُزَّمِّلُ} [المزمل : ١]، {شِيبًا} [المزمل : ١٧]، {إِلَيْكُمْ رَسُولًا} [المزمل : ١٥]. فواصل آياتها على الألف، إلا الآية الأولى؛ فإنه باللام، والأخيرة؛ فإنها «بالراء». مجموعها «رال»[١].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة المزمل»:**

عُرفت «سورة المزمل» بهذا الاسم ولم يرد لها أي تسميات أخرى، ويُراد بـ«المزمل» إما الصفة التي نادى بها الله تعالى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم، أو يُراد بها حكاية اللفظ[٢].

قال الزحيلي:" سميت «سورة المزمّل»، أي: المتلفف بثيابه، لأنها تتحدث عن النبي صلّى الله عليه وسلّم في بدء الوحي، ولأنها بدئت بأمر الله سبحانه رسوله صلّى الله عليه وسلّم أن يترك التزمل: وهو التغطي في الليل، وينهض إلى تبليغ رسالة ربه عز وجل"[٣].

قال المهايمي:" سميت له لدلالته على عظم أمر الوحي، لأنه أقوى الخلائق كان يرتعد عنده فيتزمل "[٤].

وليست لهذه السورة سوى هذا الاسم الذي اشتهرت به.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٥]، وابن الزبير[٦]، والحسن[٧]، وعكرمة[٨]، وعطاء[٩]، وجابر[١٠]، وحكاه ابن الجوزي عن إجماع المفسرين[١١].

عن ابن عباس، قال: "نزلت {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}، بمكة"[١٢]، وروي عن ابن الزبير مثله[١٣].

الثاني: أنها مكية إلا قوله: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى} [المزمل : ٢٠] إلى آخر السورة، فإن ذلك نزل بالمدينة. وهذا مروي عن ابن عباس –أيضا-[١٤]، وبه قال ابن يسار[١٥]، ومقاتل[١]، وحكاه ابن عطية عن الجمهور[٢].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٦/١.
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٥٢/٢٩.
(٣) التفسير المنير: ١٨٧/٢٩.
(٤) تفسير المهايمي: ٣٧١/٢.
(٥) انظر: الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٣١٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(٩) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(١١) انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.
(١٢) الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردويه والبيهقي.
(١٣) انظر: الدر المنثور: ٣١٨/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(١٤) الدر المنثور: ٣١١/٨، وعزاه إلى النحاس.
(١٥) انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.

قال السيوطي: " إن استثناء قوله: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ} [المزمل : ٢٠]، إلى آخر السورة يرده ما أخرجه الحاكم عن عائشة «نزل بعد نزول صدر السورة بسنة وذلك حين فرض قيام الليل في أول الإسلام قبل فرض الصلوات الخمس»"[٣].

قال ابن عاشور:" الظاهر أن الأصح أن نزول : {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ} [المزمل : ٢٠] إلى آخر السورة نزل بالمدينة لقوله تعالى: {وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الله} [المزمل : ٢٠]، إن لم يكن ذلك إنباء بمغيب على وجه المعجزة.. والروايات عن عائشة مضطربة"[٤].

الثالث: أنهما مكية سوى آيتين منها، قوله عزّ وجلّ: {وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل : ١٠]، والتي بعدها[٥]. حكي ذلك عن ابن عباس[٦]، وقتادة[٧].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

١- أنه سبحانه ختم سورة الجن بذكر الرسل عليهم السلام، وافتتح هذه بما يتعلق بخاتمهم عليه السلام.

٢- أنه قال في السورة السالفة: {وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ} [الجن : ١٩]، وقال في هذه: {قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل : ٢][٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تتمثل مقاصد سورة المزمل الإجمالية في الإعلام بأن محاسن الأعمال تدفع الأخطار والأوجال، وتخفف الأحمال الثقال، ولاسيما الوقوف بين يدي الملك المتعال، والتجرد في خدمته في ظلمات الليال، فإنه نعم الإله لقبول الأفعال والأقوال، ومحو ظلل الضلال، والمعين الأعظم على الصبر والاحتمال، لما يرد من الكدورات في دار الزوال، والقلعة والارتحال، واسمها المزمل أدل ما فيها على هذا المقال.

وقد جاءت مقاصد سورة المزمل التفصيلية بمثابة دروس وتوجيهات لإفادة المسلم في حياته بحيث يكون أقرب ما يكون تطبيقا للمنهج القرآني، ومنها:

١- التأكيد على أن قيام الليل كان واجبا في حق النبي عليه الصلاة والسلام، وفي حق أمته نافلة، فيحرص المسلم على الإتيان بهذه النافلة قدر ما استطاع.

٢- التوجيه إلى الصبر على الأذى وهجر المكذبين هو أمر رباني لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم، فيأخذ المسلم بهذا الأمر ويحرص على هجر المكذبين والعصاة من الناس.

٣- العبادات هي زاد للمسلم في حياته وبالأخص تلك العبادات الداعية إلى الله تعالى، فكل عبادة يؤديها هي زاد له في طريق الدعوة مما يلاقيه من الناس.

٤- قيام الليل يعد علامة ظاهرة على درجة الإيمان في قلب المسلم، فيراقب المسلم درجة إيمانه بقيامه لليل.

٥- السعي في النهار لطلب أسباب العيش هو من سنن الله -تعالى- في الأرض، فلا يتعطل المسلم عن طلب الرزق بحجة التعبد لله تعالى.

٦- عقاب المكذبين والمستهزئين مخبأ لهم من الله تعالى، فيطمئن الداعية إلى أن كل ما يلاقيه من المستهزئين له عقاب في اليوم الموعود.

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.
(٢) انظر: المحرر الوجيز: ٣٨٦/٥.
(٣) انظر: الإتقان: ٦٦/١-٦٧. [بتصرف]
(٤) التحرير والتنوير: ٢٥٣/٢٩.
(٥)المزمل: ١٠- ١١.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وزاد المسير: ٣٥٢/٤، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣١/١٩.
(٨) انظر: تفسير المراغي: ١٠٩/٢٩.

٧- التخفيف في العبادات تيسير إلهي لعباده في الأرض، فلا يجبر المسلم نفسه على ما لا يستطع من عبادات، بل يأخذ بالرخص التي شرعها الله تعالى.
٨- إن التخلق بالأخلاق التي يأمر بها القران الكريم هو أمر يشق على النفس البشرية، ولا يعين المسلم على ذلك سوى حبل متين متصل مع الله تعالى.
٩- أشكال الإيذاء التي تعرض لها رسل الله -تعالى- لا تعد ولا تحصى، فعلى الداعية أن يطمئن ؛ لأنه مهما لاقى من أعباء الدعوة فإنها لا تعد شيئا في مقابل ما تعرض له صفوة الخلق.
١٠- فهم القران الكريم متوقف على تدبره والتأني فيه، ولفهم القران وما فيه من مواعظ وقصص وأحكام ينبغي للمسلم أن يتدبر ورده من القران ويتأنى فيه.
١١- طلب العلم يعد بابا من أبواب ذكر الله تعالى، فيحرص المسلم على طلب العلم ويخلص النية لله -تعالى- في ذلك.
١٢- الإخبار بأن قيام الليل وتكاليف العبادة أمور شاقة على النفس الإنسانية، فلا يعين على ذلك إلا الإيمان والصلة القوية بالله تعالى.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: خطاب الانبساط مع سيد المرسلين، والأمر بقيام الليل، وبيان حجة التوحيد، والأمر بالصبر على جفاء الكفار، وتهديد الكافر بعذاب النار، وتشبيه رسالة المصطفى برسالة موسى، والتخويف بتهويل القيامة، والتسهيل والمسامحة في قيام الليل، والحث على الصدقة والإحسان، والأمر بالاستغفار من الذنوب والعصيان، في قوله: {وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل : ٢٠]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

فيها من المنسوخ ست آيات: ثلاث من أول السورة: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَم} [المزمل : ٢٠] ن {وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا} [المزمل : ١٠]، وقوله: {وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِين} [المزمل : ١١] م، وقوله: {إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَة} [المزمل : ١٩] ن آية السيف[٢].

- **فضائل السورة:**

– عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة المزمّل رفع عنه العسر في الدنيا والآخرة» [٣].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٦/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٧/١.
(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٥٨/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٥٧/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا (٢) نِصْفَهُ أَوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أَوْ زِدْ عَلَيْهِ وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا (٤)} [المزمل : ١-٤]

التفسير:

يا أيها المتغطي بثيابه، قم للصلاة في الليل إلا يسيرًا منه. قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا حتى تَصِلَ إلى الثلث، أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين، واقرأ القرآن بتُؤَدَة وتمهُّلٍ مبيِّنًا الحروف والوقوف.

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} [المزمل : ١]، أي:" يا أيها المتغطي بثيابه"[١].

قرأ أُبَيُّ بن كعب، وأبو العالية، وأبو مجلز، وأبو عمران، والأعمش «المتزمِّل» بإظهار التاء. وقرأ عكرمة، وابن يعمر: «المزمل» بحذف التاء، وتخفيف الزاي[٢].

قال الأخفش:" الأصل: «المُتَزَمِّلْ»، ولكن أدغمت التاء في الزاي، و{المُدَّثِّر} مثلها"[٣].

وفي أصل «المزمل»، قولان :

أحدهما : المحتمل، يقال: زمل الشيء إذا حمله، ومنه: الزاملة التي تحمل القماش. حكاه الماوردي[٤].

وحكي الثعلبي عن عكرمة: "يعني: يا أيّها الذي زمّل هذا الأمر، أي: حمّله"[٥].

الثاني : المزمل هو الملتف بثيابه، قاله أبو عبيدة[٦]، والزجاج[٧]، وأنشد الأخير قول امرئ القيس[٨]:

وكأنَّ ثَبِيرًا في عَرَانِينِ وَبْلِهِ ... كَبِيرُ أُنَاسٍ في بِجَاد مُزَمَّل

واختلف أهل التفسير في المعنى الذي وصف الله به نبيه صلى الله عليه وسلم في هذه الآية من التزمُّل، على أقوال:

أحدها : وصفه بأنه متزمِّل النبوّة والرسالة، قاله عكرمة[٩].

قال عكرمة:" زُملت هذا الأمر فقم به"[١٠].

الثاني : بالقرآن، قاله ابن عباس[١١].

عن ابن عباس :{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} قال : "يا محمد، زُمِّلتَ القرآن"[١٢].

الثالث : وصفه بأنه مُتَزمل في ثيابه، متأهب للصلاة، قاله قتادة[١٣].

قال قتادة:" هو الذي تزمل بثيابه"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٤.

(٢) انظر: زاد المسير: ٣٥٢/٤.

(٣) معاني القرآن: ٥٥٢/٢.

(٤) انظر: النكت والعيون: ١٢٤/٦، وتفسير القرطبي: ٣٧٩/١٩، وتفسير العز بن عبدالسلام: ٣٧٩/٣.

(٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٩/١٠.

(٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٧٣/٢.

(٧) انظر: معاني القرآن: ٢٣٩/٥.

(٨)انظر: "ديوانه" ص ١٢٢، السيوطي ص ٢٩٨، "الخزانة" ٢/ ٣٢٧، ٣/ ٦٣٩، "الخصائص" ١/ ١٩٢، ٣/ ٢٢١، "المحتسب" ٢/ ١٣٥، "أمالي ابن الشجري" ١/ ١٣٤، "تذكرة النحاة" ص ٣٠٨، "اللسان" (زمل) ٣/ ١٨٦٤، "مغني اللبيب" ٢/ ٥١٥.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٦/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٧٦/٢٣.

(١١) انظر: النكت والعيون: ١٢٥/٦.

(١٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٤٩/٨-٢٥٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٦/٢٣.

قال مقاتل:" يعني: الذي ضم عليه ثيابه، يعني النبي- صلى الله عليه وسلم- وذلك أن النبي- صلى الله عليه وسلم- خرج من البيت وقد ليس ثيابه، فناداه جبريل- عليه السلام-: {يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} الذي قد تزمل بالثياب وقد ضمها عليه"[٢].

قال الطبري:" والذي هو أولى القولين بتأويل ذلك، ما قاله قتادة؛ لأنه قد عقبه بقوله: {قُمِ اللَّيْلَ}، فكان ذلك بيانا عن أن وصفه بالتزمُّل بالثياب للصلاة، وأن ذلك هو أظهر معنييه"[٣].

عن إبراهيم النخعي: في قوله: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}، قال: "نزلت وهو في قطيفة"[٤].

قال أبو عبد الله الجدلي: "سألت عائشة عن قوله سبحانه: {يا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}، ما كان تزميله ذلك؟ قالت: كان مرطا طوله أربع عشر ذراعا نصفه عليّ وأنا نائمة ونصفه على رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وهو يصلّي. قال أبو عبد الله: فسألتها ما كان؟ قالت: والله ما كان جزّا ولا قزّا ولا مرعزي ولا إبريسم ولا صوفا كان سداه شعرا ولحمته وبرا"[٥].

وقال السدي: "أراد يا أيها النائم قم فصل"[٦].

قوله تعالى:{قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل : ٢]، أي:" قم للصلاة في الليل إلا يسيرًا منه"[٧].

قال الطبري:" يقول لنبيه صلى الله عليه وسلم: {قُمِ اللَّيْلَ} يا محمد كله، {إِلا قَلِيلا} منه"[٨].

قال ابن كثير:" يأمر تعالى رسوله صلى الله عليه وسلم أن يترك التزمل، وهو : التغطي في الليل، وينهض إلى القيام لربه عز وجل، كما قال تعالى :{تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ} [السجدة : ١٦] وكذلك كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ممتثلا ما أمره الله تعالى به من قيام الليل، وقد كان واجبًا عليه وحده، كما قال تعالى :{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا} [الإسراء : ٧٩]"[٩].

وفي قوله تعالى:{قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل : ٢]،وجهان[١٠]:

أحدهما : معناه: صل الليل إلا قليلاً من أعداد الليالي لا تقمها .

الثاني : إلا قليلاً من زمان كل ليلة لا تقمه، وقد كان فرضاً عليه.

حكي عن وهب بن منبه، أنه قال: "القليل: ما دون المعشار والسدس"[١١].

وفي فرضه على مَنْ سواه من أُمّته قولان :

أحدهما : فرض عليه دونهم لتوجه الخطاب إليه ، ويشبه أن يكون قول سعيد ابن جبير[١٢].

الثاني : أنه فرض عيله وعليهم فقاموا حتى ورمت أقدامهم ، قاله ابن عباس[١٣]، وعائشة[١٤].

قال ابن عباس:" فأمر الله نبيه والمؤمنين بقيام الليل إلا قليلا فشقّ ذلك على المؤمنين، ثم خفَّف عنهم فرحمهم، وأنزل الله بعد هذا: {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ} ... إلى قوله: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}، فوسع الله وله الحمد، ولم يضيق"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٧٦/٢٣.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٥/٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٧٦/٢٣.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠١٥):ص٣٣٨٠/١٠.
(٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٨/١٠.
(٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٥٩/١٠.
(٧) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٨) تفسير الطبري: ٦٧٧/٢٣-٦٧٨.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٤٩/٨.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٢٥/٦.
(١١) النكت والعيون: ١٢٦/٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠١٢):ص٣٣٧٩/١٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٨/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠١٠)، (١٩٠١١):ص٣٣٧٩/١٠.

وقال ابن عباس : "لما نزل أوّل «المزمل»، كانوا يقومون نحوًا من قيامهم في رمضان، وكان بين أوّلها وآخرها قريب من سنة"[٢].

واختلف بماذا نسخ عنهم على قولين :

أحدهما : نسخ عنهم بآخر السورة ، قاله ابن عباس[٣].

الثاني : بالصلوات الخمس. وهو قول عائشة-رضي الله عنها-[٤].

قالت عائشة-رضي الله عنها-: " كنت أجعل لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا يصلي عليه من الليل، فتسامع به الناس، فاجتمعوا، فخرج كالمغضَب، وكان بهم رحيما، فخشي أن يُكتب عليهم قيام الليل، فقال: «يا أيُّها النَّاسُ اكْلفُوا مِنَ الأعْمالِ ما تُطِيقُونَ، فإنّ الله لا يَمَلُّ مِنَ الثَّوَابِ حَتَّى تَمَلُّوا مِنَ العَمَلِ وخَيْرُ الأعْمال ما دُمْتُمْ عَلَيْه» ونزل القرآن: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلا قَلِيلا نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أَوْ زِدْ عَلَيْهِ}، حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق، فمكثوا بذلك ثمانية أشهر، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم فردّهم إلى الفريضة وترك قيام الليل"[٥].

وفي رواية أخرى قالت عائشة-رضي الله عنها-: "كنت أشتري لرسول الله صلى الله عليه وسلم حصيرا، فكان يقوم عليه من أوّل الليل، فتسمع الناس بصلاته، فاجتمعت جماعة من الناس؛ فلما رأى اجتماعهم كره ذلك، فخشي أن يكتب عليهم، فدخل البيت كالمغضب، فجعلوا يتنحنحون ويتسعَّلون حتى خرج إليهم، فقال: «يا أيُّها النَّاس إنَّ الله لا يَمَلُّ حتى تَمَلُّوا - يعنى من الثواب - فاكْلفوا مِنَ العَمَلِ ما تُطِيقُون فإنَّ خَيْر العَمَلِ أدْوَمُهُ وَإنْ قَلَّ»، ونزلت عليه: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلا قَلِيلا} السورة، قال: فكتبت عليهم، وأنزلت بمنزلة الفريضة حتى إن كان أحدهم ليربط الحبل فيتعلق به؛ فلما رأى الله ما يكلفون مما يبتغون به وجه الله ورضاه، وضع ذلك عنهم، فقال: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ} ... إلى {عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ} فردّهم إلى الفريضة، ووضع عنهم النافلة، إلا ما تطوّعوا به"[٦].

عن زُرارة بن أوفى، عن سعيد بن هشام : "أنه طلق امرأته ثم ارتحل إلى المدينة ليبيع عقارًا له بها ويجعله في الكُرَاع والسلاح، ثم يجاهد الروم حتى يموت. فلقي رهطًا من قومه فحدثوه أن رهطًا من قومه ستة أرادوا ذلك على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "أليس لكم فيّ أسوة؟ فنهاهم عن ذلك، فأشهدهم على رَجعتها، ثم رجع إلينا فأخبرنا أنه أتى ابن عباس فسأله عن الوتر فقال : ألا أنبئك بأعلم أهل الأرض بوتر رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ قال : نعم قال : ائت عائشة فاسألها ثم ارجع إليّ فأخبرني بردها عليك. قال : فأتيت على حكيم بن أفلحَ فاستلحقتُه إليها، فقال : ما أنا بقاربها ؛ إني نهيتها أن تقول في هاتين الشيعتين شيئًا، فأبت فيهما إلا مُضيًا. فأقسمتُ عليه، فجاء معي، فدخلنا عليها فقالت : حكيم ؟ وعرفته، قال : نعم. قالت : من هذا معك ؟ قال : سعيد بن هشام. قالت : من هشام ؟ قال : ابن عامر. قال : فترحمت عليه وقالت : نعم المرء كان عامر. قلت : يا أم المؤمنين، أنبئيني عن خلق رسول صلى الله عليه وسلم ؟ قالت : ألست تقرأ القرآن ؟ قلت : بلى، قالت : فإن خلق رسول الله صلى الله عليه وسلم كان القرآن. فَهممت أن أقوم، ثم بدا لي قيامُ رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت : يا أم المؤمنين، أنبئيني عن قيام رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.ألست تقرأ هذه السورة :{يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} ؟ قلت : بلى. قالت : فإن الله افترض قيام الليل في أول هذه السورة، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها في السماء

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٧٨/٢٣.

(٣)انظر: تفسير الطبري: ٦٨٠/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠١٤):ص٣٣٨٠/١٠.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٨/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠١٠):ص٣٣٧٩/١٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٧٨/٢٣، وابن أبي حاتم(١٩٠١٠):ص٣٣٧٩/١٠.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٧٨/٢٣-٦٧٩.

اثني عشر شهرًا، ثم أنزل الله التخفيف في آخر هذه السورة، فصار قيام الليل تطوعًا من بعد فريضة. فهممت أن أقوم، ثم بدا لي وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم، قلت : يا أم المؤمنين، أنبئيني عن وتر رسول الله صلى الله عليه وسلم. قالت : كنا نعد له سِواكه وطَهُوره، فيبعثه الله لما شاء أن يبعثه من الليل، فيتسوك ثم يتوضأ ثم يصلي ثماني ركعات لا يجلس فيهن إلا عند الثامنة، فيجلس ويذكر ربه تعالى ويدعو [ويستغفر ثم ينهض وما يسلم. ثم يصلي التاسعة فيقعد فيحمد ربه ويذكره ويدعو ثم يسلم تسليمًا يسمعنا، ثم يصلي ركعتين وهو جالس بعد ما يسلم. فتلك إحدى عشرة ركعة يا بني. فلما أسن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخذه اللحم، أوتر بسبع، ثم صلى ركعتين وهو جالس بعدما يسلم، فتلك تسع يا بني. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صلى صلاة أحب أن يداوم عليها، وكان إذا شَغَله عن قيام الليل نوم أو وَجَع أو مرض، صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة، ولا أعلم نبي الله صلى الله عليه وسلم قرأ القرآن كله في ليلة، ولا قام ليلة حتى أصبح، ولا صام شهرًا كاملا غير رمضان.

فأتيت ابن عباس فحدثته بحديثها، فقال : صدقت، أما لو كنت أدخل عليها لأتيتها حتى تشافهني مشافهة"[١].

واختلفوا من مدة فرض «قيام الليل» إلى أن نسخ على أقوال:

أحدها : سنة، قاله ابن عباس[٢].

عن ابن عباس قال: " لما نزل أوّل «المزمل»، كانوا يقومون نحوا من قيامهم في شهر رمضان، وكان بين أوّلها وآخرها نحو من سنة"[٣].

قال قتادة:" فرض الله عز وجل: قيام الليل في أول هذه السورة فقام أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى انتفخت أقدامهم فأمسك الله خاتمتها حولا ثوم أنزل الله عز وجل: التخفيف في آخرها قال عز وجل: {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَأُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ} [المزمل: ٢٠]، فنسخت هذه الآية ما كان قبلها من قيام الليل فجعل قيام الليل تطوعا بعد فريضة وقال {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [المزمل: ٢٠]، وهما فريضتان لا رخصة لأحد فيهما"[٤].

عن أبي عبد الرحمن، قال: "لما نزلت: {يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} قاموا بها حولا حتى ورمت أقدامهم وسوقهم حتى نزلت: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}، فاستراح الناس"[٥].

وروي عن قتادة: "{قُمِ اللَّيْلَ إِلا قَلِيلا}، قاموا حولا أو حولين حتى انتفخت سوقهم وأقدامهم، فأنزل الله تخفيفا بعد في آخر السورة"[٦].

عن الحسن، قال: لما نزلت {يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ} ... الآية، قام المسلمون حولا فمنهم من أطاقه، ومنهم من لم يطقه، حتى نزلت الرخصة"[٧].

الثاني : ثمانية أشهر، قالته عائشة[٨].

عن عائشة قالت: "نزل القرآن: {يَاأَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ (١) قُمِ اللَّيْلَ إِلَّا قَلِيلًا} [المزمل: ١-٢]، حتى كان الرجل يربط الحبل ويتعلق فمكثوا بذلك ثمانية أشهر، فرأى الله ما يبتغون من رضوانه فرحمهم وردهم إلى الفريضة وترك قيام الليل"[٩].

---

(١)المسند (٥٤/٦)، وصحيح مسلم برقم (٧٤٦).
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٨/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠١٤):ص٣٣٨٠/١٠.
(٣)أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣، وابن أبي حاتم(١٩٠١٤):ص٣٣٨٠/١٠.
(٤) الناسخ والمنسوخ لقتادة: ٥٠.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠١١):ص٣٣٧٩/١٠.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠١٣):ص٣٣٨٠/١٠.

وروي عن سعد بن هشام قال: "فقلت، يعني لعائشة أخبرينا عن قيام رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حتى انتفخت أقدامهم وحبس آخرها في السماء عشر شهرا ثم نزل"[١].
الثالث : عشر سنين. وهذا قول سعيد بن جبير[٢].
عن سعيد هو ابن جبير قال: " لما أنزل الله على نبيه: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ}، قال: مكث النبيّ صلى الله عليه وسلم على هذا الحال عشر سنين يقوم الليل كما أمره الله، وكانت طائفة من أصحابه يقومون معه، فأنزل الله عليه بعد عشر سنين: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ}... إلى قوله: {وَأَقِيمُوا الصَّلاةَ}، فخفَّف الله عنهم بعد عشر سنين"[٣].
قوله تعالى:{نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلًا (٣) أوْ زِدْ عَلَيْهِ} [المزمل : ٣-٤]، أي:" قم نصف الليل أو انقص من النصف قليلا حتى تَصِلَ إلى الثلث، أو زد على النصف حتى تصل إلى الثلثين"[٤].
قال الطبري:" خَيره الله تعالى ذكره حين فرض عليه قيام الليل بين هذه المنازل أي ذلك شاء فعل، فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه فيما ذُكر يقومون الليل، نحو قيامهم في شهر رمضان فيما ذُكر حتى خفف ذلك عنهم"[٥].
قال ابن كثير:" أي : أمرناك أن تقوم نصف الليل بزيادة قليلة أو نقصان قليل، لا حرج عليك في ذلك"[٦].
قوله تعالى:{وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلًا} [المزمل : ٤]، أي:" واقرأ القرآن بتُؤَدَة وتمهُّلٍ مبيِّنًا الحروف والوقوف"[٧].
قال الطبري:" يقول جلّ وعزّ: وبين القرآن إذا قرأته تبيينا، وترسل فيه ترسل"[٨].
عن الحسن، قوله: "{وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا}، قال: اقرأه قراءة بينة"[٩].
عن مجاهد: "{وَرَتِّلِ الْقُرْآنَ تَرْتِيلا}، فقال: بعضه على أثر بعض"[١٠].
قال مجاهد:" بعضه على أثر بعض، على تؤدة"[١١].
قال مجاهد:" ترسل فيه ترسلا"[١٢].
قال ابن عباس، وقتادة:" بيّنه بيانا"[١٣].
قال عطاء:" الترتيل النَّبْذ: الطَّرْح"[١٤].
قال الزمخشري:" ترتيل القرآن: قراءته على ترسل وتؤدة بتبيين الحروف وإشباع الحركات، حتى يجيء المتلوّ منه شبيها بالثغر المرتل: وهو المفلج المشبه بنور الأقحوان، وألا يهذه هذا ولا يسرده سردا [١٥]"[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠١١):ص٣٣٧٩/١٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٧٩/٢٣، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠١٢):ص٣٣٧٩/١٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٧٩/٢٣، وابن أبي حاتم(١٩٠١٢):ص٣٣٧٩/١٠.
(٤) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٥) تفسير الطبري: ٦٧٨/٢٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٨.
(٧) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٨) تفسير الطبري: ٦٨٠/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٣.
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٨٠/٢٣.
(١٥)الهذ: الاسراع. والسرد: التتابع. والحقحقة: شدة السير.

قال ابن كثير:" أي : اقرأه على تمهل، فإنه يكون عونا على فهم القرآن وتدبره. وكذلك كان يقرأ صلوات الله وسلامه عليه، قالت عائشة : كان يقرأ السورة فيرتلها، حتى تكون أطول من أطول منها. وفي صحيح البخاري، عن أنس : أنه سئل عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال : كانت مدًا، ثم قرأ {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ} يمد بسم الله، ويمد الرحمن، ويمد الرحيم[٢].

وقال ابن جُرَيج، عن ابن أبي مُليكة عن أم سلمة : أنها سُئلت عن قراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقالت : كان يقطع قراءته آية آية، {بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ}[٣]"[٤].

عن عبد الله بن عمرو، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يقال لصاحب القرآن : اقرأ وارْقَ، ورَتِّل كما كنت ترتل في الدنيا، فإن منزلتك عند آخر آية تقرؤها"[٥].

وعن ابن مسعود أنه قال : "لا تنثروه نثر الرمل ولا تهذّوه هذّ الشعر، قفوا عند عجائبه، وحركوا به القلوب، ولا يكن همّ أحدكم آخر السورة"[٦].

عن عمرو بن مرة، قال : سمعت أبا وائل قال : "جاء رجل إلى ابن مسعود فقال : قرأت المفصل الليلة في ركعة. فقال : هذّا كهذّ الشعر. لقد عرفت النظائر التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرن بينهن. فذكر عشرين سورة من المُفَصّل سورتين في ركعة"[٧].

القرآن

{إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا (٥)} [المزمل : ٥]

التفسير:

إنا سننزل عليك -أيها النبي- قرآنًا عظيمًا مشتملا على الأوامر والنواهي والأحكام الشرعية.

اختلف أهل العلم في تفسير الآية، على أقوال:

أحدها : أنه إذا أوحي إليه كان ثقيلاً عليه لا يقدر على الحركة حتى ينجلي عنه، وهذا قول عائشة[٨]، وعروة بن الزبير[٩].

عن عائشة رضي الله عنها، أن النبي صلى الله عليه وسلم: " كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها، فلم تستطع أن تتحرك، وتلت قول الله عز وجل: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل: ٥]"[١٠].

عن هشام بن عروة، عن أبيه: "أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا أوحي إليه وهو على ناقته وضعت جرانها، فما تستطيع أن تتحرّك حتى يسرَّى عنه"[١١].

والألص: متقارب الأسنان. أفاده الصحاح. وفيه «الهذرمة» سرعة القراءة.

(١) الكشاف: ٦٣٧/٤.

(٢)صحيح البخاري برقم (٥٠٤٦).

(٣)المسند (٣٠٢/٦)، وسنن أبي داود برقم (٤٠٠١)، والشمائل للترمذي برقم (٢٩٩).

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٥٠/٨.

(٥)المسند (١٩٢/٢) وسنن أبي داود برقم (١٤٦٤)، وسنن الترمذي برقم (٢٩١٤)، وسنن النسائي الكبرى برقم (٨٠٥٦).

(٦) رواه البغوي في معالم التنزيل (٢١٥/٨).

(٧)صحيح البخاري برقم (٧٧٥).

(٨) انظر: المستدرك على الصحيحين(٣٨٦٥):ص٥٤٩/٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٨١/٢٣.

(١٠) المستدرك على الصحيحين(٣٨٦٥):ص٥٤٩/٢. قال الحاكم: هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه».

(١١) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٣.

وعن أسماء بنت يزيد قالت: "نزلت سورة المائدة وأنا آخذ بزمام ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم العضباء. فكادت من ثقلها أن تندق عضد الناقة"[١].

قال ابن زيد:" هو والله ثقيل مبارك القرآن، كما ثقل في الدنيا ثُقل في الموازين يوم القيامة"[٢].

قال زيد بن ثابت : "أنزل على رسول الله صلى الله عليه وسلم وفخذه على فخذي، فكادت تُرض فَخذي"[٣].

عن عبد الله بن عمرو قال : سألت النبي صلى الله عليه وسلم فقلت : يا رسول الله، هل تحس بالوحي ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أسمعُ صَلاصيل، ثم أسكتُ عند ذلك، فما من مرة يوحى إلي إلا ظننت أن نفسي تفيض"[٤].

عن عائشة : "أن الحارث بن هشام سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف يأتيك الوحي ؟ فقال : "أحيانا يأتيني في مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عَلَيّ، فَيَفْصِمُ عني وقد وَعَيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول". قالت عائشة : ولقد رأيته ينزل عليه الوحي صلى الله عليه وسلم في اليوم الشديد البرد، فَيَفْصِمُ عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا هذا لفظه"[٥].

عن عاصم قال: "سمع أبو العالية رجلا وهو يقول: سورة قصيرة، فقال: أنت أقصر وألم؛ قال: وكان ابن سيرين يكره أن يقول: سورة خفيفة، فإن الله يقول: {إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل : ٥]، ولكن قل سورة يسيرة، فإن الله يقول: {لَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ} [القمر : ١٧]"[٦].

عن ابن سيرين، وأبي العالية قالا: " لا يقال: سورة خفيفة، فإنه قال تعالى: {سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا} [المزمل: ٥] قال: وكيف أقول؟ قال: تقول: سورة يسيرة""[٧].

الثاني : العمل به ثقيل في فروضه وأحكامه وحلاله وحرامه ، قاله الحسن[٨]، وقتادة[٩]، وبه قال ابن قتيبة[١٠]، والطبري[١١].

قال ابن قتيبة:" أي: ثقيل الفرائض والحدود"[١٢].

عن الحسن، في قوله: "{إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلا ثَقِيلا}، قال: العمل به، قال: إن الرجل لَيَهُذُّ[١٣] السورة، ولكنّ العمل به ثقيل"[١٤].

قال قتادة:" ثقيل والله فرائضه وحدوده"[١٥].

قال قتادة: "ثقله في الميزان كثقله على الإنسان في الدنيا"[١٦].

---

(١)مختصر قيام الليل وقيام رمضان وكتاب الوتر، للمروزي: ٣١.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣.
(٣)صحيح البخاري برقم (٧٧٥).
(٤)المسند (٢٢٢/٢).
(٥)صحيح البخاري برقم (٢).
(٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهي(١٨):ص١٤/٣.
(٧) المصاحف لأبي داود: ٣٥٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٨١/٢٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٨١/٢٣.
(١٠) انظر: غريب القرآن: ٤٩٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٣.
(١٢) غريب القرآن: ٤٩٣.
(١٣) الهذ: سرعة القراءة. وهو يهذ القرآن هذًا: إذا أسرع فيع وتابعه. وهذا الحديث سرده (التاج).
(١٤) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٨١/٢٣.
(١٦) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٣٩/٥.

قال مقاتل:" يعني: القرآن شديدا، لما في القرآن من الأمر والنهي والحدود والفرائض"[١].

قال أبو العالية: "ثقيلا بالوعد والوعيد والحلال والحرام"[٢].

وقال محمد بن كعب: "ثقيلا على المنافقين"[٣].

وقال أبو بكر بن طاهر: "يعني: قولا لا يحمله إلّا قلب مؤيد بالتوفيق ونفس مزيّنة بالتوحيد"[٤].

قال الزجاج:" جاء في التفسير أنه يثقل العمل به، لأن الحلال والحرام والصلاةَ والصيَامَ وجميع ما أمر اللَّه به أن يعمل، ونهى عنه، لا يؤديه أحد إلا بتكلف ما يثقل عليه"[٥].

قال الزمخشري:" هذه الآية اعتراض، ويعنى بالقول الثقيل: القرآن وما فيه من الأوامر والنواهي التي هي تكاليف شاقة ثقيلة على المكلفين، خاصة على رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه متحملها بنفسه ومحملها أمته، فهي أثقل عليه وأبهظ له، وأراد بهذا الاعتراض: أن ما كلفه من قيام الليل من جملة التكاليف الثقيلة الصعبة التي ورد بها القرآن، لأنّ الليل وقت السبات والراحة والهدوء فلا بد لمن أحياه من مضادة لطبعه ومجاهدة لنفسه"[٦].

الثالث : أنه في المزان يوم القيامة ثقيل ، قاله ابن زبير[٧]، و الحسين بن الفضل[٨].

قال الحسين بن الفضل-في الآية-: "معناها إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا خفيفا على اللسان ثَقِيلًا في الميزان"[٩].

الرابع : ثقل بمعنى: كريم ، مأخوذ من قولهم : فلان ثقيل عليّ، أي: كريم عليّ ، قاله السدي[١٠].

الخامس : معناه: أنه قول له وَزْن في صِحتِه وبيانه ونفعه، كما تقول: هذا كلام رَصِينٌ، وهذا قول له وَزْن، إذا كنت تستجيدُه وتعلم أنه قد وقع موقع الحكمة والبيان. أفاده الزجاج[١١].

قال الفرّاء: ": ليس بالخفيف ولا السَّفْساف لأَنَّه كلام ربنا تبارك وتعالى"[١٢].

وقال عبد العزيز بن يحيى: "مهيبا، ومنه يقال للرجل العاقل: هو رزين راجح"[١٣].

السادس: أن يكون ثقيل بمعنى: ثابت ، لثبوت الثقيل في محله ، ويكون معناه أنه ثابت الإعجاز لا يزول إعجازه أبداً. أفاده الماوردي[١٤].

قال الطبري:" وأولى الأقوال بالصواب في ذلك أن يقال: إن الله وصفه بأنه قول ثقيل، فهو كما وصفه به ثقيل محمله ثقيل العمل بحدوده وفرائضه"[١٥].

القرآن

{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا (٦)} [المزمل : ٦]

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٥/٤.
(٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ٦٠/١٠.
(٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ٦٠/١٠.
(٤) نقلا عن: الكشاف: ٦٠/١٠.
(٥) معاني القرآن: ٢٤٠/٥.
(٦) الكشاف: ٦٣٧/٤-٦٣٨.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٦.
(٨) نقلا عن: الكشاف: ٦٠/١٠.
(٩) نقلا عن: الكشاف: ٦٠/١٠.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٢٦/٦.
(١١) انظر: معاني القرآن: ٢٤٠/٥.
(١٢) معاني القرآن: ١٩٧/٣.
(١٣) نقلا عن: الكشاف: ٦٠/١٠.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٢٧/٦.
(١٥) تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٣.

التفسير:
إن العبادة التي تنشأ في جوف الليل هي أشد تأثيرًا في القلب، وأبين قولا لفراغ القلب مِن مشاغل الدنيا.

قوله تعالى:{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا} [المزمل : ٦]، أي:" إن العبادة التي تنشأ في جوف الليل هي أشد تأثيرًا في القلب"(١).

وفي تفسير قوله تعالى:{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ} [المزمل : ٦]، وجوه:

أحدها : أنه قيام الليل ، بالحبشية ، قاله ابن مسعود(٢)، وابن عباس-في رواية-(٣).

عن ابن عباس وأبي مَيْسرة: "{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ}، نشأ: قام"(٤).

قال ابن عباس:" بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل، قالوا: نشأ"(٥).

قال ابن أبي نجيح: "إذا قام الرجل من الليل، فهو ناشئة الليل"(٦).

قال مجاهد:" إذا قمت الليل فهو ناشئة"(٧).

روى عن عبيد بن عمير: "قلت لعائشة: رجل قام من أوّل الليل، أتقولين له قام ناشئة؟ قالت لا، إنما الناشئة القيام بعد النوم"(٨).

قال الزمخشري:" ففسرت الناشئة بالقيام عن المضجع أو العبادة التي تنشأ بالليل، أى: تحدث، وترتفع"(٩).

الثاني : أنه ما بين المغرب والعشاء ، قاله علي بن حسين(١٠)، وأنس بن مالك(١١)، و عبادة بن كثير(١٢).

وعن على بن الحسين -رضى الله عنهما-:" أنه كان يصلى بين المغرب والعشاء، ويقول: أما سمعتم قول الله تعالى: {إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ}، هذه ناشئة الليل"(١٣).

الثالث : ما بعد العشاء الآخرة ، قاله الحسن(١٤)، ومجاهد(١٥)، وقتادة(١٦)، وأبو مِجْلز(١٧)، وأبو رجاء(١٨).

قال الحسن:" كل صلاة بعد العشاء الآخرة فهي ناشئة الليل"(١٩).

قال مجاهد، وقتادة:" كلّ شيء بعد العشاء فهو ناشئة"(٢٠).

قال قتادة:" ناشئة الليل: ما كان بعد العشاء فهو ناشئة"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ١٢٧/٦.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣.
(٨) نقلا عن: الكشاف: ٦٣٨/٤.
(٩) الكشاف: ٦٣٨/٤.
(١٠) انظر: تفسير مجاهد: ٦٧٩.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٢٧/٦.
(١٢) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٨٠):ص٣٨/١.
(١٣) نقلا عن: الكشاف: ٦٣٨/٤.
(١٤) انظر: تفسير مجاهد: ٦٧٩.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٣-٦٨٣.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(١٩) تفسير مجاهد: ٦٧٩.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣-٦٨٣، ٦٨٤.

وعن قتادة، قال:" حين يقبل الليل من المشرق"[٢].

الرابع : أنها ساعات الليل كلها، لأنها تنشأ ساعة بعد ساعة، وأيّ ساعة من الليل قمت فهو ناشئة، قاله مجاهد[٣]، وابن زيد[٤]، والطبري[٥]، والزجاج[٦]، وابن كثير[٧].

قال الطبري: يعني:" إن ساعات الليل، وكلّ ساعة من ساعات الليل ناشئة من الليل"[٨].

قال الزجاج:" {نَاشِئَةَ اللَّيْلِ}: ساعات الليل كلها، كلما نَشَأ منه، أي: كل ما حدث منه فهو: ناشئة"[٩].

قال ابن كثير:" الغرض أن ناشئة الليل هي : ساعاته وأوقاته، وكل ساعة منه تسمى ناشئة، وهي الآنات"[١٠].

عن ابن زيد: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ}، قال:" قيام الليل؛ قال: وأيّ ساعة من الليل قام فقد نشأ"[١١].

قال مجاهد:" أيّ: الليل قمت فهو ناشئة"[١٢].

قال مجاهد:" أيّ ساعة تَهَجَّدَ فيها متهجد من الليل"[١٣].

الخامس : أنه بدء الليل ، قاله عطاء وعكرمة، وابن كيسان[١٤].

وروي عن ابن عباس، قوله: {إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا}ـ يقول: ناشئة الليل كانت صلاتهم أوّل الليل"[١٥].

السادس : أن الليل كله ناشئة، قال ابن عباس[١٦]، وعكرمة[١٧]، والضحاك[١٨]، ومقاتل[١٩].

عن الضحاك، قوله: "{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ}، يعني: الليل كله"[٢٠].

قال مجاهد:" الليل كله، إذا قام يصلي فهو ناشئة"[٢١].

عن ابن عباس قوله: "{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ}، قال: الليل كله"[٢٢].

عن حاتم بن أبي صغيرة، قال: "قلت لعبد الله بن أبي مليكة: ألا تحدثني أيّ الليل ناشئة؟ قال: على الثبت سقطت، سألت عنها ابن عباس، فزعم أن الليل كله ناشئة، وسألت عنها ابن الزبير، فأخبرني مثل ذلك"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٧٥):ص٤٣/٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٣.
(٦) انظر: معاني القرآن: ٢٤٠/٥.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٨.
(٨) تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٣.
(٩) معاني القرآن: ٢٤٠/٥.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(١٤) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٣٨٨/٥.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٨٤/٢٣.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٣.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٢/٢٣.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(١٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٥/٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(٢١) أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.
(٢٢) أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.

عن ابن أبي مُليكة، قال: "سألت ابن عباس وابن الزبير عن: «ناشئة الليل»، فقالا: كلّ الليل ناشئة، فإذا نشأت قائما فتلك ناشئة"[٢].

عن عكرمة، قوله: "{إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ}، قال: هو الليل كله"[٣].

قال سهل:" يعني: الليل كله"[٤].

وفي تفسير قوله تعالى:{هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا} [المزمل : ٦]، وجوه:

أحدها : مواطأة قلبك وسمعك وبصرك[٥]، قاله مجاهد[٦].

قال مجاهد:" تواطئ سمعك وبصرك وقلبك"[٧].

قال مجاهد:" مُوَاطأة للقول، وفراغا للقلب"[٨].

قال مجاهد:" أجدر أن تواطئ سمعك وقلبك"[٩].

قال مجاهد: أجدر أن تواطئ لك سمعك، أن تواطئ لك بصرك"[١٠].

قال مجاهد:" يواطئ سَمْعُك وبصرك وقلبك بعضه بعضا"[١١].

قال سهل:" الليل هي أشد مواطأة على السمع والقلب من الإصغاء والفهم"[١٢].

قال ابن كثير:" المقصود أن قيام الليل هو أشد مواطأة بين القلب واللسان، وأجمع على التلاوة ؛ ولهذا قال :{هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلا}، أي : أجمع للخاطر في أداء القراءة وتفهمها من قيام النهار ؛ لأنه وقت انتشار الناس ولغَط الأصوات وأوقات المعاش"[١٣].

الثاني: معناه: إن مصلي الليل القائم بالليل أشدّ طمأنينة، أفرغ له قلبا، وذلك أنه لا يَعْرِضُ له حوائج ولا شيء[١٤]. قاله ابن زيد[١٥].

قال الطبري: يعني:" ناشئة الليل أشد ثباتا من النهار وأثبت في القلب، وذلك أن العمل بالليل أثبت منه بالنهار. وحُكي عن العرب وَطِئنا الليل وطأ: إذا ساروا فيه"[١٦].

الثالث : قراءة القرآن بالليل أثبت منه بالنهار، وأشدّ مواطأة بالليل منه بالنهار. قاله الضحاك[١٧].

قال الفراء:" يقول: هي أثبت قياما"[١٨].

الرابع : أشد نشاطاً ، قاله الكلبي[١٩]، لأنه زمان راحتك .

الخامس : أثبت في الخير، وأحفظ في الحفظ[٢٠]. قاله قتادة[٢١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٨٣/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٨٢/٢٣.

(٤) تفسير التستري: ١٨٠.

(٥) وهو معنى قراءة: «وِطاءً»، بكسر الواو ومدّ الألف. [انظر: تفسير الطبري: ٦٨٥/٢٣]

(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٥/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.

(٨) أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.

(٩) أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.

(١٢) تفسير التستري: ١٨٠.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٨.

(١٤) وهو معنى قراءة: «أَشَدُّ وَطْئًا»، بفتح الواو وسكون الطاء. [انظر: تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣]

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣.

(١٦) تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣.

(١٨) معاني القرآن: ١٩٧/٣.

(١٩) انظر: النكت والعيون: ١٢٧/٦.

(٢٠) وهو معنى قراءة: «أَشَدُّ وَطْئًا»، بفتح الواو وسكون الطاء. [انظر: تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣]

(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣.

قال قتادة:" القيام بالليل أشدّ وطئا: يقول: أثبت في الخير"[١].
السادس : يعني: صلاتهم أوّل الليل، هو أجدر أن تُحْصُوا ما فرض الله عليكم من القيام، وذلك أن الإنسان إذا نام لم يدر متى يستيقظ[٢]. قاله ابن عباس[٣].
السابع: أبلغ في الثواب، لأن كل مجتهد فثوابه عَلَى قَدْرِ اجتهاده[٤]. حكاه الزجاج[٥].
قوله تعالى:{وَأَقْوَمُ قِيلًا} [المزمل : ٦]، أي:" وأبين قولا لفراغ القلب مِن مشاغل الدنيا"[٦].
وفي قوله :{وَأَقْوَمُ قِيلًا} [المزمل : ٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : معناه: أبلغ في الخير وأمعن في العدل ، قاله الحسن[٧].
الثاني : أنه أعجل إجابة للدعاء ، حكاه ابن شجرة[٨].
الثالث : أصوب للقراءة وأثبت للقول لأنه زمان التفهم، قاله مجاهد[٩]، وقتادة[١٠]، وابن زيد[١١]، ويحيى بن سلام[١٢]، وبه قال ابن قتيبة[١٣]، والطبري[١٤].
عن الأعمش، قال: "قرأ أنس هذه الآية: «إِنَّ ناشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وأصْوَبُ قِيلا»، فقال له بعض القوم: يا أبا حمزة إنما هي: {وَأَقْوَمُ قِيلا}، قال: أقوم وأصوب وأهيأ واحد"[١٥].
وروي عن ابن عباس، قوله: "{وَأَقْوَمُ قِيلا}، يقول: أدنى من أن تفقهوا القرآن"[١٦].
عن قتادة: "{وَأَقْوَمُ قِيلا}: أحفظ للقراءة"[١٧].
قال مجاهد:" أثبت للقراءة"[١٨].
قال يحيى:" أصوب"[١٩].
قال ابن زيد:" أقوم قراءة لفراغه من الدنيا"[٢٠].
قال الفراء:" يَقُولُ: إن النهار يضطرب فِيهِ النَّاس، ويتقلبون فِيهِ للمعاش، والليل أخلى للقلب، فجعله أقوم قيلا"[٢١].
قال الزهري:" يعني: القرآن ومنفعتهم به. يقول: حتى يفهم القرآن ويتدبر آياته ويفقه ما فيه"[٢٢].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٨٤/٢٣.
(٢) وهو معنى قراءة: «أَشَدُّ وَطْئًا»، بفتح الواو وسكون الطاء. [انظر: تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣]
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣.
(٤) وهو معنى قراءة: «أَشَدُّ وَطْئًا»، بفتح الواو وسكون الطاء. [انظر: تفسير الطبري: ٦٨٤/٢٣]
(٥) انظر: معاني القرآن: ٢٤٠/٥.
(٦) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٢٧/٦.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٢٧/٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣.
(١٢) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ١١٩/١.
(١٣) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢١٥.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٥/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٨٥/٢٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ٦٨٦/٢٣.
(١٧) أخرجه الطبري: ٦٨٦/٢٣.
(١٨) تفسير عبدالرزاق(٣٣٦٧):ص٣٥٧/٣.
(١٩) تفسير يحيى بن سلام: ١١٩/١.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٦٨٦/٢٣.
(٢١) معاني القرآن: ١٩٧/٣.
(٢٢) الناسخ والمنسوخ وتنزيل القرآن: ٣٥.

قال ابن قتيبة:" أي: أخلص للقول وأسمع له، لأن الليل تهدأ عنه الأصوات، وتنقطع فيه الحركات، فيخلص القول، ولا يكون دون تسمّعه وتفهّمه حائل"[١].

قال أبو عبيدة:" أسمع قولا، إن الليل أسمع"[٢].

قال سهل:" أي: وأثبت رتبة، وقيل: وأصوب قيلاً، لأنه أبعد من الرياء"[٣].

قال الحسن:" "لقد أدركت أقواماً يقدرون على أن يعملوا في السر، فأرادوا أن يعملوه علانية، ولقد أدركت أقواماً إن أحدهم ليأتيه الزوار فيقوم من الليل فيصلي، وما يشعر به الزوار"[٤].

وكان لقمان يقول لابنه: "يا بني لا تكن أعجز من هذا الديك يصوت بالليل"[٥].

القرآن

{إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا (٧)} [المزمل : ٧]

التفسير:

إن لك في النهار تصرفًا وتقلبًا في مصالحك، واشتغالا واسعًا بأمور الرسالة، ففرِّغ نفسك ليلا لعبادة ربك.

وفي تفسير الآية أقوال:

أحدها : يعني: فراغاً طوياً لنَومك وراحتك ، فاجعل ناشئة الليل لعبادتك ، قاله ابن عباس[٦]، ومجاهد[٧]، وقتادة[٨]، وعطاء[٩]، وابن زيد[١٠].

قال مقاتل:" يعني: فراغا طويلا لنومك ولحاجتك، وكانوا لا يصلون إلا بالليل حتى أنه كان الرجل يعلق نفسه بالليل، فشق القيام عليه بالليل"[١١].

قال الفراء:" يقول: لكَ فِي النهار ما يقضي حوائجك"[١٢].

قال أبو عبيدة: أي:" منقلبا طويلا"[١٣].

قال ابن قتيبة:" يعني: تصرفا وإقبالا وإدبارا في حوائجك وأشغالك"[١٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن لك يا محمد في النهار فراغا طويلا تتسع به، وتتقلّب فيه"[١٥].

قال الزمخشري:" {سَبْحاً}: تصرفا وتقلبا في مهماتك وشواغلك، ولا تفرغ إلا بالليل، فعليك بمناجاة الله التي تقتضي فراغ البال وانتفاء الشواغل. وأما القراءة بالخاء. فاستعارة من

---

(١) تأويل مشكل القرآن: ٢١٥.
(٢) مجاز القرآن: ٢٧٣/٢.
(٣) تفسير التستري: ١٨٠.
(٤) نقلا عن: تفسير التستري: ١٨٠.
(٥) نقلا عن: تفسير التستري: ١٨٠، وانظر: شعب الإيمان(٥٦٩٨)/ص: ٥/ ٤١.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣، وتفسير عبدالرزاق(٣٣٧٠):ص٣٥٨:٣.
(٩) انظر: الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٢٩١):ص١٠٥.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٥/٤.
(١٢) معاني القرآن: ١٩٧/٣.
(١٣) مجاز القرآن: ٢٧٣/٢.
(١٤) تأويل مشكل القرآن: ٢١٥.
(١٥) تفسير الطبري: ٦٨٦/٢٣.

سبخ الصوف: وهو نفشه ونشر أجزائه، لانتشار الهم وتفرّق القلب بالشواغل: كلفه قيام الليل"[١].

عن ابن عباس: "{سَبْحًا طَوِيلا}: فراغا طويلا يعني النوم"[٢].

قال قتادة:" فراغا طويلا"[٣].

قال مجاهد:" متاعا طويلا"[٤].

قال عطاء:" النوم والفراغ"[٥].

قال ابن زيد:" لحوائجك، فافُرغ لدينك الليل، قالوا: وهذا حين كانت صلاة الليل فريضة، ثم إن الله منّ على العباد فخفّفها ووضعها، وقرأ: {قُمِ اللَّيْلَ إلا قَلِيلا} ... إلى آخر الآية، ثم قال: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ}، حتى بلغ قوله: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ} الليل نصفه أو ثلثه، ثم جاء أمر أوسع وأفسح، وضع الفريضة عنه وعن أمته، فقال: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَحْمُودًا}"[٦].

عن يحيى بن يعمر «من جذيلة قيس»:" أنه كان يقرأ: «سَبْخًا طَوِيلا»، قال: وهو النوم"[٧].

الثاني : دعاء كثيراً ، حكاه الماوردي عن السدي[٨].

الثالث: تطوعا كثيرًا, حكاه ابن كثير عن السدي[٩].

وقَرَأَ ابن يعمر وعكرمة وابن أبى عبلة: «سبخا» بالخاء، والتسبيخ: توسعة الصوف[١٠] والقطن وما أشبهه، يُقال: سبِّخي قطنك. قَالَ أَبُو الفضل: "سمعت أبا عَبْد اللَّه يقول: حضر أبو زياد الكلابي مجلس الفراء في هذا اليوم، فسأله الفراء عنْ هَذَا الحرف فَقَالَ: أهل باديتنا يقولون: اللهم سبّخ عنه للمريض والملسوع ونحوه"[١١].

القرآن

{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا (٨) رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا (٩)} [المزمل : ٨-٩]

التفسير:

واذكر -أيها النبي- اسم ربك، فادعه به، وانقطع إليه انقطاعًا تامًا في عبادتك، وتوكل عليه. هو مالك المشرق والمغرب لا معبود بحق إلا هو، فاعتمد عليه، وفوِّض أمورك إليه.

قوله تعالى:{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ} [المزمل : ٨]، أي:" واذكر -أيها النبي- اسم ربك، فادعه به"[١٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {وَاذْكُرْ} يا محمد {اسْمُ رَبِّكَ} فادعه به"[١٣].

---

(١) الكشاف: ٦٣٩/٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٦٨٦/٢٣.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٨٦/٢٣.

(٤) أخرجه الطبري: ٦٨٦/٢٣.

(٥)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٢٩١):ص١٠٥.

(٦) أخرجه الطبري: ٦٨٦/٢٣.

(٧) أخرجه الطبري: ٦٨٧/٢٣.

(٨) انظر: النكت والعيون: ١٢٨/٦.

(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٢/٨.

(١٠)توسعة الصوف: تنفيشه.

(١١) معاني القرآن للفراء: ١٩٧/٣.

(١٢) التفسير الميسر: ٥٧٤.

(١٣) تفسير الطبري: ٦٨٧/٢٣.

قال الزمخشري:" دم على ذكره في ليلك ونهارك، واحرص عليه. وذكر الله يتناول كل ما كان من ذكر طيب: تسبيح، وتهليل، وتكبير، وتمجيد، وتوحيد، وصلاة، وتلاوة قرآن، ودراسة علم، وغير ذلك مما كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يستغرق به ساعة ليله ونهاره"[١].

قوله تعالى:{وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا} [المزمل : ٨]، أي:" وانقطع إليه انقطاعًا تامًا في عبادتك، وتوكل عليه"[٢].

أحدها : أخلص إليه إخلاصاً ، قاله ابن عباس[٣]، ومجاهد[٤]، والضحاك[٥]، وقتادة[٦]، وأبو يحيى المكي[٧].

قال مجاهد:" أخلص إليه المسألة والدعاء"[٨].

قال مقاتل:" يعني: وأخلص إليه إخلاصا في الدعاء والعبادة"[٩].

قال قتادة:" يقول: أخلص له العبادة والدعوة"[١٠].

قال الحسن:" بَتِّل نفسك واجتهد"[١١].

قال الحسن:" أخلِص له إخلاصًا"[١٢]. وروي عن عطاء الخراساني مثله[١٣].

الثاني : تعبد له تعبداً ، وهو معنى قول ابن زيد[١٤].

قال ابن زيد:" أي تفرّغ لعبادته، قال: تبتل فحبذا التبتل إلى الله، وقرأ قول الله: {فَإِذَا فَرَغْتَ فَانْصَبْ}، قال: إذا فرغت من الجهاد فانصب في عبادة الله، {وَإِلَى رَبِّكَ فَارْغَبْ}"[١٥].

الثالث : انقطع إليه انقطاعاً، لحوائجك وعبادتك دون سائر الأشياء غيره، وهو من قولهم: تبتَّلتُ هذا الأمر؛ ومنه قيل لأمّ عيسى ابن مريم البتول، لانقطاعها إلى الله، ويقال للعابد المنقطع عن الدنيا وأسبابها إلى عبادة الله: قد تبتل؛ ومنه الخبر الذي رُوي عن النبي صلى الله عليه وسلم "أنه نهى عن التبتُّل. وهذا قول الطبري[١٦].

وقال سهل في الآية:" اقرأ بسم الله الرحمن الرحيم في افتتاح صلاتك توصلك بركة قراءتها إلى ربك، وتقطعك عن كل ما سواه"[١٧].

الرابع : توكّل عليه توكُّلًا. قاله سفيان[١٨].

الخامس: أن "التَبتُّل": رفْض الدنيا وما فيها، والتماس ما عند الله. قاله زيد بن أسلم[١٩].

السادس: وتضرّع إليه تضرّعاً. ذكره الماوردي[١].

---

(١) الكشاف: ٦٣٩/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٨/٢٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٨/٢٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٨/٢٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٨/٢٣.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٨/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٨٨/٢٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٥/٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٨٨/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٨٨/٢٣.
(١٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١٣)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٠٥.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٩/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٦٨٩/٢٣.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٧/٢٣-٦٨٨.
(١٧) تفسير التستري: ١٨٠.
(١٨)تفسير البغوي ٨/ ٢٥٥.
(١٩)تفسير الثعلبي ١٠/ ٦٣، وتفسير البغوي ٨/ ٢٥٥.

قوله تعالى:{رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ} [المزمل : ٩]، أي:" هو مالك المشرق والمغرب"[٢].

قال الطبري: أي:" ربّ المشرق والمغرب وما بينهما من العالم"[٣].

قال ابن كثير:" أي : هو المالك المتصرف في المشارق والمغارب"[٤].

عن عكرمة:" {رَبُّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ}، قال: وجه الليل، ووجه النهار"[٥].

عن عاصم أنه قرأ: «رَبِّ المَشْرِقِ والمَغْرِبِ» بخفض (ربِّ)[٦].

قوله تعالى:{لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ} [المزمل : ٩]، أي:" لا معبود بحق إلا هو"[٧].

قال الطبري: " يقول: لا ينبغي أن يُعبد إله سوى الله الذي هو ربّ المشرق والمغرب"[٨].

قال محمد بن إسحاق: "لا إله إلا الله، أي: ليس معه غيره شريك في أمره"[٩].

عن كعب، قال:" لا إله إلا الله، كلمة الإخلاص"[١٠].

قوله تعالى:{فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} [المزمل : ٩]، أي:" فاعتمد عليه، وفوِّض أمورك إليه"[١١].

قال الطبري: أي: "فيما يأمرك وفوّض إليه أسبابك"[١٢].

قال الثعلبي: أي:" قيّما بأمورك ففوّضها إليه"[١٣].

قال ابن عطية:" الوكيل: القائم بالأمر الذي يوكل إليه الأشياء"[١٤].

قال ابن كثير:" وكما أفردته بالعبادة فأفرده بالتوكل، {فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا} كما قال في الآية الأخرى :{فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ} [هود : ١٢٣] وكقوله :{إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ} وآيات كثيرة في هذا المعنى، فيها الأمر بإفراد العبادة والطاعة لله، وتخصيصه بالتوكل عليه"[١٥].

قال السدي: أما «الوكيل»، فالحفيظ"[١٦].

عن قتادة : " {وكفى بالله وكيلا}، قال : حفيظًا"[١٧].

قال سهل في الآية:" أي: كفيلاً بما وعدك من المعونة على الأمر، والعصمة عن النهي، والتوفيق للشكر، والصبر في البلوى، والخاتمة المحمودة. ثم قال: في الدنيا الجنة والنار، فالجنة والعافية أن تولي الله أمرك، والنار البلوى، والبلوى أن يكلك إلى نفسك. قيل: فما الفرج؟ قال: لا تطمع في الفرج وأنت ترى مخلوقاً، وما من عبد أراد الله بعزم صحيح إلا زال عنه كل شيء دونه، وما من عبد زال عنه كل شيء دونه إلا حق عليه أن يقوم بأمره، وليس في الدنيا مطيع

---

(١) انظر: النكت والعيون: ١٢٧/٦.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٤.

(٣) تفسير الطبري: ٦٨٩/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٨.

(٥)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٦)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

وهي قراءة متواترة، قرأ بها ابن عامر، ويعقوب، وحمزة، والكسائي، وخلف، وشعبة، وقرأ بقية العشرة: {رَبُّ} بضم الباء. انظر: النشر ٢/ ٣٩٣، والإتحاف ص ٥٦٩.

(٧) التفسير الميسر: ٥٧٤.

(٨) تفسير الطبري: ٦٨٩/٢٣.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٧٣٦):ص٥٧٣٣/٣.

(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(٣١٢٣):ص٥٨٥/٢.

(١١) التفسير الميسر: ٥٧٤.

(١٢) تفسير الطبري: ٦٨٩/٢٣.

(١٣) الكشف والبيان: ٦٣/١٠.

(١٤) المحرر الوجيز: ٣٨٨/٥.

(١٥) تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٨.

(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١٠٧٢٧):ص٢٠٠٩/٦. هكذا مرقم بالمطبوع!

(١٧) اخرجه الطبري(١٠٦٧٥):ص٢٩٧/٩.

لله وهو يطيع نفسه، ولا يتباعد أحد عن الله إلا بالاشتغال بغير الله، وإنما تدخل الأشياء على الفارغ، وأما من كان مشغول القلب بالله لم تصل إليه الوسوسة وهو في المزيد أبداً، واحفظ نفسك بالأصل. قيل له: ما هو؟ قال: التسليم لأمر الله، والتبري ممن سواه"[١].

فوائد الآيات:[١-٩]:

١-الندب إلى قيام الليل وأنه دأب الصالحين وطريق المتقربين.

٢-الندب إلى ترتيل القرآن وترك العجلة في تلاوته.

٣-صلاة الليل أفضل من صلاة النهار لتواطىء السمع والقلب فيها على فهم القرآن.

٤-الندب إلى ذكر الله تعالى بأي وجه من صلاة وتسبيح وطلب علم ودعاء وغير ذلك.

القرآن

{وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا (١٠)} [المزمل : ١٠]

التفسير:

واصبر على ما يقوله المشركون فيك وفي دينك، وخالفهم في أفعالهم الباطلة، مع الإعراض عنهم، وترك الانتقام منهم.

قوله تعالى:{وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ} [المزمل : ١٠]، أي:" واصبر على ما يقوله المشركون فيك وفي دينك"[٢].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: اصبر يا محمد على ما يقول المشركون من قومك لك، وعلى أذاهم"[٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى آمرًا رسوله صلى الله عليه وسلم بالصبر على ما يقوله من كذبه من سفهاء قومه"[٤].

قوله تعالى:{وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل : ١٠]، أي:" وخالفهم في أفعالهم الباطلة، مع الإعراض عنهم، وترك الانتقام منهم"[٥].

تعددت عبارات المفسرين في قوله تعالى:{وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل : ١٠]، على وجوه:

أحدها : اصفح عنهم وقل سلام، قاله ابن جريج[٦].

وقال الواحدي:" أن لا تتعرَّض لهم ولا تشتغل بمكافآتهم"[٧].

الثاني : أنه الهجر الخالي من ذم وإساءة. حكاه الماوردي[٨].

الثالث: هو الذي لا عتاب معه. ذكره ابن كثير[٩].

الرابع: أن الهجر الجميل: الذى لا أذى معه. قاله الفيروزآبادي[١٠].

الخامس : أن الهجر الجميل: هو الذي لا جزع فيه. حكاه السمعاني[١١].

السادس : أن الهجر الجميل: هو الهجر في ذات الله، كما قال عزّ وجلّ: {وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي آيَاتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ}. قاله الطبري"[١].

---

(١) تفسير التستري: ١٨٠.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٤.

(٣) تفسير الطبري: ٦٨٩/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٧٤.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٢٩/٦.

(٧) الوجيز: ١١٤٥.

(٨) انظر: النكت والعيون: ١٢٩/٦.

(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٥٥/٨.

(١٠) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٣٨٠/٣.

(١١) انظر: تفسير السمعاني: ٨٠/٦.

السابع: الهجر الجميل: إظهار الجفوة من غير ترك الدعوة إلى الحق على المناصحة. قاله ابن فورك[٢].

الثامن: الهجر الجميل: أن تعاشرهم بظاهرك وتباينهم بسرّك وقلبك. قاله القشيري[٣].

وقال الزمخشري:" الهجر الجميل: أن يجانبهم بقلبه وهواه، ويخالفهم مع حسن المخالقة والمداراة والإغضاء وترك المكافأة"[٤].

قال ابن العربي:" الهجر الجميل فهو الذي لا فحش فيه. وقيل: هو السلام عليهم. وبالجملة فهو مجرد الإعراض"[٥].

قال شيخ الإسلام:" وَالله تَعَالَى ذكر فِي الْقُرْآن الهجر الْجَمِيل والصفح الْجَمِيل وَالصَّبْر الْجَمِيل وَقد قيل: إن الهجر الْجَمِيل: هُوَ هجر بِلَا أَذَى، والصفح الْجَمِيل: صفح بِلَا معاتبة، وَالصَّبْر الْجَمِيل: صَبر بِغَيْر شكوى إِلَى الْمَخْلُوق، وَلِهَذَا قرئَ على أَحْمد بن حَنْبَل فِي مَرضه: إن طاوسا كَانَ يكره أنِين الْمَرِيض وَيَقُول: إنَّه شكوى. فَمَا أنّ أَحْمد حَتَّى مَاتَ"[٦].

قال مقاتل:" يعني: اعتزلهم اعتزالا جميلا حسنا، نسختها آية السيف في براءة"[٧].

قال الزجاج:" هذا يدل - والله أعلم - قبل أن يؤمر المسلمون بالقتال"[٨].

قال الماوردي:" وهذا الهجر الجميل قبل الإذن في السيف"[٩].

عن قتادة، قوله: "{وَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلا}، براءة نسخت ما ههنا؛ أمر بقتالهم حتى يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، لا يقبل منهم غيرها"[١٠].

قال الفخر الرازي- في الآية-: "المعنى: إنك لما اتخذتني وكيلا؛ فاصبر على ما يقولون وفوض أمرهم إلي؛ فإنني لما كنت وكيلا لك أقوم بإصلاح أمرك أحسن من قيامك بإصلاح أمور نفسك، واعلم أن مهمات العباد محصورة في أمرين كيفية معاملتهم مع الله، وكيفية معاملتهم مع الخلق، والأول أهم من الثاني، فلما ذكر تعالى في أول هذه السورة ما يتعلق بالقسم الأول أتبعه بما يتعلق بالقسم الثاني، وهو سبحانه جمع كل ما يحتاج إليه من هذا الباب في هاتين الكلمتين، وذلك لأن الإنسان إما أن يكون مخالطا للناس أو مجانبا عنهم فإن خالطهم فلا بد له من المصابرة على إيذائهم وإيحاشهم، فإنه إن كان يطمع منهم في الخير والراحة لم يجد فيقع في الغموم والأحزان، فثبت أن من أراد مخالطة مع الخلق فلا بد له من الصبر الكثير، فأما إن ترك المخالطة فذاك هو الهجر الجميل، فثبت أنه لا بد لكل إنسان من أحد هذين الأمرين"[١١].

روي عن أبي الزاهرية أنّ أبا الدرداء، قال: "إنا لنكشّر في وجوه أقوام ونضحك إليهم، وإنّ قلوبنا لتقليهم أو لتلعنهم"[١٢].

وفي نونية ابن القيم[١٣]:

واهجر ولو كل الورى في ذاته ... لا في هواك ونخوة الشيطان

واصبر بغير تسخط وشكاية ... واصفح بغير عتاب من هو جان

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٨٩/٢٣.

(٢) تفسير ابن فورك: ٧١/٣.

(٣) انظر: لطائف الإشارات: ٦٤٤/٣.

(٤) الكشاف: ٦٤٠/٤.

(٥) أحكام القرآن: ٣٣٣/٤.

(٦) العبودية: ٨٥.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٦/٤.

(٨) معاني القرآن: ٢٤١/٥.

(٩) انظر: النكت والعيون: ١٢٩/٦.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٨٩/٢٣.

(١١) مفاتيح الغيب: ٦٨٩/٣٠.

(١٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٦٣/١٠.

(١٣) نونية ابن القيم، الكافية الشافية: ١٩.

واهجرهم الهجر الجميل بلا أذى ... إن لم يكن بد من الهجران

قال عماد الدين الواسطي:" عليك بمفارقة الإخوان البطالين الذين يخوضون كثيرًا في قيل وقال، وجانب أهل المنكر والفواحش الذين لا همة لهم، ولا يظهرُ عليهم أثر المخافة من الله عزَّ وجلّ، واهرب من هؤلاء فرارك من الأسد، وحاسنهم في السلام والكلام كما قال الله عزَّ وجلّ: {وَاهْجُرْهُمْ هَجْرًا جَمِيلًا} [المزمل: ١٠]، وعليك بصحبة أهل التقوى والورع في الكلام والمأكل والملبس، وأهل الأخلاق المرضية، والوفا في سائر أصناف العالم من الفقهاء والفُقراء والصُّوفية أهل السُّنَّة الذين يكونون على علم الحديث والأثر وقليل ما هم"[١].

القرآن

{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا (١١)} [المزمل : ١١]

التفسير:

دعني -أيها الرسول- وهؤلاء المكذبين بآياتي أصحاب النعيم والترف في الدنيا، ومهِّلهم زمنًا قليلا بتأخير العذاب عنهم حتى يبلغ الكتاب أجله بعذابهم.

سبب النزول:

قال الثعلبي:"نزلت في صناديد قريش المكذبين المستهزئين"[٢].

وقال مقاتل بن حيان: "نزلت في المطعمين ببدر وهم عشرة"[٣].

قوله تعالى:{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ} [المزمل : ١١]، أي:" دعني -أيها الرسول- وهؤلاء المكذبين بآياتي"[٤].

قال الطبري: يقول تعالى: " فدعني يا محمد والمكذّبين بآياتي"[٥].

قال ابن كثير:" أي : دعني والمكذبين المترفين أصحابَ الأموال، فإنهم على الطاعة أقدر من غيرهم وهم يطالبون من الحقوق بما ليس عند غيرهم"[٦].

قال مقاتل:" يقول: خل بيني وبين بني المغيرة بن عبد الله بن عمرو بن مخزوم، فإن لي فيهم نقمة ببدر"[٧].

قال الثعلبي:" نزلت في صناديد قريش المكذبين المشتهرين"[٨].

وقال مقاتل بن حيان: "نزلت في المطعمين ببدر وهم عشرة"[٩].

قال الزجاج:" العرب إذا أرادت أن تَأْمُرَ الإنسان بأن له همة بأمْرٍ أو بإنْسَانٍ تقول: دعني وزيداً، ليس أنه حال بينه وبَيْنَ زَيدٍ أحَدٌ، ولكن تأويله: لا تَهْتَمَّ بزيدٍ فإني أكفيكه"[١٠].

قال الزمخشري:" إذا عرف الرجل من صاحبه أنه مستهم بخطب يريد أن يكفاه، أو بعدوّ يشتهى أن ينتقم له منه وهو مضطلع بذلك مقتدر عليه قال: ذرني وإياه، أي: لا تحتاج إلى الظفر بمرادك ومشتهاك، إلا أن تخلى بيني وبينه بأن تكل أمره إليّ وتستكفينيه، فإنّ فيّ ما يفرغ بالك ويجلى همك، وليس ثم منع حتى يطلب إليه أن يذره وإياه إلا ترك الاستكفاء والتفويض،

---

(١) مفاتيح طريق الأولياء: ٣٥.

(٢) تفسير الثعلبي: ٥١٣/٢٧. [ط. دار التفسير]

(٣)تفسير الثعلبي: ٥١٣/٢٧. [ط. دار التفسير]، وذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٨/ ٢٥٥، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٨/ ٣٩٣، والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٤٥.
والقول في "تفسير القرآن" للسمعاني ٦/ ٨١، وابن عطية في "المحرر الوجيز" ٥/ ٣٨٩ بلا نسبة.

(٤) التفسير الميسر: ٥٧٤.

(٥) تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٣.

(٦) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٨.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٦/٤-٤٧٧.

(٨) الكشف والبيان: ٦٣/١٠.

(٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ٦٣/١٠.

(١٠) معاني القرآن: ٢٤١/٥.

كأنه إذا لم يكل أمره إليه، فكأنه منعه منه، فإذا وكله إليه فقد أزال المنع وتركه وإياه، وفيه دليل على الوثوق بأنه يتمكن من الوفاء بأقصى ما تدور حوله أمنية المخاطب وبما يزيد عليه"[١].

قوله تعالى:{أُولِي النَّعْمَةِ} [المزمل : ١١]، أي:" أصحاب النعيم والترف في الدنيا"[٢].

قال مقاتل:" في الغنى والخير"[٣].

قال الطبري: " يعني أهل التنعم في الدنيا"[٤].

قال القشيري:" أولى التّنعّم"[٥].

قال الزمخشري:" النعمة- بالفتح- التنعم، وبالكسر: الإنعام، وبالضم: المسرة، يقال: نعم، ونعمة عين، وهم صناديد قريش، وكانوا أهل تنعم وترفه"[٦].

قوله تعالى:{وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلًا} [المزمل : ١١]، أي:" ومهِّلهم زمنًا قليلا بتأخير العذاب عنهم حتى يبلغ الكتاب أجله بعذابهم"[٧].

قال الطبري: " وأخرهم بالعذاب الذي بسطته لهم قليلا حتى يبلغ الكتاب أجله"[٨].

قال القشيري:" وأنظرهم قليلا، ولا تهتم بشأنهم، فإني أكفيك أمرهم"[٩].

قال ابن كثير:" أي : رويدا، كما قال :{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان : ٢٤]"[١٠].

عن قتادة، قال الله: "{وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا}، يقول: إن لله فيهم طلبة وحاجة"[١١].

قال مقاتل: "{وَمَهِّلْهُمْ}: هذا وعيد، {قَلِيلًا}: حتى أهلكهم ببدر"[١٢].

عن عائشة قالت: "لما نزلت هذه الآية: {وَذَرْنِي وَالْمُكَذِّبِينَ أُولِي النَّعْمَةِ وَمَهِّلْهُمْ قَلِيلا إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا وَجَحِيمًا} ... الآية، قال: لم يكن إلا يسير حتى كانت وقعة بدر"[١٣].

القرآن

{إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا (١٢) وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا (١٣)} [المزمل : ١٢-١٣]

التفسير:

إن لهم عندنا في الآخرة قيودًا ثقيلة ونارًا مستعرة يُحرقون بها، وطعامًا كريهًا ينشَب في الحلوق لا يستساغ، وعذابًا موجعًا.

قوله تعالى:{إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالًا وَجَحِيمًا} [المزمل : ١٢]، أي:" إن لهم عندنا في الآخرة قيودًا ثقيلة ونارًا مستعرة يُحرقون بها"[١٤].

قال الطبري: يقول" إن عندنا لهؤلاء المكذّبين بآياتنا قيودا ونارا تسعر"[١٥].

---

(١) الكشاف: ٦٤٠/٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٧/٤.
(٤) تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٣.
(٥) لطائف الإشارات: ٦٤٤/٣.
(٦) الكشاف: ٦٤٠/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٨) تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٣.
(٩) لطائف الإشارات: ٦٤٤/٣.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٣.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٧/٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٣.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(١٥) تفسير الطبري: ٦٩٠/٢٣، ٦٩١.

قال مقاتل: " فـ«الأنكال»: عقوبة من ألوان العذاب، ثم ذكر العقوبة فقال: {وجحيما}، يعني: ما عظم من النار"[١].

قال الزمخشري:" {إِنَّ لَدَيْنا} ما يضاد تنعمهم من أنكال: وهي القيود الثقال"[٢].

قال الزجاج:" الأنكال: واحدها: نِكْل. وجاء في التفسير أنه –ههنا-: قُيُودٌ مِنْ نَارٍ"[٣].

عن قتادة: "{إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا}، أي: قيودا"[٤].

عن عكرمة: "{إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا}، قال: قُيودا"[٥].

عن عكرمة:" أن الآية التي قال: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا وَجَحِيمًا}، إنها قيود"[٦].

قال مجاهد، وحماد:" الأنكال: القيود"[٧].

وقال حماد:" قيودا سوداء من نار جهنم"[٨].

عن الشعبي:" إذا ارتفعوا استقلت بهم"[٩].

قال عامر الشعبي: "تَرون أنّ الله لم يجعل الأنكال في أرْجُل أهل النار لأنه خشي أن يَفِرُّوا منه؟ ولكن إذا أرادوا أنْ يَرتفعوا استَثْقلتْ بهم"[١٠].

قوله تعالى:{وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ} [المزمل : ١٣]، أي:" وطعامًا كريهًا ينشَب في الحلوق لا يستساغ"[١١].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ} [المزمل : ١٣]، وجهان:

أحدهما : أنه شوك يأخذ الحلق فلا يدخل ولا يخرج ، قاله ابن عباس[١٢].

قال الطبري:" يقول: وطعاما يَغَصّ به آكله، فلا هو نازل عن حلقه، ولا هو خارج منه"[١٣].

الثاني : أنها شجرة الزقوم ، قاله مجاهد[١٤]، ومقاتل[١٥].

قوله تعالى:{وَعَذَابًا أَلِيمًا} [المزمل : ١٣]، أي:" وعذابًا موجعًا"[١٦].

قال الطبري:" يقول: وعذابا مؤلما موجعا"[١٧].

عن حُمْران بن أعين: "أن النبيّ صلى الله عليه وسلم قرأ: {إِنَّ لَدَيْنَا أَنْكَالا وَجَحِيمًا وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ}، فصعق صلى الله عليه وسلم"[١٨].

عن خالد بن حسان، قال: "أمسى عندنا الحسن وأمسى صائما، فأتيته بطعام فعرضت له هذه الآية: {إِنَّ لَدَيْنا أَنْكالًا وَجَحِيماً وَطَعاماً ذا غُصَّةٍ وَعَذاباً أَلِيماً}، فقال: ارفع الطعام، فلما كانت الليلة الثانية أتيناه أيضا بطعام فعرضت له هذه الآية، فقال: ارفعه، فلمّا كانت الليلة الثالثة أتيته

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٧/٤.
(٢) الكشاف: ٦٤٠/٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٤١/٥.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٩٠/٢٣، ٦٩١.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٣.
(٩) نقلا عن: الكشاف: ٦٤٠/٤.
(١٠)تفسير الثعلبي ١٠/ ٦٣.
(١١) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٣.
(١٣) تفسير الطبري: ٦٩١/٢٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٩١/٢٣.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٧/٤.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(١٧) تفسير الطبري: ٦٩١/٢٣.
(١٨) أخرجه الطبري: ٦٩١/٢٣.

فعرضت له هذه الآية، فقال: ارفعوا، فانطلق ابنه إلى ثابت البناني ويزيد الضبي ويحيى البكاء فحدثهم بحديثه، فجاءوا معه فلم يزالوا به حتّى شرب شربة من سويق"[١].

القرآن

{يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا (١٤)} [المزمل : ١٤]

التفسير:

يوم تضطرب الأرض والجبال وتتزلزل حتى تصير الجبال تَلا من الرمل سائلا متناثرًا، بعد أن كانت صُلبة جامدة.

قوله تعالى:{يَوْمَ تَرْجُفُ الْأَرْضُ وَالْجِبَالُ} [المزمل : ١٤]، أي:" يوم تضطرب الأرض والجبال وتتزلزل"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن لدينا لهؤلاء المشركين من قريش الذين يؤذونك يا محمد العقوبات التي وصفها في يوم ترجف الأرض والجبال؛ ورُجْفان ذلك: اضطرابه بمن عليه، وذلك يوم القيامة"[٣].

قوله تعالى:{وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا} [المزمل : ١٤]، أي:" وتصبح الجبال على صلابتها تلاً من الرمل سائلاً متناثراً، بعد أن كانت صلبة جامدة"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَكَانَتِ الْجِبَالُ كَثِيبًا مَهِيلًا} [المزمل : ١٤]، وجهان:

أحدهما : رملاً سائلاً ، قاله ابن عباس[٥]، وبه قال ابن قتيبة[٦].

قال الطبري:" يقول: وكانت الجبال رملا سائلا متناثرًا"[٧].

وقال ابن عباس:" الكثيب المهيل: اللين الذي إذا مسسته تتابع"[٨].

عن مجاهد، قوله: "{كَثِيبًا مَهِيلا}، قال: ينهال"[٩].

قال أبو وعبيدة:" من هلته تهيله"[١٠].

قال الزجاج:" الكثيب: جمعه الكثبان، وهي القِطَع العظام من الرمل. ومعنى {مَهِيلًا}: سَائِلا قد سيلَ"[١١].

الثاني : أن المهيل الذي إذا وطئه القدم زل من تحتها وإذا أخذت أسفله انهال أعلاه ، قاله الضحاك[١٢]، والكلبي[١٣].

قال الكلبي:" المهيل: الذي إذا أخذت منه شيئا أتبعك آخره, قال: والكثيب من الرمل"[١٤].

قال مقاتل:" المهيل: الرمل الذي إذا حرك تبع بضعه بعضا"[١٥].

---

(١) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٦٤/١٠.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٣) تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٣.
(٤) صفوة التفاسير: ٤٤٣/٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٣.
(٦) انظر: غريب القرآن: ٤٩٤.
(٧) تفسير الطبري: ٦٩٢/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٩٢/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٩٣/٢٣.
(١٠) مجاز القرآن: ٢٧٣/٢.
(١١) معاني القرآن: ٢٤٢/٥.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٣٠/٦.
(١٣) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٣٧٢):ص٣٥٨/٣، والنكت والعيون: ١٣٠/٦.
(١٤) تفسير عبدالرزاق(٣٣٧٢):ص٣٥٨/٣.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٧/٤.

قال الفراء:" الكثيب: الرمل، والمهيل: الَّذِي تحرك أسفله فينهال عليك من أعلاه"[١].

قال ابن كثير:" أي : تصير ككثبان الرمل بعد ما كانت حجارة صماء، ثم إنها تنسف نسفا فلا يبقى منها شيء إلا ذهب، حتى تصير الأرض قاعًا صفصفا، لا ترى فيها عوجًا، أي : واديا، ولا أمتا، أي : رابية، ومعناه : لا شيء ينخفض ولا شيء يرتفع"[٢].

القرآن

{إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا (١٥) فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا (١٦)} [المزمل : ١٥-١٦]

التفسير:

إنا أرسلنا إليكم -يا أهل «مكة» - محمدًا رسولا شاهدًا عليكم بما صدر منكم من الكفر والعصيان، كما أرسلنا موسى رسولا إلى الطاغية فرعون، فكذَّب فرعون بموسى، ولم يؤمن برسالته، وعصى أمره، فأهلكناه إهلاكًا شديدًا.

قوله تعالى:{إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ رَسُولًا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ} [المزمل : ١٥]، أي:" إنا أرسلنا إليكم -يا أهل «مكة» - محمدًا رسولا شاهدًا عليكم بما صدر منكم من الكفر والعصيان"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ} أيها الناس {رَسُولا شَاهِدًا عَلَيْكُمْ} بإجابة من أجاب منكم دعوتي، وامتناع من امتنع منكم من الإجابة، يوم تلقوني في القيامة"[٤].

قال مقاتل:" {إِنَّا أَرْسَلنا إِلَيْكُمْ} يا أهل مكة {رَسُولًا}، يعني: النبي- صلى الله عليه وسلم- لأنه ولد فيهم فازدروه، {شاهِداً عَلَيْكُمْ} أنه بلغكم الرسالة، وقد استخفوا به، وازدروه لأنه ولد فيها"[٥].

قال الزمخشري:" الخطاب لأهل مكة {شاهِداً عَلَيْكُمْ} يشهد عليكم يوم القيامة بكفركم وتكذيبكم"[٦].

قوله تعالى:{كَمَا أَرْسَلْنَا إِلَى فِرْعَوْنَ رَسُولًا} [المزمل : ١٥]، أي:" كما أرسلنا موسى رسولا إلى الطاغية فرعون"[٧].

قال الطبري:" يقول: مثل إرسالنا من قبلكم إلى فرعون مصر رسولا بدعائه إلى الحقّ"[٨].

قال مقاتل:" يعني: موسى- عليه السلام- أي أنه كان ولد فيها فازدروه"[٩].

قوله تعالى:{فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ} [المزمل : ١٦]، أي:" فكذَّب فرعون بموسى، ولم يؤمن برسالته، وعصى أمره"[١٠].

قال الطبري: يقول: " {فَعَصَى فِرْعَوْنُ الرَّسُولَ} الذي أرسلناه إليه"[١١].

قوله تعالى:{فَأَخَذْنَاهُ أَخْذًا وَبِيلًا} [المزمل : ١٦]، أي:" فأهلكناه إهلاكًا شديدًا"[١٢].

---

(١) معاني القرآن: ١٩٨/٢.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٨.
(٣) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٤) تفسير الطبري: ٦٩٣/٢٣.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٧/٤.
(٦) الكشاف: ٦٤١/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٨) تفسير الطبري: ٦٩٣/٢٣.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٧/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(١١) تفسير الطبري: ٦٩٣/٢٣.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٧٤.

قال مقاتل:" يعني: شديدا وهو الغرق، يخوف كفار مكة بالعذاب، أن لا يكذبوا محمدا- صلى الله عليه وسلم- فينزل بهم العذاب كما نزل بفرعون وقومه حين كذبوا موسى- عليه السلام-"[١].

قال الطبري: يقول: فأخذناه أخذا شديدا، فأهلكناه ومن معه جميعا"[٢].

قال ابن كثير:" أي : شديدا، أي فاحذروا أنتم أن تكذبوا هذا الرسول، فيصيبكم ما أصاب فرعون، حيث أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، كما قال تعالى :{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأولَى} [النازعات : ٢٥] وأنتم أولى بالهلاك والدمار إن كذبتم ؛ لأن رسولكم أشرف وأعظم من موسى بن عمران"[٣].

قال الزمخشري:" {وَبِيلًا}: ثقيلا غليظا، من قولهم: كلأ وبيل وخم لا يستمرأ لثقله. والوبيل: العصا الضخمة. ومنه: الوابل للمطر العظيم"[٤].

عن ابن عباس، ومجاهد، وقتادة، قوله: "{أَخْذًا وَبِيلا}، قال: شديدا"[٥].

قال ابن زيد:" الوبيل: الشرّ، والعرب تقول لمن تتابع عليه الشرّ: لقد أوبل عليه، وتقول: أوبلت على شرّك، قال: ولم يرض الله بأن غُرِّق وعُذّب حتى اقرّ في عذاب مستقرّ حتى يُبعث إلى النار يوم القيامة، يريد فرعون"[٦].

القرآن

{فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا (١٧)} [المزمل : ١٧]

التفسير:

فكيف تَقُون أنفسكم -إن كفرتم- عذاب يوم القيامة الذي يشيب فيه الولدان الصغار; مِن شدة هوله وكربه؟

قوله تعالى:{فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ} [المزمل : ١٧]، أي:" كيف لا تحذرون وتخافون يا معشر قريش عذاب يوم هائل إن كفرتم بالله ولم تؤمنوا به؟"[٧].

قال السمعاني:" أي: كيف تتقون إن كفرتم من عذاب يوم؟"[٨].

قال الزجاج:" أي: بأي شيء تتحصَّنون من عذاب اللَّه"[٩].

وذكر أهل العلم في قوله تعالى:{فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ}[المزمل : ١٧]، وجوها من التفسير[١٠]:

أحدها: أي: كيف تتقون النار في الآخرة إذا سلكتم في الدنيا سبيلها -وهو الكفر- وأنتم تعلمون أن من سلك طريقا لشيء ولا منفذ لذلك الطريق إلا إلى ذلك الشيء؛ فإنه يرد عليه لا محالة.

الثاني: كيف تتقون النار في الآخرة، وقد تركتم القيام بما عليكم من شكر النعم. وهو معنى قول قتادة[١١].

قال قتادة:" يقول: كيف تتقون يوما، وأنتم قد كفرتم به ولا تصدّقون به"[١٢].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٧/٤.
(٢) تفسير الطبري: ٦٩٣/٢٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٢٥٦/٨.
(٤) الكشاف: ٦٤١/٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٩٣/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٩٤/٢٣.
(٧) صفوة التفاسير: ٤٤٤/٣.
(٨) تفسير السمعاني: ٨٢/٦.
(٩) معاني القرآن: ٢٤٢/٥.
(١٠) انظر: تأويلات أهل السنة: ٢٨٦/١٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٤/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٩٤/٢٣.

قال قتادة:" والله لا يتقي من كفر بالله ذلك اليوم"[١].

عن قتادة:" فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا}، قال: تَتَّقون ذلك اليوم إن كفرتم. قال: لا، واللهِ، ما اتّقى ذلك اليوم قومٌ كفروا بالله وعَصَوا رسوله"[٢].

وعن الحسن:" {فَكَيْفَ تَتَّقُونَ إِنْ كَفَرْتُمْ يَوْمًا}، قال: بأي صلاة تَتَّقون؟! بأي صيام تَتَّقون؟!"[٣].

قال الثعلبي:" قيل: معناه فكيف تتّقون عذاب يوم، وكيف تنجون منه إذا كفرتم"[٤].

الثالث: كيف تتقون العذاب في الآخرة وأنتم تدفعون إليها، وتضطرون بقوله - عَزَّ وَجَلَّ -: {ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ}، وبقوله: {يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ}، وبقوله: {خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ}، وقد مكنتم في الدنيا من الإيمان باللَّه تعالى، ومكنتم من الانتهاء عن الكفر، ثم لم تنقلعوا عنه، فأنى يتهيأ لكم المخلص من عذابه، وأنتم تدفعون إليه.

الرابع : كيف تنتفعون بإيمانكم في الآخرة، ولم تؤمنوا في الدنيا، وقد مكنتم به.

قال الثعلبي:" أي: فكيف لكم بالتقوى في القيامة إذا كفرتم في الدنيا، يعني: لا سبيل لكم إلى التقوى ولا تنفعكم التقوى إذا وافيتم القيامة"[٥].

قال الماتريدي : "والأصل أن دار الآخرة ليست بدار لاستحداث الأسباب، وإنما هي دار وقوع المسببات؛ فهم إذا لم يستحدثوا الأسباب التي جعلت لدفع العذاب في الدنيا، لم يمكنوا من استحداثها في الآخرة فينتفعوا بها، ولم يكونوا أهلا لوقوع المسببات؛ لما لم يستحدثوا الأسباب في الدنيا، وإنما قلنا: إنها ليست بدار محنة وابتلاء؛ لأن المحنة؛ لاستظهار الخفيات، والثواب والعقاب قد شوهد وعوين؛ فإذا قيل: إذا فعلت كذا، دخلت النار وهو يعاين النار، ويراها، فهو يمتنع عن الإقدام على ذلك الفعل، وإذا قيل له: إذا آمنت باللَّه تعالى أكرمت بالجنة، وهو يشاهد الجنة، ويراها، فهو يؤمن لا محالة؛ فلا وجه للابتلاء في الآخرة؛ بل هي دار وقوع المسببات يعني: الثواب والعقاب؛ والذي يدل على هذا قوله؛ {يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا}، فأخبر أنهم يشيبون لا بسبب المشيب، والمشيب في الدنيا لا يوجد إلا بعد وجود سببه، وهو الكبر ليعلم أن الدار الآخرة ليست بدار استحداث الأسباب؛ فما يستحدثون من الإيمان باللَّه تعالى لا ينفعهم في ذلك اليوم، ولا يقيهم من عذاب اللَّه تعالى"[٦].

قوله تعالى:{يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلْدَانَ شِيبًا} [المزمل : ١٧]، أي:" وكيف تأمنون ذلك اليوم الرهيب الذي يشيب فيه الوليد من شدة هوله، وفظاعة أمره؟"[٧].

قال الزجاج:" في يومٍ مِنْ هَولِه يشيب فيه الصَّغَير من غير كِبَر"[٨].

قال الطبري:" يعني: يوم القيامة، وإنما تشيب الولدان من شدّة هوله وكربه"[٩].

قال السمعاني:" هذا على طريق كلام العرب في ذكر شدة اليوم، فإنهم يقولون: هو يوم تشيب فيه النواصي، ويوم يبيض فيه القار. فالمراد من الآية هو الإخبار عن شدة الأمر. وفي التفسير: أنه يشيب فيه ولدان الكفار لا ولدان المؤمنين"[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٩٤/٢٣.

(٢)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٢٥، وابن جرير ٢٣/ ٣٨٨، كذلك من طريق سعيد بنحوه. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٣)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٤) الكشف والبيان: ٦٤/١٠.

(٥) الكشف والبيان: ٦٤/١٠.

(٦) تأويلات أهل السنة: ٢٨٦/١٠.

(٧) صفوة التفاسير: ٤٤٤/٣.

(٨) معاني القرآن: ٢٤٢/٥.

(٩) تفسير الطبري: ٦٩٤/٢٣.

(١٠) تفسير السمعاني: ٨٢/٦.

قال مقاتل:" وذلك يوم يقول الله لآدم قم فابعث بعث النار: من كل ألف تسعمائة وتسع وتسعين، وواحد إلى الجنة فيساقون إلى النار سود الوجوه زرق العيون مقرنين في الحديد فعند ذلك يسكر الكبير من الخوف، ويشيب الصغير من الفزع، وتضع الحوامل ما في بطونها من الفزع تماما وغير تمام"[١].

قال الزمخشري:" {يَجْعَلُ الْولْدانَ شِيباً} مثل في الشدة، يقال في اليوم الشديد: يوم يشيب نواصي الأطفال. والأصل فيه: أنّ الهموم والأحزان إذا تفاقمت على الإنسان. أسرع فيه الشيب. قال أبو الطيب[٢]:

وَالهَمُّ يَختَرِمُ الجَسيمَ نَحافَةً ... وَيُشيب ناصيَةَ الصَبِيِّ وَيُهرِمُ

ويجوز أن يوصف اليوم بالطول. وأنّ الأطفال يبلغون فيه أوان الشيخوخة والشيب"[٣].

قال الماتريدي:" قوله - عَزَّ وَجَلَّ -: {يَجْعَلُ الْولْدَانَ شِيبًا} جائز أن يكون هذا على التحقيق، فيشيب الولدان لهول ذلك اليوم، ويصير الشيب سكارى؛ لشدة هوله؛ كما قال تعالى: {وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى} [الحج : ٢]، وجائز أن يكون على التمثيل، لا على تحقيق الشيب، فمثله به؛ لعظم ذلك اليوم، وشدة هوله، وقد يجوز أن يمثل الشيء بما يبعد عن الأوهام تحقيقه؛ على تعظيم ذلك الشيء، كقوله: {تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا (٩٠) أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا} [مريم: ٩٠-٩١]، فذكر هذا على التمثيل؛ لعظم ما قيل فيه، لا على تحقيق الانفطار والانشقاق. وجائز أن يكون معناه: أنه لولا أن اللّه - تعالى - بعثهم للإبقاء وألا يتغيروا، ولا يتفانوا، وإلا كان هول ذلك اليوم يبلغ مبلغا يشيب به الولدان"[٤].

عن ابن زيد، قوله: "{يَوْمًا يَجْعَلُ الْولْدَانَ شِيبًا}، قال: تشيب الصغار من كرب ذلك اليوم"[٥].

عن خَيْثَمة بن عبد الرحمن بن أبي سَبْرَة :" في قوله: {يَوْمًا يَجْعَلُ الولْدانَ شِيبًا}، قال: ينادي منادٍ يوم القيامة: يَخرج بعْثُ النار؛ من كلّ ألف تسعمائة وتسعة وتسعون. فمن ذلك يَشيب الولدان"[٦].

عن الضحاك، قال:" كان ابن مسعود يقول: "إذا كان يومُ القيامة دعا رُّبنا المَلِكُ آدم، فيقول: يا آدم قم فابعث بعث النار، فيقول آدم: أي رب لا علم لي إلا ما علمتني، فيقول الله له: أخرج من كلّ ألف تسع مئة وتسعة وتسعين، فيُساقون إلى النار سُودا مقرّنين، زُرقا كالِحِين، فيشيب هنالك كلّ وليد"[٧].

عن ابن عباس:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ :{يَوْمًا يَجْعَلُ الْولْدَانَ شِيبًا} قال : "ذلك يوم القيامة، وذلك يوم يقول الله لآدم : قم فابعث من ذريتك بعثا إلى النار. قال : من كم يا رب ؟ قال : من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعون، وينجو واحد". فاشتد ذلك على المسلمين، وعرف ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قال حين أبصر ذلك في وجوههم : "إن بني آدم

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٨/٤.

(٢) لأبى الطيب كما في شرح ديوان المتنبي للواحدي: ١٧٢، يقول: إن الهم ينتقص الرجل الجسيم ويقتطعه شيئا فشيئا. ونحف نحافة: هزل هزالا، فنحافة مفعول مطلق، لأنها تلاقى الاحترام في المعنى. ويجوز أنها تمييز، أي: ينتقص الهم العظيم الجسيم من جهة النحافة الى تنشأ عنه. ويجوز جعلها مفعولا لأجله على مذهب من لم يشترط اتحاد الفعل والمصدر في الفاعل.
والناصية: مقدم الرأس، أى: يشيب رأس الصبى. وخص الناصية، لأنها التي تقابل الناظر عند التقابل، ولا شعر الصبى إلا في رأسه، ويهرم، أى: يصير الصبى هرما ضعيفا.

(٣) الكشاف: ٦٤١/٤.

(٤) تأويلات أهل السنة: ٢٨٧/١٠.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٩٤/٢٣.

(٦)أخرجه أبو نعيم في الحلية ٤/ ١١٩، وابن أبي شيبة في مصنفه (ت: محمد عوامة) ١٩/ ٣١٦ (٣٦١٦٤).

(٧) أخرجه الطبري: ٦٩٤/٢٣.

كثير، وإن يأجوج ومأجوج من ولد آدم، وإنه لا يموت منهم رجل حتى يرثه لصلبه ألف رجل. ففيهم وفي أشباههم جنة لكم"[١].

وفي بعض الكتب:" أن رجلا أمسى فاحم الشعر كحنك الغراب، وأصبح وهو أبيض الرأس واللحية كالثغامة، فقال: أريت القيامة والجنة والنار في المنام، ورأيت الناس يقادون في السلاسل إلى النار، فمن هول ذلك أصبحت كما ترون"[٢].

وقرأ ابن مسعود وعطيّة: «فكيف يتّقون يوما يجعل الولدان شيبا أن كفرتم»، وقرأ أبو السماك العدوي: «فكيف يتّقون» بكسر النون على الإضافة[٣].

القرآن

{السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا (١٨)} [المزمل : ١٨]

التفسير:

السماء متصدعة في ذلك اليوم; لشدة هوله، كان وعد الله تعالى بمجيء ذلك اليوم واقعًا لا محالة.

قوله تعالى:{السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ} [المزمل : ١٨]، أي:" السماء متصدعة في ذلك اليوم; لشدة هوله"[٤].

قال الزمخشري:" وصف لليوم بالشدّة أيضا. وأنّ السماء على عظمها وإحكامها تنفطر فيه، فما ظنك بغيرها من الخلائق"[٥].

قال السمعاني:" قد ورد عن كثير من السلف أن قوله: {مُنْفَطِرٌ بِهِ}، أي: بالله، وهو نزول يوم القيامة لفصل القضاء بلا كيف"[٦].

قال القشيري:" أي: بذلك اليوم، لهوله، ويقال: منفطر بالله، أي: بأمره"[٧].

وقيل: "{السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ}، أي: فيه، يعني: أن السماء منشقة في يوم القيامة. ذكره أبو جعفر النحاس، وذكر أنه أحسن المعاني"[٨].

وقال الفراء:" {السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ} بذلك اليوم، و«السماء» تذكر وتؤنث، فهي –هاهنا- فِي وجه التذكير"[٩].

قال الشوكاني:" «الباء» سببية، وقيل: هي بمعنى «في»، أي: منفطر فيه، وقيل: بمعنى «اللام»، أي: منفطر له"[١٠].

وفي قوله تعالى:{السَّمَاءُ مُنْفَطِرٌ بِهِ} [المزمل : ١٨]، وجوه:

أحدها : ممتلئة به، بلسان الحبشة، قاله ابن عباس[١١].

الثاني : مثقلة به، قاله ابن عبس-أيضا-[١٢]، ومجاهد[١٣]، وعكرمة[١]، وقتادة[٢].

---

(١)المعجم الكبير للطبراني (٣٦٦/١١)، وقال الهيثمي في المجمع (١٣٠/٧) : "وفيه عثمان بن عطاء الخراساني وهو ضعيف".

(٢) نقلا عن: الكشاف: ٦٤٢/٤.

(٣) انظر: الكشف والبيان: ٦٤/١٠.

(٤) التفسير الميسر: ٥٧٤.

(٥) الكشاف: ٦٤٢/٤.

(٦) تفسير السمعاني: ٨٣/٦.

(٧) لطائف الإشارات: ٦٤٥/٣.

(٨) نقلا عن تفسير السمعاني: ٨٣/٦. ولم أجده في كتابيه : معاني القرآن وإعراب القرآن.

(٩) معاني القرآن: ١٩٩/٣.

(١٠) فتح القدير: ٣٨٣/٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٥/٢٣.

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٢٥):ص٣٣٨١/١٠.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٥/٢٣.

قال ابن عباس:" مثقلة موقرة"[٣].
قال قتادة:" مثقل به ذلك اليوم"[٤].
وقال الحسن:" مثقلة محزونة يوم القيامة"[٥].
قال الطبري:" السماء مثقلة بذلك اليوم متصدّعة متشققة"[٦].
وحكي الزجاج أن المعنى:" أي: السماء مثقلة باللَّهِ عزَّ وجل"[٧].
الثالث : مخزونة به ، قاله الحسن[٨].
الرابع : منشقة من عظمته وشدته ، قاله ابن عباس-أيضا-[٩]، وابن زيد[١٠].
قال ابن زيد:" هذا يوم القيامة، فجعل الولدان شيبا، ويوم تنفطر السماء، وقرأ: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} وقال: هذا كله يوم القيامة"[١١].
قال ابن عباس:" يعني: تشقق السماء"[١٢].
وقال ابن عباس:" يعني: تشقَّق السماء حين ينزل الرحمن جلّ وعزّ"[١٣].
وقرئ: «منفطر»، و«متفطر». والمعنى: ذات انفطار. أو على تأويل السماء بالسقف. أو على تأويل السماء شيء منفطر[١٤].
قوله تعالى:{كَانَ وَعْدُهُ مَفْعُولًا} [المزمل : ١٨]، أي:" كان وعد الله تعالى بمجيء ذلك اليوم واقعًا لا محالة"[١٥].
قال السمعاني:" أي: متحققا كائنا لا محالة"[١٦].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كان ما وعد الله من أمر أن يفعله مفعولا لأنه لا يخلف وعده، وما وعد أن يفعله تكوينه يوم تكون الولدان شيبا يقول: فاحذروا ذلك اليوم أيها الناس، فإنه كائن لا محالة"[١٧].
قال ابن كثير:" أي : كان وعد هذا اليوم مفعولا أي واقعًا لا محالة، وكائنا لا محيد عنه"[١٨].
قال النحاس:" أي: ليس لوعده خلف، وقد وعد بكون هذه الأشياء في القيامة"[١٩].

القرآن

{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (١٩)} [المزمل : ١٩]

التفسير:

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٥/٢٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٥/٢٣.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٢٥):ص٣٣٨١/١٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٩٥/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٩٥/٢٣.
(٦) تفسير الطبري: ٦٩٤/٢٣-٦٩٥.
(٧) معاني القرآن: ٢٤٣/٥.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٣١/٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٥/٢٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦٩٥/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٩٥/٢٣.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٢٦):ص٣٣٨١/١٠.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٩٥/٢٣.
(١٤) انظر: الكشاف: ٦٤٢/٤.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(١٦) تفسير السمعاني: ٨٣/٦.
(١٧) تفسير الطبري: ٦٩٦/٢٣.
(١٨) تفسير ابن كثير: ٢٥٧/٨.
(١٩) إعراب القرآن: ٤٢/٥.

إن هذه الآيات المخوفة التي فيها القوارع والزواجر عظة وعبرة للناس، فمن أراد الاتعاظ والانتفاع بها اتخذ الطاعة والتقوى طريقًا توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه وربَّاه.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ} [المزمل : ١٩]، أي:" إن هذه الآيات المخوفة التي فيها القوارع والزواجر عظة وعبرة للناس"(١).

قال الطبري:" إن هذه الآيات التي ذكر فيها أمر القيامة وأهوالها، وما هو فاعل فيها بأهل الكفر عبرة وعظة لمن اعتبر بها واتعظ"(٢).

قال النحاس:" أي: هذه الأشياء التي تكون في القيامة عظة"(٣).

قال الزمخشري:" {إِنَّ هذِهِ} الآيات الناطقة بالوعيد الشديد موعظة"(٤).

قال القشيري:" يعنى: هذه السورة، أو هذه الآيات موعظة فمن اتعظ بها سعد"(٥).

قال ابن كثير:" {إِنَّ هَذِهِ}، أي : السورة {تَذْكِرَةٌ}، أي : يتذكر بها أولو الألباب "(٦).

عن قتادة، قوله: "{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ}، يعني: القرآن"(٧).

قوله تعالى:{فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا} [المزمل : ١٩]، أي:" فمن أراد الاتعاظ والانتفاع بها اتخذ الطاعة والتقوى طريقًا توصله إلى رضوان ربه الذي خلقه وربَّاه"(٨).

قال الطبري:" يقول: فمن شاء من الخلق اتخذ إلى ربه طريقًا بالإيمان به، والعمل بطاعته"(٩).

قال الزمخشري:" {فَمَنْ شاءَ} اتعظ بها، واتخذ سبيلا إلى الله بالتقوى والخشية. ومعنى اتخاذ السبيل إليه: التقرّب والتوسل بالطاعة"(١٠).

قال ابن كثير:" أي : ممن شاء الله هدايته، كما قيده في السورة الأخرى :{وَمَا تَشَاءُونَ إِلا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان : ٣٠]"(١١).

قال مقاتل:" يعني: بالطاعة"(١٢).

عن قتادة، قوله: "{فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا}، بطاعة الله"(١٣).

قال الفراء:" طريقا ووجهة إلى اللَّه"(١٤).

قال ابن قتيبة:" أي: طريقا ووجهة"(١٥).

فوائد الآيات:[١٠-١٩]:

١- وجوب الصبر على الطاعة وعن المعصية.

٢- الهجر الجميل هو الذي لا عتاب فيه.

٣- تقرير النبوة المحمدية.

٤- تقرير البعث والجزاء.

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٢) تفسير الطبري: ٢٣/٦٩٦-٦٩٧.
(٣) إعراب القرآن: ٥/٤٢.
(٤) الكشاف: ٤/٦٤٢.
(٥) لطائف الإشارات: ٣/٦٤٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٨/٢٥٧.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٦٩٧.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٤.
(٩) تفسير الطبري: ٢٣/٦٩٧.
(١٠) الكشاف: ٤/٦٤٢.
(١١) تفسير ابن كثير: ٨/٢٥٧.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٤٧٨.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٦٩٧.
(١٤) معاني القرآن: ٣/١٩٩.
(١٥) غريب القرآن: ٤٩٤.

القرآن

{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ (٢٠)} [المزمل : ٢٠]

التفسير:

إن ربك -أيها النبي- يعلم أنك تقوم للتهجد من الليل أقل من ثلثيه حينًا، وتقوم نصفه حينًا، وتقوم ثلثه حينًا آخر، ويقوم معك طائفة من أصحابك. والله وحده هو الذي يقدِّر الليل والنهار، ويعلم مقاديرهما، وما يمضي ويبقى منهما، علم الله أنه لا يمكنكم قيام الليل كله، فخفَّف عليكم، فاقرؤوا في الصلاة بالليل ما تيسر لكم قراءته من القرآن، علم الله أنه سيوجد فيكم مَن يُعجزه المرض عن قيام الليل، ويوجد قوم آخرون يتنقَّلون في الأرض للتجارة والعمل يطلبون من رزق الله الحلال، وقوم آخرون يجاهدون في سبيل الله؛ لإعلاء كلمته ونشر دينه، فاقرؤوا في صلاتكم ما تيسَّر لكم من القرآن، وواظبوا على فرائض الصلاة، وأعطوا الزكاة الواجبة عليكم، وتصدَّقوا في وجوه البر والإحسان مِن أموالكم؛ ابتغاء وجه الله، وما تفعلوا مِن وجوه البر والخير وعمل الطاعات، تلقَوا أجره وثوابه عند الله يوم القيامة خيرًا مما قدَّمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابًا، واطلبوا مغفرة الله في جميع أحوالكم، إن الله غفور لكم، رحيم بكم.

قوله تعالى:{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ} [المزمل : ٢٠]، أي:" إن ربك -أيها النبي- يعلم أنك تقوم للتهجد من الليل أقل من ثلثيه حينًا، وتقوم نصفه حينًا، وتقوم ثلثه حينًا آخر، ويقوم معك طائفة من أصحابك"(١).

قال الطبري:" يقول لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إن ربك يا محمد يعلم أنك تقوم أقرب من ثلثي الليل مصليا، ونصفه وثلثه، {وَطَائِفَةٌ مِنَ الَّذِينَ مَعَكَ}، يعني: من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم الذين كانوا مؤمنين بالله حين فرض عليهم قيام الليل "(٢).

قال ابن كثير:" أي : تارة هكذا، وتارة هكذا، وذلك كله من غير قصد منكم، ولكن لا تقدرون على المواظبة على ما أمركم به من قيام الليل ؛ لأنه يشق عليكم"(٣).

عن قتادة:"{إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ} الآية، قال: أدنى من ثُلثي الليل، وأدنى من نصفه، وأدنى من ثُلثه"(٤).

قوله تعالى:{وَاللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ} [المزمل : ٢٠]، أي:" والله وحده هو الذي يقدِّر الليل والنهار، ويعلم مقاديرهما، وما يمضي ويبقى منهما"(٥).

قال الطبري: أي:" بالساعات والأوقات"(٦).

قال ابن كثير:" أي : تارة يعتدلان، وتارة يأخذ هذا من هذا، أو هذا من هذا"(٧).

قال عطاء: "{واللَّهُ يُقَدِّرُ اللَّيْلَ والنَّهارَ}، يريد: لا يَفوته عِلْمُ ما تَفعلون، أي: أنه يَعلم مقادير الليل والنهار، فيَعلم القَدْر الذي تقومون من الليل"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٢) تفسير الطبري: ٦٩٧/٢٣.
(٣) تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٨.
(٤)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
(٥) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٦) تفسير الطبري: ٦٩٧/٢٣.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٨.

قوله تعالى:{عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ فَتَابَ عَلَيْكُمْ} [المزمل : ٢٠]، أي:" علم الله أنه لا يمكنكم قيام الليل كله، فخفَّف عليكم"[٢].

قال الطبري: " يقول: علم ربكم أيها القوم الذين فرض عليهم قيام الليل أن لن تطيقوا قيامه {فَتَابَ عَلَيْكُمْ} إذ عجزتم وضعفتم عنه، ورجع بكم إلى التخفيف عنكم"[٣].

قال ابن كثير:" أي : الفرض الذي أوجبه عليكم"[٤].

عن مجاهد: {عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ} قال: "علم أن لن تُطيقوا قيام الليل {فَتابَ عَلَيْكُمْ}"[٥].

عن الحسن وسعيد، وسفيان: "{عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ}، أن لن تطيقوه"[٦].

عن قتادة: "{عَلِمَ أَنْ لَنْ تُحْصُوهُ}: قيام الليل كتب عليكم"[٧].

عن عبد الله بن عمرو، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "خَلَتانِ لا يُحْصِيهُما رَجلٌ مُسْلِمٌ إلا أدْخَلَتاهُ الجَنة، وَهُما يَسِيرٌ، وَمَنْ يَعْمَلْ بهما قَلِيلٌ، يُسَبِّحُ الله فِي دُبُرِ كُلّ صَلاةٍ عَشْرا، ويَحْمَدُهُ عَشرا، ويُكَبّرُهُ عَشْرا" قال: فأنا رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يعقدها بيده، قال: "فَتِلْكَ خَمْسُونَ وَمِئَةٍ باللّسان، وألفٌ وخَمْس مِئَةٍ فِي المِيزَانِ، وَإذَا أوَى إلى فِراشِهِ سَبحَ وحَمَد وكَبر مِئَة؛ قال: فَتِلْكَ مِئَةٌ باللّسان، وألفٌ فِي المِيزَانِ، فأيُّكُمْ يَعْمَلُ فِي اليَوْمِ الوَاحِدِ ألْفَينِ وخَمْسَ مِئَةِ سَيِّئَةٍ؟ " قالوا: فكيف لا نحصيهما؟ قال: "يأتي أحَدَكُمُ الشيْطانُ وَهُوَ فِي صَلاتِهِ فَيَقُولُ: اذْكرْ كَذَا، اذْكرْ كَذَا حتى يَنْفَتلَ، ولَعَلهُ لا يَعْقِل، ويأتِيهِ وَهُوَ فِي مَضْجَعِهِ فَلا يَزَالُ يُنَوّمهُ حتى يَنامَ"[٨].

قوله تعالى:{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآن} [المزمل : ٢٠]، أي:" فاقرؤوا في الصلاة بالليل ما تيسر لكم قراءته من القرآن"[٩].

عن مجاهد: "{فاقْرَءُوا ما تَيَسَّرَ مِنهُ} قال: أنْ خَفّف عنهم في القيام"[١٠].

قال الطبري:" يقول: فاقرءوا من الليل ما تيسر لكم من القرآن في صلاتكم؛ وهذا تخفيف من الله عزّ وجلّ عن عباده فرضه الذي كان فرض عليهم بقوله: {قُمِ اللَّيْلَ إلا قَلِيلا نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا}"[١١].

قال ابن كثير:" أي : من غير تحديد بوقت، أي : ولكن قوموا من الليل ما تيسر. وعبر عن الصلاة بالقراءة، كما قال في سورة سبحان :{وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ}، أي : بقراءتك، {وَلا تُخَافِتْ بِهَا}"[١٢].

قال السعدي:" أي: مما تعرفون ومما لا يشق عليكم، ولهذا كان المصلي بالليل مأمورا بالصلاة ما دام نشيطا، فإذا فتر أو كسل أو نعس، فليسترح، ليأتي الصلاة بطمأنينة وراحة"[١٣].

قال القشيري:" من خمس آيات إلى ما زاد. ويقال: من عشر آيات إلى ما يزيد"[١٤].

---

(١)تفسير البغوي ٨/ ٢٥٧.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٣) تفسير الطبري: ٦٩٧/٢٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٨.
(٥)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٩٧/٢٣، ٦٩٨.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٩٨/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٩٨/٢٣.
(٩) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(١٠)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
(١١) تفسير الطبري: ٦٩٨/٢٣.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٨.
(١٣) تفسير السعدي: ٨٩٤.
(١٤) لطائف الإشارات: ٦٤٥/٣.

قال الشَّافِعِي - رحمه الله -: فكان بيناً في كتاب اللَّه نسخ قيام الليل ونصفه والنقصان من النصف والزيادة عليه بقول اللَّه: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ} الآية"[١].

عن سعيد بن جُبَير: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ}:" خمسون آية"[٢].

عن أبي رجاء محمد، قال:" قلت للحسن: يا أبا سعيد ما تقول في رجل قد استظهر القرآن كله عن ظهر قلبه، فلا يقوم به، إنما يصلي المكتوبة، قال: يتوسد القرآن، لعن الله ذاك؛ قال الله للعبد الصالح: {وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ}، {وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ}، قلت: يا أبا سعيد قال الله: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ}- قال: نعم، ولو خمسين آية"[٣].

قال ابن كثير:" وهذا ظاهر من مذهب الحسن البصري : أنه كان يرى حقًا واجبًا على حَمَلة القرآن أن يقوموا ولو بشيء منه في الليل ؛ ولهذا جاء في الحديث : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن رجل نام حتى أصبح، فقال : «ذاك رجل بال الشيطان في أذنه»[٤]، فقيل معناه : نام عن المكتوبة. وقيل : عن قيام الليل. وفي السنن : «أوتِرُوا يا أهل القرآن»[٥]. وفي الحديث الآخر : "من لم يوتر فليس منا»[٦].

وأغرب من هذا ما حكي عن أبي بكر عبد العزيز، من الحنابلة، من إيجابه قيام شهر رمضان، فالله أعلم"[٧].

وروي عن طاوس، عن ابن عباس، عن النبي صلى الله عليه وسلم :{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ} قال : "مائة آية"[٨].

عن السديّ، في قوله: "{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ}، قال: مئة آية"[٩].

قال الحسن:" من قرأ مئة آية في ليلة لم يحاجه القرآن"[١٠].

قال كعب: "من قرأ في ليلة مئة آية كُتب من العابدين"[١١].

وقد استدل أصحاب الإمام أبي حنيفة، رحمه الله، بهذه الآية، وهي قوله :{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ} على أنه لا يتعين قراءة الفاتحة في الصلاة، بل لو قرأ بها أو بغيرها من القرآن، ولو بآية، أجزأه ؛ واعتضدوا بحديث المسيء صلاته الذي في الصحيحين : "ثم اقرأ ما تيسر معك من القرآن"[١٢].

---

(١) تفسير الإمام الشافعي: ١٤٠٩/٣.

(٢)تفسير الثعلبي ١٠/ ٦٥.

(٣) أخرجه الطبري: ٦٩٨/٢٣.

(٤)رواه البخاري في صحيحه برقم (١١٤٤)، ومسلم في صحيحه برقم (٧٧٤) من حديث عبد الله بن مسعود رضي الله عنه.

(٥)جاء من حديث علي وعبد الله بن مسعود، رضي الله عنهما، أما حديث علي، فقد رواه أبو داود في السنن برقم (١٤١٦)، والترمذي في السنن برقم (٤٥٣)، والنسائي في السنن (٢٢٨/٣)، وابن ماجة في السنن برقم (١١٦٩)، وقال الترمذي : "حديث علي حديث حسن"، وأما حديث ابن مسعود، فرواه أبو داود في السنن برقم (١٤١٧)، وابن ماجة برقم (١١٧٠).

(٦)جاء من حديث بريدة وأبي هريرة، رضي الله عنهما، أما حديث بريدة، فرواه أحمد في المسند (٣٥٧/٥)، وأبو داود في السنن برقم (١٤١٩)، وأما حديث أبي هريرة، فرواه أحمد في المسند (٤٤٣/٣).

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٥٩/٨.

(٨)المعجم الكبير (٢٩/١١). قال ابن كثير:٢٥٩/٨:" وهذا حديث غريب جدًا لم أره إلا في معجم الطبراني، رحمه الله".

(٩) أخرجه الطبري: ٦٩٨/٢٣.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٩٨/٢٣-٦٩٩.

(١١) أخرجه الطبري: ٦٩٩/٢٣.

(١٢)أخرجه أحمد (٤٣٧/٢، رقم ٩٦٣٣) ، والبخارى (٢٦٣/١، رقم ٧٢٤) ، ومسلم (٢٩٨/١، رقم ٣٩٧) ، وأبو داود (٢٢٦/١، رقم ٨٥٦) ، والترمذى (١٠٣/٢، رقم ٣٠٣) وقال: حسن صحيح. والنسائى (١٢٤/٢، رقم ٨٨٤) ، وابن حبان (٢١٢/٥، رقم ١٨٩٠) . وأخرجه أيضا: أبو يعلى (٤٤٩/١١، رقم ٦٥٧٧) ، وابن خزيمة (٢٣٤/١، رقم ٤٦١) ، وأبو عوانة (٤٣٣/١، رقم ١٦٠٩).

وقد أجابهم الجمهور بحديث عبادة بن الصامت، وهو في الصحيحين أيضا : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "لا صلاة لمن لم يقرأ بفاتحة الكتاب"[١].

وفي صحيح مسلم، عن أبي هريرة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "كل صلاة لا يقرأ فيها بأم الكتاب فهي خِدَاج، فهي خِدَاج، فهي خِدَاج، غير تمام"[٢].

وفي صحيح ابن خزيمة عن أبي هريرة مرفوعًا : "لا تجزئ صلاة من لم يقرأ بأم القرآن"[٣].

قوله تعالى:{عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى} [المزمل : ٢٠]، أي:" علم الله أنه سيوجد فيكم مَن يُعجزه المرض عن قيام الليل"[٤].

قال مجاهد: " ثم أنبأنا الله تعالى بخصال المؤمنين، فقال: {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنكُمْ مَّرْضى} إلى آخر الآية"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: علم ربكم أيها المؤمنون أن سيكون منكم أهل مرض قد أضعفه المرض عن قيام الليل"[٦].

قال ابن كثير:" أي : علم أن سيكون من هذه الأمة ذوو أعذار في ترك قيام الليل، من مرضى لا يستطيعون ذلك"[٧].

قال السعدي:" ثم ذكر بعض الأسباب المناسبة للتخفيف، فقال: {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى} يشق عليهم صلاة ثلثي الليل أو نصفه أو ثلثه، فليصل المريض المتسهل عليه، ولا يكون أيضا مأمورا بالصلاة قائما عند مشقة ذلك، بل لو شقت عليه الصلاة النافلة، فله تركها وله أجر ما كان يعمل صحيحا"[٨].

قوله تعالى:{وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} [المزمل : ٢٠]، أي:" ويوجد قوم آخرون يتنقَّلون في الأرض للتجارة والعمل يطلبون من رزق الله الحلال"[٩].

قال الطبري: يقول : "{وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ} في سفر {يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ} في تجارة قد سافروا لطلب المعاش فأعجزهم، فأضعفهم أيضا عن قيام الليل"[١٠].

قال ابن كثير:" أي: ومسافرين في الأرض يبتغون من فضل الله في المكاسب والمتاجر"[١١].

قال السعدي:" أي: وعلم أن منكم مسافرين يسافرون للتجارة، ليستغنوا عن الخلق، ويتكففوا عن الناس، أي: فالمسافر، حاله تناسب التخفيف، ولهذا خفف عنه في صلاة الفرض، فأبيح له جمع الصلاتين في وقت واحد، وقصر الصلاة الرباعية"[١٢].

قوله تعالى:{وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ} [المزمل : ٢٠]، أي:" وقوم آخرون يجاهدون في سبيل الله؛ لإعلاء كلمته ونشر دينه"[١٣].

---

(١)صحيح البخاري برقم (٧٥٦)، وصحيح مسلم برقم (٣٤٩).
(٢)صحيح مسلم برقم (٣٩٥).
(٣)صحيح ابن خزيمة برقم (٤٩٠).
(٤) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٥)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
(٦) تفسير الطبري:: ٦٩٩/٢٣.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٨.
(٨) تفسير السعدي: ٨٩٤.
(٩) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(١٠) تفسير الطبري:: ٦٩٩/٢٣.
(١١) تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٨.
(١٢) تفسير السعدي: ٨٩٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٥.

قال الطبري: "يقول: وآخرون أيضا منكم يجاهدون العدوّ فيقاتلونهم في نُصرة دين الله، فرحمكم الله فخفف عنكم، ووضع عنكم فرض قيام الليل"[١].

قال ابن كثير:" وآخرين مشغولين بما هو الأهم في حقهم من الغزو في سبيل الله وهذه الآية - بل السورة كلها - مكية، ولم يكن القتال شُرع بعد، فهي من أكبر دلائل النبوة، لأنه من باب الإخبار بالمغيبات المستقبلة"[٢].

قال الزمخشري:" وقيل: سوّى الله بين المجاهدين والمسافرين لكسب الحلال. وعن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه: «أيما رجل جلب شيئا إلى مدينة من مدائن المسلمين صابرا محتسبا، فباعه بسعر يومه: كان عند الله من الشهداء»[٣] . وعن عبد الله بن عمر: «ما خلق الله موتة أموتها بعد القتل في سبيل الله أحب إليّ من أن أموت بين شعبتى رحل: أضرب في الأرض أبتغى من فضل الله»[٤]"[٥].

قوله تعالى:{فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ} [المزمل : ٢٠]، أي:" فاقرؤوا في صلاتكم ما تيسَّر لكم من القرآن"[٦].

قال الطبري: " يقول: فاقرءوا الآن إذ خفف ذلك عنكم من الليل في صلاتكم ما تيسَّر من القرآن"[٧].

قال ابن كثير:" أي : قوموا بما تيسر عليكم منه"[٨].

قال السعدي:" فذكر تعالى تخفيفين، تخفيفا للصحيح المقيم، يراعي فيه نشاطه، من غير أن يكلف عليه تحرير الوقت، بل يتحرى الصلاة الفاضلة، وهي ثلث الليل بعد نصفه الأول. وتخفيفا للمريض أو المسافر، سواء كان سفره للتجارة، أو لعبادة، من قتال أو جهاد، أو حج، أو عمرة، ونحو ذلك، فإنه أيضا يراعي ما لا يكلفه، فلله الحمد والثناء، الذي ما جعل على الأمة في الدين من حرج، بل سهل شرعه، وراعى أحوال عباده ومصالح دينهم وأبدانهم ودنياهم"[٩].

عن قتادة، قال: "ثم أنبأ بخصال المؤمنين، فقال: {عَلِمَ أَنْ سَيَكُونُ مِنْكُمْ مَرْضَى وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَآخَرُونَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}، قال: افترض الله القيام في أوّل هذه السورة، فقام نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه حولا حتى انتفخت أقدامهم، وأمسك الله خاتمتها اثني عشر شهرا في السماء، ثم أنزل التخفيف في آخرها فصار قيام الليل تطوّعا بعد فريضة"[١٠].

---

(١) تفسير الطبري:: ٦٩٩/٢٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٨.

(٣)أخرجه الثعلبي من رواية فرقد السبخى عن إبراهيم عن ابن مسعود موقوفا. وفرقد ضعيف. ووصله ابن مردويه بذكر علقمة بن إبراهيم وعبد الله ورفعه أيضا. وزاد: ثم قرأ وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ- الآية.

(٤)أخرجه الثعلبي من رواية القاسم بن عبد الله عن أبيه عن نافع عن ابن عمر به. وإسناده ضعيف. ورواه ابن معبد في الطاعة والمعصية عن ابن وهب عن يونس عن ابن شهاب عن نافع أن عمر قال «ما خلق الله موتة أموتها إلا أن أموت مجاهدا في سبيل الله أحب إلى من أن أموت- إلى آخره» والبيهقي في الشعب في الثالث عشر من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن عبد الله ذكر عمر أو غيره قال «ما خلق الله إلى آخره».

(٥) الكشاف: ٦٤٣/٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٧٥.

(٧) تفسير الطبري:: ٦٩٩/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٥٨/٨.

(٩) تفسير السعدي: ٨٩٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٦٩٩/٢٣.

عن مجاهد، في قوله: {طه مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى} [طه: ٢]، يعني: «في الصلاة». وهو كقوله: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنْهُ}، قال: «وكانوا يعلقون الحبال بصدورهم في الصلاة»[١].

قوله تعالى:{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ} [المزمل : ٢٠]، أي:" وواظبوا على فرائض الصلاة، وأعطوا الزكاة الواجبة عليكم"[٢].

قال الطبري: " يقول: وأقيموا المفروضة وهي الصلوات الخمس في اليوم والليلة، وأعطوا الزكاة المفروضة في أموالكم أهلها"[٣].

قال ابن كثير:" أي : أقيموا صلاتكم الواجبة عليكم، وآتوا الزكاة المفروضة. وهذا يدل لمن قال : إن فرض الزكاة نزل بمكة، لكن مقادير النّصب والمَخْرَج لم تُبَين إلا بالمدينة"[٤].

قال السعدي:" ثم أمر العباد بعبادتين، هما أم العبادات وعمادها: إقامة الصلاة، التي لا يستقيم الدين إلا بها، وإيتاء الزكاة التي هي برهان الإيمان، وبها تحصل المواساة للفقراء والمساكين، ولهذا قال: {وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ} بأركانها، وشروطها، ومكملاتها"[٥].

عن قتادة: "{وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ}، فهما فريضتان واجبتان، لا رخصة لأحد فيهما، فأدّوهما إلى الله تعالى ذكره"[٦].

عن الحسن في قوله: { وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ}، قال: "فريضة واجبة لا تنفع الأعمال إلا بها وبالزكاة"[٧]. وروي عن عطاء بن أبي رباح، وقتادة نحو ذلك[٨].

وعن الحسن في قوله: {وَآتُوا الزَّكَاةَ}، قال: "فريضة واجبة، لا تنفع الأعمال إلا بها مع الصلاة"[٩]. وروي عن قتادة نحو ذلك[١٠].

قال الزهري: "إقامتها: أن يصلي الصلوات الخمس لوقتها"[١١].

وعن عكرمة: {وَآتُوا الزَّكَاةَ}، قال: "زكاة المال من كل مائتي درهم خمسة دراهم"[١٢].

قوله تعالى:{وَأَقْرِضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا} [المزمل : ٢٠]، أي:" وتصدَّقوا في وجوه البر والإحسان مِن أموالكم؛ ابتغاء وجه الله"[١٣].

قال الطبري: " يقول: وأنفقوا في سبيل الله من أموالكم"[١٤].

قال السعدي:" أي: خالصا لوجه الله، من نية صادقة، وتثبيت من النفس، ومال طيب، ويدخل في هذا، الصدقة الواجبة والمستحبة"[١٥].

قال ابن كثير:" يعني : من الصدقات، فإن الله يجازي على ذلك أحسن الجزاء وأوفره، كما قال :{مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً} [البقرة : ٢٤٥]"[١٦].

---

(١) تفسير مجاهد: ٤٦٠.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٣) تفسير الطبري:: ٦٩٩/٢٣.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٥٩/٨.
(٥) تفسير السعدي: ٨٩٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٩٩/٢٣.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢١):س١٠٠٤/٣.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):ص١٠٠٤/٣.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٧):س١٠٠٥/٣.
(١٠) نظر: تفسير ابن أبي حاتم(٥٦٢٧):س١٠٠٥/٣.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٢):س١٠٠٤/٣.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٦٢٦):س١٠٠٤/٣.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(١٤) تفسير الطبري: ٦٩٩/٢٣.
(١٥) تفسير السعدي: ٨٩٤.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٢٥٩/٨.

قال الحسن البصري: "كلّ ما في القرآن مِن القرْض الحسن فهو التطُّوع"[١].

قال ابن زيد:" القرض: النوافل سوى الزكاة"[٢].

قوله تعالى:{وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ} [المزمل : ٢٠]، أي:" وما تفعلوا مِن وجوه البر والخير وعمل الطاعات، تلقَوا أجره وثوابه عند الله يوم القيامة"[٣].

قال مقاتل:" يعني: من صدقة فريضة كانت أو تطوعا، يقول {تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ}"[٤].

قال الطبري: " يقول: وما تقدّموا أيها المؤمنون لأنفسكم في دار الدنيا من صدقة أو نفقة تنفقونها في سبيل الله، أو غير ذلك من نفقة في وجوه الخير، أو عمل بطاعة الله من صلاة أو صيام أو حجّ، أو غير ذلك من أعمال الخير في طلب ما عند الله، تجدوه عند الله يوم القيامة في معادكم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : جميع ما تقدموه بين أيديكم فهو خير لكم حاصل"[٦].

قال السعدي:" حث على عموم الخير وأفعاله فقال: {وَمَا تُقَدِّمُوا لأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ}"[٧].

عن سعيد بن جبير: {مَا تُقَدِّمُوا}، يعني: ما عملوا من الأعمال من الخير في الدنيا"[٨].

عن أبي العالية، قوله: "{تَجِدُوهُ عِنْدَ اللَّهِ}، يقول: تجدوا ثوابه عند الله"[٩]. وروي عن الربيع بن أنس نحو ذلك[١٠].

قوله تعالى:{هُوَ خَيْرًا وَأَعْظَمَ أَجْرًا} [المزمل : ٢٠]، أي:" تجدوا ذلك الأجر والثواب يوم القيامة خيراً لكم مما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال"[١١].

قال مقاتل:" يقول: أفضل مما أعطيتم من أموالكم، وأكثر خيرا وأفضل خيرا في الآخرة"[١٢].

قال الطبري: يقول: "هو خيرا لكم مما قدمتم في الدنيا، وأعظم منه ثوابا: أي ثوابه أعظم من ذلك الذي قدّمتموه لو لم تكونوا قدّمتموه"[١٣].

قال ابن كثير:" وهو خير مما أبقيتموه لأنفسكم في الدنيا"[١٤].

قال السعدي:" الحسنة بعشر أمثالها، إلى سبعمائة ضعف، إلى أضعاف كثيرة. وليعلم أن مثقال ذرة من الخير في هذه الدار، يقابله أضعاف أضعاف الدنيا، وما عليها في دار النعيم المقيم، من اللذات والشهوات، وأن الخير والبر في هذه الدنيا، مادة الخير والبر في دار القرار، وبذره وأصله وأساسه، فواأسفاه على أوقات مضت في الغفلات، وواحسرتاه على أزمان تقضت بغير الأعمال الصالحات، وواغوثاه من قلوب لم يؤثر فيها وعظ بارئها، ولم ينجع فيها تشويق من هو أرحم بها منها"[١٥].

---

(١)تفسير الثعلبي ٩/ ٢٤٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٧٠٠/٢٣.
(٣) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٩/٤.
(٥) تفسير الطبري: ٧٠٠/٢٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٦٠/٨.
(٧) تفسير السعدي: ٨٩٤.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩١):ص٢٠٦/١.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٩٢):ص٢٠٧/١.
(١٠) انظر: تفسير ابن أبي حاتم: ٢٠٧/١. حكاه بدون سند.
(١١) صفوة التفاسير: ٤٤٦/٣.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٧٩/٤.
(١٣) تفسير الطبري: ٧٠٠/٢٣.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٠/٨.
(١٥) تفسير السعدي: ٨٩٤.

قال عبد الله : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أيكم ماله أحب إليه من مال وارثه ؟". قالوا : يا رسول الله، ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه. قال : "اعلموا ما تقولون". قالوا : ما نعلم إلا ذلك يا رسول الله ؟ قال : "إنما مال أحدكم ما قَدّم ومال وارثه ما أخر"[١].

قوله تعالى:{وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ} [المزمل : ٢٠]، أي:" واطلبوا مغفرة الله في جميع أحوالكم"[٢].

قال الطبري: يقول: " وسلوا الله غفران ذنوبكم يصفح لكم عنها"[٣].

قال ابن كثير:" أي : أكثروا من ذكره واستغفاره في أموركم كلها"[٤].

قال السعدي:" وفي الأمر بالاستغفار بعد الحث على أفعال الطاعة والخير، فائدة كبيرة، وذلك أن العبد ما يخلو من التقصير فيما أمر به، إما أن لا يفعله أصلا أو يفعله على وجه ناقص، فأمر بترقيع ذلك بالاستغفار، فإن العبد يذنب آناء الليل والنهار، فمتى لم يتغمده الله برحمته ومغفرته، فإنه هالك"[٥].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [المزمل : ٢٠]، أي:" إن الله غفور لكم، رحيم بكم"[٦].

قال الطبري:" يقول: إن الله ذو مغفرة لذنوب من تاب من عباده من ذنوبه، وذو رحمة أن يعاقبهم عليها من بعد توبتهم منها"[٧].

قال ابن كثير:" فإنه غفور رحيم لمن استغفره "[٨].

قال محمد بن إسحاق: {إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ}، أي: يغفر الذنب، {رَحِيمٌ}، قال: يرحم العباد على ما فيهم "[٩].

فوائد الآية الكريمة:

١- بيان ما كان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأصحابه يقومونه من الليل تهجدا.

٢- نسخ واجب قيام الليل وبقاء استحبابه وندبه.

٣- وجوب إقام الصلاة وإيتاء الزكاة.

٤- الترغيب في التطوع من سائر العبادات.

٥- وجوب الاستغفار عند الذنب وندبه واستحبابه في سائر الأوقات لما يحصل من التقصير.

«آخر تفسير سورة (المزمل)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١)مسند أبي يعلى (٩٧/٩)، وصحيح البخاري برقم (٦٤٤٢)، وسنن النسائي الكبرى برقم (٦٤٣٩).

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٥.

(٣) تفسير الطبري: ٧٠٠/٢٣.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٠/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٨٩٤.

(٦) التفسير الميسر: ٥٧٥.

(٧) تفسير الطبري: ٧٠٠/٢٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٦٠/٨.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٦٥)، (١٨٦٦):ص٣٥٥/٢.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المدثر»

«سورة المدثر» هي السورة الرابعة والسبعون بحسب الرسم القرآني وهي السورة السادسة والأخيرة من المجموعة السادسة من قسم المفصل، نزلت بعد سورة «المزمل»[١]، وقيل: إنها ثانية السور نزولا وإنها لم ينزل قبلها إلا سورة: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ} [العلق : ١][٢]، وآياتها ست وخمسون في عد العراقي والبزي، وخمس في عد المكي. وكلماتها مائتان وخمس وخمسون. وحروفها ألف وعشر. المختلف فيها اثنان: {يَتَسَاءَلُونَ (٤٠)عَنِ الْمُجْرِمِينَ} [المدثر : ٤٠-٤١] فواصل آياتها: «ردنها»، على الدال آية: {ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ} [المدثر : ١٥][٣].

- **أسماء السورة:**
- **اسمها التوقيفي: «سورة المدثر»:**

تسمى في كتب التفسير «سورة المدثر» وكذلك سميت في المصاحف، وأريد «المدثر» النبي صلى الله عليه وسلم موصوفا بالحالة التي نودي بها، كما سميت بعض السور بأسماء الأنبياء الذين ذكروا فيها، وإما تسمية باللفظ الذي وقع فيها، قال تعالى: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١)} [المدثر : ١]، ونظيره ما تقدم في تسمية «سورة المزمل»، ومثله ما تقدم في سورة «المجادلة» من احتمال فتح الدال أو كسرها[٤].

وليست لهذه السورة سوى هذا الاسم الذي اشتهرت به.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة قولان:

أحدها: أنها مكية جميعها. قاله ابن عباس[٥]، وابن الزبير[٦]، وحكاه ابن عطية وابن الجوزي عن إجماع المفسرين[٧].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من أهل التأويل"[٨].

الثاني: فيها من المدني آية واحدة، وهي قوله عزّ وجلّ: {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً} [المدثر : ٣١]. وهذا قول مقاتل[٩].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

١- أنها متواخية مع السورة قبلها في الافتتاح بنداء النبي صلى الله عليه وسلم.

٢- أن صدر كلتيهما نازل في قصة واحدة.

٣- أن السابقة بدئت بالأمر بقيام الليل، وهو تكميل لنفسه صلى الله عليه وسلم بعبادة خاصة، وهذه بدئت بالإنذار لغيره، وهو تكميل لسواه[١٠].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

جاء فيها من الأغراض:

---

(١) انظر: تفسير المراغي: ١٢٤/٢٩.

(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩٢/٢٩.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٨/١.

(٤) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩١/٢٩.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٣٢٤/٨، وعزاه ابن الضريس وابن مردويه والنحاس والبيهقي.

(٦) انظر: الدر المنثور: ٣٢٤/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(٧) انظر: المحرر الوجيز: ٣٩٢/٥، وزاد المسير: ٣٥٨/٤.

(٨) المحرر الوجيز: ٣٩٢/٥.

(٩) انظر: زاد المسير: ٣٥٨/٤.

(١٠) انظر: تفسير المراغي: ١٢٤/٢٩.

١- تكريم النبي صلى الله عليه وسلم والأمر بإبلاغ دعوة الرسالة، وإعلان وحدانية الله بالإلهية.
٢- الأمر بالتطهر الحسي والمعنوي، ونبذ الأصنام.
٣- الإكثار من الصدقات.
٤- الأمر بالصبر.
٥- إنذار المشركين بهول البعث.
٦- تهديد من تصدى للطعن في القرآن وزعم أنه قول البشر وكفر الطاعن نعمة الله عليه فأقدم على الطعن في آياته مع علمه بأنها حق.
٧- وصف أهوال جهنم، والرد على المشركين الذين استخفوا بها وزعموا قلة عدد حفظتها، وتحدي أهل الكتاب بأنهم جهلوا عدد حفظتها، وتأييسهم من التخلص من العذاب، وتمثيل ضلالهم في الدنيا، ومقابلة حالهم بحال المؤمنين أهل الصلاة والزكاة والتصديق بيوم الجزاء[١].

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: أمر النبي صلى الله عليه وسلم بدعوة الخلق إلى الإيمان، وتقرير صعوبة القيامة على الكفار وأهل العصيان، وتهديد وليد ابن مغيرة بنقض القرآن، وبيان عدد زبانية النيران، وأن كل أحد رهن بالإساءة والإحسان، وملامة الكفار على إعراضهم عن الإيمان، وذكر وعد الكريم على التقوى بالرحمة والغفران، في قوله: {هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} [المدثر : ٥٦]"[٢].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: م{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر : ١١]، ن: آية السيف[٣].

- **فضائل السورة:**

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة المدثر أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من صدّق بمحمد وكذبه بمكة» [٤].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩٣/٢٩.
(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٨/١.
(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٨٨/١.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٦٧/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٧١/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

القرآن

{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ (٧)} [المدثر : ١-٧]

التفسير:

يا أيها المتغطي بثيابه، قم مِن مضجعك، فحذِّر الناس من عذاب الله، وخُصَّ ربك وحده بالتعظيم والتوحيد والعبادة، وَطَهِّر ثيابك من النجاسات؛ فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن، ودُمْ على هَجْر الأصنام والأوثان وأعمال الشرك كلها، فلا تقربها، ولا تُعط العطيَّة؛ كي تلتمس أكثر منها، ولمرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنواهي.

سبب نزول الآيات: [١-٤]

عن الأوزاعي، قال: سمعت يحيى، يقول: "سألت أبا سلمة أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ؟ فقال: سألت جابر بن عبد الله أي القرآن أنزل قبل؟ قال: يا أيها المدثر، فقلت: أو اقرأ؟ قال جابر: أحدثكم ما حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال: " جاورت بحراء شهرا، فلما قضيت جواري نزلت فاستبطنت بطن الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي، وعن يميني، وعن شمالي، فلم أر أحدا، ثم نوديت فنظرت فلم أر أحدا، ثم نوديت فرفعت رأسي، فإذا هو على العرش في الهواء - يعني جبريل عليه السلام - فأخذتني رجفة شديدة، فأتيت خديجة، فقلت: دثروني، فدثروني، فصبوا علي ماء، فأنزل الله عز وجل: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ (١) قُمْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤)}[المدثر: ١-٤]"[١].

قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر : ١]، أي:" يا أيها المتغطي بثيابه"[٢].

وفي قوله تعالى:{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} [المدثر : ١]، وجهان:

أحدهما : يا أيها المتدثر بالنبوة وأثقالها ، قاله عكرمة[٣].

قال عكرمة:" دثّرت هذا الأمر فقم به"[٤].

الثاني : يا أيها المتدثر بثيابه، قاله قتادة[٥].

قال الطبري:" يأيها المتدثر بثيابه عند نومه"[٦].

وقال ابن عباس:" يأيها النائم"[٧].

قال إبراهيم:" كان متدثرا في قطيفة"[٨].

عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يحدّث عن فترة الوحي: " بَيْنا أنا أمْشِي سَمِعْت صَوْتا مِنَ السَّماءِ، فَرَفَعْتُ رأسِي، فإذَا المَلَك الَّذِي جاءَنِي بحرَاءَ جالِسٌ عَلى كُرْسِي بَينَ السَّماءِ والأرْضِ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

---

(١)أخرجه البخاري (فتح الباري: ٨/ ٦٧٦ - ح: ٤٩٢٢) ومسلم (١/ ١٤٤ - ح: ١٦١ "٢٥٧") والإمام أحمد (الفتح الرباني: ١٨ / ٤٨ - ح: ١١٣) وابن جرير (٩٠/٢٩) وأبو يعلى (مسند أبي يعلى: ٣ / ٤٥١ - ح: ١٩٤٨) من طريق يحيى به, ويشهد له:

* ما أخرجه الحاكم (المستدرك: ٢٥١/٢) وأبو بكر الآجري (الشريعة: ٤٤٠) وأبو نعيم في "الدلائل" (٦٩/١) من طريق عبد الرزاق عن معمر عن الزهري عن أبي سلمة نحوه, وإسناده صحيح.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ٩/٢٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٩/٢٤.

(٦) تفسير الطبري: ٧/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٩/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ٧/٢٤.

"فَجُئِثْتُ مِنْهُ فَرَقا، وجِئْتُ أَهْلِي فَقُلْتُ: زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي، فدَثَّرُونِي" فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ..} إلى قوله: {وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}، قال: ثم تتابع الوحي"[١].

عن ابن أبي مُلَيْكة يقول : سمعت ابن عباس يقول : إن الوليد بن المغيرة صنع لقريش طعاما، فلما أكلوا. قال : ما تقولون في هذا الرجل ؟ فقال بعضهم : ساحر. وقال بعضهم ليس بساحر. وقال بعضهم : كاهن. وقال بعضهم : ليس بكاهن. وقال بعضهم : شاعر. وقال بعضهم ليس بشاعر. وقال بعضهم : بل سحر يُؤثر. فأجمع رأيهم على أنه سحر يؤثر. فبلغ ذلك النبي صلى الله عليه وسلم فحزنَ وقَنعَ رأسه، وتَدَثَّر، فأنزل الله {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ وَلا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ}"[٢].

عن يحيى بن أبي كثير، قال: "سألت أبا سلمة: أيّ القرآن أُنزل أوّل، فقال: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ} فقلت: يقولون: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبد الله: أيّ القرآن أنزل أوّل؟ فقال: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}، فقلت: يقولون: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}، فقال: لا أخبرك إلا ما حدثنا النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: جاورت في حِراء؛ فلما قضيت جواري هبطت، فاستبطنت الوادي، فنوديت، فنظرت عن يميني وعن شمالي وخلفي وقدّامي، فلم أر شيئا، فنظرت فوق رأسي فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فخشيت منه، هكذا قال عثمان بن عمرو، إنما هو: فجئثت منه، ولقيت خديجة، فقلت دثروني، فدثروني، وصبوا عليّ ماءً، فأنزل الله عليّ :{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ}"[٣].

عن الزهريّ، قال: "فتر الوحي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فترة، فحزن حزنًا، فجعل يعدو إلى شواهق رءوس الجبال ليتردّى منها، فكلما أوفى بذروة جبل تبدّى له جبريل عليه السلام فيقول: إنك نبيّ الله، فيسكن جأشه، وتسكن نفسه، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم يحدث عن ذلك، قال: "بَيْنَما أنا أَمْشِي يَوْما إذ رأيْتُ المَلَكَ الَّذِي كان يأتِيني بِحرَاءَ على كُرْسِيّ بَينَ السَّماءِ والأرْضِ، فَجَئِثْتُ مِنْهُ رُعْبا، فَرَجَعْتُ إلى خَدِيجَةَ فَقُلْتُ: "زَمِّلُونِي"، فزملناه: أي فدثرناه، فأنزل الله: {يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ قُمْ فَأَنْذِرْ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، قال الزهري: فكان أوّل شيء أنزل عليه: {اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ... }، حتى بلغ: {مَا لَمْ يَعْلَمْ}"[٤].

قال ابن كثير:" ثبت في صحيح البخاري [من حديث يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن جابر أنه كان يقول : أول شيء نزل من القرآن :{يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ}. وخالفه الجمهور فذهبوا إلى أن أول القرآن نزولا قوله تعالى :{اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ}"[٥].

قوله تعالى:{قُمْ فَأَنْذِرْ} [المدثر : ٢]، أي:" قم مِن مضجعك، فحذِّر الناس من عذاب الله"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: قم من نومك فأنذر عذاب الله قومك الذين أشركوا بالله، وعبدوا غيره"[٧].

قال ابن كثير:" أي : شمر عن ساق العزم، وأنذر الناس. وبهذا حصل الإرسال، كما حصل بالأول النبوة"[٨].

قال قتادة:" أي: أنذر عذاب الله ووقائعه في الأمم، وشدّة نقمته"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٧/٢٤.
(٢)المعجم الكبير للطبراني (١٢٥/١١)، وقال الهيثمي في المجمع (١٣١/٧) : "وفيه إبراهيم بن يزيد الخوري وهو ضعيف".
(٣) أخرجه الطبري: ٨/٢٤، وانظر: صحيح البخاري برقم (٤٩٢٢).
(٤) أخرجه الطبري: ٨/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٢٦١/٨.
(٦) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٧) تفسير الطبري: ٩/٢٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٢٦٢/٨.

قال السعدي:" أمره هنا بإعلان الدعوة، والصدع بالإنذار، فقال: {قُمِ} [أي] بجد ونشاط {فَأَنْذِرْ} الناس بالأقوال والأفعال، التي يحصل بها المقصود، وبيان حال المنذر عنه، ليكون ذلك أدعى لتركه"[٢].

قوله تعالى:{وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ} [المدثر : ٣]، أي:" وخُصَّ ربك وحده بالتعظيم والتوحيد والعبادة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : عظم"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وربك يا محمد فعظم بعبادته، والرغبة إليه في حاجاتك دون غيره من الآلهة والأنداد"[٥].

قال السعدي:" أي: عظمه بالتوحيد، واجعل قصدك في إنذارك وجه الله، وأن يعظمه العباد ويقوموا بعبادته"[٦].

عن أبي مالك الغفاري:"{ورَبَّكَ فَكَبِّرْ}، قال: عَظِّم"[٧].

قوله تعالى:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر : ٤]، أي:" وَطَهِّر ثيابك من النجاسات؛ فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن"[٨].

اختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} [المدثر : ٤]، على وجوه:

أحدها: لا تلبسها على معصية، ولا على غدر. روى هذا المعنى عكرمة عن ابن عباس[٩]، ومنه قول غيلان بن سلمة الثقفي[١٠]:

وَإني بِحَمْدِ الله لاَ ثَوْبَ فَاجِرٍ ... لَبِسْتُ وَلاَ مِنْ غَدْرَةٍ أَتَقَنَّعُ

قال ابن جريج: "أخبرني عطاء، أنه سمع ابن عباس يقول: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، قال: من الإثم، ثم قال: نقيّ الثياب في كلام العرب"[١١].

قال الفراء أي: " لا تكن غادرا فتدنس ثيابك، فإن الغادر دنِس الثياب"[١٢].

قال الزجاج:" أي: لا تكن غادِراً، يقال للغادر دَنَس الثياب، ويكون {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، أي: نَفْسَك فطهر"[١٣].

قال السدي: "يقال للرجل إذا كان صالحا: إنّه لطاهر الثياب، وإذا كان فاجرا: إنه لخبيث الثياب"[١٤].

قال ابن عيينة: "لا تلبس ثيابك على كذب، ولا فجور، ولا غدر، ولا إثم. البسها: وبدنك طاهر"[١٥].

قال الحسن: يطيب أحدهم ثوبه، وقد أصل ريحه!"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٩/٢٤.
(٢) تفسير السعدي: ٨٩٥.
(٣) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٢/٨.
(٥) تفسير الطبري: ٩/٢٤.
(٦) تفسير السعدي: ٨٩٥.
(٧)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٠/٢٤.
(١٠)البيت في تهذيب اللغة (٦:١٢٧)، ولسان العرب وتاج العروس، مادة (طهر). وقد نُسِبَ البيت لغير غيلان، ينظر: المعجم المفصل في شواهد اللغة العربية، د. إميل يعقوب (٤:٣٤٧).
(١١) أخرجه الطبري: ١٠/٢٤.
(١٢)معاني القرآن: ٢٠٠/٣. وانظر: مادة (ثوب) في لسان العرب وتاج العروس.
(١٣) معاني القرآن: ٢٤٥/٥.
(١٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٦٩/١٠.
(١٥) نقلا عن: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٩٥.

الثاني: لا تكن ثيابُك من مكسب غير طاهر، روي عن ابن عباس -أيضاً-[٢].

قال ابن عباس:" لا تكن ثيابك التي تلبس من مكسب غير طائب"[٣].

الثالث: طهر نفسك من الذنب، قاله ابن عباس[٤]، ومجاهد[٥]، وقتادة[٦]، وإبراهيم[٧]، وعامر[٨]، وعطاء[٩]. ويشهد له قول عنترة[١٠]:

فَشَكَكْتُ بالرُّمْحِ الأَصَمِّ ثِيَابَهُ ... لَيْسَ الكَرِيمُ عَلَى القَنَا بِمُحرَّمِ

أي: نفسه، وهذا مذهب ابن قتيبة[١١]. قال: المعنى: "أي طهر نفسك من الذنوب. فكنى عنه بثيابه: لأنها تشتمل عليه"[١٢].

قالت ليلى الأخيلية وذكَرَتْ إبلاً[١٣]:

رَمَوْها بأثواب خِفَافٍ فلا ترى ... لَهَا شَبَهَاً إلا النَّعَام المُنَفَّرا

أي: ركبوها، فَرَمَوْها بأنفسهم! والعرب تقول للعفاف: إزارٌ، لأن العفيف كأنه استتر لما عَفَّ.

قال قتادة:" يقول: طهرها من المعاصي، فكانت العرب تسمي الرجل إذا نكث ولم يف بعهد أنه دَنِسَ الثياب، وإذا وفى وأصلح قالوا: مطهَّر الثياب"[١٤].

قال قتادة:" هي كلمة من العربية كانت العرب تقولها: طهر ثيابك: أي من الذنوب"[١٥].

عن ابن عباس، وإبراهيم: "{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، قال: من الذنوب"[١٦].

عن ابن عباس وإبراهيم: "{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، قال: من الإثم"[١٧].

وقال عكرمة، والضحاك: "لا تلبس ثيابك على معصية"[١٨].

عن عامر وعطاء قالا:" من الخطايا"[١٩].

---

(١) نقلا عن: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٩٥.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ١١/٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠/٢٤.

(٥) انظر: زاد المسير: ٣٥٩/٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٤، وزاد المسير: ٣٥٩/٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٠/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٤.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٤.

(١٠)ورد البيت في: ديوان عنترة: ٢١٠ تح: محمد سعيد مولوي برواية: كَمَّشت بالرمح الطويل ثيابه، وهو في شرح المعلقات السبع: للزوزني: ١٢٤، و"أشعار الشعراء الستة الجاهليين" ٢/ ١٢٥، و"الكشف والبيان" ١٢: ٢٠٥/ ب، و"الجامع لأحكام القرآن" ٢٩/ ٦٢. برواية: الطويل ثيابه، بدلا من الأصم ثيابه، و"روح المعاني" ٢٩/ ١١٧، و"المدخل لعلم تفسير كتاب الله تعالى" للسمرقندي: ٢٢٤ رقم ٢١٠. ومعنى البيت: الشك: الانتظام، الأصم: الصلب، يقول: فانتظمت برمحي الصلب ثيابه، أي طعنته طعنة أنفذت الرمح في جسمه وثيابه كلها. ثم قال: ليس الكريم محرمًا على الرماح، يريد أن الرماح مولعة بالكرام لحرصهم على الإقدام، وقيل: بل معناه أن كرهه لا يخلصه من القتل المقدر له. "شرح المعلقات السبع" ١٤٩.

(١١) انظر: غريب القرآن: ٤٩٥.

(١٢) غريب القرآن: ٤٩٥.

(١٣) البيت للشماخ في تهذيب اللغة ١٥/ ١٥٤، وليس في ديوانه، ولليلى الأخيلية في ديوانها ص ٧٠، وأساس البلاغة (ثوب) ، والمعاني الكبير ص ٤٨٦، وكتاب الصناعتين ص ٣٥٣، والبيت بلا نسبة في مجمل اللغة ١/ ٣٧٢، وتاج العروس (ثوب) ، ولسان العرب (ثوب).

(١٤) أخرجه الطبري: ١١/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ١١/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ١٠/٢٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ١١/٢٤.

(١٨) أخرجه الطبري: ١١/٢٤.

(١٩) أخرجه الطبري: ١١/٢٤.

قال مقاتل:" يقول طهر بالتوبة من المعاصي وكانت العرب تقول للرجل إذا أذنب أنه دنس الثياب، وإذا توقى[١]، قالوا: إنه لطاهر الثياب"[٢].

قال سهل:" أي لا تلبس ثيابك على معصية، فطهره عن حظوظك واشتمل به، كما حكت عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «كان لرسول الله صلّى الله عليه وسلّم خميصة، فأعطاها أبا الجهم وأخذ إنبجانيته. فقيل: يا رسول الله، إن الخميصة خير من الإنبجانية. فقال: إني كنت أنظر إليها في الصلاة»[٣]"[٤].

الرابع: أن المراد بـ«الثياب»: العمل، والمعنى: وعملك فأصلح، قاله الضّحّاك[٥]، ومجاهد- أيضا[٦]، وأبو رزين[٧].

قال أبو رَزِين:" عملك فأصلحه، وكان الرجل إذا كان خبيث العمل، قالوا: فلان خبيث الثياب، وإذا كان حسن العمل قالوا: فلان طاهر الثياب"[٨].

ومنه ما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم- أنه قال : «يحشر المرء في ثوبيه اللذين مات فيها»[٩]، يعني: عمله الصالح. والطالح[١٠].

وروى ابن وهب عن مالك أنه قال: ما يعجبني أن أقرأ القرآن إلا في الصلاة والمساجد، لا في الطريق قال الله تعالى: {وثيابك فطهر} [المدثر: ٤]. يريد مالك أنه كنى بالثياب عن الدين"[١١].

الخامس: وخُلُقَكَ فَحَسِّنْ، قاله الحسن[١٢]، والقرظي[١٣].

السادس: وَثِيَابَكَ فقصّر وشمّر، لأن تقصير الثياب طهرة لها. قاله طاوس[١٤]، وهو مروي عن ابن عباس أيضا[١٥]، وحكى الشافعي نحوه[١٦].

قال الزجاج:" وقيل {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، أي: ثيابك فقصر، لأن تَقْصِيرَ الثّوبِ أبعدُ مِنَ النجاسة وأنه إذا انجر على الأرض لم يؤمن أن يُصِيبَه ما ينجسه"[١٧].

السابع: وقلبك ونيتك فطهر، قاله ابن عباس[١٨]، وسعيد بن جبير[١٩]، ويشهد له قول امرئ القيس[١]:

---

(١)أي: جعل وقاية بينه وبين الذنوب.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٠/٤.
(٣)مسند أحمد ٦/ ٤٦ ومسند إسحاق بن راهويه ٢/ ١٣٧.
(٤) تفسير التستري: ١٨١.
(٥) انظر: الكشف والبيان: ٦٩/١٠، وزاد المسير: ٣٦٠/٤. رواه أبو زوق عن الضحاك.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١١/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ١٢/٢٤.
(٩) ذكره الماوردي في "النكت والعيون: ١٣٦/٦، والعز بن عبدالسلام في "التفسير": ٣٨٤/٣، والقرطبي في "التفسير": ٦٣/١٩، والسيوطي في "اللباب": ٤٩٤/١٩.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٣٦/٦.
(١١) نقلا عن: أحكام القرآن لابن العربي: ٣٤٠/٤.
(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٦٩/١٠، وزاد المسير: ٣٦٠/٤، وتفسير ابن كثير: ٢٦٤/٨.
(١٣) انظر: الكشف والبيان: ٦٩/١٠، وزاد المسير: ٣٦٠/٤، وتفسير ابن كثير: ٢٦٤/٨.
(١٤) انظر: الكشف والبيان: ٦٩/١٠، وزاد المسير: ٣٦٠/٤. رواه أبو زوق عن الضحاك.
(١٥)على ما في تفسير القرطبي: ١٩/ ٦٤.
(١٦) انظر: الأم ٤٧/١، والأحكام ٨١/١.
(١٧) معاني القرآن: ٢٤٥/٥.
(١٨) انظر: اللباب في علوم الكتاب: ٤٩٤/١٩.
(١٩) انظر: زاد المسير: ٣٦٠/٤، وتفسير ابن كثير: ٢٦٣/٨.

فإن تك قَدْ سَاءَتْكِ مِني خَلِيقَةٌ ... فَسُلِّي ثِيابي مِنْ ثِيَابِكِ تَنْسُلِ

أي: قلبي من قلبك.

قال الثعلبي:" قال كثير من المفسرين: أراد به قلبك فطهر"[٢].

الثامن: معناه: ونفسك فطهر مما نسبك إليه المشركون من شعر أو سحر أو كهانة أو جنون. وهذا معنى قول مجاهد -في إحدى الروايات-[٣]

قال مجاهد:" لست بكاهن ولا ساحر، فأعرض عما قالوا" [٤].

التاسع : معناه: وأهلك فطهّره من الخطايا بالوعظ والتأديب، والعرب تسمّي الأهّل ثوبا ولباسا وإزارا. حكاه الثعلبي[٥].

العاشر : معناه: ونساءك فطهر باختيار المؤمنات العفائف، ومنه قوله تعالى: {هُنَّ لِبَاسٌ لَكُمْ وَأَنْتُمْ لِبَاسٌ لَهُنَّ} [البقرة : ١٨٧]. حكاه الماوردي[٦].

الحادي عشر: اغسل ثيابك بالماء، ونقّها، قاله ابن سيرين[٧]، وابن زيد[٨].

عن محمد بن سيرين: "{وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، قال: اغسلها بالماء"[٩].

قال ابن زيد:" كان المشركون لا يتطهرون، فأمره أن يتطهر، ويطهِّر ثيابه"[١٠].

قال الطبري:" وهذا القول الذي قاله ابن سيرين وابن زيد في ذلك أظهر معانيه، والذي قاله ابن عباس، وعكرمة وابن زكريا قول عليه أكثر السلف من أنه عُنِيَ به: جسمك فطهر من الذنوب، والله أعلم بمراده من ذلك"[١١].

قال ابن كثير:" وَثِيابَكَ فَطَهِّرْ أي: اغسلها بالماء. وقال ابن زيد: كان المشركون لا يتطهرون، فأمره الله أن يتطهر ويطهر ثيابه. وهذا القول اختاره ابن جرير وقد تشمل الآية جميع ذلك مع طهارة القلب"[١٢].

وقال ابن العربي: "ليس بممتنع أن تحمل الآية على عموم المراد فيها بالحقيقة والمجاز، وإذا حملناها على الثياب المعلومة فهي تتناول معنيين: أحدهما: تقصير الأذيال، فإنها إذا أرسلت تدنست، ولهذا قال عمر بن الخطاب لغلام من الأنصار: وقد رأى ذيله مسترخيا: يا غلام، ارفع إزارك، فإنه أتقى وأنقى وأبقى اه. والمعنى الثاني: غسلها من النجاسة، وهو ظاهر منها صحيح فيها"[١٣].

---

(١)ورد البيت في: ديوانه: ٣٧ ط دار صادر، شرح المعلقات السبع: للزوزني: ١٩، وانظر مادة: (ثوب) في: "تهذيب اللغة" ١/ ١٥٤، و"لسان العرب" ١/ ٢٤٦، و"تاج العروس" ١/ ١٧٠، و"النكت والعيون" ٦/ ١٣٦، و"المدخل" ٢٢٥ رقم: ٢١٣، و"الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٦٢.

ومعنى البيت: أراد الشاعر بالثياب: القلب، فالمعنى على هذا القول: إن ساءك خلق من أخلاقي، وكرهت خصلة من خصالي، فردي علي قلبي أفارقك، أي استخرجي قلبي من قلبك يفارقه. ديوانه: المرجع السابق.

(٢) الكشف والبيان: ٢٨/٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ١٢/٢٤.

(٥) انظر: الكشف والبيان: ٦٩/١٠.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ١٢/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٢/٢٤.

(١١) تفسير الطبري: ١٢/٢٤.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٣/٨.

(١٣) أحكام القرآن: ٤/ ٣٤٠.

قال الجصاص:" قوله تعالى: {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ}، يدل على وجوب تطهير الثياب من النجاسات للصلاة، وأنه لا تجوز الصلاة في الثوب النجس، لأن تطهيرها لا يجب إلا للصلاة"[١].

قال السعدي:" {وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ} يحتمل أن المراد بثيابه، أعماله كلها، وبتطهيرها تخليصها والنصح بها، وإيقاعها على أكمل الوجوه، وتنقيتها عن المبطلات والمفسدات، والمنقصات من شر ورياء، ونفاق ، وعجب، وتكبر، وغفلة، وغير ذلك، مما يؤمر العبد باجتنابه في عباداته. ويدخل في ذلك تطهير الثياب من النجاسة، فإن ذلك من تمام التطهير للأعمال خصوصا في الصلاة، التي قال كثير من العلماء: إن إزالة النجاسة عنها شرط من شروط الصلاة. ويحتمل أن المراد بثيابه، الثياب المعروفة، وأنه مأمور بتطهيرها عن جميع النجاسات، في جميع الأوقات، خصوصا في الدخول في الصلوات، وإذا كان مأمورا بتطهير الظاهر، فإن طهارة الظاهر من تمام طهارة الباطن"[٢].

قوله تعالى:{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر : ٥]، أي:" ودُمْ على هَجْر الأصنام والأوثان وأعمال الشرك كلها، فلا تقربها"[٣].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ} [المدثر : ٥]، وجوه:

أحدها : يعني: الآثام والأصنام ، قاله جابر[٤]، وابن عباس[٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة[٧]، والزهري[٨]، وابن زيد[٩].

قال ابن قتيبة:" يعني: الأوثان، سمّاها رجزا- والرّجز: العذاب- لأنها تؤدّي إليه"[١٠].

قال ابن عباس:" يقول: السخط وهو الأصنام"[١١].

قال ابن زيد:" الرجز: آلهتهم التي كانوا يعبدون؛ أمره أن يهجرها، فلا يأتيها، ولا يقربها"[١٢].

عن قتادة: "{وَالرُّجْزَ فَاهْجُرْ}: إساف ونائلة، وهما صنمان كانا عند البيت يمسح وجوههما من أتى عليهما، فأمر الله نبيَّهُ صلى الله عليه وسلم أن يجتنبهما ويعتزلهما"[١٣].

قال مقاتل:" يعني الأوثان، يساف ونائلة وهما صنمان عند البيت يمسح وجوههما من مر بهما من كفار مكة فأمر الله- تبارك وتعالى- النبي- صلى الله عليه وسلم- أن يجتنبهما، - يعني بـ«الرجز»: أوثان لا تتحرك بمنزلة الإبل-، يعني: داء يأخذها ذلك الداء فلا تتحرك من وجع الرجز فشبه الآلهة بها"[١٤].

الثاني : والشرك فاهجر ، قاله ابن جبير[١٥].

الثالث : والذنب فاهجر ، قاله الحسن[١].

---

(١) أحكام القرآن: ٣٦٩/٥.
(٢) تفسير السعدي: ٨٩٥.
(٣) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
(١٠) تأويل مشكل القرآن: ٢٦٠.
(١١) أخرجه الطبري: ١٣/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٣/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٣/٢٤.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٠/٤.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦، وزاد المسير: ٣٦٠/٤.

الرابع : والمعصية والإثم فاهجر، قاله الضحاك[٢]، وإبراهيم[٣]، والسدي[٤].
قال الضحاك:" يقول: اهجر المعصية"[٥].
الخامس : والعذاب فاهجر ، حكاه أسباط[٦]، وابن السائب[٧].
قال الزجاج:" «الرجز» -في اللغة-: العذاب، قال اللّه تعالى: {وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ}، فالتأويل على هذا: ما يؤدي إلى عذاب الله فاهجره"[٨].
السادس : والظلم فاهجر. حكاه الماوردي[٩]، ومنه الشاعر[١٠]:
كَمْ رَامَنَا مِنْ ذِي عَدِيدٍ مُبْرِ ... حَتَّى وَقَمْنَا كَيْدَهُ بِالرِّجْز
قاله السدي : "«الرَّجز»، بنصب الراء : الوعيد"[١١].
قال الثعلبي:" معنى الآية: أهجر ما أوجب لك العذاب من الأعمال، وقيل: أن تسقط حب الدنيا عن قلبك فإنها رأس كلّ خطيئة، وقيل: ونفسك فخالفها"[١٢].
قال السعدي:" يحتمل أن المراد بالرجز الأصنام والأوثان، التي عبدت مع الله، فأمره بتركها، والبراءة منها ومما نسب إليها من قول أو عمل. ويحتمل أن المراد بالرجز أعمال الشر كلها وأقواله، فيكون أمرا له بترك الذنوب، صغيرها وكبيرها، ظاهرها وباطنها، فيدخل في ذلك الشرك وما دونه"[١٣].
قال القشيري:" يقال: من لا يصحّ جسمه لا يجد شهوة الطعام كذلك من لا يصحّ قلبه لا يجد حلاوة الطاعة"[١٤].
قرأ حفص والمفضل عن عاصم: «وَالرُّجْزَ فَاهْجُر»، بضم الراء[١٥].
قوله تعالى:{وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} [المدثر : ٦]، أي:" ولا تُعط العطيَّة؛ كي تلتمس أكثر منها"[١٦].
وفي قوله تعالى:{وَلَا تَمْنُنْ تَسْتَكْثِرُ} [المدثر : ٦]، وجوه من التفسير:
أحدها : لا تعط عطية تلتمس بها أفضل منها، قاله ابن عباس[١٧]، وعكرمة[١٨]، والضحاك[١٩]، ومجاهد[١]، وقتادة[٢]، وطاوس[٣]، وإبراهيم[٤]، وضمرة بن حبيب[٥]، وأبو الأحوص[٦].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦، وزاد المسير: ٣٦٠/٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦.
(٥) أخرجه الطبري: ١٣/٢٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦.
(٧) انظر: زاد المسير: ٣٦٠/٤.
(٨) معاني القرآن: ٢٤٥/٥.
(٩) انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦.
(١٠)الرجز ورد في "الزاهر" ٢/ ٢١٤، "معاني القرآن" للزجاج ١/ ١١١، وورد الثاني في "تهذيب اللغة"، وبعده بيت آخر (جرز) ١/ ٥٨٠، وكذا في "اللسان" (جزر) / ٥٩٧، وفي "زاد المسير" ١/ ٨٦، "البحر المحيط" ١/ ٢١٨، وفي ديوان رؤبة ص ٦٤. ومعنى (مبزي) أي: متفاخر، (وقمنا): رددنا كيده .
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٣٧/٦.
(١٢) الكشف والبيان: ٧٠/١٠.
(١٣) تفسير السعدي: ٨٩٥.
(١٤) لطائف الإشارات: ٦٤٨/٣.
(١٥) انظر: السبعة في القراءات: ٦٥٩، ومعاني القرآن للفراء: ٢٠٠/٣. وهي قراءة السلمي ومجاهد وأهل المدينة.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣/٢٤-١٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.

قال قتادة:" يقول: لا تعطِ شيئا، إنما بك مجازاة الدنيا ومعارضها"[٧].
قال الضحاك:" ي للنبيّ صلى الله عليه وسلم خاصّة، وللناس عامَّة مُوَسَّع عليهم"[٨].
قال الضحاك :" هو الربا الحلال، كان للنبي صلى الله عليه وسلم خاصة"[٩].
قال مجاهد:" تعطي مالا مصانعة رجاء أفضل منه من الثواب في الدنيا"[١٠].
قال الضحاك:" هما رِبَوان: حلال، وحرام؛ فأما الحلال: فالهدايا، والحرام: فالربا"[١١].
الثاني : معناه لا تمنن بعملك تستكثر على ربك ، قاله الحسن[١٢].
وقال الربيع بن أنس:" لا يكثر عملك في عينك، فإنه فيما أنعم الله عليك وأعطاك قليل"[١٣].
الثالث : معناه لا تمنن بالنبوة على الناس تأخذ عليها منهم أجراً ، قاله ابن زيد[١٤].
قال ابن زيد:" لا تمنن بالنبوّة والقرآن الذي أرسلناك به تستكثرهم به، تأخذ عليه عوضا من الدنيا"[١٥].
الرابع : معناه: لا تضعف عن الخير أن تستكثر منه ، قاله مجاهد[١٦].
قال مجاهد:" لا تضعف أن تستكثر من الخير، قال: تمنن في كلام العرب: تضعف"[١٧].
قال ابن كثير: "الأظهر القول الأول"[١٨].
قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب في ذلك قول من قال: معنى ذلك: ولا تمنن على ربك من أن تستكثر عملك الصالح، لأن ذلك في سياق آيات تقدم فيهنّ أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم بالجدّ في الدعاء إليه، والصبر على ما يَلْقَى من الأذى فيه، فهذه بأن تكون من أنواع تلك، أشبه منها بأن تكون من غيرها. وذُكر عن عبد الله بن مسعود أن ذلك في قراءته «ولا تمنن أن تستكثر»"[١٩].
قال السعدي:" أي: لا تمنن على الناس بما أسديت إليهم من النعم الدينية والدنيوية، فتتكثر بتلك المنة، وترى لك الفضل عليهم بإحسانك المنة، بل أحسن إلى الناس مهما أمكنك، وانس عندهم إحسانك، ولا تطلب أجره إلا من الله تعالى واجعل من أحسنت إليه وغيره على حد سواء. وقد قيل: إن معنى هذا، لا تعط أحدا شيئا، وأنت تريد أن يكافئك عليه بأكثر منه، فيكون هذا خاصا بالنبي صلى الله عليه وسلم"[٢٠].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٥/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤-١٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٤/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٤/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ١٥/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٤/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٥/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١٤/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٥/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٦/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٥/٢٤-١٦.
(١٧) أخرجه الطبري: ١٥/٢٤-١٦.
(١٨) تفسير ابن كثير: ٢٦٤/٨.
(١٩) تفسير الطبري: ١٦/٢٤.
(٢٠) تفسير السعدي: ٨٩٥.

قوله تعالى:{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر : ٧]، أي:" ولمرضاة ربك فاصبر على الأوامر والنواهي"[١].

وفي قوله تعالى:{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ} [المدثر : ٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : فاصْبِرْ على ما لاقيت من الأذى والمكروه. قاله مجاهد[٢]، وبه قال الطبري[٣].

عن مجاهد، قوله: "{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ}، قال: على ما أوتيت"[٤].

قال مقاتل:" يعزي نبيه- صلى الله عليه وسلم- ليصبر على الأذى والتكذيب من كفار مكة"[٥].

قال ابن كثير: " أي : اجعل صبرك على أذاهم لوجه ربك عز وجل"[٦].

الثاني : على محاربة العرب ثم العجم ، قاله ابن زيد[٧].

قال ابن زيد:" حمل أمرًا عظيما محاربة العرب، ثم العجم من بعد العرب في الله"[٨].

الثالث : على الحق فلا يكن أحد أفضل عندك فيه من أحد ، قاله السدي[٩].

الرابع : اصبر على عطيتك لله، قاله إبراهيم[١٠].

عن إبراهيم: "{وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ}، قال: اصبر على عطيتك"[١١]. وفي رواية:" عطيتك اصبر عليها"[١٢].

الخامس : فاصْبِرْ على الوعظ لوجه الله ، قاله عطاء[١٣].

السادس : على انتظام ثواب عملك من الله تعالى ، وهو معنى قول ابن شجرة[١٤].

السابع : على ما أمرك الله من أداء الرسالة وتعليم الدين ، حكاه ابن عيسى[١٥].

الثامن: على طاعة الله. قاله النحاس[١٦].

القرآن

{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ (٨) فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ (٩) عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ (١٠)} [المدثر : ٨-١٠]

التفسير:

فإذا نُفخ في «القرن» نفخة البعث والنشور، فذلك الوقت يومئذ شديد على الكافرين، غير سهل أن يخلصوا مما هم فيه من مناقشة الحساب وغيره من الأهوال.

قوله تعالى:{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ} [المدثر : ٨]، أي:" فإذا نُفخ في «القرن» نفخة البعث والنشور"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٦/٢٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٠/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٦٤/٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٦/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ١٦/٢٤.
(٩) انظر: النكت والعيون: ١٣٨/٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١٧/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٧/٢٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٣٨/٦.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٣٨/٦.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٣٨/٦.
(١٦) انظر: إعراب القرآن: ٤٥/٥.

وفي قوله تعالى:{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ} [المدثر : ٨]، وجوه:
أحدهما : يعني: نفخ في الصور، قاله ابن عباس[٢]، والحسن[٣]، ومجاهد[٤]، وعكرمة[٥]، والضحاك[٦]، وقتادة[٧]، والربيع[٨]، وابن زيد[٩].
قال الفراء:" يُقال: إنها أول النفختين"[١٠].
قال ابن قتيبة:" أي: نفخ في الصور أول نفخة"[١١].
قال قتادة:" الناقور: الصور، والصور: الخلق"[١٢].
عن مجاهد، قوله: "{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}، قال: في الصور، قال: هو شيء كهيئة البوق"[١٣].
عن ابن عباس، قوله: "{فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ}، يقول: الصور"[١٤].
قال ابن عباس:" هو يوم يُنفخ في الصور الذي ينفخ فيه، قال ابن عباس: إن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم خرج إلى أصحابه، فقال: "كَيْفَ أَنْعَمُ وَصَاحِبُ القَرْنِ قَدِ الْتَقَمَ القَرْنَ، وَحَنَى جَبْهَتَهُ، ثُمَّ أَقْبَلَ بِأُذُنِهِ يَسْتَمِعُ مَتَى يُؤْمَرُ بِالصَّيْحَةِ؟ فاشتدّ ذلك على أصحابه، فأمرهم أن يقولوا: حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الوَكِيلُ، على اللهِ تَوَكَّلْنا"[١٥].
الثاني : أن الناقور: القلب يجزع إذا دعي الإنسان للحساب ، حكاه ابن كامل[١٦].
الثالث : أن الناقور: صحف الأعمال إذا نشرت للعرض. أفاده الماوردي[١٧].
روي عن أبي حباب القصاب، قال: "أمّنا زرارة بن أوفى فلما بلغ فَإِذا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ الآية: خرّ ميتا"[١٨].
قوله تعالى:{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ} [المدثر : ٩]، أي:" فذلك الوقت يومئذ شديد على الكافرين"[١٩].
قال الطبري:" فذلك يومئذ يوم شديد"[٢٠].
قال مقاتل:" يعني: مشقته وشدته"[٢١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٣٨٢):ص٣٦١/٣.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٨/٢٤.
(١٠) معاني القرآن: ٢٠١/٣.
(١١) غريب القرآن: ٤٩٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٨/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٨/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٧/٢٤، ١٨.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٧/٢٤، ١٨.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ١٣٩/٦.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ١٣٩/٦.
(١٨) رواه الثعلبي في"الكشف والبيان": ٧١/١٠، وأبو نعيم في الحلية (٢٥٨/٢، ٢٥٩)، وانظر: تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٨.
(١٩) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٢٠) تفسير الطبري: ١٧/٢٤.
(٢١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩١/٤.

قال ابن كثير: " أي : غير سهل عليهم. كما قال تعالى {يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ} [القمر : ٨]"[١].

قال السعدي:" لكثرة أهواله وشدائده"[٢].

عن ابن عباس، قوله: "{فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ}، يقول: شديد"[٣].

عن قتادة:" قال الله تعالى ذكره: {فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ}، فبين الله على من يقع: {عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}"[٤].

قوله تعالى:{عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} [المدثر : ١٠]، أي:" غير سهل أن يخلصوا مما هم فيه من مناقشة الحساب وغيره من الأهوال"[٥].

قال السمعاني:" غير هين ولا لين"[٦].

قال مقاتل:" يعنى: غير هين، ويهون ذلك على المؤمن كأدنى صلاته"[٧].

قال السعدي:" {عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ}، لأنهم قد أيسوا من كل خير، وأيقنوا بالهلاك والبوار. ومفهوم ذلك أنه على المؤمنين يسير، كما قال تعالى: {يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِرٌ}"[٨].

قال الزمخشري:" لما قال: {عَلَى الْكافِرِينَ}، فقصر العسر عليهم، قال: {غَيْرُ يَسِيرٍ}، ليؤذن بأنه لا يكون عليهم كما يكون على المؤمنين يسيرا هينا، ليجمع بين وعيد الكافرين وزيادة غيظهم وبشارة المؤمنين وتسليتهم. ويجوز أن يراد أنه عسير لا يرجى أن يرجع يسيرا، كما يرجى تيسر العسير من أمور الدنيا"[٩].

فوائد الآيات: [١-١٠]:

١- الجد طابع المسلم، فلا كسل ولا خمول ولا لهو ولا لعب ومن فارق هذه فليتهم نفسه في إسلامه.

٢- وجوب تعظيم أسمائه وصفاته وتعظيم كلامه وكتابه, وتعظيم شعائره تعظيم ما عظم.

٣- وجوب الطهارة للمؤمن بدناً وثوبا ومسجداً. أكلاً وشرباً وفراشاً ونفساً وروحا.

٤- حرمة العجب فلا يعجب المؤمن بعمله ولا يزكي به نفسه ولو صام الدهر, وأنفق الصخرة وجاهد الدهر.

٥- وجب الصبر على الطاعات فعلا وعلى المعاصي تركاً وعلى البلاء تسليما ورضا.

القرآن

{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا (١١) وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا (١٢) وَبَنِينَ شُهُودًا (١٣) وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا (١٤) ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ (١٥) كَلَّا إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا (١٦) سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا (١٧)} [المدثر : ١١-١٧]

التفسير:

دعني -أيها الرسول- أنا والذي خلقته في بطن أمه وحيدًا فريدًا لا مال له ولا ولد، وجعلت له مالا مبسوطًا واسعًا وأولادًا حضورًا معه في «مكة» لا يغيبون عنه، ويسَّرت له سبل العيش تيسيرًا، ثم يأمُل بعد هذا العطاء أن أزيد له في ماله وولده، وقد كفر بي. ليس الأمر كما يزعم

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٨.
(٢) تفسير السعدي: ٨٩٦.
(٣) أخرجه الطبري: ١٨/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٦) تفسير السمعاني: ٩١/٦.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩١/٤.
(٨) تفسير السعدي: ٨٩٦.
(٩) الكشاف: ٦٤٧/٤.

هذا الفاجر الأثيم، لا أزيده على ذلك؛ إنه كان للقرآن وحجج الله على خلقه معاندًا مكذبًا، سأكلفه مشقة من العذاب والإرهاق لا راحة له منها.

سبب النزول:

عن ابن عباس -رضي الله عنهما-:" أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقرأ عليه القرآن، فكأنه رق له فبلغ ذلك أبا جهل، فأتاه فقال: يا عم، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا. قال: لم؟ قال: ليعطوكه فإنك أتيت محمدا لتعرض لما قبله قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالا. قال: فقل فيه قولا يبلغ قومك أنك منكر له أو أنك كاره له قال: وماذا أقول «فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجز ولا بقصيدة مني ولا بأشعار الجن والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه لمثمر أعلاه مغدق أسفله، وإنه ليعلو وما يعلى وإنه ليحطم ما تحته» قال: لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه. قال: فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال: " هذا سحر يؤثر يأثره من غيره فنزلت: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر: ١١]"[١].

قوله تعالى:{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا} [المدثر : ١١]، أي:" دعني -أيها الرسول- أنا والذي خلقته في بطن أمه وحيدًا فريدًا لا مال له ولا ولد"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: كِلْ يا محمد أمر الذي خلقته في بطن أمه وحيدًا، لا شيء له من مال ولا ولد إلي"[٣].

عن مجاهد: "{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، قال: خلقته وحده ليس معه مال ولا ولد"[٤].

قال مجاهد:" نزلت في الوليد بن المغيرة، وكذلك الخلق كلهم"[٥].

عن الضحاك: "{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، يعني: الوليد بن المغيرة"[٦].

قال سعيد بن جبير:" هو الوليد بن المغيرة بن هشام المخزومي"[٧].

قال قتادة:" وهو الوليد بن المغيرة، أخرجه الله من بطن أمه وحيدًا، لا مال له ولا ولد، فرزقه الله المال والولد، والثروة والنماء"[٨].

عن ابن عباس، قال: "أنزل الله في الوليد بن المغيرة قوله: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، وقوله: {فَوَرَبِّكَ لَنَسْأَلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ} [الحجر : ٩٢]... إلى آخرها"[٩].

قال ابن زيد في قوله: "{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... }، إلى قوله: {إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ ... }، حتى بلغ: {سَأُصْلِيهِ سَقَرَ}، قال: هذه الآية أُنزلت في الوليد بن المُغيرة"[١٠].

قوله تعالى:{وَجَعَلْتُ لَهُ مَالًا مَمْدُودًا} [المدثر : ١٢]، أي:" وجعلت له مالا مبسوطًا واسعًا"[١١].

واختلف في مبلغ ماله على أقوال:

أحدها : كان ماله ألف دينار ، قاله سعيد بن جبير[١٢]، ومجاهد[١]، وإبراهيم بن المهاجر[٢].

---

(١) أخرجه الحاكم في "المستدرك"(٣٨٧٢):ص٥٥٠/٢، وصححه ووافقه الذهبي على شرط البخاري وزاد السيوطي نسبته في الدر (٦/ ٢٨٢) للبيهقي في الدلائل.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٥.

(٣) تفسير الطبري: ١٩/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٣٢):ص٣٣٨٣/١٠.

(٨) أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٩/٢٤.

(١١) التفسير الميسر: ٥٧٥.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٤.

وقال الفراء:" ونرى أن الممدود جُعل غاية للعدد، لأن الألف غايةُ العدد، يرجع فِي أول العدد من الألف. ومثله قول العرب: لكَ عَلَى ألف أقدع، أي: غاية العدد"[٣].

وقال أبو عبيدة:" {مالًا مَمْدُوداً}: كثيرا"[٤].

وقال ابن قتيبة:" دائما"[٥].

وقال الزجاج:" مال غير منقطع عنه"[٦].

قال ابن فورك:" أي: مالا كثيرا له مدد يأتي شيء بعد شيء، فوصفه بأنه ممدود يقتضي هذا المعنى"[٧].

الثاني : أربعة الآف دينار ، قاله قتادة[٨]، وسفيان[٩].

الثالث : ستة الآف دينار ، قاله قتادة-أيضا-[١٠].

الرابع : مائة ألف دينار ، قاله مجاهد[١١].

الخامس : الف ألف دينار. قاله سفيان-أيضا-[١٢].

السادس: أنها أرض يقال لها: ميثاق، قاله النعمان بن سالم[١٣]، وهو مروي عن مجاهد أيضاً[١٤].

السابع : أنها غلة شهر بشهر، قاله عمر رضي الله عنه[١٥].

الثامن : يعني: بستانه الذي له بالطائف، والممدود الذي لا يتقطع خيره شتاء ولا صيفا، كقوله: {وَظِلٍّ مَمْدُودٍ} [الواقعة : ٣٠]، يعني: لا ينقطع. قاله مقاتل[١٦]، وحكي الماوردي عن السدي نحوه[١٧].

قال يحيى بن سلام:" المد: الذي لا انقطاع له.. يعني لا ينقطع شتاء ولا صيفا"[١٨].

التاسع : أنها الأنعام التي يمتد سيرها في أقطار الأرض للمرعى والسعة ، قاله ابن بحر[١٩].

العاشر : العروض والذهب والفضة. قاله الكلبي[٢٠].

الحادي عشر : سبعة آلاف مثقال فضة. قاله ابن عباس[٢١].

الثاني عشر: أن سيتوعب وجوه المكاسب فيجمع بين زيادة الزراعة وكسب التجارة ونتاج المواشي فيمد بعضها ببعض لأن لكل مكسب وقتاً. أفاده الماوري[٢٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٤.
(٢) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٥٧):ص١١٣/١.
(٣) معاني القرآن: ٢٠١/٣.
(٤) مجاز القرآن: ٢٧٥/٢.
(٥) غريب القرآن: ٤٩٦.
(٦) معاني القرآن: ٢٤٦/٥.
(٧) تفسير ابن فورك: ٨٠/٣.
(٨) انظر: الكشف والبيان: ٧١/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٤.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
(١٢) انظر: الكشف والبيان: ٧١/١٠.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠/٢٤.
(١٦) .
(١٧) انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
(١٨)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٧١.
(١٩) انظر: النكت والعيون: ١٣٩/٦.
(٢٠) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠١/٣.
(٢١) انظر: الكشف والبيان: ٧١/١٠.
(٢٢) انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.

وعن ابن عباس-في بعض الروايات-: "كانت له الإبل المؤبلة والخيل المسومة والأنعام من الإبل والبقر والغنم والذهب والفضة وغير ذلك"[١].

وقال سهل: أي:" جعلت له الحرص وطول الأمل"[٢].

قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك أن يقال كما قال الله: {وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا} وهو الكثير الممدود، عدده أو مساحته"[٣].

قوله تعالى:{وَبَنِينَ شُهُودًا} [المدثر : ١٣]، أي:" وأولادًا حضورًا معه في «مكة» لا يغيبون عنه"[٤].

وفي عدد أبنائه، أقوال:

أحدها : أنهم كانوا عشرة ، قاله مجاهد[٥].

قال الفراء:" كَانَ لَهُ عشرة بنين لا يغيبون عنْ عينيه فِي تجارة ولا عمل"[٦].

الثاني : قال الضحاك : "كان له سبعة ولدوا بمكة ، وخمسة ولدوا بالطائف"[٧].

الثالث : أنهم كانوا ثلاثة عشر رجلاً، قاله ابن جبير[٨].

قال سعيد بن جبير:" هو الوليد بن المغيرة بن هشام المخزومي، وكان له ثلاثة عشر ولدا، كلهم رب بيت"[٩].

وفي قوله تعالى:{وَبَنِينَ شُهُودًا} [المدثر : ١٣]، وجوه:

أحدها : أنهم حضور معه لا يغيبون عنه، قاله السدي[١٠]، ومقاتل[١١].

قال الزجاج:" أي: شهودٌ معه لا يحتاجون إلى أن يتصرفوا ويغيبوا عنه"[١٢].

قال ابن كثير:" وهذا أبلغ في النعمة وهو إقامتهم عنده"[١٣].

قال مقاتل:" يعني: حضورا لا يغيبون أبدا عنه في تجارة ولا غيرها لكثرة أموالهم بمكة وكلهم رجال منهم الوليد بن الوليد، وخالد بن الوليد، - وهو سيف الله أسلم بعد ذلك- وعمارة بن الوليد، وهشام بن الوليد والعاص بن الوليد، وقيس بن الوليد، وعبد شمس بن الوليد"[١٤].

قال ابن فورك:" أي: وبنين بحضرته يستمتع بمشاهدته لهم، فإن متعته بحضورهم خلاف من هو غائب عنهم"[١٥].

قال الزمخشري: أي:" حضورا معه بمكة لا يفارقونه للتصرف في عمل أو تجارة، لأنهم مكفيون لوفور نعمة أبيهم واستغنائهم عن التكسب وطلب المعاش بأنفسهم، فهو مستأنس بهم لا يشتغل قلبه بغيبتهم، وخوف معاطب السفر عليهم ولا يحزن لفراقهم والاشتياق إليهم.

---

(١) نقلا عن: تفسير السمعاني: ٩١/٦.
(٢) تفسير التستري: ١٨١.
(٣) تفسير الطبري: ٢١/٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢١/٢٤.
(٦) معاني القرآن: ٢٠١/٣.
(٧) النكت والعيون: ١٤٠/٦.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٣٢):ص٣٣٨٣/١٠.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٣٢):ص٣٣٨٣/١٠.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
(١١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٤/٤.
(١٢) معاني القرآن: ٢٤٦/٥.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٨.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٤/٤.
(١٥) تفسير ابن فورك: ٨٠/٣.

ويجوز أن يكون معناه: أنهم رجال يشهدون معه المجامع والمحافل. أو تسمع شهادتهم فيما يتحاكم فيه"[١].

الثاني : أنه إذا ذكر ذكروا معه، قاله ابن عباس[٢].

الثالث : أنهم كلهم رب بيت ، قاله ابن جبير[٣].

الرابع : أنهم قد صاروا مثله من شهود ما كان يشهده، والقيام بما كان يباشره. حكاه الماوردي[٤].

قوله تعالى:{وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا} [المدثر : ١٤]، أي:" ويسَّرت له سبل العيش تيسيرًا"[٥].

قال الطبري: يقول:" وبسطت له في العيش بسطًا"[٦].

قال ابن كثير:" أي : مكنته من صنوف المال والأثاث وغير ذلك"[٧].

عن سفيان: "{وَمَهَّدْتُ لَهُ تَمْهِيدًا}، قال: بسط له"[٨].

قال مجاهد:" من المال والولد"[٩].

قال القشيري:" أراد: تسهيل التصرّف، أي: مكّنته من التصرّف في الأمور"[١٠].

قال ابن فورك:" التمهيد: تسهيل التصرف في الأمور"[١١].

قال الزمخشري: أي:" وبسطت له الجاه العريض والرياسة في قومه، فأتممت عليه نعمتي المال والجاه واجتماعهما: هو الكمال عند أهل الدنيا. ومنه قول الناس: أدام الله تأييدك وتمهيدك، يريدون: زيادة الجاه والحشمة. وكان الوليد من وجهاء قريش وصناديدهم، ولذلك لقب الوحيد وريحانة قريش"[١٢].

قوله تعالى:{ثُمَّ يَطْمَعُ أَنْ أَزِيدَ} [المدثر : ١٥]، أي:" ثم يأمُل بعد هذا العطاء أن أزيد له في ماله وولده، وقد كفر بي"[١٣].

قال الطبري:" ثم يأمل ويرجو أن أزيده من المال والولد على ما أعطيته"[١٤].

قال الزمخشري:" استبعاد واستنكار لطمعه وحرصه، يعنى أنه لا مزيد على ما أوتى سعة وكثرة. وقيل: إنه كان يقول: إن كان محمد صادقا فما خلقت الجنة إلا لي"[١٥].

قوله تعالى:{كَلَّا} [المدثر : ١٦]، أي:" ليس الأمر كما يزعم هذا الفاجر الأثيم، لا أزيده على ذلك"[١٦].

قال الطبري:" يقول: ليس ذلك كما يأمل ويرجو من أن أزيده مالا وولدا، وتمهيدا في الدنيا"[١٧].

---

(١) الكشاف: ٦٤٨/٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٣٢):ص٣٣٨٣/١٠.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٤٠/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(٦) تفسير الطبري: ٢١/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٨.
(٨) أخرجه الطبري: ٢١/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢١/٢٤.
(١٠) لطائف الإشارات: ٦٤٩/٣.
(١١) تفسير ابن فورك: ٨٠/٣.
(١٢) الكشاف: ٦٤٨/٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(١٤) تفسير الطبري: ٢١/٢٤.
(١٥) الكشاف: ٦٤٨/٤.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٧٥.
(١٧) التفسير الميسر: ٥٧٥.

قال الزمخشري:" {كَلَّا}: ردع له وقطع لرجائه وطمعه"[١].

قال مجاهد:" فما زال يرى النقصان في ماله وولده حتى هلك"[٢].

قوله تعالى:{إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا} [المدثر : ١٦]، أي:" إنه كان للقرآن وحجج الله على خلقه معاندًا مكذبًا"[٣].

قال ابن كثير:" أي : معاندا، وهو الكفر على نعمه بعد العلم"[٤].

قال الزمخشري:" تعليل للردع على وجه الاستئناف، كأن قائلا قال: لم لا يزاد؟ فقيل: إنه عاند آيات المنعم وكفر بذلك نعمته، والكافر لا يستحق المزيد "[٥].

قال أبو عبيدة:" معاندا لآياتنا، كالبعير العنود"[٦].

قال الطبري:" يقول: إن هذا الذي خلقته وحيدا كان لآياتنا - وهي حجج الله على خلقه من الكتب والرسل - عنيدا، يعني معاندا للحقّ مجانبا له، كالبعير العنود؛ ومنه قول القائل[٧]:

إذَا نزلْتُ فاجْعَلانِي وَسَطا ... إنّي كَبِيرٌ لا أُطِيقُ العُنَّدا"[٨].

عن ابن عباس، قوله: "{إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا}، قال: جحودا"[٩].

قال قتادة:" كفورا بآيات الله جحودا بها"[١٠].

عن مجاهد، قوله: "{عَنِيدًا}، قال: معاندا للحقّ مجانبا"[١١].

عن مجاهد، قوله: "{إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا}، قال محمد بن عمرو: معاندا لها. وقال الحارث: معاندا عنها، مجانبا لها"[١٢].

عن سفيان :"{لِآيَاتِنَا عَنِيدًا}، قال: مشاقا"[١٣].

قال سعيد بن جبير:" فلما نزلت: {إِنَّهُ كَانَ لِآيَاتِنَا عَنِيدًا} [المدثر : ١٦]، لم يزل في إدبار من الدنيا في نفسه وماله وولده حتى أخرجه من الدنيا"[١٤].

قوله تعالى:{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا} [المدثر : ١٧]، أي:" سأكلفه مشقة من العذاب والإرهاق لا راحة له منها"[١٥].

قال الطبري: يقول: "سأكلفه مشقة من العذاب لا راحة له منها"[١٦].

---

(١) الكشاف: ٦٤٨/٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٣١):ص٣٣٨٢/١٠.

(٣) التفسير الميسر: ٥٧٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٥/٨.

(٥) الكشاف: ٦٤٨/٤.

(٦) مجاز القرآن: ٢٧٥/٢.

(٧)ورد بلا نسبة في "المقتضب" ١/ ٢١٨، و"الجمهرة" ٢/ ٦٦٦، الصحاح (عند) ٢/ ٥١٣، و"تفسير الثعلبي" ٧/ ١٤٨ أ، و"أمالي ابن الشجري" ١/ ٤٢٢، و"مغني اللبيب" ص ٨٩٤، وورد برواية: (إذا نزلتُ ..) في "مجاز القرآن"٢٧٥/٢، و"الاقتضاب" ص ٤١٥، و"شرح أدب الكاتب" للجواليقي ص٢٤٥، و"الخزانة" ١١/ ٣٢٣، وورد برواية: (ذا رَحَلْتُ ..) في "المحكم" ٢/ ١٥، و"اللسان" ٥/ ٣١٢٤، و"التاج" ٥/ ١٣٠، وورد برواية: (إذا رَحِلْتُ ..) في "أدب الكاتب" ص ٤٩١، وورد برواية: (إذا ركبتم). في "مقاييس اللغة" ٤/ ١٥٣، معنى البيت: كان الشاعر قد كبر، والرجل إذا كبر عاد كالصبي؛ والصبيان يخافون بالليل، فهو يقول: اجعلاني وسطكما فإني لا أطيق أن أكون في الجانب.

(٨) التفسير الميسر: ٥٧٥.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٤.

(١٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٣٢):ص٣٣٨٣/١٠.

(١٥) التفسير الميسر: ٥٧٥.

(١٦) تفسير الطبري: ٢٢/٢٤.

قال الزمخشري:" سأغشيه عقبة شاقة المصعد: وهو مثل لما يلقى من العذاب الشاق الصعد الذي لا يطاق"[١].

عن مجاهد، وقتادة: "{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا}، قال: مشقة من العذاب"[٢].

قال قتادة:" أي: عذابا لا راحة منه"[٣].

قال ابن زيد:" تعبا من العذاب"[٤].

قال ابن عباس: "صعود: صخرة في جهنم، يسحب عليها الكافر على وجهه"[٥].

عن أبي سعيد، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم :"{سَأُرْهِقُهُ صَعُودًا}، قال: «هو جبل في النار من نار، يكلّفون أن يصعدوه، فإذا وضع يده ذابت، فإذا رفعها عادت، فإذا وضع رجله كذلك»"[٦].

عن أبي سعيد الخدريّ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصَّعُودُ جَبَلٌ مِنْ نَارٍ يُصْعَدُ فِيهِ سَبْعِينَ خَرِيفًا ثُمَّ يَهْوِي كَذلكَ مِنْهُ أَبَدًا"[٧].

القرآن

{إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ (١٨)} [المدثر : ١٨]

التفسير:

إنه فكَّر في نفسه، وهيَّأ ما يقوله من الطعن في محمد - صلى الله عليه وسلم - والقرآن.

قال الطبري: يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي خلقته وحيدا، فكَّر فيما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، وقدّر فيما يقول فيه"[٨].

قال ابن كثير:" أي : إنما أرهقناه صعودا، أي : قربناه من العذاب الشاق ؛ لبعده عن الإيمان، لأنه فكر وقدر، أي : تَرَوَّى ماذا يقول في القرآن حين سُئل عن القرآن، ففكر ماذا يختلق من المقال، {وَقَدَّرَ}، أي : تروى "[٩].

عن مجاهد، قوله: "{فَكَّرَ وَقَدَّرَ}، قال: الوليد بن المغيرة يوم دار الندوة"[١٠].

قال ابن قتيبة: أي:" في كيد محمد - صلى الله عليه وسلم - وما جاء به، فقال: "شاعر" مرة، و "ساحر" مرة، و "كاهن" مرة؛ وأشباه ذلك"[١١].

قال مقاتل:" فقدر له السحر"[١٢].

قال السمعاني:" {إنه فَكَّرَ}، أي: تدبر، وقوله: {وَقَدَّرَ}، هو بمعنى: التفكر أيضا"[١٣].

قال بيان الحق: " فكر في القرآن، فقال: ليس بشعر، وله حلاوة وتأثير في القلوب، فقدر في نفسه أنه سحر"[١٤].

---

(١) الكشاف: ٦٤٨/٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٣٧):ص٣٣٨٣/١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٢/٢٤-٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٣/٢٤.
(٨) تفسير الطبري: ٢٣/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٤.
(١١) غريب القرآن: ٤٩٦.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٣/٤.
(١٣) تفسير السمعاني: ٩٣/٦.
(١٤)باهر البرهان فى معانى مشكلات القرآن: ١٥٨٠/٣.

قال الفراء:" فذكروا أَنَّهُ جمع رؤساء أهل مكَّة فَقَالَ: إن الموسم قددنا، وَقَدْ فشا أمر هَذَا الرجل فِي النَّاس، ما أنتم قائلون فِيهِ للناس؟ قَالُوا: نقول: مجنون. قَالَ: إذًا يؤتي فيكلم، فيُرى عاقلًا صحيحًا، فيكذبوكم، قَالُوا: نقول: شاعر. قَالَ: فهم عرب قَدْ رووا الأشعار وعرفوها، وكلام مُحَمَّد لا يُشْبِهُ الشِّعرَ، قَالُوا: نقول: كاهن، قَالَ: فقد عرفوا الكهنة، وسألوهم، وهم لا يقولون: يكون كذا وكذا إن شاء اللَّه، ومحمد لا يَقُولُ لكم شيئًا إلا قَالَ: إن شاء اللَّه، ثُمَّ قام، فقالوا: صبأ الوليد. يريدون أسلم الوليد. فَقَالَ ابْنُ أخيه أَبُو جهل: أَنَا أكفيكم أمره، فأتاه فَقَالَ: إن قريشًا تزعم أنك قَدْ صبوت وهم يريدون: أن يجمعوا لَكَ مالًا يكفيك مما تريد أن تأكل من فضول أصحاب محمد- صلّى الله عليه- فَقَالَ: ويحك! والله ما يَشبعون، فكيف ألتمس فضولهم مَعَ أني أكثر قريش مالًا؟ ولكني فكرت فِي أمر مُحَمَّد - صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ-، وماذا نَرُد عَلَى العرب إذَا سألتنا، فقد عزمْت عَلَى أن أقول: ساحر. فهذا تفسير قوله: «إِنَّهُ فَكَّرَ وَقَدَّرَ» القول فى محمد صلّى الله عليه"[1].

القرآن

{فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (١٩) ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ (٢٠) ثُمَّ نَظَرَ (٢١) ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ (٢٢) ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ (٢٣) فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ (٢٤) إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ (٢٥)} [المدثر : ١٩-٢٥]

التفسير:

فَلُعِن، واستحق بذلك الهلاك، كيف أعدَّ في نفسه هذا الطعن؟ ثم لُعِن كذلك، ثم تأمَّل فيما قدَّر وهيَّأ من الطعن في القرآن، ثم قطَّب وجهه، واشتدَّ في العبوس والكُلُوح لمَّا ضاقت عليه الحيل، ولم يجد مطعنًا يطعن به في القرآن، ثم رجع معرضًا عن الحق، وتعاظم أن يعترف به، فقال عن القرآن: ما هذا الذي يقوله محمد إلا سحر يُنْقل عن الأولين، ما هذا إلا كلام المخلوقين تعلَّمه محمد منهم، ثم ادَّعى أنه من عند الله.

قوله تعالى:{فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} [المدثر : ١٩]، أي:" فَلُعِن، واستحق بذلك الهلاك، كيف أعدَّ في نفسه هذا الطعن؟"[2].

قال محمد بن شهاب الزُّهريّ: "{فَقُتِلَ} عُذّب"[3].

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: إن هذا الذي خلقته وحيدا، فكَّر فيما أنزل على عبده محمد صلى الله عليه وسلم من القرآن، وقدّر فيما يقول فيه"[4].

قال الفراء:" أي: لُعن، وكذلك: {قَاتَلَهُمُ اللَّهُ}، و{قُتِلَ الْإِنْسانُ ما أَكْفَرَهُ}، ذكِر أنهن اللعن"[5].

قال الزجاج:" معنى {قُتِلَ} –ههنا-: لُعِنَ، ومثله: {قُتِلَ الْخَرَّاصُونَ}"[6].

قال السعدي:" لأنه قدر أمرا ليس في طوره، وتسور على ما لا يناله هو ولا أمثاله"[7].

قال مقاتل:" يعنى: لعن {كَيْفَ قَدَّرَ} لمحمد- صلى الله عليه وسلم- السحر"[8].

قال المراغي:" أي: لعنه الله كيف وصل بقوة خياله وسرعة خاطره إلى رميه الغرض الذي كانت تنتحيه قريش"[1].

---

(١) معاني القرآن: ٢٠٢/٣.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٣، وتفسير البغوي ٨/ ٢٦٩.
(٤) تفسير الطبري: ٢٣/٢٤.
(٥) معاني القرآن: ٢٠٢/٣.
(٦) معاني القرآن: ٢٤٦/٥.
(٧) تفسير السعدي: ٨٩٦.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٣/٤.

قوله تعالى:{ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ} [المدثر : ٢٠]، أي:" ثم لُعِن كذلك"[٢].
قال الطبري: " يقول: ثم لعن كيف قدّر النازل فيه"[٣].
قال ابن كثير:" دعاء عليه"[٤].
قوله تعالى:{ثُمَّ نَظَرَ} [المدثر : ٢١]، أي:" ثم تأمَّل فيما قدَّر وهيَّأ من الطعن في القرآن"[٥].
قال الطبري: " يقول: ثم روّى في ذلك"[٦].
قال ابن كثير:" أي : أعاد النظرة والتروي"[٧].
قوله تعالى:{ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ} [المدثر : ٢٢]، أي:" ثم قطَّب وجهه، واشتدَّ في العبوس والكُلوح لمَّا ضاقت عليه الحيل، ولم يجد مطعنًا يطعن به في القرآن"[٨].
قال ابن قتيبة: "أي: قطب وكره"[٩].
قال ابن كثير:" {ثُمَّ عَبَسَ}، أي: قبض بين عينيه وقطب، {وَبَسَرَ}، أي : كلح وكره"[١٠].
قال الطبري: " يقول: ثم قبض ما بين عينيه وكلح وجهه؛ ومنه قول توبة بن الحُمَيِّر:
وَقَدْ رَابَنِي مِنْها صُدُودٌ رأيتُهُ ... وإعْراضُها عَنْ حاجَتِي وبُسُورُها "[١١].
قال قتادة:" زعموا أنه قال: والله لقد نظرت فيما قال هذا الرجل، فإذا هو ليس له بشعر، وإن له لحلاوة، وإن عليه لطلاوة، وإنه ليعلو وَما يعلى، وما أشكّ أنه سحر، فأنزل الله فيه: {فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ... } الآية {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ}: قبض ما بين عينيه وكلح"[١٢].
عن عكرمة، أن الوليد بن المُغيرة جاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم، فقرأ عليه القرآن، فكأنه رقّ له، فبلغ ذلك أبا جهل، فقال: أي عمّ إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالا قال: لِمَ؟ قال: يعطونكه فإنك أتيت محمدا تتعرّض لما قِبَله، قال: قد علمت قريش أني أكثرها مالا قال: فقل فيه قولا يعلم قومك أنَّك مُنكر لما قال، وأنك كاره له؛ قال: فما أقول فيه، فوالله ما منكم رجل أعلم بالأشعار مني، ولا أعلم برجزه مني، ولا بقصيده، ولا بأشعار الجنّ، والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا، ووالله إن لقوله لحلاوة، وإنه ليحطم ما تحته، وإنه ليعلو ولا يعلى، قال: والله لا يرضى قومك حتى تقول فيه، قال: فدعني حتى أفكر فيه؛ فلما فكَّر قال: هذا سحر يأثره عن غيره، فنزلت: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، قال قتادة: خرج من بطن أمه وحيدا، فنزلت هذه الآية حتى بلغ تسعة عشر"[١٣].
قال ابن عباس:" دخل الوليد بن المغيرة على أبي بكر بن أبي قُحافة رضي الله عنه، يسأله عن القرآن، فلما أخبره خرج على قريش فقال: يا عجبا لما يقول ابن أبي كبشة، فو الله ما هو بشعر، ولا بسحر، ولا بهذي من الجنون، وإن قوله لمن كلام الله، فلما سمع بذلك النفر من قريش ائتمروا وقالوا: والله لئن صبأ الوليد لتصبأنّ قريش، فلما سمع بذلك أبو جهل قال: أنا والله

---

(١) تفسير المراغي: ١٢٩/٢٩.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٣) تفسير الطبري: ٢٣/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٨.
(٥) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٦) تفسير الطبري: ٢٣/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٩) غريب القرآن: ٤٩٦.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٨.
(١١)والبيت: لعله من كلمة بعضها في «الشعراء»: ص ٢٦٩، و«مجاز القرآن» ٢/ ٢٧٥. و«الأغاني» ١٠/ ٢٧٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٤.

أكفيكم شأنه، فانطلق حتى دخل عليه بيته، فقال للوليد: ألم تر قومك قد جمعوا لك الصدقة قال: ألستُ أكثرهم مالا وولدا؟ فقال له أبو جهل: يتحدّثون أنك إنما تدخل على ابن أبي قُحافة لتصيب من طعامه، قال الوليد: أقد تحدثت به عشيرتي، فلا يقصر عن سائر بني قُصيّ، لا أقرب أبا بكر ولا عمر ولا ابن أبي كبشة، وما قوله إلا سحر يؤثر، فأنزل الله على نبيه صلى الله عليه وسلم: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ... } إلى {لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ} "[1].

قال ابن زيد في قوله: "{ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا وَجَعَلْتُ لَهُ مَالا مَمْدُودًا ... }، إلى قوله: {إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ}، قال: هذا الوليد بن المغيرة قال: سأبتار لكم هذا الرجل الليلة، فأتى النبيّ صلى الله عليه وسلم، فوجده قائما يصلي ويقترئ، وأتاهم فقالوا: مه، قال: سمعت قولا حلوا أخضر مثمرا يأخذ بالقلوب، فقالوا: هو شعر، فقال: لا والله ما هو بالشعر، ليس أحد أعلم بالشعر مني، أليس قد عَرضت عليّ الشعراء شعرهم نابغة وفلان وفلان؟ قالوا: فهو كاهن، فقال: لا والله ما هو بكاهن، قد عرضت عليّ الكهانة، قالوا: فهذا سحر الأوّلين اكتتبه، قال: لا أدري إن كان شيئا فعسى هو إذا سحر يؤثر، فقرأ: {فَقُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ ثُمَّ قُتِلَ كَيْفَ قَدَّرَ}، قال: قتل كيف قدّر حين قال: ليس بشعر، ثم قتل كيف قدّر حين قال: ليس بكهانة"[2].

عن الضحاك:" {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، يعني: الوليد بن المغيرة، دعاه نبي الله صلى الله عليه وسلم إلى الإسلام، فقال: حتى أنظر، ففكر {ثُمَّ عَبَسَ وَبَسَرَ ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ}، فجعل الله له سقر"[3].

قوله تعالى:{ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ} [المدثر : ٢٣]، أي:" ثم رجع معرضًا عن الحق، وتعاظم أن يعترف به"[4].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ثم ولى عن الإيمان والتصديق بما أنزل الله من كتابه، واستكبر عن الإقرار بالحق"[5].

قال ابن كثير:" أي : صُرف عن الحق، ورجع القهقرى مستكبرا عن الانقياد للقرآن"[6].

قوله تعالى:{فَقَالَ إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ} [المدثر : ٢٤]، أي:" فقال عن القرآن: ما هذا الذي يقوله محمد إلا سحر يُنْقل عن الأولين"[7].

قال الطبري:" قال: يأثره عن غيره"[8].

قال ابن كثير:" أي : هذا سحر ينقله محمد عن غيره عمن قبله ويحكيه عنهم"[9].

عن أبي رزين: "{إِنْ هَذَا إِلا سِحْرٌ يُؤْثَرُ}، قال: يأخذه عن غيره"[10].

قال مقاتل:" فقال له قومه: وما السحر يا أبا المغيرة؟ وفرحوا فقال: شيء يكون ببابل إذا تعلمه الإنسان يفرق بين الاثنين ومحمد يأثره ولما يحذقه بعد وأيم الله، لقد أصاب فيه حاجته أما رأيتموه فرق بين فلان وبين أهله وبين فلان وبين أبيه، وبين فلان وبين أخيه، وبين فلان وبين مولاه، فهذا الذي يقول محمد سحر يؤثر"[11].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٤-٢٥.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٥/٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٥) تفسير الطبري: ٢٥/٢٤-٢٦.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٨.
(٧) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٨) تفسير الطبري: ٢٦/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٦/٢٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤٩٣/٤.

قوله تعالى:{إِنْ هَذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ} [المدثر : ٢٥]، أي:" ما هذا إلا كلام المخلوقين تعلَّمه محمد منهم، ثم ادَّعى أنه من عند الله"[١].

قال الطبري:" يقول: ما هو إلا كلام ابن آدم، وما هو بكلام الله"[٢].

قال الزجاج:" أي: ما هذا إلا قول البشر"[٣].

قال ابن كثير:" أي : ليس بكلام الله"[٤].

قال السعدي:" أي: ما هذا كلام الله، بل كلام البشر، وليس أيضا كلام البشر الأخيار، بل كلام الفجار منهم والأشرار، من كل كاذب سحار، فتبا له، ما أبعده من الصواب، وأحراه بالخسارة والتباب!! كيف يدور في الأذهان، أو يتصوره ضمير كل إنسان، أن يكون أعلى الكلام وأعظمه، كلام الرب العظيم، الماجد الكريم، يشبه كلام المخلوقين الفقراء الناقصين؟! أم كيف يتجرأ هذا الكاذب العنيد، على وصفه كلام المبدئ المعيد، فما حقه إلا العذاب الشديد والنكال"[٥].

قال الحسن ، في قوله: {إِنْ هَذَا إِلا قَوْلُ البشر}، يَعنون: "عَدّاسًا غلام عُتْبَة. كقوله: {وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّما يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ} [النحل: ١٠٣] هو عَدّاس"[٦].

القرآن

{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ (٢٦) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ (٢٧) لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ (٢٨) لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ (٢٩) عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ (٣٠)} [المدثر : ٢٦-٣٠]

التفسير:

سأدخله جهنم؛ كي يصلى حرَّها ويحترق بنارها، وما أعلمك أيُّ شيء جهنم؟ لا تبقي لحمًا ولا تترك عظمًا إلا أحرقته، مغيِّرة للبشرة، مسوِّدة للجلود، محرقة لها، يلي أمرها ويتسلط على أهلها بالعذاب تسعة عشر ملكًا من الزبانية الأشداء.

سبب نزول قوله تعالى: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر : ٣٠]:

عن البراء بن عازب -من طريق عامر-: "أنّ رهطًا مِن اليهود سألوا رجلًا مِن أصحاب النبيِّ - صلى الله عليه وسلم - عن خَزنة جهنم. فقال: الله ورسوله أعلم. فجاء، فأخبَر النَّبيّ - صلى الله عليه وسلم -؛ فنَزل عليه ساعتئذ: {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}"[٧].

عن عبد الله بن عباس -من طريق عطية- قال:" لمّا سمع أبو جهل: {عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ} قال لقريش: ثَكِلَتْكم أُمّهاتكم، أسمعُ ابنَ أبي كَبْشَة يُخبركم أنّ خَزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدَّهْم! أفيَعجز كلُّ عشرة منكم أن يَبطشوا برجلٍ من خَزنة جهنم؟! فأوحى الله إلى نبيّه أن يأتي أبا جهل، فيأخذ بيده في بطحاء مكة، فيقول له: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} [القيامة: ٣٤ - ٣٥]"[٨].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٦.

(٢) تفسير الطبري: ٢٦/٢٤.

(٣) معاني القرآن: ٢٤٧/٥.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٦٦/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٨٩٦.

(٦)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٥٧ -.

(٧)أخرجه البيهقي في البعث والنشور ص ٢٦٩ (٤٦٢)، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٢٦٨ - ، من طريق حُريث بن أبي مطر، عن عامر، عن البراء بن عازب به.

قال البيهقي: «حديث ابن أبي مطر ليس بالقوي». وقال ابن رجب في التخويف من النار ص ٢١٩: «حُريث هو ابن أبي مطر ضعيف». وقال ابن كثير: «هكذا وقع عند ابن أبي حاتم، عن البراء، والمشهور عن جابر بن عبد الله».

(٨) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٤.

قال الضَّحّاك: "لما نزلت هذه الآية {عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ} قال أبو جهل لقريش: ثَكِلتْكم أُمّهاتكم، أسمع ابن أبي كَبْشَة يُخبر أنّ خَزنة النار تسعة عشر وأنتم الدَّهْم! -أي: الشّجعان- أفيَعجز كلّ عشرة منكم أن يَبطشوا بواحد من خَزنة جهنم؟! قال أبو الأشَدِّ أُسَيْد بن كَلَدَة بن خَلف الجُمحيّ: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر؛ عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، فاكفوني أنتم اثنين"(١).

عن قتادة -من طريق سعيد- في قوله: "{عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ}، قال: ذُكر لنا: أنّ أبا جهل حين أُنزِلَتْ هذه الآية قال: يا معشر قريش، ما يستطيع كلّ عشرة منكم أن يغلبوا واحدًا مِن خَزنة النار وأنتم الدَّهْمُ؟!"(٢).

قوله تعالى:{سَأُصْلِيهِ سَقَرَ} [المدثر : ٢٦]، أي:" سأدخله جهنم؛ كي يصلى حرَّها ويحترق بنارها"(٣).

قال الطبري:" سأورده بابا من أبواب جهنم اسمه سقر، ولم يُجرَّ سقر لأنه اسم من أسماء جهنم"(٤).

قال ابن كثير:" أي : سأغمره فيها من جميع جهاته"(٥).

قال مقاتل:" فجعل الله له سقر وهو الباب الخامس من جهنم"(٦).

قوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ} [المدثر : ٢٧]، أي:" وما أعلمك أيُّ شيء جهنم؟"(٧).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وأيّ شيء أدراك يا محمد، أيّ شيء سقر"(٨).

قال الزجاج:" وما أعلمك أي شيء سقر"(٩).

قال ابن كثير:" وهذا تهويل لأمرها وتفخيم"(١٠).

قوله تعالى:{لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ} [المدثر : ٢٨]، أي:" لا تبقي لحمًا ولا تترك عظمًا إلا أحرقته"(١١).

قال الطبري: يقول: "هي نار {لا تُبْقي} من فيها حيا، {وَلا تَذَرُ} من فيها ميتا، ولكنها تحرقهم كلما جدّد خلقهم"(١٢).

قال ابن كثير:" أي : تأكل لحومهم وعروقهم وعَصَبَهم وجلودهم، ثم تبدل غير ذلك، وهم في ذلك لا يموتون ولا يحيون، قاله ابن بريدة وأبو سنان وغيرهما"(١٣).

عن مجاهد، قوله: "{لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ}، قال: لا تميت ولا تحيي"(١٤).

قال الضحاك:" تأكله كلّه، فإذا تَبدّى خَلْقه لم تَذره حتى تقوم عليه"(١٥).

قال السدي:" لا تُبقي لهم لحمًا، ولا تَذر لهم عظمًا"(١).

---

(١)تفسير البغوي ٨/ ٢٧٠.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٨-٢٩، وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد. وأخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣١ بنحوه من طريق معمر.

(٣) التفسير الميسر: ٥٧٦.

(٤) تفسير الطبري: ٢٤/٢٦.

(٥) تفسير ابن كثير: ٨/٢٦٧.

(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٤٩٣.

(٧) التفسير الميسر: ٥٧٦.

(٨) تفسير الطبري: ٢٤/٢٦.

(٩) معاني القرآن: ٥/٢٤٧.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٨/٢٦٨.

(١١) التفسير الميسر: ٥٧٦.

(١٢) تفسير الطبري: ٢٤/٢٦-٢٧.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٨/٢٦٨.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٤/٢٧.

(١٥)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

عن مَزيدة بن جابر الهجري، قوله: "{لا تُبْقِي وَلا تَذَرُ}، قال: لا تُبقي منهم شيئًا أن تأكلهم، فإذا خُلِقوا لها لا تَذرهم حتى تأخذهم فتَأكلهم"[٢].

قوله تعالى:{لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ} [المدثر : ٢٩]، أي:" مغيِّرة للبشرة، مسوِّدة للجلود، محرقة لها"[٣].

قال ابن قتيبة: "أي: مغيرة لهم. يقال: لاحته الشمس؛ إذا غيرته"[٤].

قال الطبري: "يعني جلّ ثناؤه: مغيرة لبشر أهلها"[٥].

قال الزجاج:" البشر: جمع: بَشَرةٍ، أي: تحرق الجلْدَ حَتَّى يَسْود"[٦].

عن مجاهد: "{لَوَّاحَةٌ لِلْبَشَرِ}، قال: الجلد"[٧].

قال قتادة:" أي: حرّاقة للجلد"[٨].

قال الضحاك:" يعني: بشر الإنسان، يقول: تحرق بشره"[٩].

قال ابن عباس:" يقول: تحرق بشرة الإنسان"[١٠]. وفي رواية عن ابن عباس:" معرّضة"[١١].

قال ابن زيد:" أي تلوَّح أجسادهم عليها"[١٢].

قال ابن زيد:" تغير البشر، تحرق البشر؛ يقال: قد لاحه استقباله السماء، ثم قال: النار تغير ألوانهم"[١٣].

قال أبو رزين:" تلفح الجلد لفحة، فتدعه أشدّ سوادا من الليل"[١٤].

قال أبو رزين:" غيرت جلودهم فاسودّت"[١٥].

قال عطاء الخراساني:" بَشرة الإنسان تُلوَّح على النار"[١٦].

قال زيد بن أسلم:" أي: تُلوَّح أجسادهم عليها"[١٧].

قال الحسن:" يعني: تَلوح لهم جهنم حتى يَروها عيانًا"[١٨].

قوله تعالى:{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر : ٣٠]، أي:" يلي أمرها ويتسلط على أهلها بالعذاب تسعة عشر ملكًا من الزبانية الأشداء"[١٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: على سقر تسعة عشر من الخزنة"[٢٠].

---

(١)تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٧٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(٣) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٤) غريب القرآن: ٤٩٦.
(٥) تفسير الطبري: ٢٧/٢٤.
(٦) معاني القرآن: ٢٤٧/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤-٢٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٤. قال الطبري:" وأخشى أن يكون خبر عليّ بن أبي طلحة، عن ابن عباس هذا غلطا، وأن يكون موضع معرّضة مغيرة، لكن صحَّف فيه".
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٤.
(١٦)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٠٥.
(١٧) أخرجه الطبري: ٢٧/٢٤.
(١٨)تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٧٠.
(١٩) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٢٠) تفسير الطبري: ٢٨/٢٤.

قال ابن كثير:" أي : من مقدمي الزبانية، عظيم خلقهم، غليظ خلقهم"[١].
عن ابن زيد:" {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}، قال: خزنتها تسعة عشر"[٢].
قال عمرو بن دينار: "{عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ} إنّ واحدًا منهم يَدفع بالدّفعة الواحدة في جهنم أكثر من ربيعة ومُضر"[٣].
قال قتادة:" قال أبو جهل: يخبركم محمد أن خزَنة النار تسعة عشر، وأنتم الدَّهم ليجتمع كلّ عشرة على واحد"[٤].
عن قتادة: "{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}، ذُكر لنا أن أبا جهل حين أُنزلت هذه الآية قال: يا معشر قريش، ما يستطيع كلّ عشرة منكم أن يغلبوا واحدا من خزَنة النار وأنتم الدَّهم؟ فصاحبكم يحدثكم أن عليها تسعة عشر"[٥].
عن ابن عباس: "{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ ... }، إلى قوله: {وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا}، فلما سمع أبو جهل بذلك قال لقريش: ثكلتكم أمهاتكم، أسمع ابن أبي كبشة يخبركم أن خزَنة النار تسعة عشر وانتم الدَّهم، أفيعجز كل عشرة منكم أن يبطشوا برجل من خزنة جهنم؟ فأوحي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يأتي أبا جهل، فيأخذ بيده في بطحاء مكة فيقول له: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}، فلما فعل ذلك به رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أبو جهل: والله لا تفعل أنت وربك شيئا، فأخزاه الله يوم بدر"[٦].
عن البراء في قوله :{عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ}: قال:" إن رهطا من اليهود سألوا رجلا من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم عن خزنة جهنم. فقال : الله ورسوله أعلم. فجاء رجل فأخبر النبي صلى الله عليه وسلم فنزل عليه ساعتئذ : {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر : ٣٠]، فأخبر أصحابه وقال : "ادعهم، أما إني سائلهم عن تُربَة الجنة إن أتوني، أما إنها دَرْمكة بيضاء". فجاؤوه فسألوه عن خزنة جهنم، فأهوى بأصابع كفيه مرتين وأمسك الإبهام في الثانية، ثم قال : "أخبروني عن تربة الجنة". فقالوا : أخبرهم يا ابن سلام. فقال : كأنها خُبزَة بيضاء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أما إن الخبز إنما يكون من الدّرمَك"[٧].
فوائد الآيات: [١١-٣٠]:
١- المال والبنون والجاه من عوامل الطغيان إلا أن يسلم الله عبده من فتنتها.
٢- من أكفر الناس من يعاند في آيات الله يريد صرف الناس عنها وإبطال هدايتها.
٣- بيان ما ظفر به طاغية قريش الوليد بن المغيرة من لعنة وعذاب شديد.
٤- تقرير الوحي وإثبات النبوة المحمدية.
٥- تقرير البعث والجزاء.

القرآن
{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٦٨/٨.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٤.
(٣)تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٤، وتفسير البغوي ٨/ ٢٧٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٤-٢٩.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٨/٢٤.
(٧) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢٦٨/٨، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٣٩):ص٣٣٨٣/١٠-٣٣٨٤[مختصرا]، ورواه البيهقي في البعث برقم (٥٠٩) من طريق مسروق بن المرزبان، عن ابن أبي زائدة به، وقال : "حديث ابن أبي مطر - أي حريث - ليس بالقوى.

قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ (٣١)} [المدثر : ٣١]

التفسير:

وما جعلنا خزنة النار إلا من الملائكة الغلاظ، وما جعلنا ذلك العدد إلا اختبارًا للذين كفروا بالله؛ وليحصل اليقين للذين أُعطوا الكتاب من اليهود والنصارى بأنَّ ما جاء في القرآن عن خزنة جهنم إنما هو حق من الله تعالى، حيث وافق ذلك كتبهم، ويزداد المؤمنون تصديقًا بالله ورسوله وعملا بشرعه، ولا يشك في ذلك الذين أُعطوا الكتاب من اليهود والنصارى ولا المؤمنون بالله ورسوله؛ وليقول الذين في قلوبهم نفاق والكافرون: ما الذي أراده الله بهذا العدد المستغرب؟ بمثل ذلك الذي ذُكر يضلُّ الله من أراد إضلاله، ويهدي مَن أراد هدايته، وما يعلم عدد جنود ربك -ومنهم الملائكة- إلا الله وحده. وما النار إلا تذكرة وموعظة للناس.

سبب النزول:

عن ابن عباس، والضحاك، وقتادة:" لمّا نزلت هذه الآية: {عَلَيْها تِسْعَةَ عَشَرَ} قال أبو جهل لقريش: ثَكِلتكم أُمّهاتكم، أسمع ابن أبي كَبْشَة يُخبركم أنّ خَزنة النار تسعة عشر، وأنتم الدَّهم! -أي: الشّجعان- أفَيعجز كلّ عشرة منكم أن يَبطشوا برجلٍ من خَزنة جهنم؟! فقال أبو الأشَدَّين كَلَدَة بن خَلف بن أسد الجُمحيّ: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر؛ عشرة على ظهري، وسبعة على بطني، واكفوني أنتم اثنين. فأنزل الله: {وما جَعَلْنا أصْحابَ النّارِ إلّا مَلائِكَةً} "[١].

قال السدي:" قال رجل من قريش -يُدعى: أبا الأشَدَّين-: يا معشر قريش، لا يَهولنَّكم التسعة عشر، أنا أدفع عنكم بمَنكِبي الأيمن عشرة، وبمَنكِبي الأيسر تسعة. فأنزل الله: {وما جَعَلْنا أصْحابَ النّارِ إلّا مَلائِكَةً}"[٢].

عن محمد بن إسحاق -من طريق سلمة-:" قال أبو جهل يومًا وهو يهزأ برسول الله -صلى الله عليه وسلم -، وبما جاء به من الحق: يا معشر قريش، يزعم محمدٌ أنّ جنود الله الذين يعذبونكم في النار ويحبسونكم فيها تسعة عشر، وأنتم أكثر الناس عددًا وكثرة، أفيعجزكم مائةٌ رجل منكم عن رجل منهم؟! فأنزل الله - عز وجل - في ذلك من قوله: {وما جعلنا أصحاب النار إلا ملائكة وما جعلنا عدتهم إلا فتنة للذين كفروا}"[٣].

قال مقاتل:" حين قال أبو الأشَدَّين وأبو جهل ما قالا؛ فأنزل الله تعالى في قول أبي جهل: ما لمحمد من الجنود إلا تسعة عشر: {وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلّا هُو}، يقول: ما يَعلم كثرتهم أحد إلا الله. وأنزل الله في قول أبي الأشَدَّين: أنا أكفيكم منهم سبعة عشر: {عَلَيْها مَلائِكَةٌ غِلاظٌ شِدادٌ} [التحريم: ٦]"[٤].

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلَّا مَلَائِكَةً} [المدثر : ٣١]، أي:" وما جعلنا خزنة النار إلا من الملائكة الغلاظ"[٥].

قال الطبري: يقول : "وما جعلنا خزَنة النار إلا ملائكة يقول لأبي جهل في قوله لقريش: أما يستطيع كلّ عشرة منكم أن تغلب منها واحدا؟ فمن ذا يغلب خزنة النار وهم الملائكة"[٦].

قال ابن زيد:" ما جعلناهم رجالا فيأخذ كلّ رجل رجلا كما قال هذا"[٧].

قال ابن كثير:" أي : زبانية غلاظا شدادا. وذلك رد على مشركي قريش حين ذكر عدد الخزنة، فقال أبو جهل : يا معشر قريش، أما يستطيع كل عشرة منكم لواحد منهم فتغلبونهم؟

---

(١)أورده الثعلبي ١٠/ ٧٤.

(٢)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٣)أخرجه ابن أبي حاتم ٨/ ٢٦٩٨.

(٤)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٤٩٧ - ٤٩٨.

(٥) التفسير الميسر: ٥٧٦.

(٦) تفسير الطبري: ٢٩/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٤.

فقال الله :{وَمَا جَعَلْنَا أَصْحَابَ النَّارِ إِلا مَلائِكَةً}، أي : شديدي الخَلْق لا يقاومون ولا يغالبون. وقد قيل : إن أبا الأشدين - واسمه : كَلَدَة بن أسيد بن خلف - قال : يا معشر قريش، اكفوني منهم اثنين وأنا أكفيكم منهم سبعة عشر، إعجابا منه بنفسه، وكان قد بلغ من القوة فيما يزعمون أنه كان يقف على جلد البقرة ويجاذبه عشرة لينتزعوه من تحت قدميه، فيتمزق الجلد ولا يتزحزح عنه. قال السهيلي : «وهو الذي دعا رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى مصارعته وقال : إن صرعتني آمنت بك، فصرعه النبي صلى الله عليه وسلم مرارا، فلم يؤمن. قال : وقد نَسَب ابنُ إسحاق خبر المصارعة إلى ركانة بن عبد يزيد بن هاشم بن المطلب»[١].

قلت-ابن كثير- : ولا منافاة بين ما ذكراه"[٢].

قوله تعالى:{وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [المدثر : ٣١]، أي:" وما جعلنا ذلك العدد إلا اختبارًا للذين كفروا بالله"[٣].

قال الطبري: "يقول: وما جعلنا عدّة هؤلاء الخزنة إلا فتنة للذين كفروا بالله من مُشركي قريش، لتكذيبهم بذلك، وقول بعضهم لأصحابه: أنا أكفيكموهم"[٤].

قال الزجاج:" أيْ: مِحْنَةً، لأن بعضهم قال بعضنا يكفي هؤلاء[٥].

قال ابن كثير:" أي : إنما ذكرنا عدتهم أنهم تسعة عشرَ اختبارًا منَّا للناس"[٦].

عن قتادة: "{وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إلا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا}: إلا بلاء"[٧].

قال مجاهد:" جعلوا فتنة، قال أبو الأشدّ بن الجمحي: لا يبلغون رتوتي حتى أجهضهم عن جهنم"[٨].

عن الأزرق بن قيس، عن رجل، من بني تميم، قال: كنا عند أبي العوام فقرأ هذه الآية {عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ} [المدثر: ٣٠]، فقال: " ما تقولون: أتسعة عشر ملكا أو تسعة عشر ألف ملك؟ " فقلت أنا: بل تسعة عشر ألفا، قال: «ومن أين علمت ذلك؟» فقلت: لأن الله عز وجل يقول: {وَمَا جَعَلْنَا عِدَّتَهُمْ إِلَّا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا} [المدثر: ٣١] فقال أبو العوام: «صدقت وبيد كل ملك منهم مرزبة من حديد لها شعبتان، فيضرب بها الضربة يهوي بها سبعين ألفا بين منكبي كل ملك منهم مسيرة كذا وكذا»[٩].

قوله تعالى:{لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ} [المدثر : ٣١]، أي:" وليحصل اليقين للذين أُعطوا الكتاب من اليهود والنصارى بأنَّ ما جاء في القرآن عن خزنة جهنم إنما هو حق من الله تعالى، حيث وافق ذلك كتبهم"[١٠].

قال الطبري: يقول:" ليستيقن أهل التوراة والإنجيل حقيقة ما في كتبهم من الخبر عن عدّة خزَنة جهنم، إذ وافق ذلك ما أنزل الله في كتابه على محمد صلى الله عليه وسلم"[١١].

قال الزجاج:" أي: يعلمون أن ما أتى به النبي عليه السلام موَافِقًا لما في كتبهم" [١٢].

قال ابن كثير:" أي : يعلمون أن هذا الرسول حق ؛ فإنه نطق بمطابقة ما بأيديهم من الكتب السماوية المنزلة على الأنبياء قبله"[١].

---

(١) انظر: الروض الأنف للسهيلي :٢٠٠/١.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٨.
(٣) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٤) تفسير الطبري: ٢٩/٢٤.
(٥) معاني القرآن: ٢٤٨/٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٨.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٩/٢٤-٣٠، وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.
(٩) تفسير مجاهد: ٦٨٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(١١) تفسير الطبري: ٣٠/٢٤.
(١٢) معاني القرآن: ٢٤٨/٥.

عن مجاهد، قوله: "{لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}، قال: يجدونه مكتوبا عندهم عدّة خزَنة أهل النار"[٢].

قال الضحاك:" عدّة خزَنة جهنم تسعة عشر في التوراة والإنجيل"[٣].

قال قتادة:" يصدّق القرآن الكتب التي كانت قبله فيها كلها، التوراة والإنجيل أن خزنة النار تسعة عشر"[٤].

قال قتادة:" ليستيقن أهل الكتاب حين وافق عدّة خزَنة النار ما في كتبهم"[٥].

قال ابن عباس:" وإنها في التوراة والإنجيل تسعة عشر، فأراد الله أن يستيقن أهل الكتاب، ويزداد الذين آمنوا إيمانًا"[٦].

وعن ابن زيد، قوله: "{لِيَسْتَيْقِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ}، أنك رسول الله"[٧].

قوله تعالى:{وَيَزْدَادَ الَّذِينَ آمَنُوا إِيمَانًا} [المدثر : ٣١]، أي:" ويزداد المؤمنون تصديقًا بالله ورسوله وعملا بشرعه"[٨].

قال الطبري: يقول: "وليزداد الذين آمنوا بالله تصديقا إلى تصديقهم بالله وبرسوله بتصديقهم بعدّة خزنة جهنم"[٩].

قال الزجاج:" لأنهم كلَّمَا صَدقوا بما يَأتي في كتاب اللَّه عزَّ وجلَّ زاد إيمانهم"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : إلى إيمانهم. بما يشهدون من صدق إخبار نبيهم محمد صلى الله عليه وسلم"[١١].

عن الرّبيع بن سليمان، قال: سمعتُ الشافعي يقول: "الإيمان قول وعمل، يزيد بالطاعة، ويَنقص بالمعصية. ثم تلا هذه الآية: {ويزداد الذين آمنوا إيمانًا} الآية"[١٢].

قوله تعالى:{وَلَا يَرْتَابَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ وَالْمُؤْمِنُونَ} [المدثر : ٣١]، أي:" ولا يشك في ذلك الذين أُعطوا الكتاب من اليهود والنصارى ولا المؤمنون بالله ورسوله"[١٣].

قال الزجاج:" أيْ لَا يَشكون"[١٤].

قال الطبري: " يقول: ولا يشك أهل التوراة والإنجيل في حقيقة ذلك، والمؤمنون بالله من أمة محمد صلى الله عليه وسلم"[١٥].

قوله تعالى:{وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا} [المدثر : ٣١]، أي:" وليقول الذين في قلوبهم نفاق والكافرون: ما الذي أراده الله بهذا العدد المستغرب؟"[١٦].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٨.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٠/٢٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٩) تفسير الطبري: ٣١/٢٤.
(١٠) معاني القرآن: ٢٤٨/٥.
(١١) تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٨.
(١٢)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١١٥.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(١٤) معاني القرآن: ٢٤٨/٥.
(١٥) تفسير الطبري: ٣١/٢٤.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٧٦.

قال الطبري: " وليقول الذين في قلوبهم مرض النفاق، والكافرون بالله من مشركي قريش: {مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا}"[١].

قال ابن كثير:" أي : يقولون : ما الحكمة في ذكر هذا هاهنا ؟"[٢].

عن قتادة: "{وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ}، أي: نفاق"[٣].

قال ابن زيد، في قوله: "{وَلِيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْكَافِرُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلا}، يقول: حتى يخوّفنا بهؤلاء التسعة عشر"[٤].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} [المدثر : ٣١]، أي:" بمثل ذلك الذي ذُكر يضلُّ الله من أراد إضلاله، ويهدي مَن أراد هدايته"[٥].

قال الطبري: يقول:" كما أضل الله هؤلاء المنافقين والمشركين القائلين في خبر الله عن عدّة خزنة جهنم، أيّ شيء أراد الله بهذا الخبر من المثل حتى يخوّفنا بذكر عدتهم، ويهتدي به المؤمنون، فازدادوا بتصديقهم إلى إيمانهم إيمانا {كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ} مِنْ خَلْقِهِ فيخذله عن إصابة الحقّ {وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ} منهم، فيوفقه لإصابة الصواب"[٦].

قال ابن كثير:" أي : من مثل هذا وأشباهه يتأكد الإيمان في قلوب أقوام، ويتزلزل عند آخرين، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة"[٧].

قوله تعالى:{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ} [المدثر : ٣١]، أي:" وما يعلم عدد جنود ربك -ومنهم الملائكة- إلا الله وحده"[٨].

قال الطبري: "{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ} من كثرتهم {إِلا هُوَ}، يعني: الله"[٩].

قال ابن كثير:" أي : ما يعلم عددهم وكثرتهم إلا هو تعالى، لئلا يتوهم متوهم أنهم تسعة عشر فقط، كما قد قاله طائفة من أهل الضلالة والجهالة ومن الفلاسفة اليونانيين. ومن تابعهم من الملتين الذين سمعوا هذه الآية، فأرادوا تنزيلها على العقول العشرة والنفوس التسعة، التي اخترعوا دعواها وعجزوا عن إقامة الدلالة على مقتضاها، فأفهموا صدر هذه الآية وقد كفروا بآخرها، وهو قوله :{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلا هُوَ}"[١٠].

عن قتادة: "{وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إلا هُوَ}، أي: من كثرتهم"[١١].

قال عطاء:" يعني: من الملائكة الذين خَلَقهم لتعذيب أهل النار، لا يَعلم عِدّتهم إلا الله"[١٢].

قال الزمخشري:" فلا يعز عليه تتميم الخزنة عشرين، ولكن له في هذا العدد الخاص حكمة لا تعلمونها وهو يعلمها"[١٣].

قال السعدي:" فإذا كنتم جاهلين بجنوده، وأخبركم بها العليم الخبير، فعليكم أن تصدقوا خبره، من غير شك ولا ارتياب"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٣١/٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٦٩/٨.
(٣) أخرجه الطبري: ٣١/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٣١/٢٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٦) تفسير الطبري: ٣١/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٩) تفسير الطبري: ٣١/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٧٠/٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٣١/٢٤.
(١٢)تفسير البغوي ٨/ ٢٧١.
(١٣) الكشاف: ٦٥٣/٤.
(١٤) تفسير السعدي: ٨٩٦.

وقد ثبت في حديث الإسراء المروي في الصحيحين وغيرهما. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال في صفة البيت المعمور الذي في السماء السابعة : «فإذا هو يدخله في كل يوم سبعون ألف ملك، لا يعودون إليه آخر ما عليهم»[١].

عن أبي ذر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إني أرى ما لا ترون، وأسمع ما لا تسمعون، أطت السماء وحُقَّ لها أن تَئط، ما فيها موضع أصابع إلا عليه ملك ساجد، لو علمتم ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرًا، ولا تَلَذّذتم بالنساء على الفُرُشات، ولخرجتم إلى الصعدات تجأرون إلى الله عز وجل". فقال أبو ذر : والله لوددتُ أني شجرة تُعضد"[٢].

عن جابر بن عبد الله قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما في السموات السبع موضع قدم ولا شبر ولا كف إلا وفيه ملك قائم، أو ملك ساجد، أو ملك راكع، فإذا كان يوم القيامة قالوا جميعا : سبحانك! ما عبدناك حَقَّ عبادتك، إلا أنا لم نشرك بك شيئًا"[٣].

عن حكيم بن حزام قال : بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم مع أصحابه إذ قال لهم : "هل تسمعون ما أسمع ؟" قالوا : ما نسمع من شيء. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أسمع أطيط السماء وما تلام أن تَئطّ، ما فيها موضع شبر إلا وعليه ملك راكع أو ساجد"[٤].

عن عائشة أنها قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما في السماء الدنيا موضع قدم إلا وعليه ملك ساجد أو قائم، وذلك قول الملائكة :{وَمَا مِنَّا إِلا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُّونَ وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ} [الصافات : ١٦٤ - ١٦٦]"[٥].

عن عبد الله بن عمر : أن عمر جاء والصلاة قائمة، ونفر ثلاثة جلوس، أحدهم أبو جحش الليثي، فقال : قوموا فصلوا مع رسول الله. فقام اثنان وأبى أبو جحش أن يقوم، وقال : لا أقوم حتى يأتي رجل هو أقوى مني ذراعين، وأشد مني بطشًا فيصرعني، ثم يَدس وجهي في التراب. قال عمر : فصرعته ودسست وجهه في التراب، فأتى عثمان بن عفان فحجزني عنه، فخرج عمر مغضبا حتى انتهى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : "ما رَأيَكَ يا أبا حفص ؟". فذكر له ما كان منه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن رضى عمر رحمةٌ، والله لوددْتُ أنك جئتني برأس الخبيث"، فقام عمر يُوجّهُ نحوه، فلما أبعد ناداه فقال : "اجلس حتى أخبرك بغنى الرب عز وجل عن صلاة أبي جحش، إن لله في السماء الدنيا ملائكة خشوعًا لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة. فإذا قامت رفعوا رءوسهم ثم قالوا : ربنا، ما عبدناك حق عبادتك، وإن لله في السماء الثانية ملائكة سجودًا لا يرفعون رءوسهم حتى تقوم الساعة فإذا قامت الساعة رفعوا رءوسهم، وقالوا : سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك" فقال له عمر : وما يقولون يا رسول الله ؟ فقال : " أما أهل السماء الدنيا فيقولون : سبحان ذي الملك والملكوت. وأما أهل السماء الثانية فيقولون : سبحان ذي العزة والجبروت. وأما أهل السماء الثالثة فيقولون : سبحان الحي الذي لا يموت. فقلها يا عمر في صلاتك". فقال عمر : يا رسول الله، فكيف بالذي كنت علمتني وأمرتني أن أقوله في صلاتي ؟ فقال : "قل هذا مرة وهذا مرة". وكان الذي أمره به أن يقول : "أعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ برضاك من سخَطك، وأعوذ بك منك، جل وجهك"[٦].

---

(١)هذا جزء من حديث أنس الطويل في الإسراء، وهو في صحيح البخاري برقم (٧٥١٧)، وصحيح مسلم برقم (١٦٢). وهذا القدر قد وقع لمسلم من هذا الوجه.

(٢)المسند (١٧٣/٥)، وسنن الترمذي برقم (٢٣١٢)، وسنن ابن ماجة برقم (٤١٩٠).

(٣)المعجم الكبير للطبراني (١٨٤/٢)، وقال الهيثمي في المجمع (٥٢/١) : "وفيه عروة بن مروان". قال الدارقطني : ليس بالقوى.

(٤)تعظيم قدر الصلاة للمروزي برقم (٢٤٨).

(٥)تعظيم قدر الصلاة للمروزي برقم (٢٥٣). قال ابن كثير:٢٧١/٨:" هذا مرفوع غريب جدا".

(٦)تعظيم قدر الصلاة للمروزي برقم (٢٥٦)، ورواه الحاكم في المستدرك (٨٧/٣) من طريق إسحاق الفروي به، وقال : "حديث صحيح الإسناد على شريط البخاري ولم يخرجاه"، وتعقبه الذهبي. قلت : "منكر غريب، وما

عباد بن منصور قال : سمعت عدي بن أرطاة وهو يخطبنا على منبر المدائن قال : سمعت رجلا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن لله تعالى ملائكة تُرعَد فرائصهم من خيفته، ما منهم ملك تقطر منه دمعة من عينه إلا وقعت على ملك يصلي، وإن منهم ملائكة سجودًا منذ خلق الله السماوات والأرض لم يرفعوا رءوسهم ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، وإن منهم ملائكة ركوعًا لم يرفعوا رءوسهم منذ خلق الله السماوات والأرض ولا يرفعونها إلى يوم القيامة، فإذا رفعوا رءوسهم نظروا إلى وجه الله عز وجل، قالوا : سبحانك! ما عبدناك حق عبادتك"(١).

عن الحسن: "أنّ سائلًا سأل رسول الله عن خَلْق الملائكة: مِن أي شيء خُلقت؟ فقال: «من نور الحُجُب السبعين التي تَلي الرّبّ؛ كلّ حجاب منها مسيرة خمسمائة عام، فليس مَلَك إلا وهو يَدخل في نهر الحياة، فيَغتسل، فيكون مِن كلّ قطرة من ذلك الماء مَلَك، فلا يُحصي أحد ما يكون في يوم واحد». فهو قوله: {وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ}"(٢).

قوله تعالى:{وَمَا هِيَ إِلَّا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ} [المدثر : ٣١]، أي:" وما النار إلا تذكرة وموعظة للناس"(٣).

قال الطبري: يقول: "وما النار التي وصفتها إلا تذكرة ذكر بها البشر، وهم بنو آدم"(٤).

قال السعدي:" أي: وما هذه الموعظة والتذكار مقصودا به العبث واللعب، وإنما المقصود به أن يتذكر به البشر ما ينفعهم فيفعلونه، وما يضرهم فيتركونه"(٥).

عن مجاهد، وقتادة، قوله: "{وَمَا هِيَ إِلا ذِكْرَى لِلْبَشَرِ}، يعني: النار"(٦).

قال الزجاج:" جاء في التفسير أن النار في الدنيا تذكر بالنار في الآخرة" (٧).

لقرآن

{كَلَّا وَالْقَمَرِ (٣٢) وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ (٣٣) وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ (٣٤) إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ (٣٥) نَذِيرًا لِلْبَشَرِ (٣٦) لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ (٣٧)} [المدثر : ٣٢-٣٧]

التفسير:

ليس الأمر كما ذكروا من التكذيب للرسول فيما جاء به، أقسم الله سبحانه بالقمر، وبالليل إذ ولى وذهب، وبالصبح إذا أضاء وانكشف. إن النار لإحدى العظائم؛ إنذارًا وتخويفًا للناس، لمن أراد منكم أن يتقرَّب إلى ربه بفعل الطاعات، أو يتأخر بفعل المعاصي.

قوله تعالى:{كَلَّا وَالْقَمَرِ} [المدثر : ٣٢]، أي:" ليس الأمر كما ذكروا من التكذيب للرسول فيما جاء به، أقسم الله سبحانه بالقمر"(٨).

هو على شرط البخاري، وفيه عبد الملك بن قدامة الجحمي ضعيف، تفرد به".

وعلّق عليه ابن كثير٢٧٢/٨ قائلا:" وهذا حديث غريب جدا، بل منكر نكارة شديدة، وإسحاق الفروي روى عنه البخاري، وذكره ابن حبان في الثقات، وضعفه أبو داود والنسائي والعقيلي والدارقطني. وقال أبو حاتم الرازي : كان صدوقا إلا أنه ذهب بصره فربما لقن، وكتبه صحيحة. وقال مرة : هو مضطرب، وشيخه عبد الملك بن قدامة أبو قتادة الجمحي : تكلم فيه أيضا. والعجب من الإمام محمد بن نصر كيف رواه ولم يتكلم عليه، ولا عَرَّف بحاله، ولا تعرض لضعف بعض رجاله ؟! غير أنه رواه من وجه آخر عن سعيد بن جبير مرسلا بنحوه. ومن طريق أخرى عن الحسن البصري مرسلا قريبًا منه..".

(١)تعظيم قدر الصلاة للمروزي برقم (٢٦٠). قال ابن كثير٢٧٢/٨:" هذا إسناد لا بأس به".

(٢)أخرجه يحيى بن سلام ٢/ ٧٧٥ مرسلًا. وينظر: تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٥٩ - ٦٠.

(٣) التفسير الميسر: ٥٧٦.

(٤) تفسير الطبري: ٣١/٢٤.

(٥) تفسير السعدي: ٨٩٦.

(٦) أخرجه الطبري: ٣١/٢٤، ٣٢.

(٧) معاني القرآن: ٢٤٨/٥.

(٨) التفسير الميسر: ٥٧٦.

قال الطبري: يقول:" ليس القول كما يقول من زعم أنه يكفي أصحابَهُ المشركين خزنةُ جهنم حتى يجهضهم عنها، ثم أقسم ربنا تعالى فقال: {وَالْقَمَرِ..}"[1].
قوله تعالى:{وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ} [المدثر : ٣٣]، أي:" وبالليل إذ ولى وذهب"[2].
قال الطبري: " يقول: والليل إذ ولَّى ذاهبا"[3].
عن قتادة: "{وَاللَّيْلِ إِذْ أَدْبَرَ}: إذ ولَّى"[4].
وقال ابن عباس:" دبوره: إظلامه"[5].
وقرئ: «إذا دَبَر»[6].
قوله تعالى:{وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ} [المدثر : ٣٤]، أي:" وبالصبح إذا أضاء وانكشف"[7].
قال الطبري: "والصبح إذا أضاء"[8].
قال ابن كثير:" أي : أشرق"[9].
عن قتادة: "{وَالصُّبْحِ إِذَا أَسْفَرَ}: إذا أضاء وأقبل"[10].
قوله تعالى:{إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ} [المدثر : ٣٥]، أي:" إن النار لإحدى العظائم"[11].
قال الطبري: يقول:" إن جهنم لإحدى الأمور العظام"[12].
قال ابن كثير:" أي : العظائم، يعني : النار"[13].
قال الزجاج:" هذه «الهاء» كناية عَن «النَّار»، أي: إنَّها لكبيرة في حَال الِإنذار"[14].
عن ابن عباس، ومجاهد، والضحاك، وأبي رزين: "{إِنَّهَا لَإِحْدَى الْكُبَرِ}، يعني: جهنم"[15].
قال قتادة:" هي النار"[16].
قال ابن زيد:" هذه النار"[17].
قوله تعالى:{نَذِيرًا لِلْبَشَرِ} [المدثر : ٣٦]، أي:" إنذارًا وتخويفًا للناس"[18].
قال الطبري: يقول:" إن النار لإحدى الكبر، نذيرا لبنى آدم"[19].
قال الحسن: "والله ما أُنذر الناسُ بشيء أدهى منها، أو بداهية هي أدهى منها"[20].
وروي عن أبي رزين، قوله:" {نَذِيرًا لِلْبَشَرِ}، يقول الله: أنا لكم منها نذير فاتقوها"[21].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٢/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٣) تفسير الطبري: ٣٢/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٢/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٢/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري ٣٢/٢٤، ومعاني القرآن للزجاج: ٢٤٨/٥، وقال:" وكلاهما جَيِّدٌ في العربية".
(٧) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٨) تفسير الطبري: ٣٢/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣٢/٢٤.
(١١) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(١٢) تفسير الطبري: ٣٣/٢٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(١٤) معاني القرآن: ٢٤٩/٥.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٣٣/٢٤.
(١٨) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(١٩) تفسير الطبري: ٣٣/٢٤.
(٢٠) اخرجه الطبري: ٣٤/٢٤.
(٢١) اخرجه الطبري: ٣٤/٢٤.

وروي عن ابن زيد، في قوله: "{نَذِيرًا لِلْبَشَرِ}، قال: الخلق. قال: بنو آدم، البشر. فقيل له: محمد النذير؟ قال: نعم ينذرهم"[١].

قوله تعالى:{لِمَنْ شَاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ} [المدثر : ٣٧]، أي:" لمن أراد منكم أن يتقرَّب إلى ربه بفعل الطاعات، أو يتأخر بفعل المعاصي"[٢].

قال الطبري: يقول:" نذيرًا للبشر لمن شاء منكم أيها الناس أن يتقدّم في طاعة الله، أو يتأخر في معصية الله"[٣].

قال الزجاج:" أي: أن يتقدم فيما أمر به أو يتأخر، فقد أنذرتم"[٤].

قال ابن كثير:" أي : لمن شاء أن يقبل النّذارة ويهتدي للحق، أو يتأخر عنها ويولي ويردها"[٥].

قال ابن عباس:" من شاء اتبع طاعة الله، ومن شاء تأخر عنها"[٦].

قال قتادة:" يتقدّم في طاعة الله، أو يتأخر في معصيته"[٧].

فوائد الآيات: [٣١-٣٧]:

١- بيان الحكمة من جعل عدد الزبانية تسعة عشر والإخبار عنهم بذلك.

٢- موافقة التوراة والإنجيل للقرآن من شأنها أن تزيد إيمان المؤمنين من الفريقين.

٣- في النار من الزبانية ما لا يعلم عددهم إلا الله تعالى خالقهم.

٤- جهنم نذير للبشر أي عذابها نذير للبشر لمن شاء أن يتقدم بالطاعة أو يتأخر بالمعصية.

القرآن

{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ (٣٨) إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ (٣٩) فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ (٤٤) وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ (٤٥) وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ (٤٦) حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ (٤٧)} [المدثر : ٣٨-٤٧]

التفسير:

كل نفس بما كسبت من أعمال الشر والسوء محبوسة مرهونة بكسبها، لا تُفَكُّ حتى تؤدي ما عليها من الحقوق والعقوبات، إلا المسلمين المخلصين أصحاب اليمين الذين فكُّوا رقابهم بالطاعة، هم في جنات لا يُدْرَك وصفها، يسأل بعضهم بعضًا عن الكافرين الذين أجرموا في حق أنفسهم: ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون سعيرها؟ قال المجرمون: لم نكن من المصلِّين في الدنيا، ولم نكن نتصدق ونحسن إلى الفقراء والمساكين، وكنا نتحدث بالباطل مع أهل الغَواية والضلالة، وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء، حتى جاءنا الموت، ونحن في تلك الضلالات والمنكرات.

قوله تعالى:{كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ} [المدثر : ٣٨]، أي:" كل نفس بما كسبت من أعمال الشر والسوء محبوسة مرهونة بكسبها، لا تُفَكُّ حتى تؤدي ما عليها من الحقوق والعقوبات"[٨].

---

(١) اخرجه الطبري: ٣٤/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٣) تفسير الطبري: ٣٤/٢٤.
(٤) معاني القرآن: ٢٤٩/٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٤/٢٤-٣٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٦.

قال الطبري: يقول:" كلّ نفس مأمورة منهية بما عملت من معصية الله في الدنيا، رهينة في جهنم"[١].

قال ابن كثير:" أي : معتقلة بعملها يوم القيامة"[٢].

قال السعدي:" من أعمال السوء وأفعال الشر {رَهِينَةٌ} بها موثقة بسعيها، قد ألزم عنقها، وغل في رقبتها، واستوجبت به العذاب"[٣].

قال ابن عباس:" يقول: مأخوذة بعملها"[٤].

قال الزجاج:" وكل نفس رَهِينة بِعَمَلِهَا إما خَلَّصَهَا وإما أوبَقَها. والتخليص مع عملها بتفضل اللَّه"[٥].

قوله تعالى:{إِلَّا أَصْحَابَ الْيَمِينِ} [المدثر : ٣٩]، أي:" إلا المسلمين المخلصين أصحاب اليمين الذين فكُّوا رقابهم بالطاعة"[٦].

قال الطبري: فإنهم غير مرتهنين"[٧].

قال السعدي:" فإنهم لم يرتهنوا"[٨].

قال مجاهد:" لا يحاسبون"[٩].

قال قتادة:" علَّق الناس كلهم إلا أصحاب اليمين"[١٠].

قال الضحاك:" كل نفس سبقت له كلمة العذاب يرتهنه الله في النار، لا يرتهن الله أحدا من أهل الجنة، ألم تسمع أنه قال: {كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ إِلا أَصْحَابَ الْيَمِينِ}- يقول: ليسوا رهينة {فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ}"[١١].

قال ابن زيد:" أصحابَ اليمين لا يرتهنون بذنوبهم، ولكن يغفرها الله لهم، وقرأ قول الله: {إِلا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ}، قال: لا يؤاخذهم الله بسيئ أعمالهم، ولكن يغفرها الله لهم، ويتجاوز عنهم كما وعدهم"[١٢].

قال ابن عباس:" إن كان أحدهم سبقت له كلمة العذاب جُعلَ منزله في النار يكون فيها رهنا، وليس يرتهن أحد من أهل الجنة هم في جنات يتساءلون"[١٣].

واختلف أهل التفسير في «أصحاب اليمين»، الذين ذكرهم الله في هذا الموضع، على قولين:

أحدهما: أنهم الملائكة. قاله ابن عباس[١٤].

الثاني: أنهم أطفال المسلمين. قاله علي-رضي الله عنه-[١٥].

قال علي-رضي الله عنه-:" أولاد المسلمين"[١]، وفي رواية:" هم أطفال المسلمين"[٢]، وفي رواية:" هم الولدان"[٣].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٥/٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(٣) تفسير السعدي: ٨٩٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٤.
(٥) معاني القرآن: ٢٤٩/٥.
(٦) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٧) تفسير الطبري: ٣٥/٢٤.
(٨) تفسير السعدي: ٨٩٨.
(٩) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٣٥/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٣٧/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٣٦/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٤٥):ص٣٣٨٥/١٠.

قال الزجاج:" قيل أصحابُ اليمين الأطْفَالُ لأنهم لا يسألون، تفضل اللّه عليهم بأن أعطاهم الجنَّة"[٤].

وقال الحسن: "{إلّا أصْحابَ اليَمِين} هم المسلمون المُخلصون"[٥].

وقال الحسن:" هم الذين كانوا ميامين على أنفسهم[٦].

قال الطبري:" وإنما قال من قال: أصحاب اليمين في هذا الموضع: هم الولدان وأطفال المسلمين؛ ومن قال: هم الملائكة، لأن هؤلاء لم يكن لهم ذنوب، وقالوا: لم يكونوا ليسألوا المجرمين {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ}، إلا إنهم لم يقترفوا في الدنيا مآثم، ولو كانوا اقترفوها وعرفوها لم يكونوا ليسألوهم عما سلكهم في سقر، لأن كلّ من دخل من بني آدم ممن بلغ حدّ التكليف، ولزمه فرض الأمر والنهي، قد علم أن أحدا لا يعاقب إلا على المعصية"[٧].

قوله تعالى:{فِي جَنَّاتٍ يَتَسَاءَلُونَ (٤٠) عَنِ الْمُجْرِمِينَ (٤١) مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢)} [المدثر : ٤٠-٤٢]، أي:" هم في جنات لا يُدْرَك وصفها، يسأل بعضهم بعضًا عن الكافرين الذين أجرموا في حق أنفسهم: ما الذي أدخلكم جهنم، وجعلكم تذوقون سعيرها؟"[٨].

قال الطبري: يقول: " أصحاب اليمين في بساتين يتساءلون عن المجرمين الذين سلكوا في سقر، أيّ شيء سلككم في سقر؟"[٩].

قال ابن كثير:" أي : يسألون المجرمين وهم في الغرفات وأولئك في الدركات قائلين لهم :

{مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ}"[١٠].

قال السعدي:" أي: في جنات قد حصل لهم بها جميع مطلوباتهم، وتمت لهم الراحة والطمأنينة، حتى أقبلوا يتساءلون، فأفضت بهم المحادثة، أن سألوا عن المجرمين، أي: حال وصلوا إليها، وهل وجدوا ما وعدهم الله تعالى؟ فقال بعضهم لبعض: " هل أنتم مطلعون عليهم " فاطلعوا عليهم في وسط الجحيم يعذبون، فقالوا لهم: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ}، أي: أي شيء أدخلكم فيها؟ وبأي: ذنب استحققتموها؟"[١١].

عن عمرو بن دينار قال: "سمعت عبد الله بن الزبير يقرأ :«في جنات يتساءلون عن المجرمين يا فلان ما سلككم في سقر»، قال عمرو: وأخبرني لقيط قال: سمعت ابن الزبير قال: سمعت عمر بن الخطاب يقرؤها كذلك"[١٢].

عن معونة بن قُرّة -من طريق سلام- قال: "ما يَسُرّني بهذه الآية الدنيا وما فيها؛ قوله -عز وجل -: {ما سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ}، ألا ترى أنه ليس فيهم خير"[١٣].

قوله تعالى:{قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} [المدثر : ٤٣]، أي:" قال المجرمون: لم نكن من المصلّين في الدنيا"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٠٤٥):ص٣٣٨٥/١٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٦/٢٤.
(٤) معاني القرآن: ٢٤٩/٥.
(٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٧، وتفسير البغوي ٨/ ٢٧٣.
(٦)تفسير الثعلبي ١٠/ ٧٧، وتفسير البغوي ٨/ ٢٧٣، وعزاه إلى مقاتل.
(٧) تفسير الطبري: ٣٧/٢٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٩) تفسير الطبري: ٣٧/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(١١) تفسير السعدي: ٨٩٨.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٤٦):ص٣٣٨٥/١٠.
(١٣)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب حسن الظن بالله -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ١/ ١٢٤ (١٤٩) -.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٧٦.

قال الطبري: " قال المجرمون لهم: لم نك في الدنيا من المصلين لله"[١].
قال ابن كثير:" أي : ما عبدنا ربنا"[٢].
قال السعدي: أي:" فلا إخلاص لهم للمعبود"[٣].
قوله تعالى:{وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ} [المدثر : ٤٤]، أي:" ولم نكن نتصدق ونحسن إلى الفقراء والمساكين"[٤].
قال السعدي:" ولا نفع لهم للخلق المحتاجين"[٥].
قال الطبري: "بخلا بما خوّلهم الله، ومنعا له من حقه"[٦].
قال ابن كثير: أي:" ولا أحسنا إلى خلقه من جنسنا"[٧].
قوله تعالى:{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ} [المدثر : ٤٥]، أي:" وكنا نتحدث بالباطل مع أهل الغَواية والضلالة"[٨].
قال الطبري:"يقول: وكنا نخوض في الباطل وفيما يكرهه الله مع من يخوض فيه"[٩].
قال الزجاج:" أي: نَتَّبعُ الغاوِينَ"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : نتكلم فيما لا نعلم"[١١].
قال القشيري: أي:" نشرع في الباطل، ونكذّب بيوم الدين"[١٢].
قال السعدي:" أي: نخوض بالباطل، ونجادل به الحق"[١٣].
عن قتادة: "{وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ}، قال: كلما غوى غاوٍ غوى معه"[١٤].
قال قتادة:" يقولون: كلما غوى غاو غوينا معه"[١٥].
قال الزمخشري:" الخوض: الشروع في الباطل وما لا ينبغي"[١٦].
قوله تعالى:{وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المدثر : ٤٦]، أي:" وكنا نكذب بيوم الحساب والجزاء"[١٧].
قال الطبري: "قالوا: وكنا نكذّب بيوم المجازاة والثواب والعذاب، ولا نصدّق بثواب ولا عقاب ولا حساب"[١٨].
قال السعدي:" هذا آثار الخوض بالباطل، وهو التكذيب بالحق، ومن أحق الحق، يوم الدين، الذي هو محل الجزاء على الأعمال، وظهور ملك الله وحكمه العدل لسائر الخلق"[١٩].

---

(١) تفسير الطبري: ٣٧/٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(٣) تفسير السعدي: ٨٩٨.
(٤) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٥) تفسير السعدي: ٨٩٨.
(٦) تفسير الطبري: ٣٧/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٩) تفسير الطبري: ٣٧/٢٤.
(١٠) معاني القرآن: ٢٤٩/٥.
(١١) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(١٢) لطائف الإشارات: ٦٥٢/٣.
(١٣) تفسير السعدي: ٨٩٨.
(١٤) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٣٧/٢٤.
(١٦) الكشاف: ٦٥٥/٤.
(١٧) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(١٨) تفسير الطبري: ٣٧/٢٤.
(١٩) تفسير السعدي: ٨٩٨.

قوله تعالى:{حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ} [المدثر : ٤٧]، أي:" حتى جاءنا الموت، ونحن في تلك الضلالات والمنكرات"[١].

قال الطبري: " يقول: قالوا: حتى أتانا الموت الموقن به"[٢].

قال ابن كثير:" يعني : الموت. كقوله :{وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ} [الحجر : ٩٩] وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «أما هو - يعني عثمان بن مظعون - فقد جاءه اليقين من ربه»[٣]"[٤].

قال السعدي:" فاستمرينا على هذا المذهب الفاسد {حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ} أي: الموت، فلما ماتوا على الكفر تعذرت حينئذ عليهم الحيل، وانسد في وجوههم باب الأمل"[٥].

قال الزمخشري:" الْيَقِينُ: الموت ومقدماته"[٦].

عن ابن عباس: :{حَتَّى أَتَانَا الْيَقِينُ}، قال: الموت"[٧].

عن سالم بن عبد الله بن عمر، في قوله تعالى: {حَتّى أتانا اليَقِينُ}، قال: اليقين: الموت"[٨].

وقال القشيري:" هو معاينة القيامة"[٩].

القرآن

{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ (٤٨)} [المدثر : ٤٨]

التفسير:

فما تنفعهم شفاعة الشافعين جميعًا من الملائكة والنبيين وغيرهم; لأن الشفاعة إنما تكون لمن ارتضاه الله، وأذن لشفيعه أن يشفع له.

قال الطبري: " يقول: فما يشفع لهم الذين شفعهم الله في أهل الذنوب من أهل التوحيد، فتنفعهم شفاعتهم، وفي هذه الآية دلالة واضحة على أن الله تعالى ذكره مشفع بعض خلقه في بعض"[١٠].

قال الزجاج:" يعني: الكفار وفي هذا دليل أن المؤمنين تنفعهم شفاعة بعضهم لِبَعْض"[١١].

قال ابن كثير:" أي : من كان متصفا بهذه الصفات فإنه لا تنفعه يوم القيامة شفاعة شافع فيه ؛ لأن الشفاعة إنما تنجع إذا كان المحل قابلا فأما من وافى الله كافرا يوم القيامة فإنه له النار لا محالة، خالدا فيها"[١٢].

قال السعدي:" لأنهم لا يشفعون إلا لمن ارتضى، وهؤلاء لا يرضى الله أعمالهم"[١٣].

عن قتادة: "{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}، قال: تعلمن أن الله يشفع بعضهم في بعض"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٦.
(٢) تفسير الطبري: ٣٧/٢٤.
(٣)رواه البخاري في صحيحه برقم (١٢٤٣) من حديث أم العلاء رضي الله عنها.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(٥) تفسير السعدي: ٨٩٨.
(٦) الكشاف: ٦٥٥/٤.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٤٧):ص٣٣٨٥/١٠.
(٨)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٩) لطائف الإشارات: ٦٥٢/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٣٧/٢٤.
(١١) معاني القرآن: ٢٤٩/٥.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(١٣) تفسير السعدي: ٨٩٨.

عن قتادة: "{فَمَا تَنْفَعُهُمْ شَفَاعَةُ الشَّافِعِينَ}، تعلمن أن الله يشفع المؤمنين يوم القيامة. ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " إنَّ مِنْ أُمَّتِي رَجُلا يُدْخِلُ اللهُ بِشَفاعَتِهِ الجَنَّةَ أكْثَرَ مِنْ بَنِي تَمِيم"[٢].

قال الحسن: "أكثر من ربيعة ومضر، كنا نحدَّث أن الشهيد يشفع في سبعين من أهل بيته"[٣].

عن أبي قلابة، قال: "يدخل الله بشفاعة رجل من هذه الأمة الجنة مثل بني تميم، أو قال: أكثر من بني تميم، وقال الحسن: مثل ربيعة ومضر"[٤].

عن أنس بن مالك: "إن الرجل ليشفع للرجلين والثلاثة والرجل"[٥].

عن عبد الله -في قصة ذكرها في الشفاعة-، قال: "ثم تشفع الملائكة والنبيون والشهداء والصالحون والمؤمنون، ويشفعهم الله فيقول: أنا أرحم الراحمين، فيخرج من النار أكثر مما أخرج من جميع الخلق من النار، ثم يقول: أنا أرحم الراحمين، ثم قرأ عبد الله يأيها الكفار {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}، وعقد بيده أربعا، ثم قال: هل ترون في هؤلاء من خير، ألا ما يُترك فيها أحد فيه خير"[٦].

قال عبد الله: "لا يبقى في النار إلا أربعة، أو ذو الأربعة - الشك من أبي جعفر الطبري - ثم يتلو: {مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ}"[٧].

القرآن

{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ (٤٩) كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١)} [المدثر : ٤٩-٥١]

التفسير:

فما لهؤلاء المشركين عن القرآن وما فيه من المواعظ منصرفين؟ كأنهم حمر وحشية شديدة النِّفار، فرَّت من أسد كاسر.

قوله تعالى:{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ} [المدثر : ٤٩]، أي:" فما لهؤلاء المشركين عن القرآن وما فيه من المواعظ منصرفين؟"[٨].

قال الطبري:" يقول: فما لهؤلاء المشركين عن تذكرة الله إياهم بهذا القرآن معرضين، لا يستمعون لها فيتعظوا ويعتبروا"[٩].

قال ابن كثير:" أي : فما لهؤلاء الكفرة الذين قبلك مما تدعوهم إليه وتذكرهم به معرضين"[١٠].

قال السعدي:" أي: صادين غافلين عنها"[١١].

عن قتادة: "{فَمَا لَهُمْ عَنِ التَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ}، أي: عن هذا القرآن"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٣٨/٢٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٩) تفسير الطبري: ٣٨/٢٤-٣٩.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(١١) تفسير السعدي: ٨٩٨.

قوله تعالى:{كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ (٥٠) فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ (٥١)} [المدثر : ٥٠-٥١]، أي:" كأنهم حمر وحشية شديدة النِّفار، فرَّت من أسد كاسر"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فما لهؤلاء المشركين بالله عن التذكرة معرضين، مولِّين عنها تولية الحُمُر المستنفرة {فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}"[٣].

قال ابن كثير:" أي : كأنهم في نفارهم عن الحق، وإعراضهم عنه حُمُر من حمر الوحش إذا فرت ممن يريد صيدها من أسد، أو : رام"[٤].

واختلف أهل التفسير في معنى «القسورة»، على أقوال:

أحدها: يعني: الرماة. قاله أبو موسى الأشعري [٥]، وابن عباس-في رواية عطاء عنه-[٦]، وأبو موسى[٧]، ومجاهد[٨]، وعكرمة[٩]، ومقاتل[١٠]، وحكاه ابن كثير عن الجمهور[١١].

عن قتادة: "{فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}، قال: قسورة النبل"[١٢].

قال قتادة:" هم الرماة القناص"[١٣].

وقال قتادة:" النبل"[١٤].

قال مجاهد:" عصبَة قناص من الرماة"[١٥].

قال عكرمة:" القسورة: الرماة، فقال رجل لعكرمة: هو الأسد بلسان الحبشة، فقال عكرمة: اسم الأسد بلسان الحبشة عنبسة"[١٦].

قال السعدي:" {كَأَنَّهُمْ} في نفرتهم الشديدة منها {حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ} أي: كأنهم حمر وحش نفرت فنفر بعضها بعضا، فزاد عدوها، {فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ} أي: من صائد ورام يريدها، وهذا من أعظم ما يكون من النفور عن الحق"[١٧].

الثاني: يعني: رجال القَنْص. قاله ابن عباس-أيضا-[١٨]، وسعيد بن جبير[١٩].

وقال ابن عباس:" القسورة: الرجال الرماة، رجال القنص"[٢٠].

الثالث: هي عصب الرجال. رواه أبو حمزة عن ابن عباس[٢١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٣٩/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٣) تفسير الطبري: ٣٩/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٧٣/٨.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٤٨):ص٣٣٨٥/١٠. قال:" هم الرماة رجال القنص".
وحكي السمعاني عنه قال:" هم النقابون". [تفسير السمعاني: ٩٩/٦]
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٣٩/٢٤-٤٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٠/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٠/٤.
(١١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٨.
(١٢) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٤-٤١.
(١٣) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٤.
(١٤) أخرجه عبدالرزاق في "التفسير"(٣٤٠): ص/٣٦٦.
(١٥) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٤٠/٢٤.
(١٧) تفسير السعدي: ٨٩٨.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٤١/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٤١/٢٤.
(٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٤٩):ص٣٣٨٥/١٠.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٤١/٢٤.

عن أبي حمزة، قال: "سألت ابن عباس عن «القسورة»، فقال: ما أعلمه بلغة أحد من العرب: الأسد، هي عصب الرجال"[١].

وعن عباس بن عبد الرحمن مولى بني هاشم، قال: "سئل ابن عباس عن القسورة، قال: جمع الرجال، ألم تسمع ما قالت فلانة في الجاهلية:

يا بِنْتَ لُؤَيّ خَيْرَةً لخَيْرَه ... أحْوَالُهُا في الحَيّ مِثْلُ القَسْوَرَه"[٢].

قال الثعلبي:" وقال زيد بن أسلم: أي: من رجال أقوياء، وكلّ ضخم شديد عند العرب فهو: قسور وقسورة. قال لبيد[٣]:

إذا ما هتفنا هتفة في ندينا ... أتانا الرجال العائذون القساور"[٤].

الرابع: أنها أصوات الرجال.- رواه عطاء عن ابن عباس-أيضا-[٥]، وبه قال أبو متوكل[٦].

عن ابن عباس: "{فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}، قال: «ركز الناس أصواتهم»، قال أبو كريب، قال سفيان: {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا}"[٧].

قال أبو المتوكّل:" هو لغط القوم"[٨].

وروي عن ابن عباس، قال:" من حبال الصيادين"[٩].

الخامس: ظلمة الليل. قاله عكرمة[١٠].

قال الثعلبي:" وقيل: هي سواد أول الليل ولا يقال لسواد آخر الليل: قسورة"[١١].

السادس : أنه الأسد. قاله أبو هريرة[١٢]، وزيد بن أسلم[١٣]، وابنه عبدالرحمن[١٤]، وهو مروي عن ابن عباس-أيضا-[١٥]، وبه قال الزجاج[١٦].

عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: "{فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}، يقول: الأسد"[١٧].

عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس، أنه سُئل عن قوله: "{فَرَّتْ مِنْ قَسْوَرَةٍ}، قال: هو بالعربية: الأسد، وبالفارسية: شار-وفي رواية: «شير»-[١٨]، وبالنبطية: أريا-وفي رواية« أويا »-[١٩]، وبالحبشية: قسورة"[٢٠].

قال يحيى بن سلام:" «قسورة»: من أسماء الأسد بلغة قريش"[٢١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤١/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٤١/٢٤.
(٣) وانظر: المحرر الوجيز: ٣٩٩/٥، وتفسير القرطبي: ٨٩/١٩، والبحر المحيط: ٣٢٤/١٠واللباب: ٥٥٨/١٠. وفي تلك المصادر«العانِدون» بدلا من« العائذون».
(٤) الكشف والبيان: ٧٩/١٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢٤.
(٦) انظر: الكشف والبيان: ٧٩/١٠.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٢/٢٤.
(٨) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٧٩/١٠.
(٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان":٧٩/١٠ .
(١٠) نقلا عن "الكشف والبيان":٧٩/١٠، والكشاف: ٦٥٦/٤.
(١١) الكشف والبيان: ٧٩/١٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٣/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٢/٢٤.
(١٦) انظر: معاني القرآن: ٢٥٠/٥.
(١٧) أخرجه الطبري: ٤٢/٢٤.
(١٨) كما في تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٨. وهو الصحيح. لأن الأسد بالفارسية والكردية:«شير».
(١٩) كما في تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٨.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٤٢/٢٤.
(٢١)لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٢. [مرقم آليا غير موافق للمطبوع]

قال أبو عبيدة: "هو الأسد"[١].
قال ابن قتيبة:" وكأنه من "القسر" وهو: القهر. والأسد يقهر السباع"[٢].
قال الثعلبي:" وقيل: هو فعولة من القسر وهو القهر، سمي بذلك لأنه يقهر السباع كلها"[٣].
قال الزمخشري:" شبههم في إعراضهم عن القرآن واستماع الذكر والموعظة وشرادهم عنه، بحمر جدت في نفارها مما أفزعها. وفي تشبيههم بالحمر: مذمة ظاهرة وتهجين لحالهم بين، كما في قوله كَمَثَلِ الْحِمارِ يَحْمِلُ أَسْفاراً وشهادة عليهم بالبله وقلة العقل. ولا ترى مثل نفار حمير الوحش واطرادها في العدو إذا رابها رائب، ولذلك كان أكثر تشبيهات العرب في وصف الإبل وشدّة سيرها بالحمر، وعدوها إذا وردت ماء فأحست عليه بقانص"[٤].

القرآن
{بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً (٥٢) كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ (٥٣)} [المدثر : ٥٢-٥٣]
التفسير:
بل يطمع كل واحد من هؤلاء المشركين أن يُنزل الله عليه كتابًا من السماء منشورًا، كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم. ليس الأمر كما زعموا، بل الحقيقة أنهم لا يخافون الآخرة، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء.
قوله تعالى:{بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً} [المدثر : ٥٢]، أي:" بل يطمع كل واحد من هؤلاء المشركين أن يُنزل الله عليه كتابًا من السماء منشورًا، كما أنزل على محمد صلى الله عليه وسلم"[٥].
قال الطبري: يقول:" ما بهؤلاء المشركين في إعراضهم عن هذا القرآن أنهم لا يعلمون أنه من عند الله، ولكن كلّ رجل منهم يريد أن يؤتى كتابا من السماء ينزل عليه"[٦].
قال ابن كثير:" أي : بل يريد كل واحد من هؤلاء المشركين أن ينزل عليه كتابًا كما أنزل على النبي، كقوله :{وَإِذَا جَاءَتْهُمْ آيَةٌ قَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ حَتَّى نُؤْتَى مِثْلَ مَا أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ} [الأنعام : ١٢٤]"[٧].
قال الزمخشري:" {صُحُفاً مُنَشَّرَةً}: قراطيس تنشر وتقرأ كالكتب التي يتكاتب بها. أو كتبا كتبت في السماء ونزلت بها الملائكة ساعة كتبت منشرة على أيديها غضة رطبة لم تطو بعد، وذلك أنهم قالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم: لن نتبعك حتى تأتى كل واحد منا بكتب من السماء عنوانها من رب العالمين إلى فلان بن فلان، نؤمر فيها باتباعك. ونحوه قوله: {وَقالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ}، وقال: {وَلَوْ نَزَّلْنا عَلَيْكَ كِتاباً فِي قِرْطاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِم} ... الآية وقيل: قالوا إن كان محمد صادقا فليصبح عند رأس كل رجل منا صحيفة فيها براءته وأمنه من النار. وقيل: كانوا يقولون: بلغنا أن الرجل من بنى إسرائيل كان يصبح مكتوبا على رأسه ذنبه وكفارته، فأتنا بمثل ذلك، وهذا من الصحف المنشرة بمعزل. إلا أن يراد بالصحف المنشرة: الكتابات الظاهرة المكشوفة"[٨].

---

(١) نقلا عن: غريب القرآن لابن قتيبة: ٤٩٨.
(٢) غريب القرآن: ٤٩٨.
(٣) الكشف والبيان: ٧٩/١٠.
(٤) الكشاف: ٦٥٦/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٦) تفسير الطبري: ٤٣/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٨.
(٨) الكشاف: ٦٥٦/٤.

قال الزجاج:" قيل كانوا يقولون: كان مَن أذنب من بني إسْرَائِيلَ يجد ذنبه مكتوباً من غَدٍ عَلَى بَابِه فما بالنا لا نكون كذلك. وَقَدْ جَاءَ في القرآن تفْسِيرُ طَلَبِهِمْ في سورة بني إسرائيل في قوله: {وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُه}"[١].

قال مقاتل:" وذلك أن كفار مكة قالوا للنبي- صلى الله عليه وسلم-، كان الرجل من بني إسرائيل ذنبه وكفارة ذنبه «يصبح مكتوبا عند رأسه، فهلا ترينا مثل هؤلاء الآيات إن كنت رسولا كما تزعم، فقال جبريل: إن شئت فعلنا بهم كفعلنا بنى إسرائيل، وأخذناهم بما أخذنا به بني إسرائيل، فكره النبي- صلى الله عليه وسلم-، وقالوا: ليصبح عند رأس كل رجل منا كتاب منشور من الله بأن آلهتنا باطل، وأن الإله الذي في السماء حق، وأنك رسول، وأن الذي جئت به حق، وتجيء معك بملائكة يشهدون بذلك كقول بن أبى أمية في سورة بني إسرائيل[٢]"[٣].

قال السعدي:" ومع هذا الإعراض وهذا النفور، يدعون الدعاوى الكبار فـ {يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً} نازلة عليه من السماء، يزعم أنه لا ينقاد للحق إلا بذلك، وقد كذبوا، فإنهم لو جاءتهم كل آية لم يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم، فإنهم جاءتهم الآيات البينات التي تبين الحق وتوضحه، فلو كان فيهم خير لآمنوا"[٤].

عن مجاهد، قوله: "{بَلْ يُرِيدُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُؤْتَى صُحُفًا مُنَشَّرَةً}، قال: إلى فلان من رب العالمين"[٥].

قال قتادة:" قد قال قائلون من الناس: يا محمد إن سرّك أن نتبعك فأتنا بكتاب خاصة إلى فلان وفلان، نؤمر فيه باتباعك، قال قتادة: يريدون أن يؤتوا براءة بغير عمل"[٦].

قوله تعالى:{كَلَّا} [المدثر : ٥٣]، أي:" ليس الأمر كما زعموا "[٧].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يزعمون من أنهم لو أوتوا صحفا منشَّرة صدّقوا"[٨].

قال مقاتل:" كَلَّا لا يؤمنون بالصحف التي أرادوها"[٩].

قال السمعاني:" أي: لا يؤتون هذه الصحف. وقيل: كلا أي: لو أوتوا هذه الصحف لم يؤمنوا"[١٠].

قال الزمخشري:" ردعهم بقوله: {كَلَّا} عن تلك الإرادة، وزجرهم عن اقتراح الآيات"[١١].

قال السعدي:" {كَلا} أن نعطيهم ما طلبوا، وهم ما قصدوا بذلك إلا التعجيز"[١٢].

قوله تعالى:{بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ} [المدثر : ٥٣]، أي:" بل الحقيقة أنهم لا يخافون الآخرة، ولا يصدِّقون بالبعث والجزاء"[١].

---

(١) معاني القرآن: ٢٥٠/٥.

(٢)يشير إلى الآيات ٩٠، ٩١، ٩٢، ٩٣ من سورة الإسراء وهي:
«وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الْأَرْضِ يَنْبُوعاً، أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجِيراً، أَوْ تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلائِكَةِ قَبِيلًا، أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقى فِي السَّماءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَراً رَسُولًا».

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٠/٤.

(٤) تفسير السعدي: ٨٩٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٧٧.

(٨) تفسير الطبري: ٤٣/٢٤.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٠/٤.

(١٠) تفسير السمعاني: ٩٩/٦.

(١١) الكشاف: ٦٥٦/٤.

(١٢) تفسير السعدي: ٨٩٨.

قال الطبري:" يقول: لكنهم لا يخافون عقاب الله، ولا يصدقون بالبعث والثواب والعقاب؛ فذلك الذي دعاهم إلى الإعراض عن تذكرة الله، وهوّن عليهم ترك الاستماع لوحيه وتنزيله"[٢].

قال ابن كثير:" أي : إنما أفسدهم عدم إيمانهم بها، وتكذيبهم بوقوعها"[٣].

قال الزمخشري:" فلذلك أعرضوا عن التذكرة لا لامتناع إيتاء الصحف"[٤].

قال السمعاني:" أي: لو خافوا لم يطلبوا هذه الأشياء"[٥].

قال قتادة :" إنما أفسدهم أنهم كانوا لا يصدّقون بالآخرة، ولا يخافونها، هو الذي أفسدهم"[٦].

القرآن

{كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ (٥٤) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (٥٥) وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ (٥٦)} [المدثر : ٥٤-٥٦]

التفسير:

حقًّا أنَّ القرآن موعظة بليغة كافية لاتّعاظهم، فمن أراد الاتعاظ اتعظ بما فيه وانتفع بهداه، وما يتعظون به إلا أن يشاء الله لهم الهدى. هو سبحانه أهلٌ لأن يُتقى ويطاع، وأهلٌ لأن يغفر لمن آمن به وأطاعه.

قوله تعالى:{كَلَّا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ} [المدثر : ٥٤]، أي:" حقًّا أنَّ القرآن موعظة بليغة كافية لاتّعاظهم"[٧].

قال الطبري: يعني:" ليس الأمر كما يقول هؤلاء المشركون في هذا القرآن من أنه سحر يؤثر، وأنه قول البشر، ولكنه تذكرة من الله لخلقه، ذكرهم به"[٨].

قال السمعاني:" أي: القرآن عظة وعبرة"[٩].

عن قتادة، قوله: "{كَلا إِنَّهُ تَذْكِرَةٌ}، أي: القرآن"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : حقا إن القرآن تذكرة "[١١].

قال الزمخشري:" يعنى: الذكر أو القرآن، تذكرة بليغة كافية، مبهم أمرها في الكفاية"[١٢].

قال السعدي:" الضمير إما أن يعود على هذه السورة، أو على ما اشتملت عليه من هذه الموعظة"[١٣].

قوله تعالى:{فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ} [المدثر : ٥٥]، أي:" فمن أراد الاتعاظ اتعظ بما فيه وانتفع بهداه"[١٤].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٢) تفسير الطبري: ٤٣/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٨.
(٤) الكشاف: ٦٥٦/٤-٦٥٧.
(٥) تفسير السمعاني: ٩٩/٦.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٣/٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٨) تفسير الطبري: ٤٤/٢٤.
(٩) تفسير السمعاني: ٩٩/٦.
(١٠) أخرجه الطبري: ٤٤/٢٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٨.
(١٢) الكشاف: ٦٥٦/٤.
(١٣) تفسير السعدي: ٨٩٨.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٧٧.

قال الطبري: يقول:" فمن شاء من عباد الله الذين ذكرهم الله بهذا القرآن ذكره، فاتعظ فاستعمل ما فيه من أمر الله ونهيه"[١].

قال السعدي:" لأنه قد بين له السبيل، ووضح له الدليل"[٢].

قال مقاتل:" يعنى: فهمه، يعنى: القرآن"[٣].

قوله تعالى:{وَمَا يَذْكُرُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [المدثر : ٥٦]، أي:" وما يتعظون به إلا أن يشاء الله لهم الهدى"[٤].

قال الطبري: يقول:" وما يذكرون هذا القرآن فيتعظون به، ويستعملون ما فيه، إلا أن يشاء الله أن يذكروه؛ لأنه لا أحد يقدر على شيء إلا بأن يشاء الله يقدره عليه، ويعطيه القدرة عليه"[٥].

قال السمعاني:" أي: لا يعتبرون ولا يتعظون إلا بمشيئتي"[٦].

قال السعدي:" فإن مشيئته نافذة عامة، لا يخرج عنها حادث قليل ولا كثير، ففيها رد على القدرية، الذين لا يدخلون أفعال العباد تحت مشيئة الله، والجبرية الذين يزعمون أنه ليس للعبد مشيئة، ولا فعل حقيقة، وإنما هو مجبور على أفعاله، فأثبت تعالى للعباد مشيئة حقيقة وفعلا وجعل ذلك تابعا لمشيئته"[٧].

قوله تعالى:{هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ} [المدثر : ٥٦]، أي:" هو سبحانه أهلٌ لأن يُتقى ويطاع، وأهلٌ لأن يغفر لمن آمن به وأطاعه"[٨].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: الله أهل أن يتقي عباده عقابه على معصيتهم إياه، فيجتنبوا معاصيه، ويُسارعوا إلى طاعته، وهو أهل أن يغفر ذنوبهم إذا هم فعلوا ذلك، ولا يعاقبهم عليها مع توبتهم منها"[٩].

قال الزجاج:" أي: هو أهل أنْ يُتقَى عِقَابُه، وأهل أنْ يُعمل بما يؤدي إلى مغفرته"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : هو أهل أن يُخاف منه، وهو أهل أن يَغفر ذنب من تاب إليه وأناب"[١١].

عن قتادة، قوله: "{هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ}، قال: أهل أن تتقى محارمه، {وَأَهْلُ الْمَغْفِرَةِ}: أهل أن يغفر الذنوب"[١٢].

قال قتادة:" ربنا محقوق أن تتقى محارمه، وهو أهل المغفرة يغفر الذنوب"[١٣].

قال السعدي:" أي: هو أهل أن يتقى ويعبد، لأنه الإله الذي لا تنبغي العبادة إلا له، وأهل أن يغفر لمن اتقاه واتبع رضاه"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٤٤/٢٤.
(٢) تفسير السعدي: ٨٩٨.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠١/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٥) تفسير الطبري: ٤٤/٢٤.
(٦) تفسير السمعاني: ٩٩/٦.
(٧) تفسير السعدي: ٨٩٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٩) تفسير الطبري: ٤٤/٢٤.
(١٠) معاني القرآن: ٢٥٠/٥.
(١١) تفسير ابن كثير: ٢٧٤/٨.
(١٢) أخرجه الطبري:: ٤٤/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري:: ٤٤/٢٤.
(١٤) تفسير السعدي: ٨٩٨.

عن عبد القُدُّوس بن بكر، قال: سمعت ابن النضر الحارثي يذكر في قوله - عز وجل -: {هو أهل التقوى وأهل المغفرة}، قال: أنا أهْلٌ لأن يَتقيني عبدي، فإن لم يَفعل كنتُ أهلًا لأنْ أغفر له"[1].

عن الحسن، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «قال الله: لأنا أكرم وأعظم عفوًا من أنْ أستر على عبد لي في الدنيا ثم أفضحه بعد أن سَترتُه، ولا أزال أغفر لعبدي ما استغفرني». قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «يقول الله تعالى: إني لأجدني أستحي مِن عبدي، يَرفع يديه إليَّ، ثم أردّهما. قالت الملائكة: إلهنا، ليس لذلك بأهل. قال الله: لكني أهْلُ التقوى وأهْلُ المغفرة، أشهدكم أني قد غفرتُ له». قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «ويقول الله: إني لأستحي مِن عبدي وأمَتي يَشيبان في الإسلام، ثم أُعذّبهما بعد ذلك في النار»"[2].

عن أنس بن مالك قال : قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم هذه الآية :{هُوَ أَهْلُ التَّقْوَى وَأَهْلُ المَغْفِرَةِ} وقال : "قال ربكم : أنا أهل أن أتقى، فلا يجعل معي إله، فمن اتقى أن يجعل معي إلها كان أهلا أن أغفر له"[3].

فوائد الآيات: [٣٨-٥٦]:

١- فكاك كل نفس مرهونة بكسبها هو الإيمان والتقوى.

٢- بيان أكبر الجرائم وهي ترك الصلاة ومنع الزكاة والخوض في الباطل وعدم التصديق بالحساب والجزاء.

٣- لا شفاعة يوم القيامة لمن مات وهو يشرك بالله شيئا.

٤- مرد الانحراف في الإنسان إلى ضعف إيمانه بالبعث والجزاء.

٥- الله جل جلاله هو ذو الأهلية الحقة لأمرين عظيمين التقوى فلا يتقى على الحقيقة إلا هو والمغفرة فلا يغفر الذنوب إلا هو اللهم اغفر ذنوبنا فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت.

«آخر تفسير سورة (المدثر)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١)أخرجه أحمد في الزهد ٤٤١.

(٢)أخرجه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول ٢/ ٣٤ مرسلًا.

(٣)المسند (١٤٢/٣)، وسنن الترمذي برقم (٣٣٢٨)، وسنن ابن ماجة برقم (٤٢٩٩)، وتفسير النسائي (٤٧٥/٢)، وانظر: مسند أبي يعلى (٦٦/٦)، ومعالم التنزيل للبغوي (٢٧٦/٨، . قال الترمذي : "حسن غريب، وسهيل ليس بالقوي".

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «القيامة»

«سورة القيامة» هي السورة الخامسة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة القارعة»، وقبل «سورة الهمزة»، وآياتها أربعون في عد الكوفيين، وتسع وثلاثون في عد الباقين. وكلماتها مائة وتسع وتسعون. وحروفها ثلاثمائة واثنتان وخمسون. المختلف فيها آية: {لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة : ١٦]، فواصل آياتها «يقراه»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة القيامة»:**

عنونت هذه السورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة بـ«سورة القيامة»، لوقوع القسم بيوم القيامة في أولها، قال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة : ١]، ولم يقسم به فيما نزل قبلها من السور[٢].

- **ثانيا:- اسمها الاجتهادي: «سورة لا أقسم بيوم القيامة» أو «لا أقسم»:**

وردت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، كما عند ابن عباس[٣]، وابن زبير[٤]، ووجه تسميتها بذلك لافتتاحها به في قوله تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة : ١].

وهو اسم اجتهادي لم يثبت عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم-.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: "نزلت «سورة القيامة» -وفي لفظ: نزلت: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}- بمكة"[٥].

عن عبد الله بن الزبير قال: نزلت سورة: {لَا أُقْسِمُ} بمكة[٦].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المفسرين وأهل التأويل"[٧].

قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٨].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٩].

مناسبة السورة لما قبلها:

ووجه اتصالها بما قبلها، أنه ذكر في السورة السابقة قوله: {كَلَّا بَلْ لَا يَخَافُونَ الْآخِرَةَ} [المدثر : ٥٣]، وكان عدم خوفهم منها لإنكارهم للبعث، وذكر هنا الدليل عليه بأتم وجه، فوصف يوم القيامة وأهواله وأحواله، ثم ما قبل ذلك من خروج الروح من البدن، ثم ما قبل ذلك من مبدأ الخلق[١٠].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

١- قدرة الله تعالى على جمع الإنسان وإعادة إحيائه ورسم أدق التفاصيل التي كانت على جسده قبل أن يموت ويفنى جسده في التراب.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.
(٢) انظر: التحرير والتنوير: ٢٩١/٢٩.
(٣) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨.
(٤) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨.
(٥) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨، وعزاه ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٦) انظر: الدر المنثور: ٣٤٢/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٧) المحرر الوجيز: ٤٠١/٥.
(٨) زاد المسير: ٣٦٨/٤.
(٩) التحرير والتنوير: ٣٣٦/٢٩.
(١٠) انظر: تفسير المراغي: ١٤٤/٢٩.

٢- على المتعلم أن ينصت بكل جوارحه على من يعلمه، حتى يتسنى له أخذ العلم بطريقة صحيحة سليمة.
٣- بيان إيمان المؤمنين بربهم وفرحهم بنعيمه يوم القيامة، هذا النعيم الذي لا يضاهيه نعيم في الدنيا.
٤- على الإنسان أن يتذكر أصله وحجمه فلا يتكبر على خلق الله تعالى وأن يكون دائم الحمد والشكر لله تعالى على نعمه الكثيرة.

قال الفيروزآبادي:" مقصود السورة: بيان هول القيامة، وهيبتها، وبيان إثبات البعث، وتأثير القيامة في أعيان العالم، وبيان جزاء الأعمال، وآداب سماع الوحى، والوعد باللقاء والرؤية، والخبر عن حال السكرة، والرجوع إلى بيان برهان القيامة، وتقرير القدرة على بعث الأموات في قوله: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة : ٤٠]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: م {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة : ١٦]، ن: {سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى} [الأعلى : ٦][٢].

- **فضائل السورة:**

- أخرج عبد بن حميد وابن المنذر عن قتادة قال: حدثنا أن عمر بن الخطاب قال: "من سأل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة، والله أعلم"[٣].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة القيامة شهدت أنا وجبرائيل له يوم القيامة أنه كان مؤمنا بيوم القيامة وجاء ووجهه مسفر على وجوه الخلائق يوم القيامة» [٤].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.
(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.
(٣) الدر المنثور: ٣٤٢/٨.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٨١/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ١٩٠/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

القرآن

{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (١) وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ (٢) أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)} [القيامة : ١-٤]

التفسير:

أقسم الله سبحانه بيوم الحساب والجزاء، وأقسم بالنفس المؤمنة التقية التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات وفِعْل الموبقات، أن الناس سيبعثون. أيظنُّ هذا الإنسان الكافر أن لن نقدر على جَمْع عظامه بعد تفرقها؟ بلى سنجمعها، قادرين على أن نجعل أصابعه أو أنامله -بعد جمعها وتأليفها- خَلْقًا سويًّا، كما كانت قبل الموت.

سبب النزول:

قال مقاتل بن سليمان: {أَيَحْسَبُ} هذا الإنسان، يعني: عَدِيّ بن ربيعة بن أبي سَلمة خَتَن الأخْنس بن شَرِيق، وكان حليفًا لبني زهرة، فكفر بالبعْث، وذلك أنه أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا محمد، حدِّثني عن يوم القيامة متى يكون؟ وكيف أمرها وحالها؟ فأخبَره النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بذلك. فقال: لو عاينتُ ذلك اليوم سأومن بك. ثم قال: يا محمد، أوَيجمع الله العظامَ يوم القيامة؟ قال: «نعم». فاستهزأ منه؛ فأنزَل الله -جلّ وعزّ-: {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ ولا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَةِ أَيَحْسَبُ الإنْسانُ أَلَنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ}"[١].

عن مقاتل في قوله :{بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ (٤)}، قال "نزلت هذه الآية في عَدِيّ بن ربيعة، والأخْنس بن شَرِيق"[٢].

قوله تعالى:{لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} [القيامة : ١]، أي:" أقسم بيوم القيامة، يوم الحساب والجزاء"[٣].

عن المغيرة بن شعبة، قال: "يقولون: القيامة القيامة، وإنما قيامة أحدهم: موته"[٤].

عن أبي قبيس، قال: "شهدت جنازة فيها علقمة، فلما دفن، قال: أما هذا فقد قامت قيامته"[٥].

اختلف العلماء في «لا» المبتدأ بها في أول الكلام، على ثلاثة أقوال :

أحدها : أنها صلة دخلت مجازاً، ومعنى الكلام: أقسم بيوم القيامة، قاله ابن عباس[٦]، وابن جبير[٧]، وأبو عبيدة[٨]، وابن قتيبة[٩]، ومثله قول الشاعر[١٠]:

تَذكّرْت ليلى فاعْتَرْتني صَبابةٌ ... وكاد ضمير القلْبِ لا يتَقطّع

أي: يتقطع، ودخل حرف «لا» صلة[١١].

قال ابن قتيبة:" "«لا»: صلة، أريد بها تكذيب الكفار؛ لأنهم قالوا: لا قيامة"[١٢].

قال مقاتل:" كان أهل الجاهلية، إذا أراد الرجل أن يقسم قال: «لا أقسم»"[١٣].

عن سعيد بن جُبير: "{لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ القِيَامَةِ}، قال: أقسم بيوم القيامة"[١].

---

(١)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٥٠٩ - ٥١٠.
(٢)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٥١٠.
(٣) صفوة التفاسير: ٤٥٩/٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٤٧/٢٤.
(٨) انظر: مجاز القرآن: ٢٧٧/٢.
(٩) انظر: غريب القرآن: ٤٩٩.
(١٠)بلا نسبة في الجنى الداني : ٣٠٢؛ ورصف المباني : ٢٧٤.
(١١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٣٩٤/٤.
(١٢) غريب القرآن: ٤٩٩.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٠٩/٤.

عن سعيد بن جبير:" {لا أُقْسِمِ}، قال: أقسم"[٢].

عن سعيد بن جبير، قال: "قال لي ابن عباس: ممن أنت؟ فقلت: من أهل العراق، فقال: أيهم؟ فقلت: من بني أسد، فقال: من حريبهم، أو ممن أنعم الله عليهم؟ فقلت: لا بل ممن أنعم الله عليهم، فقال لي: سل، فقلت: {لا أقسم بيوم القيامة}، فقال: يقسم ربك بما شاء من خلقه"[٣].

الثاني : أنها دخلت توكيداً للكلام، كقوله : «لا والله»، وكقول امرىء القيس[٤]:

فَلَا وَأَبِيكِ ابْنَةَ الْعَامِرِيِّ ... لَا يَدَّعِي الْقَوْمُ أَنِّي أَفِرْ

قاله أبو بكر بن عياش[٥].

قال هشام الرفاعي: "سمعت أبا بكر بن عياش يقول: قوله: {لا أُقْسِمُ} توكيد للقسم كقوله: لا والله"[٦].

قال ابن كثير:" إن المقسم عليه إذا كان منتفيًا، جاز الإتيان بلا قبل القسم لتأكيد النفي. والمقسوم عليه هاهنا هو إثبات المِيعاد، والرد على ما يزعمه الجهلة من العباد من عدم بَعث الأجساد ؛ ولهذا قال تعالى :{لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}"[٧].

الثالث : أنها رد لكلام مضى من كلام المشركين في إنكار البعث ، ثم ابتدأ القسم فقال : أقسم بيوم القيامة، فرقاً بين اليمين المستأنفة وبين اليمين تكون مجدداً، قاله الفراء[٨].

قال الزجاج:" لا اختلاف بين الناس أن معناه: أقسِم بيوم القيامَةِ. واختلفوا في تفسير «لا».. وقال بعض النحويين: «لا» رَد لِكَلامِهِمْ، كَأنهم أنكروا البعث فقيل: لا ليس الأمر كما ذكَرْتُمْ أقسم بيوم القيامة، وقوله: {إنكم مَبْعوثونَ} دَلَّ على الجواب"[٩].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب قول من قال: إن الله أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوّامة، وجعل "لا" ردا لكلام قد كان تقدّمه من قوم، وجوابا لهم، لأن المعروف من كلام الناس في محاوراتهم إذا قال أحدهم: لا والله، لا فعلت كذا، أنه يقصد بلا ردّ الكلام، وبقوله: والله، ابتداء يمين، وكذلك قولهم: لا أقسم بالله لا فعلت كذا; فإذا كان المعروف من معنى ذلك ما وصفنا، فالواجب أن يكون سائر ما جاء من نظائره جاريا مجراه، ما لم يخرج شيء من ذلك عن المعروف بما يجب التسليم له"[١٠].

وقرأ الحسن : «لأقْسِمُ بِيَوْمِ القِيامَةِ»، فجعلها لاماً دخلت على ما أُقسم إثباتاً للقسم، وهي قراءة ابن كثير[١١].

قوله تعالى:{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة : ٢]، أي:" وأقسم بالنفس المؤمنة التقية، التي تلوم صاحبها على ترك الطاعات، وفعل الموبقات"[١٢].

قال الصابوني:" وجوابُ القسم محذوف تقديره «لتبعثنَّ ولتحاسبنَّ»"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٤٧/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٤٧/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٤.
(٤)انظر: الديوان: ١٥٤، والخزانة: ٤/ ٤٨٩. وفيه: «لَا وَأَبِيكِ».
وابنة العامري: اسمها هو، وقد ذكر اسمها في هذه القصيدة. والعامري: من بني عمرو بن عامر من الأزد، اسمه سلامة بن عبد الله، وقيل غير ذلك.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٨.
(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٠٧/٣.
(٩) معاني القرآن: ٢٥١/٥.
(١٠) تفسير الطبري: ٤٨/٢٤-٤٩.
(١١)انظر: تيسير الداني: ١٧٦، والمحتسب: ٢/ ٣٤١ ، وتفسير الطبري: ٤٧/٢٤. قال النحاس في إعراب القرآن: ٥١/٥:" وهذا لحن عند الخليل وسيبويه".
(١٢) صفوة التفاسير: ٤٥٩/٣.

وفي قوله تعالى:{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} [القيامة : ٢]، وجهان:
أحدهما : أنه تعالى أقسم بالنفس اللوامة كما أقسم بيوم القيامة فيكونان قَسَمَيْن ، قاله قتادة[٢]،وهو المروي عن ابن عباس[٣]، وسعيد بن جُبَير[٤].
قال قتادة: "أقسم بهما جميعا"[٥].
الثاني : أنه أقسم بيوم القيامة ولم يقسم بالنفس اللوامة ، قاله الحسن[٦]، ويكون تقدير الكلام : أقسم بيوم القيامة ولا أقسم بالنفس اللوامة.
قال الحسن: "أقسم بيوم القيامة، ولم يقسم بالنفس اللوّامة"[٧].
قال ابن كثير:" الصحيح أنه أقسم بهما جميعا"[٨].
واختلف أهل التفسير في معنى قوله: «النفس اللوامة»-هاهنا-: على أقوال:
أحدها: معناه: ولا أقسم بالنفس التي تلوم على الخير والشرّ. قاله سعيد بن جبير[٩]، وعكرمة[١٠].
عن سعيد بن جُبير، قال: "قلت لابن عباس: {وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ}، قال: هي النفس اللئوم"[١١].
عن سِماك : أنه سأل عِكْرِمة عن قوله :{وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} قال : يلوم على الخير والشر : لو فعلت كذا وكذا"[١٢].
قال الزجاج:" النفس اللوامة تفسيرها أن كل نفسٍ تلوم صاحبها في الآخِرَةِ إن كان عَمِلَ شرًّا لَامَتْهُ نفسه وأن كان عمل خَيراً لَامَتْهُ على ترك الاستكثار منه"[١٣].
الثاني: أنها تلوم على ما فات وتندم. وهذا قول مجاهد[١٤].
قال مجاهد:" تندم على ما فات وتلوم عليه"[١٥].
الثالث: أن اللوّامة: الفاجرة. وهذا مروي عن قتادة[١٦].
الرابع: أنها المذمومة. وهذا قول ابن عباس[١٧].
قال الطبري:" وهذه الأقوال التي ذكرناها عمن ذكرناها عنه وإن اختلفت بها ألفاظ قائليها، فمتقاربات المعاني، وأشبه القول في ذلك بظاهر التنزيل أنها تلوم صاحبها على الخير والشرّ وتندم على ما فات، والقرّاء كلهم مجمعون على قراءة هذه بفصل «لا» من أقسم"[١٨].
قال قرة بن خالد، عن الحسن البصري في هذه الآية : "إن المؤمن - والله - ما نراه إلا يلوم نفسه : ما أردت بكلمتي ؟ ما أردت بأكلتي ؟ ما أردت بحديث نفسي ؟ وإن الفاجر يمضي قُدُما ما يعاتب نفسه"[١].

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٥٩/٣-٤٦٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤، وتفسير ابن كثير: ٢٧٥/٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤، وتفسير ابن كثير: ٢٧٥/٨.
(٥) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٤٨/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٤٨/٢٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٤٩/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٤٩/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٤٩/٢٤.
(١٢) رواه ابن ابي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢٧٥/٨.
(١٣) معاني القرآن: ٢٥١/٥.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٠/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٠/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥٠/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٠/٢٤.
(١٨) تفسير الطبري: ٤٠/٢٤.

وقال جُوَيْبر : "بلغنا عن الحسن أنه قال في قوله :{وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ} قال : ليس أحد من أهل السموات والأرض إلا يلوم نفسه يوم القيامة"[٢].

قوله تعالى:{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ} [القيامة : ٣]، أي:" أيظنُّ هذا الإنسان الكافر أن لن نقدر على جَمْع عظامه بعد تفرقها؟"[٣].

قال الطبري: يقول:" أيظنّ ابن آدم أن لن نقدر على جمع عظامه بعد تفرّقها"[٤].

قال ابن كثير:" أي : يوم القيامة، أيظن أنا لا نقدر على إعادة عظامه وجمعها من أماكنها المتفرقة ؟"[٥].

قوله تعالى:{بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} [القيامة : ٤]، أي:" بلى نجمعها ونحن قادرون أن نجعل أصابعه أو أنامله -بعد جمعها وتأليفها- خَلْقًا سويًّا، كما كانت قبل الموت"[٦].

وفي قوله تعالى:{بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ} [القيامة : ٤]، وجهان من التفسير:

أحدهما: نقدر على تسوية بنانه كما كانت، وإن صغرت عظامها، ومن قدر على جمع صغار العظام، كان على جمع كبارها أقدر، هذا قول الأخفش[٧]، وابن قتيبة[٨]، والزجاج[٩].

قال الأخفش:" إنما هي عَلى تسويةِ بِنَانِه"[١٠].

قال ابن قتيبة:" هذا ردّ من الله عليهم، وذلك أنهم ظنوا أن الله لا ينشر الموتى، ولا يقدر على جمع العظام البالية، فقال: بلى، فاعلموا أنّا نقدر على رد السّلاميات[١١] على صغرها، ونؤلّف بينها حتى يستوي البنان. ومن قدر على هذا فهو على جمع كبار العظام أقدر. ومثل هذا رجل قلت له: أتراك تقدر على أن تؤلّف هذا الحنظل في خيط؟ فيقول لك: نعم وبين الخردل"[١٢].

قال ابن كثير:" الظاهر من الآية أن قوله :{قَادِرِينَ} حال من قوله :{نَجْمَعَ}، أي : أيظن الإنسان أنا لا نجمع عظامه ؟ بلى سنجمعها قادرين على أن نُسَوِّي بنانه، أي : قدرتنا صالحة لجمعها، ولو شئنا لبعثناه أزيد مما كان، فتجعل بنانه - وهي أطراف أصابعه - مستوية"[١٣].

الثاني : أن نجعل أصابع يديه ورجليه شيئاً واحداً كخُفّ البعير، وحافر الحمار، فيعدم الارتفاق بالأعمال اللطيفة، كالكتابة والخياطة، وهذا قول ابن عباس[١٤]، ومجاهد[١٥]، وعكرمة[١٦]، والضحاك[١٧]، وقتادة[١٨]، وبه قال الفراء[١]، والطبري[٢]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٣].

الجمهور[٣].

---

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٨.
(٢) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٧٥/٨.
(٣) التفسير الميسر: ٥٧٧، وصفوة التفاسير: ٤٦٠/٣.
(٤) تفسير الطبري: ٥٠/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٢٧٦/٨.
(٦) التفسير الميسر: ٥٧٧، وصفوة التفاسير: ٤٦٠/٣.
(٧) انظر: معاني القرآن: ١٢٢/١.
(٨) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٠٦-٢٠٧.
(٩) انظر: معاني القرآن: ٢٥١/٥.
(١٠) معاني القرآن: ١٢٢/١.
(١١)السلاميات: جمع سلامى، وهي عظام صغار على طول الإصبع أو قريب منها، في كل يد ورجل أربع سلاميات أو ثلاث.
(١٢) تأويل مشكل القرآن: ٢٠٦-٢٠٧.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٧٦/٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٥١/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٥١/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٥١/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٥١/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٥١/٢٤.

قال الطبري: يقول:" بلى قادرين على أعظم من ذلك، أن نسوي بنانه، وهي أصابع يديه ورجليه، فنجعلها شيئا واحدا كخفّ البعير، أو حافر الحمار، فكان لا يأخذ ما يأكل إلا بفيه كسائر البهائم، ولكنه فرق أصابع يديه يأخذ بها، ويتناول ويقبض إذا شاء ويبسط، فحسن خلقه"(٤).

عن سعيد بن جُبير، قال: "قال لي ابن عباس: سل، فقلت: {أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}، قال: لو شاء لجعله خفا أو حافرا"(٥).

عن ابن عباس، قوله: "{بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}، قال: أنا قادر على أن أجعل كفه مجمرة مثل خفّ البعير"(٦).

عن ابن عباس: "{قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}، قال: نجعله خفا أو حافرا"(٧).

قال عكرمة:" على أن نجعله مثل خفّ البعير، أو حافر الحمار"(٨).

عن مجاهد، قوله: "{عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ}، رجليه، قال: كخفّ البعير فلا يعمل بهما شيئا"(٩).

قال الحسن:" جعلها يدا، وجعلها أصابع يقبضهنّ ويبسطهنّ، ولو شاء لجمعهنّ، فاتقيت الأرض بفيك، ولكن سوّاك خلقا حسنا. قال أبو رجاء: وسُئل عكرمة فقال: لو شاء لجعلها كخفّ البعير"(١٠).

قال الضحاك:" البنان: الأصابع، يقول: نحن قادرون على أن نجعل بنانه مثل خفّ البعير"(١١).

قال القرظي: "لو شاء لجعله خنزيرا حمارا"(١٢).

قال قتادة:" لو شاء جعل بنانه مثل خفّ البعير، أو حافر الدابة"(١٣).

قال قتادة:" قادر والله على أن يجعل بنانه كحافر الدابة، أو كخفّ البعير، ولو شاء لجعله كذلك، فإنما ينقي طعامه بفيه"(١٤).

قال مقاتل:" يعني: على أن نلحق الأصابع بالراحة ونسويه حتى نجعله مثل خف البعير فلا ينتفع بها كما لا ينتفع البعير بها ما كان حيا، نزلت هذه الآية في عدي بن ربيعة والأخنس بن شريق"(١٥).

عن غَيلان بن جرير، عن أصحابه، في قوله: "{بلى قادرين على أن نسوي بنانه}، قال: قادرين على أن نَجعلها مثل رُبع"(١٦).

---

(١) انظر: معاني القرآن: ٢٠٨/٣.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٥٠/٢٤.
(٣) انظر: زاد المسير: ٣٦٩/٤.
(٤) تفسير الطبري: ٥٠/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.
(١٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٩٧):ص١٤٧/٢.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٥١/٢٤.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٠/٤.
(١٦)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ٢١٥ (٢٣٤٧). قال محققه: «كذا في الأصل، لكن وضع ضمة على الباء». والظاهر أنّ المراد: نجعلها مثل يد الرُبَع أو قدمه، والربع هو ولد الناقة في أول النتاج، ولا أصابع له.

القرآن

{بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ (٥) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ (٦)} [القيامة : ٥-٦]

التفسير:

بل ينكر الإنسان البعث، يريد أن يبقى على الفجور فيما يستقبل من أيام عمره، يسأل هذا الكافر مستبعدًا قيام الساعة: متى يكون يوم القيامة؟

قوله تعالى:{بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} [القيامة : ٥]، أي:" بل ينكر الإنسان البعث، يريد أن يبقى على الفجور فيما يستقبل من أيام عمره"(١).

قال الطبري:" ما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه، ولكنه يريد أن يمضي أمامه قُدُما في معاصي الله، لا يثنيه عنها شيء، ولا يتوب منها أبدا، ويسوّف التوبة"(٢).

وفي قوله تعالى:{بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} [القيامة : ٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: يقدِّم الذنب ويؤخِّر التوبة، ويقول: سوف أتوب. سعيد بن جبير(٣).

قال سعيد بن جبير:" يقول: سوف أتوب سوف أتوب"(٤).

قَالَ الكلبي: "يكثر الذنوب، ويؤخر التوبة"(٥).

قال مقاتل:" يعني: تقديم المعصية وتأخير التوبة يوما بيوم يقول: سأتوب، حتى يموت على شر عمله، وقد أهلك أمامه.. يعني: عدي بن ربيعة"(٦).

قال الزجاج:" معناه أنَه يُسوِّفُ بالتوبة، ويُقَدِّم الأعمال السيئَة"(٧).

الثاني : يمضي أمامه قدُماً لا ينزع عن فجور ، قاله الحسن(٨)، وعكرمة(٩)، والسدي(١٠).

عن السدي:" {بَلْ يُرِيدُ الإنْسانُ لِيَفْجُرَ أمامَهُ}، قال: قُدُمًا"(١١). وفي رواية:" يعني: لِيَظلم على قدر طاقته"(١٢).

قال عكرمة:" قدما لا ينزع عن فجور"(١٣).

قال الحسن:" قدما قدما في المعاصي"(١٤).

قال الحسن:" لا تلقى ابن آدم إلا تنزع نفسه إلى معصية الله قُدُما قدما، إلا من قد عصم الله"(١٥).

قال مجاهد:" يمضي أمامه راكبا رأسه"(١٦).

عن ابن عباس في قوله: "{بَلْ يُرِيدُ الإنْسَانُ لِيَفْجُرَ أمَامَهُ}، قال: يمضي قُدُمًا"(١٧).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٢) تفسير الطبري: ٥٣/٢٤.
(٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٨/٣. ونحوه في "تفسير الطبري": ٥٣/٢٤.
(٤) أخرجه الفراء في "معاني القرآن": ٢٠٨/٣. ونحوه الطبري في "التفسير": ٥٣/٢٤.
(٥) نقلا عن: معاني القرآن للفراء: ٢٠٨/٣.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٠/٤.
(٧) معاني القرآن: ٢٥١/٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.
(١٢)تفسير الثعلبي ١٠/ ٨٣.
(١٣) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.
(١٤) تفسير عبدالرزاق(٣٤٠٥):ص٣٦٧/٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.

قال ابن أبي زمنين:" وهو المشرك؛ يعني: أنه يمضي على فجوره لا يعاتب نفسه حتى يلقى ربه"[١].

قال الطبري: يقول:" ما يجهل ابن آدم أن ربه قادر على أن يجمع عظامه، ولكنه يريد أن يمضي أمامه قُدُما في معاصي الله، لا يثنيه عنها شيء، ولا يتوب منها أبدا، ويسوّف التوبة"[٢].

الثالث : بل يريد أن يرتكب الآثام في الدنيا لقوة أمله ، ولا يذكر الموت ، قاله ابن عباس[٣]، والضحاك[٤].

قال الضحاك:" هو الأمل يؤمل الإنسان، أعيش وأصيب من الدنيا كذا، وأصيب كذا، ولا يذكر الموت"[٥].

عن ابن عباس قوله: "{بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ}، يعني: الأمل، يقول الإنسان: أعمل ثم أتوب قبل يوم القيامة، ويقال: هو الكفر بالحقّ بين يدي القيامة"[٦].

الرابع : بل يريد الإنسان الكافر ليكذب بيوم القيامة. قاله ابن عباس-في إحدى الروايات-[٧]، وابن زيد[٨]. قال ابن كثير :"وهو الأظهر من المراد"[٩].

عن ابن عباس، قوله: "{بَلْ يُرِيدُ الإِنْسَانُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ}، يقول: الكافر يكذّب بالحساب"[١٠].

قال ابن زيد:" يكذّب بما أمامه يوم القيامة والحساب"[١١].

الخامس : بل يريد أن يكذب بما في الآخرة كما كذب بما في الدنيا، قاله ابن قتيبة[١٢].

قال ابن قتيبة:" إن الفجور: التكذيب، واستشهد بأن أعرابياً قصد عمر بن الخطاب وشكا إليه نقب إبله ودبرها ، وسأله أن يحمله على غيرها ، فلم يحمله ، فقال الأعرابي[١٣]:

أقسم بالله أبو حفص عمر ... ما مسّها من نقب ولا دبر

فاغفر له اللهمّ إن كان فجر

يعني: إن كان كذبني بما ذكرت[١٤].

قوله تعالى:{يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ} [القيامة : ٦]، أي:" يسأل هذا الكافر مستبعدًا قيام الساعة: متى يكون يوم القيامة؟"[١].

---

(١) تفسير ابن أبي زمنين: ٦٤/٥.
(٢) تفسير الطبري: ٥٣/٢٤-٥٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٥٣/٢٤-٥٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤-٥٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٣/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٥٤/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٥٤/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٧٦/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٤.
(١٢) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٠٧.
(١٣)الرجز لرؤبة في شرح المفصل ٣/ ٧١، وليس في ديوانه، ولا يمكن أن يكون رؤبة هو الذي قاله لعمر بن الخطاب، ذلك أنه توفي سنة ١٤٥ هـ، ولم يعتبره أحد من التابعين فضلا عن المخضرمين، وهو لعبد الله بن كيسبة أو لأعرابي في خزانة الأدب ٥/ ١٥٤، ١٥٦، والأعرابي في شرح التصريح ١/ ١٢١، والمقاصد النحوية ٤/ ١١٥، ولسان العرب (نقب) ، (فجر) ، وتاج العروس (نقب) ، (فجر) ، وتهذيب اللغة ١١/ ٥٠، وبلا نسبة في أوضح المسالك ١/ ١٢٨، وشرح الأشموني ١/ ٥٩، وشرح شذور الذهب ص ٥٦١، وشرح ابن عقيل ص ٤٨٩، ومعاهد التنصيص ١/ ٢٧٩، وأساس البلاغة (نقب) ، وديوان الأدب ٢/ ١١١، وكتاب العين ٨/ ٣٠٧.
(١٤) انظر: تأويل مشكل القرآن: ٢٠٧، [بتصرف]، وانظر: النكت والعيون: ١٥٢/٦.

قال الطبري: يقول:" يسأل ابن آدم السائر دائبا في معصية الله قُدُما: متى يوم القيامة؟ تسويفا منه للتوبة"[٢].

قال مقاتل:" يعني: يسأل عدي متى يوم القيامة؟ تكذيبا بها"[٣].

قال ابن أبي زمنين:" متى يوم القيامة؛ أي: ليست بجائية يكذب بها"[٤].

قال ابن كثير :" وإنما سؤاله سؤال استبعاد لوقوعه، وتكذيب لوجوده، كما قال تعالى :{وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلا تَسْتَقْدِمُونَ} [سبأ : ٢٩، ٣٠]"[٥].

قال قتادة:" يقول: متى يوم القيامة، قال: وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: من سُئل عن يوم القيامة فليقرأ هذه السورة"[٦].

عن ابن زيد:" {يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ}: متى يكون ذلك، فقرأ: {وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}- قال: فكذلك يكون يوم القيامة"[٧].

القرآن

{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ (٧) وَخَسَفَ الْقَمَرُ (٨) وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ (٩) يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ (١٠)} [القيامة : ٧-١٠]

التفسير:

فإذا تحيَّر البصر ودُهش فزعًا مما رأى من أهوال يوم القيامة، وذهب نور القمر، وجُمِع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما، يقول الإنسان وقتها: أين المهرب من العذاب؟

قوله تعالى:{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ} [القيامة : ٧]، أي:" فإذا تحيَّر البصر ودُهش فزعًا مما رأى من أهوال يوم القيامة"[٨].

قال الحسن: "{فَإذا بَرِقَ البَصَرُ}، يعني: يوم القيامة"[٩].

وفي قوله تعالى:{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ} [القيامة : ٧]، قراءتان[١٠]:

إحداهما : «بَرَقَ»: بفتح الراء، وقرأ بها نافع وأبان عن عاصم، وفي تفسيرها وجهان :

الأول : يعني: خفت وانكسر عند الموت، قاله عبد الله بن أبي إسحاق[١١].

الثاني : أي: شخص وفتح عينه عند معاينة ملك الموت ولم يطرف فزعاً، ذكره الفراء[١٢]، وأنشد[١٣]:

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٧.

(٢) تفسير الطبري: ٥٤/٢٤.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٠/٤.

(٤) تفسير ابن أبي زمنين: ٦٤/٥.

(٥) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٥٤/٢٤.

(٨) التفسير الميسر: ٥٧٧.

(٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٦٤ - . وقال عقبه: أي: شَخَص لإجابة الداعي، كقوله: {لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} [إبراهيم: ٤٣].

(١٠) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٠٩/٣، وتفسير الطبري: ٥٤/٢٤-٥٥، والسبعة في القراءات: ٦٦١، والحجة للقراء السبعة: ٣٤٥/٦.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ٥٥/٢٤.

(١٢) انظر: معاني القرآن: ٢٠٩/٣.

(١٣)الشعر لطرفة- كما في اللسان مادة برق ٢١٥.

والطوبالة: النعجة لقبه بها، ولا يقال للكبش: طوبال، ونصب طوبالة على الذم له كأنه قال:

نعانى حنانة طُوبالةٌ ... تُسَفُّ يَبيسًا من العِشْرِقِ
فنفسَك فَانْعَ ولا تَنْعَنِي ... وداوِ الْكُلُومَ ولا تَبْرَقِ
أي: ولا تفزع من هول الجراح .
عن قتادة، قوله: "{فَإِذَا بَرِقَ الْبَصَرُ}، شخص البصر"[١].
قال قتادة:" شَخَص البصر، فلا يَطرِفُ مما يَرى من العجائب مما كان يُكذّب به في الدنيا أنه غير كائن"[٢].
عن مجاهد، قوله: "{بَرِقَ الْبَصَرُ}، قال: عند الموت"[٣].
قال ابن عباس:" يعني: ببرق البصر: الموت، وبروق البصر: هي الساعة"[٤].
قال ابن أبي زمنين:" يعني: يوم القيامة؛ أي: شخص لإجابة الداعي كقوله: { لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ } [إبراهيم : ٤٣]"[٥].
قال مقاتل:" يقول: إذا شخص البصر فلا يطرف مما يرى من العجائب «التي يراها مما كان يكفر بها في الدنيا أنه غير كائن"[٦].
قال الزجاج:" وَمَن قَرأ «بَرَقَ»، فهو من: بَرَقَ يَبْرُقُ. من: بَرِيق العَيْنَيْن"[٧].
القراءة الثانية : «بَرِقَ» بكسر الراء، وقرأ بها الباقون[٨]، وفي تفسيرها وجوه :
أحدها : عشى عينيه البرق يوم القيامة، قاله أشهب العقيلي[٩]، قال الأعشى[١٠]:
وكنتُ أرى في وجه مَيّة لمحةً ... فأبرق مَعْشيّاً عليّ مكانيا .
الثاني : شق البصر، قاله أبو عبيدة[١١]، وأنشد قول الكلابي[١٢]:
لمّا أتاني ابن صبيح راغبا ... أعطيته عيسا صهابا فبرق
الثالث: أي: حار وفزع من الموت ومن أمر القيامة وبرق ولمع. قاله ابن قتيبة[١٣]، والزجاج[١٤]، والنحاس[١٥].
قال الزجاج:" فمن قرأ «بَرِقَ»، فمعناه: فَزِعَ وَتَحَيَّرَ"[١٦].
قال الزمخشري: أي:" تحير فزعا، وأصله من: برق الرجل، إذا نظر إلى البرق فدهش بصره"[١٧].
قال ابن قتيبة: "وأصل «البَرَق»: الدهش. يقال: برق الرجل يبرق برقا"[١٨].

أعنى: طوبالة ... والعشرق: شجر ينفرش على الأرض عريض الورق، ليس له شوك. وانظر ديوان الشاعر: ٢١٨.
(١) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٤.
(٢)تفسير الثعلبي ١٠/ ٨٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٤.
(٥) تفسير ابن أبي زمنين: ٦٤/٥. وقال "هذا تفسير الحسن".
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٠/٤.
(٧) معاني القرآن: ٢٥٢/٥.
(٨) انظر: السبعة في القراءات: ٦٦١، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وابن عامر وعاصم وحمزة والكسائى.
(٩) انظر: النكت والعيون: ١٥٣/٦.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٥٣/٦.
(١١) انظر: مجاز القرآن: ٢٧٧/٢.
(١٢) وانظر: الكشف والبيان : ٨٤/١٠، والنكت العيون:١٥٣/٦ ، وتفسير القرطبي: ٩٦/١٩.
(١٣) انظر: غريب القرآن: ٤٩٩.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٥٢/٥.
(١٥) انظر: إعراب القرآن: ٥٣/٥.
(١٦) معاني القرآن: ٢٥٢/٥.
(١٧) الكشاف: ٦٦٠/٤.
(١٨) غريب القرآن: ٤٩٩.

قال ابن كثير :" قال أبو عمرو بن العلاء :{بَرِقَ} بكسر الراء، أي : حار. وهذا الذي قاله شبيه بقوله تعالى :{لا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ} [إبراهيم : ٤٣]، بل ينظرون من الفزع هكذا وهكذا، لا يستقر لهم بصر على شيء ؛ من شدة الرعب "[١].

قال ابن عطية:": المعنى متقارب في القراءتين"[٢].

وقرأ أبو السمال: «بلق»، إذا انفتح وانفرج. يقال: بلق الباب وأبلقته وبلقته: فتحته[٣].

قوله تعالى:{وَخَسَفَ الْقَمَرُ} [القيامة : ٨]، أي:" وذهب نور القمر"[٤].

قال الطبري:" يقول: ذهب ضوء القمر"[٥].

قال السعدي:" أي: ذهب نوره وسلطانه"[٦].

قال أبو عبيدة:" وكسف القمر، واحد، ذهب ضوءه"[٧].

قال قتادة:" ذهب ضوءه فلا ضوء له"[٨].

قال الحسن:" هو ضوءه، يقول: ذهب ضوءه"[٩].

قال ابن كيسان: "ويحتمل أن يكون بمعنى: غاب، كقوله سبحانه: {فَخَسَفْنَا بِهِ وَبِدَارِهِ الْأَرْضَ} [القصص : ٨١]"[١٠].

قوله تعالى:{وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} [القيامة : ٩]، أي:" وجُمِع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما"[١١].

قال الطبري: يقول:" وجمع بين الشمس والقمر في ذهاب الضوء، فلا ضوء لواحد منهما"[١٢].

قال السعدي:" وهما لم يجتمعا منذ خلقهما الله تعالى، فيجمع الله بينهما يوم القيامة، ويخسف القمر، وتكور الشمس، ثم يقذفان في النار، ليرى العباد أنهما عبدان مسخران، وليرى من عبدهما أنهم كانوا كاذبين"[١٣].

قال الزجاج:" أي: جمِعَا فِي ذَهَابِ نُورهما"[١٤].

قال الثعلبي:" أسودين مكوّرين كأنهما ثوران عقيران"[١٥].

قال الزمخشري: "حيث يطلعهما الله من المغرب"[١٦].

عن مجاهد: "{وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}، قال: كوّرا يوم القيامة"[١٧].

قال ابن زيد:" جُمعا فرُمي بهما في الأرض"[١٨].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/٨.
(٢) المحرر الوجيز: ٤٠٣/٥.
(٣) انظر: الكشاف: ٦٦٠/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٥) تفسير الطبري: ٥٦/٢٤.
(٦) تفسير السعدي: ٨٩٩.
(٧) مجاز القرآن: ٢٧٧/٢.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٤-٥٧.
(١٠) نقلا عن: "الكشف والبيان": ٨٤/١٠.
(١١) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٤.
(١٣) تفسير السعدي: ٨٩٩.
(١٤) معاني القرآن: ٢٥٢/٥.
(١٥) الكشف والبيان: ٨٤/١٠.
(١٦) الكشاف: ٦٦٠/٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٤.

عن زيد بن أسلم عن عطاء بن يسار:" أنه تلا هذه الآية يوما: {وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ}، قال: يجمعان يوم القيامة، ثم يقذفان في البحر، فيكون نار الله الكبرى"[١].

قوله تعالى:{يَقُولُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ أَيْنَ الْمَفَرُّ} [القيامة : ١٠]، أي:" يقول الإنسان وقتها: أين المهرب من العذاب؟"[٢].

قال الطبري:" يقول الإنسان يوم يعاين أهوال يوم القيامة: أين المفرّ من هول هذا الذي قد نزل، ولا فرار"[٣].

قال ابن كثير:" أي : إذا عاين ابنُ آدم هذه الأهوال يوم القيامة، حينئذ يريد أن يفر ويقول : أين المفر ؟ أي : هل من ملجأ أو موئل ؟"[٤].

قال السعدي:" أي: أين الخلاص والفكاك مما طرقنا وأصابنا"[٥].

عن عبد الله بن خالد، قال: "قرأها ابن عباس: (أيْنَ المَفِرُّ) بنصب الميم وكسر الفاء، قال: وقرأها يحيى بن وثّاب: {أيْنَ المَفَرُّ} بنصب الميم والفاء"[٦].

قال الزجاج:" وَيُقْرَأُ «أَيْنَ الْمَفِرُّ» - بكسر الفاء - فمن فتح فهو بمعنى: أين الفِرَارُ. ومن كسر فعلى معنى: أين مكان الفِرار"[٧].

عن الأوزاعي، قال: "سمعتُ بلال بن سعد يقول في قوله تعالى: {ولو ترى إذ فزعوا فلا فوت} [سبأ: ٥١]. قال: ذلك قوله تعالى: {يقول الإنسان يومئذ أين المفر}"[٨].

القرآن

{كَلَّا لَا وَزَرَ (١١) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ (١٢)} [القيامة : ١١-١٢]

التفسير:

ليس الأمر كما تتمناه -أيها الإنسان- مِن طلب الفرار، لا ملجأ لك ولا منجى. إلى الله وحده مصير الخلائق يوم القيامة ومستقرهم، فيجازي كلا بما يستحق.

قوله تعالى:{كَلَّا لَا وَزَرَ} [القيامة : ١١]، أي:" ليس الأمر كما تتمناه -أيها الإنسان- مِن طلب الفرار، لا ملجأ لك ولا منجى"[٩].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: ليس هناك فرار ينفع صاحبه، لأنه لا ينجيه فِراره، ولا شيء يلجأ إليه من حصن ولا جبل ولا معقل، من أمر الله الذي قد حضر، وهو الوزر"[١٠].

قال ابن كثير:" أي: لا نجاة. وهذه كقوله :{مَا لَكُمْ مِنْ مَلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ} [الشورى : ٤٧]، أي : ليس لكم مكان تتنكرون فيه، وكذا قال هاهنا {لا وَزَرَ}، أي : ليس لكم مكان تعتصمون فيه"[١١].

قال الزجاج:" الوَزَرُ-في كلام العَرَبِ-: الجَبَلُ الَّذِي يُلجأ إليه: هذا أصله، وَكُل ما التجأت إليه وَتَخَلَّصْتَ به فَهُوَ: وَزَر "[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٣) تفسير الطبري: ٥٨/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/٨.
(٥) تفسير السعدي: ٨٩٩.
(٦)عزاه السيوطي إلى أبي عبيد، وعبد بن حميد، وابن المنذر.
و {المَفَرُّ} بفتح الميم ونصب الفاء قراءة العشرة، وأما (المَفِرُّ) بكسر الفاء فهي قراءة شاذة، تروى أيضًا عن الحسين بن علي، والحسن بن يزيد، والزهري. انظر: المحتسب ٢/ ٤١٣، ومختصر ابن خالويه ص ١٦٦.
(٧) معاني القرآن: ٢٥٢/٥.
(٨)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢٢٧.
(٩) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(١٠) تفسير الطبري: ٥٨/٢٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/٨.

عن ابن عباس، قوله: "{كَلا لا وَزَرَ}، يقول: لا حرز"[٢].
قال ابن عباس:" يعني: لا حصن، ولا ملجأ"[٣].
قال مجاهد:" لا ملجَأ ولا جبل"[٤].
قال قتادة:" لا جبل ولا حِرْز ولا منجى"[٥].
عن إبراهيم بن طريف، قال: "سمعت مُطرِّف بن الشِّخِّير يقرأ: {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}، فلما أتى على: {كَلا لا وَزَرَ}، قال: هو الجبل، إن الناس إذا فرّوا قالوا عليك بالوَزَر"[٦].
عن أدهم، قال: "سمعت مُطرِّفا يقول: {كَلا لا وَزَرَ}، قال: كلا لا جَبَل"[٧].
عن قتادة، والحسن: "{كَلا لا وَزَرَ}، قال: لا جبل"[٨].
قال الحسن:" كانت العرب تخيف بعضها بعضا، قال: كان الرجلان يكونان في ماشيتهما، فلا يشعران بشيء حتى تأتيهما الخيل، فيقول أحدهما لصاحبه، يا فلان الوَزَر الوَزَر، الجَبَل الجَبَل"[٩].
قال الحسن:" كانت العرب في الجاهلية إذا خشوا عدوّا قالوا: عليكم الوزر: أي عليكم الجبل"[١٠].
قال الضحاك:" يعني: الجبل بلغة حِمْير"[١١].
عن سعيد بن جبير، وقتادة، والضحاك، وأبي قلابة: "{كَلا لا وَزَرَ}، قال: لا حصن"[١٢].
قال ابن زيد:" لا مُتَغَيَّب يُتَغيب فيه من ذلك الأمر، لا منجَى له منه"[١٣].
قوله تعالى:{إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [القيامة : ١٢]، أي:" إلى الله وحده مصير الخلائق يوم القيامة ومستقرهم، فيجازي كلا بما يستحق"[١٤].
وفي قوله تعالى:{إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمُسْتَقَرُّ} [القيامة : ١٢]، وجهان:
أحدهما: إلى ربك أيها الإنسان يومئذ الاستقرار، وهو الذي يقرّ جميع خلقه مقرّهم. قاله ابن زيد[١٥]، وبه قال الطبري[١٦].
قال ابن زيد:" أهل الجنة في الجنة، وأهل النار في النار. وقرأ قول الله: {وَإِنَّ الدَّارَ الآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}"[١٧].
الثاني: معناه: إلى ربك المنتهى. وهذا قول قتادة[١٨]، والسدي[١٩].

---

(١) معاني القرآن: ٢٥٢/٥.
(٢) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤، ٦٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٩/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٠/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٠/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٠/٢٤.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٠/٢٤.
(١٦) تفسير الطبري: ٦٠/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٦٠/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢٤.
(١٩)تفسير البغوي ٨/ ٢٨٢.

قال ابن كثير:" أي : المرجع والمصير"[١].
قال السعدي:" فليس في إمكان أحد أن يستتر أو يهرب عن ذلك الموضع، بل لا بد من إيقافه ليجزى بعمله"[٢].
قال الزمخشري: " مستقرّ العباد، أي: استقرارهم، يعنى: أنهم لا يقدرون أن يستقرّوا إلى غيره وينصبوا إليه. أو إلى حكمه ترجع أمور العباد، لا يحكم فيها غيره، كقوله: {لِمَنِ الْمُلْكُ الْيَوْمَ}، أو إلى ربك مستقرّهم، أي: موضع قرارهم من جنة أو نار، أي: مفوض ذلك إلى مشيئته، من شاء أدخله الجنة ومن شاء أدخله النار"[٣].

القرآن
{يُنَبَّأُ الْإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ (١٣)} [القيامة : ١٣]
التفسير:
يُخَبَّر الإنسان في ذلك اليوم بجميع أعماله: من خير وشر، ما قدَّمه منها في حياته وما أخَّره.
واختلف أهل العلم في تفسير الآية على أقوال:
أحدها : بما قدَّم قبل موته، وما سنَّ من شيء فعُمِل به بعد موته، قاله ابن مسعود[٤]، وابن عباس[٥].
قال ابن عباس:" ما عمل قبل موته، وما سَنّ فعُمِل به بعد موته"[٦].
عن ابن مسعود قال: "{بِمَا قَدَّمَ} من عمله، {وأَخَّرَ} من سنة عمل بها من بعده من خير أو شرّ"[٧].
الثاني : ما قدم من معصية ، وأخر من طاعة ، قاله ابن عباس-أيضا-[٨].
قال ابن عباس:" يقول: بما قدّم من المعصية، وأخَّر من الطاعة، فينبأ بذلك"[٩].
الثالث : ينبأ بأوّل عمله وآخره.، قاله مجاهد[١٠]،وإبراهيم النخعي[١١].
الرابع : بما قدّم من طاعته، وأخَّر من حقوق الله. قاله قتادة[١٢].
وعن أبي صالح باذام، في قوله: {يُنَبَّأُ الإنْسانُ يَوْمَئِذٍ بِما قَدَّمَ وأَخَّرَ}، قال: قَدّم مِن حسنة، أو أخَّر من سُنَّة حسنة عُمِل بها بعده؛ عِلمًا عَلّمه، صدقة أمَر بها"[١٣].
قال النحاس:" من أحسن ما قيل فيه قول قتادة قال: بما قدّم من طاعة الله جلّ وعزّ وأخّر من حقّه ينبأ به كلّه"[١٤].
الخامس: بما قدّم من خير أو شرّ مما عمله، وما أخَّر مما ترك عمله من طاعة الله. قاله ابن زيد[١٥].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/٨.
(٢) تفسير السعدي: ٨٩٩.
(٣) الكشاف: ٦٦٠/٤-٦٦١.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦١/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦١/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦١/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٦١/٢٤.
(١١)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٥٥٢، والطبري: ٦١/٢٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٢/٢٤.
(١٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(١٤) إعراب القرآن: ٥٤/٥.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٢/٢٤.

وقال مجاهد:" بلغنا: أنّ نفس المؤمن لا تَخرج حتى يُعرض عليه عَمَله؛ خيره وشرّه"[١].

وقال الحسن:" يُنزِّل مَلَك الموت عليه عند الموت حَفظته، فيُعرَض عليه الخير والشر، فإذا رأى حسنة بَهَش[٢] وأشرق، وإذا رأى سيئة غَضَّ وقَطَّب[٣].

السادس: بما قدَّم من أمواله، وما خلَّف للورثة. قاله زيد بن أسلم[٤].

السابع : بما قَدَّمَ في أول عمره وما أَخَّرَ في آخر عمره. قاله عطاء[٥].

قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك عندنا، أن ذلك خبر من الله أن الإنسان ينبأ بكلّ ما قدّم أمامه مما عمل من خير أو شرّ في حياته، وأخَّر بعده من سنة حسنة أو سيئة مما قدّم وأخَّر، كذلك ما قدّم من عمل عمله من خير أو شرّ، وأخَّر بعده من عمل كان عليه فضيَّعه، فلم يعمله مما قدّم وأخَّر، ولم يخصص الله من ذلك بعضا دون بعض، فكلّ ذلك مما ينبأ به الإنسان يوم القيامة"[٦].

قال ابن كثير في الآية:" أي : يخبر بجميع أعماله قديمها وحديثها، أولها وآخرها، صغيرها وكبيرها، كما قال تعالى :{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا} [الكهف : ٤٩]"[٧].

عن سعيد بن أبي بكر بن أبي عثمان، قال: سمعت أبي يقول: سمعت أبا عثمان يقول: "خمس مصائب في الذنب أعظم من الذنب:

أوّلها: خذلان الله لعبده حتى عصاه ولو عصمه ما عصاه.

والثانية: أن سلبه حلية أوليائه وكساه لباس أعدائه.

والثالثة: أن أغلق عليه أبواب رحمته وفتح عليه أبواب عقوبته.

والرابعة: نظر إليه وهو يعصيه.

والخامسة: وقوفه بين يديه يعرض عليه ما قدّم وأخّر من قبائحه.

فهؤلاء المصائب الخمس في الذنب أعظم من الذنب"[٨].

القرآن

{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ (١٤) وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ (١٥)} [القيامة : ١٤-١٥]

التفسير:

بل الإنسان حجة واضحة على نفسه تلزمه بما فعل أو ترك، ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن إجرامه، فإنه لا ينفعه ذلك.

قوله تعالى:{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة : ١٤]، أي:" بل الإنسان حجة واضحة على نفسه تلزمه بما فعل أو ترك"[٩].

وفي قوله تعالى:{بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} [القيامة : ١٤]، ودوه من التفسير:

---

(١)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢)يقال للإنسان إذا نظر إلى الشيء فأعجبه واشتهاه وأسرع نحوه: قد بَهَشَ إليه. النهاية (بهش).

(٣)عزاه السيوطي إلى ابن أبي الدنيا في كتاب المحتضرين.

(٤) نقلا عن: الكشف والبيان: ٨٥/١٠.

(٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ٨٥/١٠.

(٦) تفسير الطبري: ٦٢/٢٤.

(٧) تفسير ابن كثير: ٢٧٧/٨.

(٨) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٨٥/١٠.

(٩) التفسير الميسر: ٥٧٧.

أحدها : أنه شاهد على نفسه بما تقدم به الحجة عليه، قاله أبو العالية[١]، وعطاء[٢]، وابن زيد[٣]، وهي رواية العوفي عن ابن عباس[٤]، ومنه قوله تعالى {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} [الإسراء : ١٤].

قال أبو العالية وعطاء: "بل الإنسان على نفسه شاهد"[٥].

قال ابن زيد،: "هو شاهد على نفسه، وقرأ: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا}"[٦].

قال السمعاني:" المعنى: هو لزوم الحجة عليه كما يلزم بالشهادة، وما من أحد إلا وله من نفسه على نفسه حجة"[٧].

الثاني : أن جوارحه شاهدة عليه بعمله ، قاله عكرمة[٨]، ومقاتل[٩]، والكلبي[١٠]. وهي رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[١١]، ومنه قوله تعالى : {الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ} [يس : ٦٥].

قال ابن عباس:" يقول: سمعه وبصره ويداه ورجلاه وجوارحه"[١٢].

قال قتادة:" شاهد عليها بعملها"[١٣].

قال الزجاج:" فأعلم اللّه أن هذه الجوارح التي يتصرفون بها شواهد عليهم"[١٤].

قال الطبري: يقول :" بل للإنسان على نفسه من نفسه رقباء يرقبونه بعمله، ويشهدون عليه به"[١٥].

وقال ابن تغلب: "البصيرة والبينة والشاهد والدليل واحد"[١٦].

الثالث : معناه: بصير بعيوب الناس غافل عن عيب نفسه فيما يستحقه لها وعليها من ثواب وعقاب. روي معناه عن قتادة[١٧].

قال قتادة:" إذا شئت والله رأيته بصيرا بعيوب الناس وذنوبهم، غافلا عن ذنوبه؛ قال: وكان يقال: إن في الإنجيل مكتوبا: يا ابن آدم تبصر القذاة في عين أخيك، ولا تبصر الجذع المعترض في عينك"[١٨].

قوله تعالى:{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ} [القيامة : ١٥]، أي:" ولو جاء بكل معذرة يعتذر بها عن إجرامه، فإنه لا ينفعه ذلك"[١٩].

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(٢) انظر: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(٣) أنظر: تفسير الطبري: ٦٣/٢٤.
(٤) انظر: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٤.
(٧) تفسير السمعاني: ١٠٥/٦.
(٨) انظر: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(٩) انظر: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(١٠) انظر: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٦٢/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٢/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٤.
(١٤) معاني القرآن: ٢٥٣/٥.
(١٥) تفسير الطبري: ٦٢/٢٤.
(١٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ٨٦/١٠.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٣/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٦٣/٢٤.
(١٩) التفسير الميسر: ٥٧٧.

قال السعدي:" فإنها معاذير لا تقبل، ولا تقابل ما يقرر به العبد، فيقر به، كما قال تعالى: {اقْرَأْ كِتَابَكَ كَفَى بِنَفْسِكَ الْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا} . فالعبد وإن أنكر، أو اعتذر عما عمله، فإنكاره واعتذاره لا يفيدانه شيئا، لأنه يشهد عليه سمعه وبصره، وجميع جوارحه بما كان يعمل، ولأن استعتابه قد ذهب وقته وزال نفعه: {فَيَوْمَئِذٍ لا يَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرَتُهُمْ وَلا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ}"[1].

وفي قوله تعالى:{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ} [القيامة : ١٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : معناه: لو اعتذر يومئذ لم يقبل منه، قاله ابن عباس[2]، وسعيد بن جبير[3].

قال سعيد بن جبير:" شاهد على نفسه ولو اعتذر"[4].

قال مجاهد:" ولو جادل عنها، فهو بصيرة عليها"[5].

عن قتادة، قوله: "{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}، قال: ولو اعتذر"[6]. وفي رواية:" لو اعتذر يومئذ بباطل لم يَقبل اللهُ ذلك منه يوم القيامة"[7].

عن الحسن: "{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}، لم تُقبل معاذيره"[8].

وقال عطاء:" يعني: يَشهد عليه الشاهد، ولو اعتذر وجادل عن نفسه لم يَنفعه"[9].

قال ابن زيد:" معاذيرهم التي يعتذرون بها يوم القيامة فلا ينتفعون بها، قال: {يوم لا يؤذن لهم فيعتذرون}، ويوم يؤذن لهم فيعتذرون فلا تنفعهم ويعتذرون بالكذب"[10].

عن عمران بن حدير، قال: "سألت عكرمة، عن قوله: {بَلِ الإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}، قال: فسكت، فقلت له: إن الحسن يقول: ابن آدم عملك أولى بك، قال: صدق"[11].

الثاني : أي: لو تجرد من ثيابه، رواه زرارة بن أوفى عن ابن عباس[12].

الثالث : لو أظهر حجته، قاله السدي[13]، وقال النابغة[14]:

لدىّ إذا ألقى البخيلُ معاذِرَه

قال الزجاج:" ولو أدلى بكل حُجةٍ عِنْدَهُ"[15].

الرابع : معناه: ولو أرخى ستوره، و«الستر» -بلغة اليمن-: معذار، قاله الضحاك[16]، والسدي[17]، قال الشاعر[18]:

ولكنّها ضَنّتْ بمنزل ساعةٍ ... علينا وأطّت فوقها بالمعاذر

---

(١) تفسير السعدي: ٨٩٩.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٣/٢٤-٦٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٤/٢٣.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٤.
(٧)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٤.
(٩)تفسير البغوي ٨/ ٢٨٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٤/٢٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٥٥/٦.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٥٥/٦.
(١٥) معاني القرآن: ٢٥٣/٥.
(١٦) انظر: فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ٣٤٢.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٤/٢٤.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ١٥٥/٦، وتفسير القرطبي: ١٠٠/١٩، والبحر المحيط: ٣٤٧/١٠، واللباب: ٥٧٢/١٠.

قال السدي:" ولو أرخى الستور، وأغلق الأبواب"[١].

عن الضحاك :"{وَلَوْ أَلْقَى مَعَاذِيرَهُ}، قال: ستوره، أهل اليمن يسمون «الستر»: المعذار"[٢].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب قول من قال: معناه: ولو اعتذر لأن ذلك أشبه المعاني بظاهر التنزيل، وذلك أن الله جلّ ثناؤه أخبر عن الإنسان أن عليه شاهدًا من نفسه بقوله: {بَلِ الإنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ} فكان الذي هو أولى أن يتبع ذلك، ولو جادل عنها بالباطل، واعتذر بغير الحقّ، فشهادة نفسه عليه به أحقّ وأولى من اعتذاره بالباطل"[٣].

فوائد الآيات: [١-١٥]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- بيان إفضال الله على العبد في خلقه وتركيب أعضائه.

٣- معجزة قرآنية أثبتها العلم الصناعي الحديث وهي عدم تسوية خطوط الأصابع.

٤- فكما خالف تعالى بين الإنسان والإنسان وبين صوت وصوت فرق بين خطوط الأصابع فلذا استعملت في الإمضاءات وقبلت في الشهادات.

٥- تقرير مبدأ أن المؤمن يثاب على ما أخر من سنة حسنة يعمل بها بعده كما يأثم بترك السنة السيئة يعمل بها كذلك بعده.

القرآن

{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ (١٧) فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ (١٩)} [القيامة : ١٦-١٩]

التفسير:

لا تحرك -أيها النبي- بالقرآن لسانك حين نزول الوحي؛ لأجل أن تتعجل بحفظه، مخافة أن يتفلَّت منك. إن علينا جَمْعه في صدرك، ثم أن تقرأه بلسانك متى شئت. فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل فاستمِعْ لقراءته وأنصت له، ثم اقرأه كما أقرأك إياه، ثم إن علينا توضيح ما أشكل عليك فهمه من معانيه وأحكامه.

سبب النزول:

عن عبد الله بن عباس -من طريق سعيد بن جُبَير-: كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُعالج من التنزيل شِدّة، فكان يُحرّك به لسانه وشَفتيه مخافة أن يَتفلَّتَ منه، يريد أن يَحفظه؛ فأنزل الله: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وقُرْآنَهُ} قال: يقول: علينا أن نَجمعه في صدرك ثم تقرأه، {فَإذا قَرَأناهُ} يقول: إذا أنزلناه عليك {فاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} فاستَمِع له وأنصِتْ، {ثُمَّ إنَّ عَلَيْنا بَيانَهُ} أن نُبيّنه بلسانك، وفي لفظ: علينا أن نَقرأه. فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بعد ذلك إذا أتاه جبريل أطرق -وفي لفظ استمَع-، فإذا ذَهب قرأه كما وعده الله - عز وجل -"[٤].

عن سعيد بن جُبير، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه القرآن تعجَّل به يريد حفظه؛ وقال يونس: يحرِّك شفتيه ليحفظه، فأنزل الله: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}"[٥].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٤/٢٤.

(٢) أخرجه القاسم بن سلام في "فضائل القرآن": ٣٤٢.

(٣) تفسير الطبري: ٦٥/٢٤.

(٤)أخرجه البخاري ١/ ٨ (٥)، ٦/ ١٦٣ (٤٩٢٧ - ٤٩٢٩)، ٦/ ١٩٥ (٥٠٤٤)، ٩/ ١٥٣ (٧٥٢٤)، ومسلم ١/ ٣٣٠ (٤٤٨)، والطبري: ٦٦/٢٤، وابن أبي حاتم -كما في تفسير ابن كثير ٨/ ٢٧٩ -.

(٥) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٤-٦٦.

قوله تعالى:{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة : ١٦]، أي:" لا تحرك -أيها النبي- بالقرآن لسانك حين نزول الوحي؛ لأجل أن تتعجل بحفظه، مخافة أن يتفلّت منك"[١].

قال ابن زيد:" لا تكلم بالذي أوحينا إليك حتى يقضى إليك وحيه، فإذا قضينا إليك وحيه، فتكلم به"[٢].

وفي قوله تعالى:{لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة : ١٦]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن النبي -صلى الله عليه وسلم- كان إذا نزل عليه القرآن حرك به لسان يستذكره . مخافة أن ينساه ، وكان ناله منه شدة ، فنهاه الله تعالى عن ذلك وقال :{إنّ علينا جَمْعَه وقرآنه}، قاله ابن عباس[٣]، وسعيد بن جبير[٤]، والضحاك[٥].

وبه قال الطبري، قائلا:" وذلك أن قوله: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} ينبئ أنه إنما نهى عن تحريك اللسان به متعجلا فيه قبل جمعه، ومعلوم أن دراسته للتذكر إنما كانت تكون من النبيّ صلى الله عليه وسلم من بعد جمع الله له ما يدرس من ذلك"[٦].

قال ابن عباس:" كان النبيّ صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه جبريل بالوحي، كان يحرّك به لسانه وشفتيه، فيشتدّ عليه، فكان يعرف ذلك فيه، فأنزل الله هذه الآية في «لا أقسم بيوم القيامة»: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}"[٧].

عن ابن عباس، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه القرآن تعجَّل يريد حفظه، فقال الله تعالى ذكره: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}، وقال ابن عباس: هكذا وحرّك شفتيه"[٨].

قال سعيد بن جبير:" كان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن، فيحرِّك به لسانه، يستعجل به، فقال: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِه}"[٩].

عن سعيد بن جُبير، أن النبيّ صلى الله عليه وسلم كان إذا نزل عليه القرآن تعجَّل به يريد حفظه؛ وقال يونس: يحرِّك شفتيه ليحفظه، فأنزل الله: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}"[١٠].

قال يحيى بن سلام:" كان النبي عليه السلام إذا نزل عليه الوحي يقرأه ويدئب فيه نفسه مخافة أن ينسى، فأنزل الله: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} [القيامة: ١٦] نحن نحفظه عليك فلا تنسى"[١١].

قال الضحاك:" كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم إذا نزل عليه الوحي من القرآن حرّك به لسانه مخافة أن ينساه"[١٢].

الثاني : أنه كان يعجل بذكره إذا نزل عليه من حبه له وحلاوته في لسانه ، فنهي عن ذلك حتى يجتمع ، لأن بعضه مرتبط ببعض ، قاله عامر الشعبي[١٣].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٦/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٦/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٧/٢٤.
(٦) تفسير الطبري: ٦٧/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٥/٢٤-٦٦.
(١١) تفسير يحيى بن سلام: ٢٨٣/١.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٦/٢٤.

قال الشعبي:" كان إذا نزل عليه الوحي عَجِل يتكلم به من حبه إياه، فنزل: (لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}"[1].

الثالث: أنه كان يُكثر تلاوة القرآن مخافة نسيانه، فقيل له: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ} إن علينا أن نجمعه لك، ونقرئكه فلا تنسى. وهذا قول ابن عباس-أيضا-[2]، والحسن[3]، ومجاهد[4]، وقتادة[5].

قال ابن عباس:" كان لا يفتر من القرآن مخافة أن ينساه، فقال الله: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}، إن علينا أن نجمعه لك، {وقرآنه}: أن نقرئك فلا تنسى"[6].

قال الحسن:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يحرّك به لسانه ليستذكره، فقال الله: {لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ}، إنا سنحفظه عليك"[7].

قال مجاهد:" كان يستذكر القرآن مخافة النسيان، فقال له: كفيناكه يا محمد"[8].

قال قتادة:" كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ القرآن فيكثر مخافة أن ينسى"[9].

قال قتادة:" كان نبيّ الله صلى الله عليه وسلم يحرّك به لسانه مخافة النسيان، فأنزل الله ما تسمع"[10].

قوله تعالى:{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة : ١٧]، أي:" إن علينا جَمْعه في صدرك، ثم أن تقرأه بلسانك متى شئت"[11].

قال ابن قتيبة:" وإنما سمي قرآنا لأنه جمع السور وضمّها. ويكون القرآن مصدرًا كالقراءة: يقال: قرأت قراءة حسنة وقرآنا حَسَنًا. وقال الله: {وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا} [الإسراء: ٧٨]، أي: قراءة الفجر، يعني: صلاة الفجر. قال الشاعر في عثمان بن عفان رضي الله عنه-[12]:

ضَحَّوْا بِأَشْمَطَ عُنْوَانُ السّجُّودِ بِهِ ... يُقَطِّعُ الليلَ تَسْبِيحًا وقُرْآنا

أي: تسبيحًا وقراءة"[13].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} [القيامة : ١٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : إن علينا جمعه في قلبك لتقرأه بلسانك، قاله ابن عباس[14]، وبه قال الطبري[1]، وابن كثير[2].

---

(١) أخرجه الطبري: ٦٦/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٦٧/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٦٧/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٧/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٧/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٧/٢٤.
(١١) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(١٢)يروى لحسان بن ثابت كما في ديوانه ٤١٠ واللسان ١٧/ ١٦٨، ١٩/ ٢١١ والاقتضاب ٩٨ والبيان والتبيين ١/ ٢٢٠، ٣/ ٢٦٢ وهو غير منسوب في تفسير الطبري ١/ ٩٧ طبع المعارف ونسب إلى أوس بن مغراء، ونقل العيني في المقاصد النحوية بهامش الخزانة ٤/ ١٧ عن ابن السيرافي أنه لكثير بن عبد الله النهشلي، المعروف بابن الغريرة. ونقل البغدادي في الخزانة ٤/ ١١٨ عن ابن يعيش أنه لكثير هذا، وقيل لحسان. ومعنى ضحوا: أي ذبحوه كالأضحية. قال ابن بري: أي جعلوه بدل الأضحية، كأنهم قتلوه في أيام لحوم الأضاحي، وذلك يوم الجمعة لثمان عشرة ليلة خلت من ذي الحجة، سنة خمس وثلاثين من الهجرة. والشمط بالتحريك بياض الشعر من الرأس يخالط سواده.
(١٣) غريب القرآن: ٣٣-٣٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٨/٢٤.

عن ابن عباس: "{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ}، قال: في صدرك، {وَقُرآنَهُ}، قال: تقرؤه بعد"[٣].
عن ابن عباس: "{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ} أن نجمعه لك، {وَقُرآنَهُ}: أن نُقرئك فلا تنسى"[٤].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن علينا جمع هذا القرآن في صدرك يا محمد حتى نثبته فيه، {وقُرآنَهُ} يقول: وقرآنه حتى تقرأه بعد أن جمعناه في صدرك"[٥].
قال ابن كثير:" :{إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ}، أي : في صدرك، {وَقُرْآنَهُ}، أي : أن تقرأه"[٦].
قال الزمخشري:" وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا لقن الوحى نازع جبريل القراءة، ولم يصبر إلى أن يتمها، مسارعة إلى الحفظ وخوفا من أن يتفلت منه، فأمر بأن يستنصت له ملقيا إليه بقلبه وسمعه، حتى يقضى إليه وحيه، ثم يقفيه بالدراسة إلى أن يرسخ فيه. والمعنى: لا تحرّك لسانك بقراءة الوحى ما دام جبريل صلوات الله عليه يقرأ، {لِتَعْجَلَ بِهِ}: لتأخذه على عجلة، ولئلا يتفلت منك"[٧].
قال الزجاج:" أي: إِنَّ عَلَيْنَا أن نُقرِئَكَ فَلَا تَنْسَى، وعلينا تلاوته عليك"[٨].
الثاني : عيلنا حفظه وتأليفه على ما انزلناه، قاله قتادة[٩]. ومنه قول عمرو بن كلثوم[١٠]:
ذِرَاعَيْ عَيْطَلٍ أدْمَاءَ بِكْرٍ ... هِجانِ اللَّوْنِ لمْ تَقرأ جَنِينا
يعني بقوله: «لَمْ تَقرأ» لم تضمّ رحما على ولد، ويقال للتي لم تلد: ما قرأت سلى قط[١١].
عن قتادة: "{جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}، قال: حفظه وتأليفه"[١٢].
قال أبو عبيدة وابن قتيبة:" {إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ}، أي: تأليفه"[١٣].
وقال ابن قتيبة:" أي: ضمَّه وجمْعَه"[١٤].
الثالث : عيلنا أن نجمعه لك حتى تثبته في قلبك ، قاله الضحاك[١٥].
قال الفراء:" أي: أن جبريل عَلَيْهِ السَّلام سيعيده عليك"[١٦].
قال النحاس:" فيضمن الله جلّ وعزّ جمعه، فبهذا كفّر الفقهاء من زعم أنه قد بقي منه شيء لأنه ردّ على ظاهر التنزيل، وسئل سفيان بن عيينة: «كيف غيّرت التوراة والإنجيل وهما من عند الله؟ فقال: إن الله جلّ وعزّ وكل حفظهما إليهم، فقال جل ثناؤه: {بِمَا اسْتُحْفِظُوا مِنْ كِتابِ اللَّهِ} [المائدة: ٤٤]، ولم يكل حفظ القرآن إلى أحد فقال: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحافِظُونَ} [الحجر: ٩]، وما حفظه لم يغيّر"[١٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٦٨/٢٤.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٧٨/٨.
(٣) أخرجه الطبري: ٦٨/٣٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٦٨/٣٤.
(٥) تفسير الطبري: ٦٨/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٧٨/٨.
(٧) الكشاف: ٦٦١/٤.
(٨) معاني القرآن: ٢٥٣/٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٨/٢٤.
(١٠) البيت هو السادس في الجزء الثاني من ديوانه رقم ٢١، وانظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٧/١، وتفسير الطبري: ٦٨/٢٤.
(١١) انظر: مجاز القرآن لأبي عبيدة: ١٧/١، وتفسير الطبري: ٦٩/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٨/٣٤.
(١٣) مجاز القرآن: ١٧/١، وغريب القرآن: ٣٣.
(١٤) غريب القرآن: ٥٠٠.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٦٨/٢٤.
(١٦) معاني القرآن: ٢١١/٣.
(١٧) إعراب القرآن: ٥٤/٥-٥٥.

قوله تعالى:{فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة : ١٨]، أي:" فإذا قرأه عليك رسولنا جبريل فاستمِعْ لقراءته وأنصت له، ثم اقرأه كما أقرأك إياه"[١].

وفي قوله تعالى:{فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ} [القيامة : ١٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : فإذا بيّناه فاعمل بما فيه ، قاله ابن عباس[٢].

عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: "{فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}، يقول: اعمل به"[٣].

الثاني : فإذا أنزلناه فاستمع قرآنه ، وهذا مروي عن ابن عباس -أيضاً-[٤].

قال ابن عباس:" فإذا أنزلناه إليك فاستمع له"[٥].

قال ابن كثير:" أي : إذا تلاه عليك الملك عن الله عز وجل، فاستمع له، ثم اقرأه كما أقرأك"[٦].

الثالث : فإذا تلي عليك فاتبع ما فيه من الشرائع والأحكام، قاله قتادة[٧]، والضحاك[٨]، وهو مروي عن ابن عباس –في إحدى الروايات-[٩].

قال ابن عباس:" يقول: إذا تلي عليك فاتبع ما فيه"[١٠].

قال الضحاك:" يقول: اتبع ما فيه"[١١].

قال قتادة:" يقول: اتبع حلاله، واجتنب حرامه"[١٢].

قال الطبري:" وأولى هذه الأقوال بالصواب في ذلك قول من قال: فإذا تُلي عليك فاعمل به من الأمر والنهي، واتبع ما أُمرت به فيه، لأنه قيل له: {إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ} في صدرك {وقُرآنَهُ} ودللنا على أن معنى قوله: {وقُرآنَهُ}: وقراءته، فقد بين ذلك عن معنى قوله: {فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ}"[١٣].

قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة : ١٩]، أي:" ثم إن علينا توضيح ما أشكل عليك فهمه من معانيه وأحكامه"[١٤].

وفي قوله تعالى:{ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة : ١٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : بيان ما فيه من أحكام وحلال وحرام ، قاله ابن عباس[١٥]، وقتادة[١٦].

قال ابن عباس:" يقول: حلاله وحرامه، فذلك بيانه"[١٧].

قال قتادة:" بيان حلاله، واجتناب حرامه، ومعصيته وطاعته"[١٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ثم إن علينا بيان ما فيه من حلاله وحرامه، وأحكامه لك مفصلة"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٧٠/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٦٩/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٦٩/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٧٨/٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٦٩/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٦٩/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٦٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٦٩/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٦٩/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٦٩/٢٤.
(١٣) تفسير الطبري: ٧٠/٢٤.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٧٧.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٧٠/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٧٠/٢٤.

قال ابن كثير:" أي : بعد حفظه وتلاوته نبينه لك ونوضحه، ونلهمك معناه على ما أردنا وشرعنا"[٢].
الثاني : علينا بيانه بلسانك إذا نزل به جبريل حتى تقرأه كما أقرأك ، رواه سعيد بن جبير عن ابن عباس[٣].
قال ابن عباس:" تبيانه بلسانك"[٤].
الثالث : علينا أن نجزي يوم القيامة بما فيه من وعد أو وعيد ، قاله الحسن[٥].

القرآن
{كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)} [القيامة : ٢٠-٢١]
التفسير:
ليس الأمر كما زعمتم -يا معشر المشركين- أن لا بعث ولا جزاء، بل أنتم قوم تحبون الدنيا وزينتها، وتتركون الآخرة ونعيمها.
قوله تعالى:{كَلَّا} [القيامة : ٢٠]، أي:" ليس الأمر كما زعمتم -يا معشر المشركين- أن لا بعث ولا جزاء"[٦].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لعباده المخاطبين بهذا القرآن المؤثرين زينة الحياة الدنيا على الآخرة: ليس الأمر كما تقولون أيها الناس من أنكم لا تبعثون بعد مماتكم، ولا تجازون بأعمالكم"[٧].
قوله تعالى: {بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ (٢٠) وَتَذَرُونَ الْآخِرَةَ (٢١)} [القيامة : ٢٠ - ٢١]، أي:" بل أنتم قوم تحبون الدنيا وزينتها، وتتركون الآخرة ونعيمها"[٨].
قال الطبري: يقول: "لكن الذي دعاكم إلى قيل ذلك محبتكم الدنيا العاجلة، وإيثاركم شهواتها على آجل الآخرة ونعيمها، فأنتم تومنون بالعاجلة، وتكذّبون بالآجلة"[٩].
قال ابن كثير:" أي : إنما يحملهم على التكذيب بيوم القيامة ومخالفة ما أنزله الله عز وجل على رسوله صلى الله عليه وسلم من الوحي الحق والقرآن العظيم : إنهم إنما همتهم إلى الدار الدنيا العاجلة، وهم لاهون متشاغلون عن الآخرة"[١٠].
قال قتادة:" اختار أكثر الناس العاجلة، إلا من رحم الله وعصم"[١١].
قرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر {يحبون} {ويذرون} بالياء جميعا، وقرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائى {تحبون} {وتذرون} بالتاء[١٢].

القرآن
{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ (٢٢) إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ (٢٣)} [القيامة : ٢٢-٢٣]
التفسير:

---

(١) تفسير الطبري: ٧٠/٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٧٨/٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٠/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٧٠/٢٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ١٥٦/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٧) تفسير الطبري: ٧٠/٢٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٩) تفسير الطبري: ٧٠/٢٤-٧١.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٨.
(١١) أخرجه الطبري: ٧١/٢٤.
(١٢) انظر: السبعة في القراءات: ٦٦١.

وجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة حسنة ناعمة، ترى خالقها ومالك أمرها، فتتمتع بذلك.

قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} [القيامة : ٢٢]، أي:" وجوه أهل السعادة يوم القيامة مشرقة حسنة ناعمة"[١].

وفي قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ} [القيامة : ٢٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: حسنة ، قاله الحسن[٢]، ومجاهد-في رواية-[٣]، وأبو صالح[٤].

قال مقاتل:" يعنى: الحسن والبياض، ويعلوه النور"[٥].

قال الفراء:" مشرقة بالنعيم"[٦].

قال ابن قتيبة:" أي: مشرقة"[٧].

قال ابن كثير:" {نَاضِرَةٌ} من النضارة، أي: حسنة بَهِيَّة مشرقة مسرورة "[٨].

قال أبو عبيدة:" يقال: نضر الله وجهك وقد نضّر وجهك"[٩].

قال مجاهد:" نُضرة الوجوه: حُسنها"[١٠].

قال مجاهد:" الوجوه الحسنة"[١١].

قال مجاهد:" من السرور والنعيم والغبطة"[١٢].

عن مجاهد: "{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ}، قال: نضرة من النعيم"[١٣].

وقال مجاهد:" ضاحكة إلى ربها ناظرة"[١٤].

عن أبي صالح: "{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ}، قال: حَسنة"[١٥].

عن الحسن البصري:" {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ}، يقول: حَسنة"[١٦].

عن الحسن البصري:"النَّضْرة: الحُسن، نَظرتْ إلى ربّها فنَضَرتْ بنوره"[١٧].

عن الحسين بن واقد: "{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ}، من النعيم"[١٨].

عن السدي:" {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ} مُضيئة"[١٩].

قال محمد بن كعب القرظي:" نَضّر الله تلك الوجوه وحَسّنها للنظر إليه"[٢٠].

الثاني : مستبشرة، قاله مجاهد-أيضا-[٢١].

الثالث : ناعمة ، قاله ابن عباس[١]، وابن زيد[٢].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٤.
(٤) .
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٢/٤.
(٦) معاني القرآن: ٢١٢/٣.
(٧) غريب القرآن: ٤٢٧.
(٨) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٨.
(٩) مجاز القرآن: ٢٧٨/٢.
(١٠) أخرجه الطبري: ٧١/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٧١/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٧١/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.
(١٤) السنة لعبدالله بن احمد(٤٨٠):ص٢٦١/٢.
(١٥)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ٥٤٤. وعزاه السيوطي إلى ابن جرير.
(١٦)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٨٧ -، والطبري: ٧١/٢٤.
(١٧)أخرجه الآجري (٥٨٥)، واللالكائي (٨٠٠)، والبيهقي في الاعتقاد ص ١٣٣.
(١٨) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.
(١٩)تفسير الثعلبي ١٠/ ٨٧، وتفسير البغوي ٨/ ٢٨٤.
(٢٠)أخرجه الآجري (٥٨٢). وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٢١) انظر: النكت والعيون: ١٥٦/٦.

الرابع : مسرورة ، قاله مجاهد-[٣]، وعكرمة[٤].

قوله تعالى:{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة : ٢٣]، أي:" ترى خالقها ومالك أمرها، فتتمتع بذلك"[٥].

وفي قوله تعالى:{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [القيامة : ٢٣]، وجهان من التفسير:

أحدهما : تنظر إلى ربها في القيامة ، قاله الحسن[٦]، وعكرمة[٧]، وعطية العوفي[٨].

قال ابن كثير:" أي : تراه عيانا"[٩].

قال الحسن:" تنظر إلى الخالق، وحُقَّ لها أن تنضر وهي تنظر إلى الخالق"[١٠].

عن الحسين بن واقد :"{{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، قال: أخبرني يزيد النحوي، عن عكرمة وإسماعيل بن أبي خالد، وأشياخ من أهل الكوفة، قال: تنظر إلى ربها نظرا"[١١].

قال عطية العوفي:" هم ينظرون إلى الله لا تحيط أبصارهم به من عظمته، وبصره محيط بهم، فذلك قوله: {لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ}"[١٢].

الثاني : إلى ثواب ربها، قاله ابن عمر[١٣]، ومجاهد[١٤]، وأبو صالح[١٥].

قال مجاهد:" تنتظر الثواب من ربها"[١٦]. وفي رواية:" تنتظر الثواب"[١٧].

قال مجاهد:" تنتظر رزقه وفضله"[١٨].

قال مجاهد:" تنتظر من ربها ما أمر لها"[١٩].

قال مجاهد:" تنتظر الثواب من ربها، لا يراه من خلقه شيء"[٢٠].

عن منصور، عن مجاهد، قال: "كان أناس يقولون في حديث: «فيرون ربهم»، فقلت لمجاهد: إن ناسا يقولون إنه يرى، قال: يَرى ولا يراه شيء"[٢١].

قال أبو صالح:" تنتظر الثواب"[٢٢].

قال الثعلبي:" وهذا تأويل مدخول لأنّ العرب إذا أرادت بالنظر الانتظار قالوا: نظرته، كما قال الله سبحانه: {فَهَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ} هل ينظرون إلّا نار الله؟ و{ما يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٦٤):ص٣٣٨٧/١٠، والنكت والعيون: ١٥٦/٦.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧١/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٦٥):ص٣٣٨٧/١٠.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٥٦/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٥٦/٦.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٢/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٤/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٧٢/٢٤.
(٢١) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.
(٢٢) أخرجه الطبري: ٧٤/٢٤.

واحِدَةً}، وإذا أردت به التفكّر والتدبير قالوا: نظرت فيه فأمّا إذا كان النظر مقرونا بذكر إلى وذكر الوجه فلا يكون إلّا بمعنى الرؤية والعيان"[١].

قال الطبري:" الصواب: أن معنى ذلك: تنظر إلى خالقها، وبذلك جاء الأثر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: .. عن ابن عمر، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ أدْنى أهْلِ الجَنَّةِ مَنزلةً، لَمَنْ يَنْظُرُ فِي مُلْكِهِ ألْفَيْ سَنَةٍ، قال: وإنَّ أفضَلَهُمْ مَنزلةً لَمَن يَنْظُرُ فِي وَجْهِ اللهِ كُلَّ يَوْم مَرَّتَين ; قال: ثم تلا {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، قال: بالبياض والصفاء، قال: {إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، قال: تنظر كلّ يوم في وجه الله عزّ وجلّ"[٢].

قال الزجاج:" نُضِّرَت بِنَعِيمِ الجَنَّةِ والنَّظر إلى رَبِّهَا"[٣].

قال ابن الجوزي:" ورؤية الله عزّ وجلّ حقّ لا شكّ فيها"[٤].

قال أبو حنيفة:" والله تعالى يرى في الآخرة ويراه المؤمنون وهم في الجنة بأعين رؤوسهم بلا تشبيه ولا كيفية ولا يكون بينه وبين خلقه مسافة"[٥].

قال أبو موسى الأشعري:" وأجمعوا على أن المؤمنين يرون الله عز وجل يوم القيامة بأعين وجوههم على ما أخبر به تعالى في قوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ}، وقد بين معنى ذلك النبي صلى الله عليه وسلم ودفع كل إشكال فيه بقوله للمؤمنين: «ترون ربكم عياناً»[٦]"[٧].

قال ابن كثير:" وقد ثبتت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الدار الآخرة في الأحاديث الصحاح، من طرق متواترة عند أئمة الحديث، لا يمكن دفعها ولا منعها ؛ لحديث أبي سعيد وأبي هريرة - وما في الصحيحين - : أن ناسا قالوا : يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة ؟ فقال : «هل تُضَارُّون في رؤية الشمس والقمر ليس دونهما سَحَاب ؟" قالوا : لا. قال : "فإنكم تَرَون ربكم كذلك»[٨].

وفي الصحيحين عن جرير قال : نظر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القمر ليلة البدر فقال : «إنكم تَرَون ربكم كما ترون هذا القمر، فإن استطعتم ألا تُغلَبوا على صلاة قبل طلوع الشمس ولا قبل غروبها فافعلوا»[٩].

وفي الصحيحين عن أبي موسى قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "جَنَّتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وجنتان من فِضَّة آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى الله إلا رِدَاء الكبرياء على وجهه في جنة عدن»[١٠].

وفي أفراد مسلم، عن صهيب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : «"إذا دخل أهلُ الجنة الجنة" قال : "يقول الله تعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تُبَيض وجوهنا ؟ ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟" قال : "فيكشف الحجاب، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم، وهي الزيادة". ثم تلا هذه الآية :{لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَى وَزِيَادَةٌ} [يونس : ٢٦]»[١١].

---

(١) تفسير الثعلبي: ٨٨/١٠.
(٢) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٥٣/٥.
(٤) زاد المسير: ٣٧١/٤.
(٥) الفقه الأكبر: ٥٣.
(٦)أخرجه البخاري في صحيحه عن جرير بن عبد الله قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم: "إنكم سترون ربكم عياناً". (انظر كتاب التوحيد باب ٢٤ ج١٧٦/٨).
(٧)رسالة إلى أهل الثغر بباب الأبواب: ١٣٤.
(٨)صحيح البخاري برقم (٧٤٣٧، ٧٤٣٨)، وصحيح مسلم برقم (١٨٢).
(٩)صحيح البخاري برقم (٧٤٣٤، ٧٤٣٦)، وصحيح مسلم برقم (٦٣٣).
(١٠)صحيح البخاري برقم (٧٤٤٤)، وصحيح مسلم برقم (١٨٠).
(١١)صحيح مسلم برقم (١٨١).

وفي أفراد مسلم، عن جابر في حديثه : «إن الله يَتَجلَّى للمؤمنين يضحك»[١] – يعني: في عرصات القيامة - ففي هذه الأحاديث أن المؤمنين ينظرون إلى ربهم عز وجل في العرصات، وفي روضات الجنات.

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : «إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، ينظر إلى أزواجه وخدمه. وإن أفضلهم منزلة لينظر إلى وجه الله كل يوم مرتين»[٢].

وأخرج الطبري عن مجاهد، عن ابن عمر، قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى مُلكِه وسرره وخدمه مسيرة ألف سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أرفع أهل الجنة منزلة لمن ينظر إلى وجه الله بُكرة وعشية"[٣].

وأخرج الطبري بسنده عن أبي الصهباء الموصلي، قال: "إن أدنى أهل الجنة منزلة، من يرى سرره وخدمه ومُلكهُ في مسيرة ألف سنة، فيرى أقصاه كما يرى أدناه، وإن أفضلهم منزلة، من ينظر إلى وجه الله غدوة وعشية"[٤].

وأخرج ابن أبي حاتم بسنده عن موسى بن صالح بن الصباح -رضي الله عنه- قال: "إذا كان يوم القيامة يؤتى بأهل ولاية الله فيقومون بين يديه ثلاثة أصناف، فيؤتى برجل من الصنف الأول فيقول: عبدي لماذا عملت؟ فيقول يا رب خلقت الجنة وأشجارها وحورها ونعيمها وما أعددت لأهل طاعتك فيها. فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقا إليها فيقول: عبدي إنما عملت للجنة فادخلها، ومن فضلي عليك أن أعتقك من النار، فيدخلها هو ومن معه، ثم يؤتى بالصنف الثاني فيقول: عبدي لماذا عملت؟ فيقول: يا رب خلقت نارا وخلقت أغلالها وسعيرها وسمومها ويحمومها وما أعددت لأعدائك ولأهل معصيتك فيها، فأسهرت ليلي وأظمأت نهاري خوفا منها فيقول: عبدي إنما عملت خوفا من النار فإني أعتقتك من النار، ومن فضلي عليك أدخلتك جنتي، فيدخل هو ومن معه الجنة، ثم يؤتى برجل من الصنف الثالث فيقول: عبدي ولماذا عملت؟ فيقول: ربي حبا لك وشوقا إليك، وعزتك لقد أسهرت ليلي وأظمأت نهاري شوقا إليك وحبا لك، فيقول الله عبدي إنما عملت شوقا إلي وحبا لي فيتجلى له الرب، فيقول: ها أنا ذا انظر إلي، ثم يقول: فضلي عليك أن أعتقك من النار، وأبيحك جنتي، وأزيرك ملائكتي وأسلم عليك بنفسي، فيدخل هو ومن معه الجنة"[٥].

ثم قال ابن كثير: "ولولا خشية الإطالة لأوردنا الأحاديث بطرقها وألفاظها من الصحاح والحسان والمسانيد والسنن، ولكن ذكرنا ذلك مفرقا في مَواضِعَ من هذا التفسير، وبالله التوفيق. وهذا بحمد الله مجمع عليه بين الصحابة والتابعين وسلف هذه الأمة، كما هو متفق عليه بين أئمة الإسلام. وهُدَاة الأنام.

ومن تأول ذلك بأن المراد بـ {إِلَى} مفرد الآلاء، وهي النعم، كما قال الثوري، عن منصور، عن مجاهد :{إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} فقال تنتظر الثواب من ربها. رواه ابن جرير من غير وجه عن مجاهد. وكذا قال أبو صالح أيضا - فقد أبعد هذا القائل النجعة، وأبطل فيما ذهب إليه. وأين هو من قوله تعالى :{كَلا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} ؟[المطففين : ١٥]، قال الشافعي، رحمه الله : ما حَجَب الفجار إلا وقد عَلم أن الأبرار يرونه عز وجل. ثم قد تواترت الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما دل عليه سياق الآية الكريمة.."[٦].

---

(١)صحيح مسلم برقم (١٩١).
(٢)المسند (١٣/٢).
(٣) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٧٣/٢٤.
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٦٦):ص٣٣٨٨/١٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٧٩/٨-٢٨٠.

القرآن

{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ (٢٤) تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ (٢٥)} [القيامة : ٢٤-٢٥]

التفسير:

ووجوه الأشقياء يوم القيامة عابسة كالحة، تتوقع أن تنزل بها مصيبة عظيمة، تقصم فَقَار الظَّهْر.

قوله تعالى:{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ} [القيامة : ٢٤]، أي:" ووجوه الأشقياء يوم القيامة عابسة كالحة"(١).

قال ابن كثير:" هذه وجوه الفجار تكون يوم القيامة باسرة"(٢).

قال مقاتل:" يعني: متغيرة اللون"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ووجوه يومئذ متغيرة الألوان، مسودة كالحة، يقال: بسرت وجهه أبسره بسرًا: إذا فعلت ذلك، وبسر وجهه فهو باسر بيِّن البسور"(٤).

قال ابن قتيبة:" أي: عابسةٌ مقطِّبةٌ"(٥).

قال الزجاج:" {بَاسِرَةٌ} كريهة مقطبة، قد أيقنت بأن العذاب نازل بها"(٦).

عن مجاهد، قوله: "{باسِرَةٌ}، قال: كاشرة"(٧).

عن قتادة: "{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ}، أي: كالحة"(٨).

عن قتادة، وابن زيد :"{باسِرَةٌ}، قال: عابسة"(٩).

قال الزجاج:" {بَاسِرَةٌ}: كريهة مقطبة، قد أيقنت بأن العذاب نازل بها"(١٠).

قوله تعالى:{تَظُنُّ أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ} [القيامة : ٢٥]، أي:" تتوقع أن تنزل بها مصيبة عظيمة، تقصم فَقَار الظَّهْر"(١١).

قال مقاتل:" يقول: تعلم {أَنْ} يفعل بها شر"(١٢).

قال الزجاج:" توقن أن يفعل بها داهية من العذاب"(١٣).

قال ابن كثير:" {تَظُنُّ}، أي : تستيقن {أَنْ يُفْعَلَ بِهَا فَاقِرَةٌ}"(١٤).

واختلف في معنى: «الفاقرة» على أقوال:

أحدها : أن الفاقرة: الداهية ، قاله مجاهد(١٥)، وبه قال الفراء(١٦)، وأبو عبيدة(١٧)، وابن قتيبة(١٨)، والطبري(١٩).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٨١/٨.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٣/٤.
(٤) تفسير الطبري: ٧٣/٢٤-٧٤.
(٥) غريب القرآن: ٥٠٠.
(٦) معاني القرآن: ٢٥٣/٥.
(٧) أخرجه الطبري: ٧٤/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٧٤/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٧٤/٢٤.
(١٠) معاني القرآن: ٢٥٣/٥.
(١١) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٣/٤.
(١٣) معاني القرآن: ٢٥٤/٥.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٨١/٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٤/٢٤.
(١٦) انظر: معاني القرآن: ٢١٢/٣.
(١٧) انظر: مجاز القرآن: ٢٧٨/٢.
(١٨) انظر: غريب القرآن: ٥٠٠.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٤/٢٤.

قال الفراء:" الفاقرة: الداهية، وَقَدْ جاءت أسماء القيامة، والعذاب بمعاني الدواهي وأسمائها"[١].

قال أبو عبيدة:" الفاقرة: الداهية، وهو الوسم الذي يفقر على الأنف"[٢].

قال ابن قتيبة:" يقال: إنها من "فَقَار الظهر" كأنها تكسِره، تقول: فَقَرتُ الرجل؛ إذا كسرتَ فَقَارَه. كما تقول: رَأسْتُه؛ إذا ضربتَ رأسَه؛ وبَطَنْتُه: إذا ضربتَ بطنَه. ويقال: رجل فقير وفَقِرٌ"[٣].

الثاني : الشر ، قاله قتادة[٤]، ومقاتل[٥].

الثالث : الهلاك ، قاله السدي[٦].

الرابع : قاصِمة الظهر. قاله سعيد بن جبير[٧].

الخامس: دخول النار، قاله ابن زيد[٨].

قال ابن زيد:" تظن أنها ستدخل النار، قال: تلك الفاقرة، وأصل الفاقرة: الوسم الذي يُفْقَر به على الأنف"[٩].

فوائد الآيات: [١٦-٢٥]:

١- تكفل الله تعالى لنبيه صلّى الله عليه وسلّم ثلاثة أمور لحفظ القرآن إلى الأبد: وهي جمعه في صدره عليه الصلاة والسلام، وتلاوته، وتفسيره لبيان ما فيه من الحدود والحلال والحرام، والوعد والوعيد، والمشكلات.

٢- إن التعجل مذموم مطلقا، ولو في أمور الدين.

٣- إن سبب إنكار المشركين البعث والحساب والجزاء هو إيثار الدار الدنيا والحياة العاجلة فيها، وترك الاستعداد للآخرة والعمل لها، فعلى المؤمن أن يفر من غير الله إلى الله، ولا يستعين في كل أموره إلا به، على نقيض الكافر الذي كان يفر من الله إلى غيره حين قال: (أين المفر؟) .

٤- ثبوت رؤية المؤمنين لله عز وجل في الآخرة، وحرمان الفجار منها، كان ابن عمر يقول: أكرم أهل الجنة على الله من ينظر إلى وجهه غدوة وعشية، ثم تلا هذه الآية: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ ناضِرَةٌ، إلى رَبِّها ناظِرَةٌ}. وقد تقدم في حديث مسلم عن صهيب أن رؤية الله عز وجل هي الزيادة في قوله تعالى: {لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنى وَزِيادَةٌ} [يونس : ٢٦] .

٥- تكون وجوه الكفار الفجار يوم القيامة كالحة كاسفة عابسة، مستيقنة أنه سيحل بها عذاب شديد، وداهية عظيمة.

القرآن

{كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ (٢٦) وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ (٢٧) وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ (٢٨) وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ (٢٩) إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ (٣٠)} [القيامة : ٢٦-٣٠]

التفسير:

حقًّا إذا وصلت الروح إلى أعالي الصدر، وقال بعض الحاضرين لبعض: هل مِن راق يَرْقيه ويَشْفيه مما هو فيه؟ وأيقن المحتضر أنَّ الذي نزل به هو فراق الدنيا؛ لمعاينته ملائكة الموت،

---

(١) معاني القرآن: ٢١٢/٣.
(٢) مجاز القرآن: ٢٧٨/٢.
(٣) غريب القرآن: ٥٠٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٤/٢٤.
(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٣/٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٥٧/٦.
(٧)تفسير الثعلبي ١٠/ ٨٨، وتفسير البغوي ٨/ ٢٨٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٧٤/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري:: ٧٤/٢٤.

واتصلت شدة آخر الدنيا بشدة أول الآخرة، إلى الله تعالى مساق العباد يوم القيامة: إما إلى الجنة وإما إلى النار.

قوله تعالى:{كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ} [القيامة : ٢٦]، أي:" حقًّا إذا وصلت الروح إلى أعالي الصدر"[١].

عن ابن جريج:" {إذا بَلَغَتِ التَّراقِيَ}، قال: الحُلْقُوم"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ليس الأمر كما يظنّ هؤلاء المشركون من أنهم لا يعاقبون على شركهم ومعصيتهم ربهم بل إذا بلغت نفس أحدهم التراقي عند مماته وحشرج بها"[٣].

قال الفراء:" يَقُولُ: إذَا بلغت نَفْس الرجل عند الموت تراقيه"[٤].

قال أبو عبيدة:" صارت النفس من تراقيه"[٥].

قال ابن قتيبة:" يعني: النفس؛ أي: صارت النفس بين تراقيه"[٦].

قال الزجاج:" ذكرهم الله بصعوبة أول أيام الآخرة عند بلوغ النَّفْس التَّرْقوَة"[٧].

قال السعدي:" يعظ تعالى عباده بذكر حال المحتضر عند السياق، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة"[٨].

قال ابن كثير:" التراقي : جمع ترقوة، وهي قريبة من الحلقوم"[٩].

وقال ابن زيد في قول الله: "{كَلا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ}، قال: التراقي: نفسه"[١٠].

عن بسر بن جحاش : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بصق يومًا في كفه فوضع عليها إصبعه ثم قال : "قال الله تعالى : ابن آدم أني تعجزني وقد خلقتك مثل هذه حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين برديك وللأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي قلت : أتصدق وأنى أوان الصدقة ؟!"[١١].

وفي قوله تعالى:{كَلَّا} [القيامة : ٢٦]، وجهان:

أحدهما: أنها رَدْعٌ وتنبيه، والمعنى: ارْتَدِعُوا عما يؤدي إلى العذاب. قاله الطبري[١٢]، والزجاج[١٣].

قال الزمخشري:" {كَلَّا}: ردع عن إيثار الدنيا على الآخرة، كأنه قيل: ارتدعوا عن ذلك، وتنبهوا على ما بين أيديكم من الموت الذي عنده تنقطع العاجلة عنكم، وتنتقلون إلى الآجلة التي تبقون فيها مخلدين"[١٤].

قال مقاتل:" {كَلَّا} لا يؤمن بما ذكر في أمر القيامة"[١٥].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٢)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٣) تفسير الطبري: ٧٥/٢٤.
(٤) معاني القرآن: ٢١٢/٣.
(٥) مجاز القرآن: ٢٧٨/٢.
(٦) غريب القرآن: ٥٠٠-٥٠١.
(٧) معاني القرآن: ٢٥٤/٥.
(٨) تفسير السعدي: ٩٠٠.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٨١/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.
(١١)رواه الإمام أحمد في المسند (٣١٠/٤).
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٤.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٢٥٤/٥.
(١٤) الكشاف: ٦٦٣/٤.
(١٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٣/٤.

قال الصابوني:" {كَلاَّ} ردعٌ وزجر عن إيثار العاجلة، أي: ارتدعوا يا معشر المشركين عن ذلك، وتنبهوا لما بين أيديكم من الأهوال والمخاطر، فإن الدنيا دار الفناء، ولا بد أن تتجرعوا كأس المنية، وإذا بلغت الروح {التراقي} أعالي الصدر، وشارف الإنسان على الموت"[١].

الثاني: بمعنى: «حقا». أي : حقا إذا بلغت التراقي. ذكره ابن كثير[٢].

قال ابن كثير:" إن جعلنا {كَلا} ردعا فمعناها : لست يا ابن آدم تكذب هناك بما أخبرت به، بل صار ذلك عندك عيانا. وإن جعلناها بمعنى: «حقا» فظاهر، أي : حقا إذا بلغت التراقي، أي : انتزعت روحك من جسدك وبلغت تراقيك، والتراقي : جمع ترقوة، وهي العظام التي بين ثغرة النحر والعاتق، كقوله :{فَلَوْلا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ وَأَنْتُمْ حِينَئِذٍ تَنْظُرُونَ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لا تُبْصِرُونَ فَلَوْلا إِنْ كُنْتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ تَرْجِعُونَهَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ} [الواقعة : ٨٣ - ٨٧]"[٣].

قوله تعالى:{وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ} [القيامة : ٢٧]، أي:" وقال بعض الحاضرين لبعض: هل مِن راق يَرْقيه ويَشْفيه مما هو فيه؟"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ} [القيامة : ٢٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : قال أهْله : من راقٍ يرقيه بالرُّقى وأسماء الله الحسنى ، قاله ابن عباس[٥].

قال أبو عبيدة:" من يرقي"[٦].

قال ابن قتيبة:" أي: هل أحدٌ يرقِي؟"[٧].

قال عكرمة:" هل من راق يرقي"[٨].

قال السعدي:" أي: من يرقيه من الرقية لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية، ولكن القضاء والقدر، إذا حتم وجاء فلا مرد له"[٩].

الثاني : هل من طبيب شاف، قاله أبو قلابة[١٠]، والضحاك[١١]، وقتادة[١٢]، وابن زيد[١٣]، ومنه قول الشاعر[١٤]:

هَلْ لِلفَتَى مِنْ بنَاتِ الدَّهْرِ من وَاقِ؟ ... أمْ هَلْ لَهُ مِن حَمامِ المَوتِ مِنْ رَاقِ؟

عن الضحاك:" {وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ}، قال: هو الطبيب"[١٥]. وفي رواية:" هل من مداوٍ"[١٦].

قال سهل:"أي: هل من طبيب يداوي؟"[١٧].

قال الفراء:" وقال من حوله: من راق؟ من مداو؟ هَلْ من راق؟"[١].

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٦٢/٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٨١/٨.
(٣) تفسير ابن كثير: ٢٨١/٨.
(٤) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٥) انظر: النكت والعيون: ١٥٧/٦.
(٦) مجاز القرآن: ٢٧٨/٢.
(٧) غريب القرآن: ٥٠١.
(٨) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.
(٩) تفسير السعدي: ٩٠٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٥/٢٤.
(١٤) بلا نسبة في النكت والعيون: ١٥٨/٦، وتفسير القرطبي: ١١١/١٩، واللباب: ٥٧١/١٩، وليزيد بن خذاق كما في "باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن": ١٥٩٣/٣
(١٥) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.
(١٧) تفسير التستري: ١٨٢.

عن ابن زيد:" {وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ}، قال: أين الأطباء، والرُّقاة: من يرقيه من الموت"[٢].
قال قتادة:" أي: التمسوا له الأطباء فلم يُغْنوا عنه من قضاء الله شيئا"[٣].
قال الزجاج:" أي: من يشفي من هذه الحال، وهذا - واللَّه أعلم - يقوله القائل عِنْدَ البأس، أي: من يَقْدِرَ أَنْ يَرْقِيَ مِنَ الموْتِ"[٤].
قال ابن زيد:" يقول تعالى ذكره: وقال أهله: من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئا"[٥].
عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله -عليه السلام- : «إنّ العبد ليعالج كرب الموت وسكراته وإنّ مفاصله يسلّم بعضها على بعض يقول: عليك السلام تفارقني وأفارقك إلى يوم القيامة»[٦].
الثالث : قالت الملائكة: من يصعد بها، ملائكة الرحمة، أو ملائكة العذاب؟ قاله ابن عباس[٧]، وبه قال أبو الجوزاء[٨].
قال سهل:" من يصعد بروح الكافر إلى السماء"[٩].
قال سليمان التيمي:" هذا من قول الملائكة، يقول بعضهم لبعض: مَن يَرْقى بروحه فيَصعد بها؛ ملائكة الرحمة أو ملائكة العذاب؟[١٠].
قال أبو العالية: "يختصم فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب أيّهم يترقى بروحه"[١١].
قوله تعالى:{وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ} [القيامة : ٢٨]، أي:" وأيقن المحتضر أنَّ الذي نزل به هو فراق الدنيا؛ لمعاينته ملائكة الموت"[١٢].
قال الفراء:" علم أَنَّهُ الفراق"[١٣].
قال سهل:" يقول: وعلم أنه الفراق للدنيا"[١٤].
قال الزمخشري: " {وَظَنَّ} المحتضر أنّ هذا الذي نزل به هو فراق الدنيا المحبوبة"[١٥].
قال الزجاج:" أيْ: وَأَيْقَنَ الذي تَبلغ روحه إلى تراقيه أنه مفارق للدنيا"[١٦].
قال الطبري:" وأيقن الذي قد نزل ذلك به أنه فراق الدنيا والأهل والمال والولد"[١٧].
قال قتادة:" أي: استيقن أنه الفراق"[١٨].
قال الثعلبي:" فراق ليس يشبهه فراق قد انقطع الرجاء عن التلاق"[١٩].

---

(١) معاني القرآن: ٢١٢/٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.
(٤) معاني القرآن: ٢٥٤/٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٧٥/٢٤.
(٦)(٣) كنز العمال: ١٥/ ٥٦٣ ح ٤٢١٨٣، وتفسير الثعلبي: ٨٩/١٠.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٦٧):ص٣٣٨٨/١٠. رواه أبو الجوزاء عنه.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٧٦/٢٤.
(٩) تفسير التستري: ١٨٢.
(١٠)تفسير الثعلبي ١٠/ ٨٩، وتفسير البغوي ٨/ ٢٨٥.
(١١) نقلا عن: الكشف والبيان: ٨٩/١٠.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(١٣) معاني القرآن: ٢١٢/٣.
(١٤) تفسير التستري: ١٨٢.
(١٥) الكشاف: ٦٦٣/٤.
(١٦) معاني القرآن: ٢٥٤/٥.
(١٧) تفسير الطبري: ٧٦/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.
(١٩) الكشف والبيان: ٨٩/١٠.

قال ابن زيد:" ليس أحد من خلق الله يدفع الموت، ولا ينكره، ولكن لا يدري يموت من ذلك المرض أو من غيره؟ فالـ«ظنّ» -كما هاهنا- هذا"[١].

قوله تعالى:{وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ} [القيامة : ٢٩]، أي:" والتفت إحدى ساقي المحتضر على الأخرى، من شدة كرب الموت وسكراته"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ} [القيامة : ٢٩]، وجوه من التفسير:

أحدها : اتصال الدنيا بالآخرة ، قاله ابن عباس[٣].

عن ابن عباس: "{وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ}، قال: الدنيا بالآخرة شدّة"[٤].

قال ابن عباس:" يقول: آخر يوم من الدنيا، وأوّل يوم من الآخرة، فتلتقي الشدّة بالشدة، إلا من رحم الله"[٥].

قال الحسن: "ساق الدنيا بالآخرة"[٦].

قال الضحاك:" ساق الدنيا بساق الآخرة"[٧]. وفي رواية:" هما الدنيا والآخرة"[٨].

قال عطية:" الدنيا والآخرة"[٩].

قال قتادة:" أمر الدنيا بأمر الآخرة"[١٠].

قال مجاهد:" آخر يوم من الدنيا، وأول يوم من الآخرة"[١١].

قال مجاهد:" التفّ أمر الدنيا بأمر الآخرة عند الموت"[١٢].

قال ابن مجاهد: "هو أمر الدنيا والآخرة عند الموت"[١٣].

قال ابن عباس:" يقول: والتفّت الدنيا بالآخرة، وذلك ساق الدنيا والآخرة، ألم تسمع أنه يقول: {إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ}"[١٤].

الثاني : الشدة بالشدة والبلاء بالبلاء، أي: تتابعت عليه الشدائد: شدة بعد مفارقة الوطن من الدنيا والأهل، وشدة القدوم على ربه، فالتقت آخر شدة الدنيا بأول شدة الآخرة ، قاله سعيد بن جبير[١٥]، عكرمة[١٦]، ومجاهد[١٧]، وقتادة-في إحدى الروايات-[١٨]، وعطاء[١٩]، والسدي[٢٠]، وروي نحوه عن ابن عباس[٢١]، ومنه قول الشاعر[١]:

---

(١) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.
(٢) صفوة التفاسير: ٤٦٣/٣.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٦/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٧٦/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٤.
(١٥)انظر: الكشف والبيان: ٩٠/١٠.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ١٥٨/٦.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٨٠/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٤.
(١٩)انظر: الكشف والبيان: ٩٠/١٠.
(٢٠)انظر: الكشف والبيان: ٩٠/١٠.
(٢١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٦٨):ص٣٣٨٨/١٠.

أخُو الْحَرْبِ إنْ عَضَّتِ الْحَرْبُ عَضَّها ... وَإنْ شَمَّرَتْ عنْ سَاقِها الْحَرْبُ شَمَّرا

قال أهل اللغة: "قيل للأمر الشديد: ساق؛ لأن الإنسان إذا دهمته شدة شمر لها عن ساقيه، ثم قيل للأمر الشديد: ساق. ومنه قول دريد[٢]:

كَمِيشُ الإزار خارجٌ نِصفُ ساقِهِ ... صَبُورٌ على العَزَّاءِ طلاع أنْجُدٍ

أراد: أنه: مشمر جاد، ولم يرد خروج الساق بعينها"[٣].

قال المبرد -في هذه الآية- أي: "الشدة بالشدة، تقول العرب: قامت الحرب على ساق. أي: اشتدت"[٤].

قال ابن عباس:" آخر يوم من أيام الدنيا، وأول يوم من أيام الآخرة، فتلتقي الشدة لشدة إلا من رحم الله"[٥].

قال قتادة:" الشدّة بالشدّة، ساق الدنيا بساق الآخرة"[٦].

قال سعيد بن جبير: "تتابعت عليه الشدائد"[٧].

قال السدي: "لا يخرج من كرب إلّا جاءه أشدّ منه"[٨].

قال الفراء:" أتاه أولُ شدة أمر الآخرة، وأشد آخر أمر الدنيا"[٩].

قال ابن عطاء: "اجتمع عليه شدّة مفارقة الوطن من الدنيا والأهل والولد وشدّة القدوم على ربّه لا يدري بماذا يقدم عليه لذلك قال عثمان بن عفان: ما رأيت منظرا إلّا والقبر أفضع منه لأنّه آخر منازل الدنيا وأول منازل الآخرة"[١٠].

قال السعدي:" أي: اجتمعت الشدائد والتفت، وعظم الأمر وصعب الكرب، وأريد أن تخرج الروح التي ألفت البدن ولم تزل معه"[١١].

الثالث : التفَّت ساقا الميت إذا لفتا في الكفن، كما يُقال للمرأة إذّا التصقت فخذاها: هِيَ لَفّاء . قاله الحسن[١٢]، وسعيد بن المسيب[١٣]، وحكاه ابن زيد[١٤]، والفراء[١٥].

عن الحسن: "{وَالْتَفَّتِ السَّاقُ بِالسَّاقِ}، قال: لفُّهما في الكفن"[١٦].

قال الحسن:" هما ساقاك إذا لفّتا في. الكفن"[١].

---

(١)ورد في ديوان حاتم الطائي: ٨٢، و"الكامل" ٣/ ١١٤٧: منسوبًا إلى حاتم الطائي، كما ورد الشطر الثاني في ديوان جرير: ١٨٥: دار بيروت: أما شطره الأول فهو:

ألا رُبَّ سامي الطرف من آل زمان.

(٢)ديوان دريد بن الصمة: ٤٩ يرثي عبد الله أخاه وقتله بنو عبس، و"لسان العرب" ١٠/ ١٦٨، و"الأصمعيات" ١٠٨. ومعناه: الكميش: الماضي العزوم السريع في أموره. العزاء: الشدة. طلاع أنجد: ركاب لصعاب الأمور، أو هو السامي لمعالي الأمور. الأنجد: جمع نجد، وهو ما ارتفع وغلظ من الأرض، أو الطريق في الجبل. انظر: "الأصمعيات" ١٠٨، و"ديوانه" ٤٩، حاشية.

(٣)نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ٢٢/٥٢٠-٥٢١.

(٤) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ٢٢/٥٢١.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٦٨):ص١٠/٣٣٨٨.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٤/٧٨.

(٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/٩٠.

(٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/٩٠.

(٩) معاني القرآن: ٣/٢١٢. ونقله ابن قتيبة بتمامه في "غريب القرآن": ٥٠١

(١٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٠/٩٠.

(١١) تفسير السعدي: ٩٠٠.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٧٨.

(١٣)ورد قوله في "الكشف والبيان" ١٠/٩٠، و"المحرر الوجيز" ٥/ ٤٠٦، و"زاد المسير" ٨/ ١٣٩، و"التفسير الكبير" ٣٠/ ٣٣٢.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٤/٧٨.

(١٥) انظر: معاني القرآن: ٣/٢١٢.

(١٦) أخرجه الطبري: ٢٤/٧٨.

قال سهل:" قيل: هما ساقاك إذا التفتا في الكفن"[٢].
وقال زيد بن أسلم: " ساق الكفن بساق الميت"[٣].
الرابع: معناه: التفاف ساقي الميت عند الموت. قاله عامر الشعبي[٤]، وأبو مالك[٥]، وهو مروي عن الحسن –أيضا-[٦].
قال أبو مالك:" التفَّت ساقاك عند الموت"[٧]. وفي رواية:" ساقاه عند الموت"[٨].
قال أبو مالك:" هما ساقاه إذا ضمت إحداهما بالأخرى"[٩].
قال الحسن:" ساقا ابن آدم عند الموت"[١٠].
وقال الحسن-في رواية-:"لفَّهما أمر الله"[١١].
قال قتادة:" أما رأيته إذا ضرب برجله رجله الأخرى"[١٢].
قال الزجاج:" عند الموت تلتصق السَّاق بالسَّاق"[١٣].
وحكى ابن قتيبة عن بعض المفسرين:" أن التفاف الساق بالساق عند الميثاق"[١٤].
عن قتادة، عن الحسن : " ماتت رجلاه ولم تحملاه وكان عليهما جوّالا"[١٥].
قال قتادة:" ماتت رجلاه فلا يحملانه إلى شيء، فقد كان عليهما جوّالا"[١٦].
الخامس : معناه: يبس الساقين عند الموت. وهذا مروي عن أبي مالك-أيضا-[١٧]، والسدي[١٨].
السادس : معناه: والتفّ أمر بأمر. قاله أبو عيسى[١٩].
السابع : أنه اجتمع أمران شديدان عليه : الناس يجهزون جسده ، والملائكة يجهزون روحه ، قاله الضحاك[٢٠].
قال الضحاك:" أهل الدنيا يجهزون الجسد، وأهل الآخرة يجهزون الروح"[٢١].
قال الضحاك:" اجتمع عليه أمران، الناس يجهِّزون جسده، والملائكة يجهزون روحه"[٢٢].
الثامن : عمل الدنيا بعمل الآخرة. قاله إسماعيل بن أبي خالد[٢٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ٧٨/٢٤.
(٢) تفسير التستري: ١٨٢.
(٣)الكشف والبيان" ٩٠/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٤-٧٩.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.
(١٣) معاني القرآن: ٢٥٤/٥.
(١٤) نقلا عن: النكت والعيون: ١٥٨/٦.
(١٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٩٠/١٠، وانظر: تفسير التستري: ١٨٢.
(١٦) أخرجه الطبري: ٧٩/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٧٩/٢٤-٨٠.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٧٧/٢٤.
(٢١) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٤.
(٢٢) أخرجه الطبري: ٧٧/٢٤.
(٢٣) انظر: تفسير الطبري: ٧٨/٢٤.

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصحة عندي قول من قال: معنى ذلك: والتفَّت ساق الدنيا بساق الآخرة، وذلك شدّة كرب الموت بشدة هول المطلع، والذي يدل على أن ذلك تأويله، قوله: {إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ}، والعرب تقول لكلّ أمر اشتدّ: قد شمر عن ساقه، وكشف عن ساقه، ومنه قول الشاعر[١]:

إذَا شَمَّرَتْ لَكَ عَنْ ساقها ... فَرِنها رَبِيعُ وَلا تَسأم

عني بقوله: {الْتَفَّتِ السَّاقُ بالسَّاق}، التصقت إحدى الشِّدّتين بالأخرى، كما يقال للمرأة إذا التصقت إحدى فخذيها بالأخرى: لقَّاء"[٢].

قوله تعالى:{إِلَى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ الْمَسَاقُ} [القيامة : ٣٠]، أي:" إلى الله تعالى مساق العباد يوم القيامة: إما إلى الجنة وإما إلى النار"[٣].

قال الطبري:" يقول: إلى ربك يا محمد يوم التفاف الساق بالساق مساقه"[٤].

قال الثعلبي: أي:"المنتهى والمرجع تسوق الملائكة روحه حيث أمرهم الله سبحانه وتعالى"[٥].

قال الزمخشري:" أي: يساق إلى الله وإلى حكمه"[٦].

قال السعدي:" فتساق إلى الله تعالى، حتى يجازيها بأعمالها، ويقررها بفعالها"[٧].

قال ابن كثير:" أي : المرجع والمآب، وذلك أن الروح ترفع إلى السماوات، فيقول الله عز وجل : ردوا عبدي إلى الأرض، فإني منها خلقتهم، وفيها أعيدهم، ومنها أخرجهم تارة أخرى. كما ورد في حديث البراء الطويل[٨]. وقد قال الله تعالى :{وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ

---

(١) بلا نسبة، ولم اقف على قائله فيما عندي من المصادر.

(٢) تفسير الطبري: ٨٠/٢٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٤) تفسير الطبري: ٨٠/٢٤.

(٥) الكشف والبيان: ٩٠/١٠.

(٦) الكشاف: ٦٦٤/٤.

(٧) تفسير السعدي: ٩٠٠.

(٨)أخرجه الطيالسى (ص ١٠٢، رقم ٧٥٣) ، وأحمد (٢٨٧/٤، رقم ١٨٥٥٧) ، وقال الهيثمى (٥٠/٣) : رجاله رجال الصحيح. وأبو داود (٢٣٩/٤، رقم ٤٧٥٣) ، والروياني (٢٦٣/١، رقم ٣٩٢) ، وهناد (٢٠٥/١، رقم ٣٣٩) ، وابن خزيمة فى التوحيد (ص ١١٩) ، وأبو عوانة كما فى إتحاف المهرة (٤٥٩/٢، رقم ٢٠٦٣) ، وابن منده (٩٦٢/٢، رقم ١٠٦٤) ، وقال: هذا إسناد متصل مشهور رواه جماعة عن البراء وهو ثابت على رسم الجماعة. والحاكم (٩٣/١ ٩٨، رقم ١٠٧، ١٠٩ ١١٧) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى فى شعب الإيمان (٣٥٥/١، رقم ٣٩٥) وقال: صحيح الإسناد.

ونص الحديث:« إن العبد المؤمن إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء بيض الوجوه كأن وجوههم الشمس معهم كفن من أكفان الجنة وحنوط من حنوط الجنة حتى يجلسوا منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول أيتها النفس الطيبة اخرجى إلى مغفرة من الله ورضوان قال فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من فى السقاء فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها فى ذلك الكفن وفى ذلك الحنوط ويخرج منها كأطيب نفحة مسك وجدت على وجه الأرض قال فيصعدون بها فلا يمرون يعنى بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الطيب فيقولون فلان بن فلان بأحسن أسمائه التى كانوا يسمونه بها فى الدنيا حتى ينتهوا بها إلى السماء الدنيا فيستفتحون له فيفتح لهم فيشيعه من كل سماء مقربوها إلى السماء التى تليها حتى ينتهى به إلى السماء السابعة فيقول الله اكتبوا كتاب عبدى فى عليين وأعيدوه إلى الأرض فإنى منها خلقتهم وفيها أعيدهم ومنها أخرجهم تارة أخرى قال فتعاد روحه فى جسده فيأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول ربى الله فيقولان له ما دينك فيقول دينى الإسلام فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هو رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فيقولان له وما علمك فيقول قرأت كتاب الله فآمنت به وصدقت فينادى مناد فى السماء أن صدق عبدى فافرشوه من الجنة وألبسوه من الجنة وافتحوا له بابا إلى الجنة قال فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فى قبره مد بصره قال ويأتيه رجل حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول أبشر بالذى يسرك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول له من أنت فوجهك الوجه يجىء بالخير فيقول أنا عملك الصالح فيقول رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلى ومالى قال

عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لا يُفَرِّطُونَ ثُمَّ رُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلاهُمُ الْحَقِّ أَلا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ} [الأنعام : ٦١، ٦٢]"[١].

عن ابن عباس: {إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَساقُ}، قال:" مرجع العباد"[٢].

عن ابن جريج:" {إلى رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ المَساقُ}، قال: في الآخرة[٣].

قال ابن زيد:" لمّا التَقّت الآخرة بالدنيا كان المساق إلى الله[٤].

حكي:" أن يعقوب عليه السلام لما أتاه البشير قال: ما أذن لي ما آتيتك اليوم، إلا أن أقول هون الله عليك سكرة الموت"[٥].

وقيل للأسود بن يزيد[٦] حين احتضر: "أبشر بالمغفرة. قال: فأين الحياء ممن كانت"[٧].

قال يحيى بن معاذ: "إذا دخل الميت القبر قام على شفير قبره أربعة أملاك واحد عند رأسه والثاني عند رجليه والثالث عن يمينه والرابع عن يساره، فيقول الذي عند رأسه: يا ابن آدم انفضّت الآجال وانقطعت الآمال، ويقول الذي عن يمينه: ذهبت الأموال وبقيت الأعمال، ويقول الذي عن يساره: ذهب الأشغال وبقي الوبال، ويقول الذي عند رجليه: طوبى لك من كسبك إن كان كسبك من الحلال وكنت مشتغلا بخدمة ذي الجلال"[٨].

القرآن

{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى (٣١) وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى (٣٢) ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى (٣٣) أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى (٣٥)} [القيامة : ٣١-٣٥]

التفسير:

فلا آمن الكافر بالرسول والقرآن، ولا أدَّى لله تعالى فرائض الصلاة، ولكن كذَّب بالقرآن، وأعرض عن الإيمان، ثم مضى إلى أهله يتبختر مختالا في مشيته. هلاك لك فهلاك، ثم هلاك لك فهلاك.

وإن العبد الكافر إذا كان فى انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة سود الوجوه معهم المسوح فيجلسون منه مد البصر ثم يجىء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه فيقول يا أيتها النفس الخبيثة اخرجى إلى سخط من الله وغضب قال فتفرق فى جسده فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول فيأخذها فإذا أخذها لم يدعوها فى يده طرفة عين حتى يجعلوها فى تلك المسوح ويخرج منها كأنتن ريح جيفة وجدت على وجه الأرض فيصعدون بها فلا يمرون بها على ملإ من الملائكة إلا قالوا ما هذا الروح الخبيث فيقولون فلان بن فلان بأقبح أسمائه التى كان يسمى بها فى الدنيا حتى ينتهى به إلى السماء الدنيا فيستفتح له فلا يفتح له ثم قرأ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - {لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل فى سم الخياط} [الأعراف: ٤٠] فيقول الله اكتبوا كتابه فى سجين فى الأرض السفلى فتطرح روحه طرحا ثم قرأ {ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق} [الحج: ٣١] فتعاد روحه فى جسده ويأتيه ملكان فيجلسانه فيقولان له من ربك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما دينك فيقول هاه هاه لا أدرى فيقولان له ما هذا الرجل الذى بعث فيكم فيقول هاه هاه لا أدرى فينادى مناد من السماء أن كذب فافرشوا له من النار وافتحوا له بابا إلى النار فيأتيه من حرها وسمومها ويضيق عليه قبره حتى تختلف فيه أضلاعه ويأتيه رجل قبيح الوجه قبيح الثياب منتن الريح فيقول أبشر بالذى يسوءك هذا يومك الذى كنت توعد فيقول من أنت فوجهك الوجه يجىء بالشر فيقول أنا عملك الخبيث فيقول رب لا تقم الساعة».

(١) تفسير ابن كثير: ٢٨٢/٨.

(٢) التفسير البسيط: ٥٢٢/٢٢.

(٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري: ٨٧/٢٤.

(٥) نقلا عن: تفسير التستري: ١٨٢.

(٦)الأسود بن يزيد بن قيس النخعي (... - ٧٥ هـ) : تابعي، فقيه، من الحفاظ. كان عالم الكوفة في عصره.

(٧) نقلا عن: تفسير التستري: ١٨٢.

(٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ٩٠/١٠.

قوله تعالى:{فَلَا صَدَّقَ وَلَا صَلَّى} [القيامة : ٣١]، أي:" فلا آمن الكافر بالرسول والقرآن، ولا أدَّى لله تعالى فرائض الصلاة"[١].

قال الطبري: يقول:" فلم يصدّق بكتاب الله، ولم يصلّ له صلاة"[٢].

قال السعدي:" أي: لا آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره {وَلا صَلَّى}"[٣].

قال قتادة:" لا صدّق بكتاب الله، ولا صلى لله"[٤].

قال الزجاج:" يعنى به: أبو جهل بن هشام. وجاء في التفسير إنَّ لكل أُمَّةٍ فِرعَوْناً، وإنَّ فِرْعَونَ هذه الأمَّةِ أبو جَهْلٍ بن هشام"[٥].

قال ابن كثير:" هذا إخبار عن الكافر الذي كان في الدار الدنيا مكذبا للحق بقلبه، متوليا عن العمل بقالبه، فلا خير فيه باطنا ولا ظاهرا "[٦].

قوله تعالى:{وَلَكِنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّى} [القيامة : ٣٢]، أي:" ولكن كذَّب بالقرآن، وأعرض عن الإيمان"[٧].

قال الطبري: يقول:" ولكنه كذّب بكتاب الله، وتولى فأدبر عن طاعة الله"[٨].

قال السعدي:" {وَلَكِنْ كَذَّبَ} بالحق في مقابلة التصديق، {وَتَوَلَّى} عن الأمر والنهي، هذا وهو مطمئن قلبه، غير خائف من ربه"[٩].

قال قتادة:" كذّب بكتاب الله، وتولى عن طاعة الله"[١٠].

قوله تعالى:{ثُمَّ ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى} [القيامة : ٣٣]، أي:" ثم مضى إلى أهله يتبختر مختالا في مشيته"[١١].

وفي قوله تعالى:{يَتَمَطَّى} [القيامة : ٣٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : يختال في نفسه ، قاله ابن عباس[١٢].

الثاني : يتبختر في مشيته[١٣]، قاله مجاهد[١٤]، وقتادة[١٥]، وزيد بن أسلم[١٦].

قال زيد بن أسلم:" يتبختر، قال: هي مشية بني مخزوم"[١٧].

قال مقاتل:" يقول يتبختر، وكذلك بنو المغيرة بن عبد الله بن عمر المخزومي إذا مشى أحدهم يختال في المشي"[١٨].

عن إسماعيل بن أمية، عن مجاهد: "{ذَهَبَ إِلَى أَهْلِهِ يَتَمَطَّى}، قال: رأى رجلا من قريش يمشي، فقال: هكذا كان يمشي كما يمشي هذا، كان يتبختر"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٢) تفسير الطبري: ٨٠/٢٤.
(٣) تفسير السعدي: ٩٠٠.
(٤) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(٥) معاني القرآن: ٢٥٤/٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٨٢/٨.
(٧) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٨) تفسير الطبري: ٨٠/٢٤.
(٩) تفسير السعدي: ٩٠٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(١١) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٧١):ص٣٣٨٩/١٠.
(١٣) أي: مشية فيها تبختر، ومد اليدين.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٨١/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٨١/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٨١/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(١٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥١٣/٤.

عن مجاهد، قوله: "{يَتَمَطَّى}، قال: أبو جهل"[٢].
قال ابن زيد:" هذا في أبي جهل متبخرا"[٣].
قال قتادة:" وهو أبو جهل بن هشام، كانت مِشيته"[٤].
قال الفراء: أي:" يتبختر، لأن الظهر هُوَ المَطَا، فيلوي ظهره تبخترًا، وهذه خاصة فِي أبي جهل"[٥].
قال الطبري: يقول:" ثم مضى إلى أهله منصرفا إليهم، يتبختر في مِشيته.. وإنما عُني بقوله: {يَتَمَطَّى} يلوي مطاه تبخترا، والمطا: هو الظهر، ومنه الخبر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذَا مَشَتْ أُمَّتِي المُطَيطَاءَ[وخدمها أبناء الملوك أبناء فارس والروم سلط الله شرارها على خيارها]»[٦]، وذلك أن يلقي الرجل بيديه ويتكفأ"[٧].
قال الزجاج:" معناه: بتبختر، مأخوذ من المَطَا وهو الظهر"[٨].
قال أبو عبيدة:" جاء يمشى المطيطا وهو أن يلقى بيديه ويتكفّأ"[٩].
قال ابن قتيبة:" إنما هو: مدُّ يدِه في المشي، إذا تبختر، يقال: مدَدتُ ومططتُ؛ بمعنى واحد"[١٠].
الثالث : أي : جَذلا، أشرا بَطرا كسلانا، لا همة له ولا عمل، كما قال :{وَإِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمُ انْقَلَبُوا فَكِهِينَ} [المطففين : ٣٤]. وقال {إِنَّهُ كَانَ فِي أَهْلِهِ مَسْرُورًا إِنَّهُ ظَنَّ أَنْ لَنْ يَحُورَ}، أي : يرجع {بَلَى إِنَّ رَبَّهُ كَانَ بِهِ بَصِيرًا} [الانشقاق : ١٣ - ١٥]. قاله ابن كثير[١١].
قوله تعالى:{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى(٣٤) ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} [القيامة : ٣٤-٣٥]، أي:" هلاك لك فهلاك، ثم هلاك لك فهلاك "[١٢].
قال ابن قتيبة:" تهدُّدٌ ووعيدٌ"[١٣].
قال السعدي:" هذه كلمات وعيد، كررها لتكرير وعيده"[١٤].
قال الطبري:" هذا وعيد من الله على وعيد لأبي جهل"[١٥].
قال الزجاج:" معناه - واللَّه أعلم - وَلِيَكَ المكروه يا أبا جهل، والعرب تقول: أولى لفلان إذا دعت عليه بالمكروه"[١٦].
قال الزمخشري:" بمعنى: ويل لك، وهو دعاء عليه بأن يليه ما يكره"[١٧].
قال ابن كثير:" وهذا تهديد ووعيد أكيد منه تعالى للكافر به المتبختر في مشيته، أي : يحق لك أن تمشي هكذا وقد كفرت بخالقك وبارئك، كما يقال في مثل هذا على سبيل التهكم

---

(١) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٨١/٢٤.
(٥) معاني القرآن: ٢١٢/٣.
(٦)أخرجه الترمذى (٥٢٦/٤، رقم ٢٢٦١) وقال: غريب. وأخرجه أيضا: ابن المبارك (٥١/١، رقم ١٨٧).
(٧) تفسير الطبري: ٨١/٢٤، ٨٢.
(٨) معاني القرآن: ٢٥٤/٥.
(٩) مجاز القرآن: ٢٧٨/٢.
(١٠) غريب القرآن: ٥٠١.
(١١) تفسير ابن كثير: ٢٨٢/٨.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(١٣) غريب القرآن: ٥٠١.
(١٤) تفسير السعدي: ٩٠٠.
(١٥) تفسير الطبري: ٨٢/٢٤.
(١٦) معاني القرآن: ٢٥٤/٥.
(١٧) الكشاف: ٦٦٤/٤.

والتهديد كقوله :{ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ} [الدخان : ٤٩]. و كقوله :{كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ} [المرسلات : ٤٦]، وكقوله {فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ} [الزمر : ١٥]، وكقوله {اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ} [فصلت : ٤٠]. إلى غير ذلك"[١].

قال الحسن البصري: "{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} إنّ أبا جهل قال للنبي: ما بين هذين الجبلين أحدٌ أعزّ مني، فاجهد أنت وربّك -يا محمد- جهدكما. فأنزل الله: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} وعيد بعد وعيد، فقتله الله يوم بدر، وصيّره إلى جهنم"[٢].

عن قتادة: "{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}، وعيد على وعيد، كما تسمعون، زعم أن هذا أنزل في عدوّ الله أبي جهل. ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم أخذ بمجامع ثيابه فقال: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}، فقال عدوّ الله أبو جهل: أيوعدني محمد؟ والله ما تستطيع لي أنت ولا ربك شيئا، والله لأنا أعزّ من مشى بين جبليها"[٣].

قال قتادة:" أخذ النبيّ صلى الله عليه وسلم بيده، يعني بيد أبي جهل، فقال: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}، فقال: يا محمد، ما تستطيع أنت وربك فيّ شيئا، إني لأعزّ من مشى بين جبليها، فلما كان يوم بدر أشرف عليهم فقال: لا يُعبد الله بعد هذا اليوم، وضرب الله عنقه، وقتله شرّ قِتلة"[٤].

قال ابن زيد، في قوله: "{أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}، قال: قال أبو جهل: إن محمدا ليوعدني، وأنا أعزّ أهل مكة والبطحاء، وقرأ: {فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ سَنَدْعُ الزَّبَانِيَةَ كَلا لا تُطِعْهُ وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ}"[٥].

عن موسى بن أبي عائشة، قال: قلت لسعيد بن جُبير: أشيء قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم من قِبَل نفسه، أم أمر أمره الله به؟ قال: بل قاله من قِبَل نفسه، ثم أنزل الله: {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى ثُمَّ أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى}"[٦].

قال أبو نعيم: "سمعت عمر بن ذر، يقرأ هذه الآية {أَوْلَى لَكَ فَأَوْلَى} [القيامة: ٣٤]، فجعل يقول: يا رب ما هذا الوعيد"[٧].

عن عمر بن ذر، قال: {أولى لك فأولى ثم أولى لك فأولى} علينا تكرّر الوعيد، فلا، وعزّتك، ما نحتمل وعيد مَن هو دونك مِمَّن لا يَضرّ ولا ينفع ممن يشركنا في لدّة نومنا وطعامنا وشرابنا حتى نعلم ما لنا فيما وُعدنا، اللهم، وهؤلاء الذين اغتنموا ظُلمة الليل وجاهدوك بما استَخفَوا به مِن غيرك، فإن كان في سابق العلم ألا يُحدثوا توبة فَأقدِمَنَّهم بأسوأ أعمالهم"[٨].

القرآن

{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى (٣٦) أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى (٣٧) ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّى (٣٨) فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى (٣٩) أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى (٤٠)} [القيامة : ٣٦-٤٠]

التفسير:

أيظنُّ هذا الإنسان المنكر للبعث أن يُترك هَمَلا لا يُؤمر ولا يُنْهى، ولا يحاسب ولا يعاقب؟ ألم يك هذا الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يراق ويصب في الأرحام، ثم صار قطعة من دم

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٨٢/٨-٢٨٣.
(٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٦٦ - ٦٧ -.
(٣) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٨٢/٢٤.
(٧) حلية الأولياء وطبقات الأصفياء: ١١٢/٥.
(٨)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ١١٤ - ١١٥.

جامد، فخلقه الله بقدرته وسوَّى صورته في أحسن تقويم؟ فجعل من هذا الإنسان الصنفين: الذكر والأنثى، أليس ذلك الإله الخالق لهذه الأشياء بقادر على إعادة الخلق بعد فنائهم؟ بلى إنه -سبحانه وتعالى- لقادر على ذلك.

قوله تعالى:{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} [القيامة : ٣٦]، أي:" أيظنُّ هذا الإنسان المنكر للبعث أن يُترك هَمَلا لا يُؤمر ولا يُنْهى، ولا يحاسب ولا يعاقب؟"(١).

وفي قوله تعالى:{أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى} [القيامة : ٣٦]، وجهان من التفسير:

أحدها : يظن ألا يبعث، قاله السدي(٢).

الثاني : يعني: لا يؤمر ولا ينهى، قاله مجاهد(٣)، والشافعي(٤)، وابن زيد(٥)، وأبو عبيدة(٦)، وابن قتيبة(٧).

قال السديّ: "الذي لا يفترض عليه عمل ولا يعمل"(٨).

قال ابن قتيبة:" أي يُهْمَلَ: فلا يؤمَر، ولا يُنهَى، ولا يُعاقَبَ. يقال: أسديتُ الشيء؛ إذا أهملته"(٩).

قال الزجاج:" أي: أن يترك غير مَأمورٍ وغير مَنْهيٍّ"(١٠).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: أيظنّ هذا الإنسان الكافر بالله أن يترك هملا أن لا يؤمر ولا ينهى، ولا يتعبد بعبادة"(١١).

عن ابن عباس قوله: "{أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}، يقول: هملا"(١٢).

عن مجاهد، قوله: "{أَيَحْسَبُ الإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى}، قال: لا يُؤمر، ولا يُنْهى"(١٣).

قال الزجاج:" أي: أن يترك غير مَأمورٍ وغير مَنْهي"(١٤).

قال أبو عبيدة:" يقال: أسديت حاجتي تركتها"(١٥).

قال ابن قتيبة:" أي: يُهْمَلَ: فلا يؤمَر، ولا يُنهَى، ولا يُعاقَبَ، يقال: أسديتُ الشيء؛ إذا أهملته"(١٦).

قال السعدي:" أي: معطلا، لا يؤمر ولا ينهى، ولا يثاب ولا يعاقب؟ هذا حسبان باطل وظن بالله بغير ما يليق بحكمته"(١٧).

قال ابن كثير:" الظاهر أن الآية تعم الحالين، أي : ليس يترك في هذه الدنيا مهملا لا يؤمر ولا ينهى، ولا يترك في قبره سدى لا يبعث، بل هو مأمور منهي في الدنيا، محشور إلى

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٢) انظر: النكت والعيون: ١٥٩/٦، وتفسير ابن كثير: ٢٨٣/٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٨٣/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الإمام الشافعي: ١٤١٣/٣، وتفسير ابن كثير: ٢٨٣/٨.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٨.
(٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٧٨/٢.
(٧) انظر: غريب القرآن: ٥٠١.
(٨) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٤.
(٩) غريب القرآن: ٥٠١.
(١٠) معاني القرآن: ٢٥٥/٥.
(١١) تفسير الطبري: ٨٢/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٨٣/٢٤.
(١٤) معاني القرآن: ٢٥٥/٥.
(١٥) مجاز القرآن: ٢٧٨/٢.
(١٦) غريب القرآن: ٥٠١.
(١٧) تفسير السعدي: ٩٠٠.

الله في الدار الآخرة. والمقصود هنا إثبات المعاد، والرد على من أنكره من أهل الزيغ والجهل والعناد"[١].

قوله تعالى:{أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِنْ مَنِيٍّ يُمْنَى} [القيامة : ٣٧]، أي:" ألم يك هذا الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين يراق ويصب في الأرحام"[٢].

قال الطبري: يقول: "ألم يك هذا المنكر قدرة الله على إحيائه من بعد مماته، وإيجاده من بعد فنائه ماء قليلا في صلب الرجل من منيّ"[٣].

قال ابن كثير:" أي : أما كان الإنسان نطفة ضعيفة من ماء مهين، يمنى يراق من الأصلاب في الأرحام"[٤].

قوله تعالى:{ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً} [القيامة : ٣٨]، أي:" ثم صار قطعة من دم جامد"[٥].

قال الطبري: يقول: " ثم كان دما من بعد ما كان نطفة، ثم علقة"[٦].

قال ابن كثير:" أي : فصار علقة، ثم مضغة"[٧].

قوله تعالى:{فَخَلَقَ فَسَوَّى} [القيامة : ٣٨]، أي:" فخلقه الله بقدرته وسوَّى صورته في أحسن تقويم؟"[٨].

قال الطبري: يقول: " ثم سوّاه بشرًا سويا، ناطقا سميعا بصيرا"[٩].

قال ابن كثير:" ثم شُكّل ونفخ فيه الروح، فصار خلقا آخر سَويًا سليم الأعضاء"[١٠].

قال السعدي:" {فَخَلَقَ} الله منها الحيوان وسواه، أي: أتقنه وأحكمه"[١١].

قوله تعالى:{فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى} [القيامة : ٣٩]، أي:" فجعل من هذا الإنسان الصنفين: الذكر والأنثى"[١٢].

قال الطبري: يقول: " فجعل من هذا الإنسان بعدما سوّاه خلقا سويا أولادًا له، ذكورا وإناثا"[١٣].

قال ابن كثير: أي:" ذكرا أو أنثى بإذن الله وتقديره "[١٤].

قال السدي:" إذا وقعت النطفة في الرحم [طارت في الجسد أربعون يوما][١٥]، ثم تكون علقة أربعين يوما، ثم تكون مضغة أربعون يوما، فإذا بلغ أن يخلق، بعث الله ملكا يصورها، فيأتي الملك بتراب بين أصبعيه فيخلط في المضخة، ثم يعجنه بها، ثم يصورها كما يؤمر فيقول: أذكر أم أنثى؟ أشقي أم سعيد؟ وما رزقه؟ وما عمره؟ وما أثره؟ وما مصائبه؟ فيقول الله تعالى، ويكتب الملك، فإذا مات ذلك الجسد، دفن حيث أخذ ذلك التراب[١٦].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٨.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٣) تفسير الطبري: ٨٣/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٨.
(٥) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٦) تفسير الطبري: ٨٣/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٩) تفسير الطبري: ٨٣/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٨.
(١١) تفسير السعدي: ٩٠٠.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(١٣) تفسير الطبري: ٨٣/٢٤.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٨.
(١٥) زيادة في تفسير الطبري(٦٥٦٩):ص١٦٧/٦، رواه السدي عن أبي مالك عن ابن عباس.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٣١٥٦):ص٥٩٠/٢.

قوله تعالى:{أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة : ٤٠]، أي:" أليس ذلك الإله الخالق لهذه الأشياء بقادر على إعادة الخلق بعد فنائهم؟"[١].

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: أليس الذي فعل ذلك فخلق هذا الإنسان من نطفة، ثم علقة حتى صيره إنسانا سويا، له أولاد ذكور وإناث، بقادر على أن يُحيي الموتى من مماتهم، فيوجدهم كما كانوا من قبل مماتهم، يقول: معلوم أن الذي قَدِر على خَلق الإنسان من نطفة من منيّ يمنى، حتى صيره بشرا سويًا، لا يُعجزه إحياء ميت من بعد مماته، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا قرأ ذلك قال: بلى"[٢].

قال السعدي:" الذي خلق الإنسان وطوره إلى هذه الأطوار المختلفة {بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} بلى إنه على كل شيء قدير"[٣].

قال ابن كثير:" أي : أما هذا الذي أنشأ هذا الخلق السوي من هذه النطفة الضعيفة بقادر على أن يعيده كما بدأه ؟ وتناولُ القدرة للإعادة إما بطريق الأولى بالنسبة إلى البداءة، وإما مساوية على القولين في قوله :{وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ} [الروم : ٢٧]"[٤].

عن قتادة، قوله: "{أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}، ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان إذا قرأها قال: سبحانك وبلى"[٥].

عن موسى بن أبي عائشة عن آخر: "أنه كان فوق سطح يقرأ ويرفع صوته بالقرآن، فإذا قرأ: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}، قال: سبحانك اللهم، فبلي[٦]. فسئل عن ذلك فقال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ذلك"[٧].

عن ابن عباس:" أنه مر بهذه الآية: {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى}، قال: سبحانك، قبلي"[٨].

عن إسماعيل بن أمية، قال: سمعت أعرابيا يقول : سمعت أبا هُرَيرة يقول : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قرأ منكم بالتين والزيتون فانتهى إلى آخرها :{أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَحْكَمِ الْحَاكِمِينَ} ؟ فليقل : بلى، وأنا على ذلك من الشاهدين. ومن قرأ :{لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} فانتهى إلى :{أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} ؟ فليقل : بلى. ومن قرأ :{وَالْمُرْسَلات} فبلغ {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} ؟ فليقل : آمنا بالله"[٩].

فوائد الآيات: [٢٦-٤٠]:

١- مشروعية الرقية إذا كانت بالقرآن أو الكلم الطيب.

٢- التنويه بشأن الزكاة والصلاة فرائض ونوافل.

٣- تحريم العجب والكبرياء والتبختر في المشي.

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٥- الإنسان لم يخلق عبثا والكون كله كذلك.

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(٢) تفسير الطبري: ٨٣/٢٤-٨٤.

(٣) تفسير السعدي: ٩٠٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٣/٨.

(٥) أخرجه الطبري: ٨٤/٢٤.

(٦) في المطبوع" قبلي". وهو تصحيف

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٧٣):ص٣٣٨٩/١٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٧٤):ص٣٣٨٩/١٠.

(٩)سنن أبي داود برقم (٨٨٧)، والمسند (٢٤٩/٢)، وسنن الترمذي برقم (٣٣٤٧). وقد جاء تسمية هذا الأعرابي في رواية الحاكم، فرواه في المستدرك (٥١٠/٢) من طريق يزيد بن عياض، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي اليسع، عن أبي هريرة بنحوه وقال : "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". قلت : يزيد بن عياض كذاب.

٦- مشروعية قول: «سبحانك اللهم بلى» لمن قرأ هذه الآية أو سمعها إماماً كان أو مأموماً وهي {أَلَيْسَ ذَلِكَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَى} [القيامة: ٤٠].

«آخر تفسير سورة (القيامة)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «الإنسان»

«سورة الإنسان» هي السورة السادسة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة الرحمان»، وعدد آياتها إحدى وثلاثون. وكلماتها مائتان وأربعون. وحروفها ألف وخمسون. وفواصل آياتها على «الألف»[١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة الإنسان»:**

سميت بذلك في المصاحف وكتب التفسير، وذلك لافتتاحها بذكر الإنسان وخلقه من عدم وخلق له جميع ما في الأرض من خيرات، قال تعالى: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١)} [الإنسان : ١].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة هل أتى على الإنسان»:**

وردت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، كما عند ابن عباس[٢]، وابن هريرة[٣]، وابن الزبير[٤]، قد وردت هذه التسمية عند الطبري[٥]، وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت فيها.

- **الاسم الثاني: «سورة هل أتى»:**

سميت بذلك اختصارا، وسماها بذلك جمع من المفسرين[٦]، وهي تسمية للسورة بفاتحتها، ولم ترد عن النبي-صلى الله عليه وسلم- فهي تسمية من اجتهاد علماء التفسير.

- **الاسم الثالث: «سورة الدهر»:**

بهذه التسمية عنون لها ابن قتيبة[٧]، والماتريدي[٨]، وابن الجوزي[٩]، وغيرهم، ووجه تسميتها بذلك لوقوع: {مَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ} [الجاثية : ٢٤] فيها ولم يقع لفظ الدهر في ذوات حم الأخر[١٠].

- **الاسم الرابع: «سورة الأبرار»:**

سماها بذلك الطبرسي[١١]، وذكرها الألوسي في تفسيره[١٢] والقاسمي[١٣]، وتسمى «سورة الأبرار»[١٤]، لأن فيها ذكر نعيم الأبرار.

- **الاسم الخامس: «سورة الأمشاج»:**

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٠/١.

(٢) انظر: مسلم (٨٧٩)، وابن ماجه (٨٢١)، وأبو داود (١٠٧٤): ص ٢/ ٣٠١ - ٣٠٢. كما سيأتي في فضائل السورة.

(٣) انظر: صحيح مسلم (٨٨٠): ص ٢/ ٥٩٩. كما سيأتي في فضائل السورة

(٤) انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨. وعزاه لابن مردويه.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ٨٥/٢٤.

(٦) كما في زاد المسير: ٣٧٤/٤، وتفسير الخازن: ٣٧٦/٤ .

(٧) انظر: غريب القرآن: ٥٠٢.

(٨) انظر: تأويلات أهل السنة: ٣٥٧/١٠.

(٩) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(١٠) انظر: التحرير والتنوير: ٣٢٣/٢٥.

(١١) انظر: تفسير الطبرسي: ١٣٥/٢٩.

(١٢) انظر: روح المعاني: ١٦٦/١٥.

(١٣) انظر: محاسن التأويل: ٤٥/١٧.

(١٤) قال تعالى: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} [الإنسان : ٥].

سماها بذلك الخفاجي[١]، وذكرها الألوسي[٢]، والقاسمي[٣] في تفسيريهما، وذلك لوقوع لفظ «الأمشاج»[٤] فيها ولم يقع في غيرها من القرآن.

وهذه الأسماء ألفاظ وقعت في السورة وسيمت بها وهي ليست خاصة بسورة الإنسان ما عدى: «الأمشاج، وهل أتى، وهل أتى على الإنسان» فقد اختصت السورة بها.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة أقوال:

أحدها: أنها مدنيّة كلّها، قاله ابن عباس[٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة[٧]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٨].

الثاني: أنها مكيّة، قاله ابن عباس-أيضا-[٩]، وابن الزبير[١٠]، ومقاتل[١١]، والكلبي[١٢]، ويحيى بن سلام[١٣].

الثالث: أنّ فيها مكّيّا ومدنيّا. ثم في ذلك قولان:

أحدهما: أن المكّيّ منها آية، وهي قوله عزّ وجلّ: {وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا} [الإنسان : ٢٤]، وباقيها جميعه مدنيّ، قاله الحسن[١٤]، وعكرمة[١٥].

والثاني: أنّ أوّلها مدنيّ إلى قوله عزّ وجلّ{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا} [الإنسان : ٢٣]، ومن هذه الآية إلى آخرها مكّيّ، حكاه الماورديّ[١٦].

قال ابن عاشور:" الأصح أنها مكية فإن أسلوبها ومعانيها جارية على سنن السور المكية ولا أحسب الباعث على عدها في المدني إلا ما روي من أن آية : {يُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّه} [الإنسان : ٨]، نزلت في إطعام علي بن أبي طالب بالمدينة مسكينا ليلة، ويتيما أخرى، وأسيرا أخرى، ولم يكن للمسلمين أسرى بمكة حملا للفظ أسير على معنى أسير الحرب، أو ما روي أنه نزل في أبي الدحداح وهو أنصاري، وكثيرا ما حملوا نزول الآية على مثل تنطبق عليها معانيها فعبروا عنها بأسباب نزول "[١٧].

مناسبة السورة لما قبلها:

وصلتها بما قبلها، أنه ذكر في السابقة الأهوال التي يلقاها الفجار يوم القيامة، وذكر فى هذه ما يلقاه الأبرار من النعيم المقيم في تلك الدار[١٨].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

---

(١) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفسير البَيضَاوي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِى وكِفَايةُ الرَّاضِى عَلَى تفسير البَيضَاوي: ٢٨٤/٨.

(٢) انظر: روح المعاني: ١٦٦/١٥.

(٣) انظر: محاسن التأويل: ٤٥/١٧.

(٤) وذلك في قوله تعالى: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان : ٢].

(٥) انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس وابن مردوية والبيهقي.

(٦) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(٧) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(٨) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(٩) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦، وزاد المسير: ٣٧٤/٤، والدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى النحاس.

(١٠) انظر: الدر المنثور: ٣٦٥/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.

(١١) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦، وزاد المسير: ٣٧٤/٤.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.

(١٤) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(١٥) انظر: زاد المسير: ٣٧٤/٤.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ١٦١/٦.

(١٧) التحرير والتنوير: ٣٣٦/٢٩.

(١٨) انظر: تفسير المراغي: ١٥٩/٢٩.

تتجلى مقاصد سورة الإنسان بشكلٍ عام ببيان حال الإنسان، وذلك كما مبين أدناه:

١- التعريف بالإنسان وكيفية خلقه إذ استهل الله -سبحانه وتعالى- السورة بقوله: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١) إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢)} [الإنسان : ١ - ٢] وذلك بمقصدٍ منه بأن يبيّن للإنسان أنّه ومنذ فترةٍ من الزمن لم يكن موجودًا وأنّ الله بقدرته وعظمته هو من خلقه ووهبه من نعمه كالسمع والبصر وغيرها، ثمّ أكمل بقوله: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)} [الإنسان : ٣]، أي: أنّه وبعد خلقه الإنسان علّمه وأرشده وهداه إلى السبيل الصحيح وبعدها كان إمّا شاكرًا عابدًا لله وإمّا من الكافرين وهذا من مقاصد سورة الإنسان بأنّ كفر الإنسان أو صلاحه هو باختياره من صنع يديه ولهذا سيحاسبه الله على كلّ صغيرةٍ وكبيرة.

٢- ومن مقاصد سورة الإنسان أنّ الله -تعالى- خاطب عباده بأسلوب الترغيب والترهيب، فتارةً يذكر ما أعدّه للكافرين من عقابٍ وعذابٍ وذلك بقوله: {إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤)} [الإنسان : ٤]، وتارةً يذكر صفات الجنة التي أعدّها للمسلمين الأبرار وعباده المخلصين فقد قال: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥) عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦)} [الإنسان : ٥ - ٦] بمقصدٍ منه أن يهدي الناس لطريق الصواب إمّا خوفًا من الله وعقابه أو استبشارًا وشوقًا لجزاءه وجناته.

٣- ويتبين أيضًا من مقاصد سورة الإنسان أنّ الله -سبحانه وتعالى- أراد التعريف بالأبرار بشيءٍ من التفصيل فجعل يصفهم ويصف أفعالهم بقوله: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا * وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا}، ثمّ إنّه وصف حالهم في جنات الخلد التي جزاهم الله -تعالى- بها على صبرهم وإحسانهم وإيمانهم فقال -جلّ وعلا-: {مُّتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ ۖ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا}، وأيضًا وصفهم في قوله: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠) عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)} [الإنسان : ٢٠ - ٢١]، وقد بيّن -تبارك وتعالى- أنّ هذا حال من كان من عباده مؤمنًا صبورًا شكورا.

٤- وأمّا آخر مقاصد سورة الإنسان كان التأكيد على أنّ السبيل إلى الفوز بجنات النعيم يكون بعبادة الله وحده والتقرّب إليه ودعاءه وذكره والمداومة على الحمد والسجود والتسبيح والاستغفار، فقد قال -جلّ وعلا-: {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥) وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦)} [الإنسان : ٢٥ - ٢٦].

٥- ثمّ ختم -سبحانه وتعالى- السورة كما ابتدأها بأنّه هو خالق الإنسان ومرشده وأنّ من اتبع هداه فقد فاز في الدنيا والآخرة أمّا من ضلّ وكفر واستكبر فله جهنم وبئس المصير، وهذا ما بيّنه -جلّ وعلا- في قول: {نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨) إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)} [الإنسان : ٢٨ - ٣١]، وبهذا يؤكد الله -تعالى- على أنّه يهدي من يشاء ويدخله في رحمته وبأنّ من ظلم نفسه وكفر واستكبر فإنّ الله قد أعدّ له عذابًا أليمًا.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان مدة خلقة آدم، وهداية الخلق بمصالحهم، وذكر ثواب الأبرار، في دار القرار، وذكر المنة على الرسول - صلى الله عليه وسلم -

وأمره بالصبر، وقيام الليل، والمنة على الخلق بإحكام خلقهم، وإضافة كلية المشيئة إلى الله، في قوله: {يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الإنسان : ٣١]"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

فيها من المنسوخ ثلاث آيات: م {أَسِيرًا} [الإنسان : ٨]، في قوله: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ} [الإنسان : ٨]م، والصبر من قوله: {فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [الإنسان : ٢٤] م، والتخيير من قوله: {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا} [الإنسان : ٢٩]، ن آية السيف[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن أبي هريرة، أن النبي صلى الله عليه وسلم: "كان يقرأ في الصبح يوم الجمعة، بـ «آلم تنزيل» في الركعة الأولى، وفي الثانية: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان: ١]"[٣].
- عن ابن عباس، أن رسولَ الله - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صَلاة الفجرِ يومَ الجمعة: {الم (١) تَنْزِيلُ} السجدة, و {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}"[٤].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة هل أتى كان جزاؤه على الله جَنَّةٌ وَحَرِيراً» [٥].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٣/١.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٣/١.

(٣)صحيح مسلم (٨٨٠): ص ٢/ ٥٩٩.

(٤)أخرجه مسلم (٨٧٩)، وابن ماجه (٨٢١)، وأبو داود (١٠٧٤): ص ٢/ ٣٠١ - ٣٠٢. -واللفظ له - والترمذي (٥٢٧).

زاد مسلم في روايته: وأن النبي - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ في صلاة الجمعة سورة الجمعة والمنافقين.

وهو في "مسند أحمد" (١٩٩٣)، و"صحيح ابن حبان" (١٨٢٠) و (١٨٢١).

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٩٣/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٠٦/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

القرآن

{هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا (١)} [الإنسان : ١]

التفسير:

قد مضى على الإنسان وقت طويل من الزمان قبل أن تُنفَخ فيه الروح، لم يكن شيئا يُذكر، ولا يُعرف له أثر.

سبب النزول:

قال مقاتل بن سليمان: ... وذلك أنّ امرأ القيس بن عابس الكِنْدِيّ، ومالك بن الضّيف اليهودي؛ اختصما بين يدي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - في أمْر آدم - عليه السلام - وخَلْقه، فقال مالك بن الضّيف: إنما نجد في التوراة أنّ الله خَلَق آدم حين خَلَق السموات والأرض. فأنزَل الله - عز وجل - يُكذِّب مالك بن الضّيف اليهودي، فقال: {هَلْ أتى عَلى الإنْسانِ} يعني: قد أتى على الإنسان {حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ} يعني: واحدًا وعشرين ألف سنة، وهي ثلاثة أسباع بعد خَلْق السموات والأرض {لَمْ يَكُنْ شيئًا مَذْكُورًا} يُذكر"[١].

قال السعدي:" ذكر الله في هذه السورة الكريمة أول حالة الإنسان ومبتدأها ومتوسطها ومنتهاها، فذكر أنه مر عليه دهر طويل وهو الذي قبل وجوده، وهو معدوم بل ليس مذكورا"[٢].

قال الزجاج:" المعنى: ألم يأت عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ، - وقد كان شيئاً إِلَّا أَنَّهُ كَانَ تُرَاباً وَطِيناً إلى أن نفخ فيه الروح فلم يكن قبل نفخ الروح فيه شيئاً مَذْكُورا"[٣].

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن الإنسان أنه أوجده بعد أن لم يكن شيئًا يذكر لحقارته وضعفه"[٤].

وفي قوله «هل»، وجهان :

أحدهما : أنها بمعنى: «قد»، وتقدير الكلام : «قد أتى على الإنسان» الآية ، على معنى الخبر ، قاله الفراء[٥]، وأبو عبيدة[٦]، والزجاج[٧]، والطبري[٨].

قال الفراء:" لأنك قد تقول: فهل وعظتك؟ فهل أعطيتك؟ تقرره بأنك قَدْ أعطيته ووعظته"[٩].

الثاني : أنها بمعنى الاستفهام، والتقدير: «أتى على الإنسان» الآية ، على وجه الاستفهام ، حكاه ابن عيسى[١٠].

وقال الزمخشري:" «هل» بمعنى «قد» في الاستفهام خاصة، والأصل: أهل، بدليل قوله: أهل رأونا بسفع القاع ذي الأكم، فالمعنى: أقد أتى؟ على التقرير والتقريب جميعا، أي: أتى على الإنسان قبل زمان قريب {حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ فيه شَيْئاً مَذْكُوراً}، أي كان شيئا منسيا غير مذكور"[١١].

وفي هذا «الإنسان»، قولان :

---

(١)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٥٢٢.
(٢) تفسير السعدي: ٩٠٠.
(٣) معاني القرآن: ٢٥٧/٥.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٥/٨.
(٥) انظر: معاني القرآن: ٢١٣/٣.
(٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٧/١.
(٧) انظر: معاني القرآن: ٢٥٧/٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٨٧/٢٤.
(٩) معاني القرآن: ٢١٣/٣.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(١١) الكشاف: ٦٦٥/٤.

أحدهما : أنه آدم، قاله قتادة[١]، وسفيان[٢]، وعكرمة[٣]، والسدي[٤]، وقيل:" إنه خلقه بعد خلق السموات والأرض ، وما بينهما في آخر اليوم السادس وهو آخر يوم الجمعة"[٥].

قال السمعاني:" الْإِنْسَان: هُوَ آدم على قَول أكثر الْمُفَسّرين"[٦].

قال قتادة:" الإنسان أتى عليه {حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}، قال: إنما خلق الإنسان –هاهنا- حديثا ما يعلم من خليفة الله خليقة كانت بعد إلا هذا الإنسان"[٧].

قال قتادة:" إنما خلق الإنسان -ها هنا- حديثا، ما يعلم من خليقة الله كانت بعد الإنسان"[٨].

قال قتادة:" كان آدم صلى الله عليه وسلم آخر ما خلق من الخلق"[٩].

قال مقاتل:" يعني: به آدم لا يذكر، وذلك أن الله خلق السموات وأهلها، والأرض وما فيها من الجن قبل أن يخلق آدم- عليه السلام-، بواحد وعشرين ألف سنة وهي ثلاثة أسباع[١٠]، فكانوا لا يعرفون آدم، ولا يذكرونه وكان سكان الأرض من الجن زمانا ودهرا ثم إنهم عصوا الله- تعالى- وضر بعضهم بعضا فأرسل الله عليهم قبيلة من الملائكة يقال لهم الجن وإبليس فيهم، وكان اسم إبليس الحارث أرسلهم الله على الجن فطردوهم حتى أخرجوهم من الأرض إلى الظلمة خلف الحجاب وهو جبل تغيب الشمس خلفه، وفي أصله، وفيما بين ذلك الجبل وبين جبل قاف مسيرة سنة كلها ظلمة وماء قائم، ثم إن إبليس وجنده طهروا الأرض وعبدوه زمانا فلما أراد الله- تعالى- أن يخلق آدم- صلى الله عليه-، أوحى إليهم أني جاعل في الأرض خليفة يعبدونني، ويطهرون لي الأرض، فردوا إلى الله قوله، وإبليس منهم: فقالوا ربنا أتجعل فيها من يفسد فيها يعني من يعصي فيها، ويسفك الدماء كفعل الجن، لا أنهم علموا الغيب: ولكن قالوا ما عرفوا عن الجن الذين عصوا ربهم، وقالوا نحن نسبح بحمدك ونقدس لك، يعنى ونطهر لك الأرض، فأوحى الله إليهم أني أعلم ما لا تعلمون. ثم إن الله- تبارك وتعالى- قال- يا جبريل- ائتني بطين فهبط جبريل- عليه السلام- إلى الأرض فأخذ ترابا من تحت الكعبة وهو أديم الأرض وصب عليه الماء فتركه زمانا حتى أنتن الطين فصار فوقها طين حر، وأسفلها حمأة وذلك أن امرأ القيس بن عابس الكتمي، ومالك بن الضيف اليهودي اختصما بين يدي رسول الله- صلى الله عليه وسلم- في أمر آدم- عليه السلام- وخلقه، فقال مالك بن الضيف: إنما نجد في التوراة أن الله خلق آدم حين خلق السموات والأرض، فأنزل الله- عز وجل- يكذب مالك بن الضيف اليهودي فقال: {هَلْ أتى عَلَى الْإِنْسانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}، يعني: واحدا وعشرين ألف سنة، وهي ثلاثة أسباع، بعد خلق السموات والأرض {لَمْ يَكُنْ شَيْئاً مَذْكُوراً} يذكر"[١١].

الثاني : أنه كل إنسان، قاله ابن عباس[١٢]، وابن جريج[١٣].

قال الزمخشري:" المراد بـ«الإنسان»: جنس بنى آدم، بدليل قوله: {إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ نُطْفَةٍ}"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٨٧/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٨٧/٢٤.
(٣) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(٥) نقلا عن: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(٦) تفسير السمعاني: ١١٢/٦.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٧٥):ص٣٣٩٠/١٠.
(٨) أخرجه الطبري: ٨٧/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٨٧/٢٤.
(١٠)المعنى أن ٧ ٧ ٧= ٢١.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢١/٤-٥٢٢.
(١٢) انظر: الدر المنثور: ٣٦٧/٨، وعزاه لابن المنذر، وانظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.

قال النحاس:" الإنسان الأول عند أهل التفسير يراد به آدم -عليه السّلام-، وقد يجوز أن يراد به الجنس"[٢].

قال الزجاج:" ويجوز أن يكون يعني به جميع الناس، ويكون المعنى أنهم كانوا نُطَفاً ثم عَلَقاً ثم مُضَغاً إلى أن صاروا شيئاً مَذْكُوراً"[٣].

وفي قوله تعالى : {حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ} [الإنسان : ١]، ثلاثة أقوال:

أحدها : أنه أربعون سنة مرت قبل أن ينفخ فيه الروح ، وهو ملقى بين مكة والطائف ، قاله ابن عباس في رواية أبي صالح عنه[٤].

الثاني : أنه خلق من طين فأقام أربعين سنة ، ثم من حمأ مسنون أربعين سنة ، ثم من صلصال أربعين سنة ، فتم خلقه بعد مائة وعشرين سنة ، ثم نفخ فيه الروح ، وهذا قول ابن عباس في رواية الضحاك[٥].

الثالث : أن الحين المذكور ها هنا وقت غير مقدر وزمان غير محدود، قاله ابن عباس -أيضاً[٦].

قال الزمخشري: أي:" طائفة من الزمن الطويل الممتد"[٧].

قال عكرمة: "إن من الحين حينا لا يدرك قال الله: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان : ١]، والله ما يدري كم أتى عليه حتى خلقه الله"[٨].

وفي قوله: {لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان : ١]، وجهان :

أحدهما : لم يكن شيئاً مذكوراً في الخلق ، وإن كان عند الله شيئاً مذكوراً ، قاله يحيى بن سلام[٩].

الثاني : أي: كان جسداً مصوّراً تراباً وطيناً، لا يذكر ولا يعرف ، ولا يدري ما اسمه ، ولا ما يراد به ، ثم نفخ فيه الروح فصار مذكوراً ، قاله الفراء[١٠]، وقطرب[١١]، وثعلب[١٢].

قال الفراء:" يريد: كَانَ شيئًا، ولم يكن مذكورًا. وذلك من حين خلقه اللَّه من طين إلى أن نفخ فِيهِ الروح"[١٣].

وقال مقاتل : "في الكلام تقديم وتأخير ، وتقديره : هل أتى حين من الدهر لم يكن الإنسان شيئاً مذكوراً ، لأنه خلقه بعد خلق الحيوان كله ولم يخلق بعده حيواناً"[١٤].

عن يزيد بن أبي زياد، أن عبد الله بن مسعود، سمع رجلا قرأ: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا} [الإنسان: ١]، فقال: «إي وعزتك، فجعلته سميعا بصيرا، وحيا وميتا»[١٥].

---

(١) الكشاف: ٦٦٥/٤.
(٢) إعراب القرآن: ٦٢/٥.
(٣) معاني القرآن: ٢٥٧/٥.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(٥) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(٧) الكشاف: ٦٦٥/٤.
(٨) الدر المنثور: ٣٦٧/٨، وعزاه لعبد بن حميد.
(٩) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(١٠) معاني القرآن: ٢١٣/٣.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(١٣) معاني القرآن: ٢١٣/٣.
(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢١/٤-٥٢٢.[باختصار]
(١٥) فضائل القرآن للقاسم بن سلام: ١٥٠.

عن الخليل بن مرة قال: "قرأ عمر بن الخطاب {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ لَمْ يَكُنْ شَيْئًا مَذْكُورًا}، فرفع صوته، وقال: يا ليتها تمت"(١). أراد: "ليت تلك الحالة تمت، وهي كونه شيئا غير مذكور ولم يخلق ولم يكلف"(٢).

عن عبد الله بن عامر بن ربيعة، عن أبيه: "أن عمر بن الخطاب أخذ تبنة من الأرض، فقال: يا ليتني هذه التبنة، يا ليت أمي لم تلدني، يا ليتني كنت نسيا منسيا، يا ليتني لم أكن شيئا يذكر"(٣).

وقال عبد الله بن وهب : أخبرنا ابن زيد : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ هذه السورة : " هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ " وقد أنزلت عليه وعنده رجل أسود، فلما بلغ صفة الجنان، زفر زفرة فخرجت نفسه. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "أخرج نفس صاحبكم - أو قال : أخيكم - الشوقُ إلى الجنة"(٤).

عن واهب المعافري:" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من أقرئه المصمدة، فقال رجل: أنا، يا رسول الله، فأقرأه رسول الله سورة: يونس؛ ثم قال: من أقرئه المحلية، فقال رجل أنا، يا رسول الله، فأقرأه: طه؛ ثم قال: من أقرئه المحبرة، فقال رجل أنا؛ فأقرأه: {هَلْ أَتَى عَلَى الْإِنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ}"(٥).

عن عمرو بن مهاجر، قال: "استأذن غَيلان على عمر بن عبد العزيز، فأذِن له، فقال: ويحك، يا غَيلان، ما الذي بلغني عنك أنك تقول؟ قال: إنما أقول بقول الله: {هل أتى على الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئًا مذكورًا} إلى قوله: {إما شاكرًا وإما كفورًا}. قال عمر: تِمَّ السورة، ويحك! أما تسمع الله يقول: {وما تشاؤون إلا أن يشاء الله} [الإنسان: ٣٠]؟! ويحك، يا غَيلان، أما تَعلم أنّ الله {جاعل في الأرض} إلى {العليم الحكيم} [البقرة: ٣٠ - ٣٢]؟! فقال غَيلان: يا أمير المؤمنين، لقد جئتُك جاهلًا فعَلَّمتَني، وضالًّا فهَديتَني. قال: اخرج، ولا يبلغني أنك تَكلَّم بشيء من هذا"(٦).

القرآن

{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا (٢) إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا (٣)} [الإنسان : ٢-٣]

التفسير:

إنا خلقنا الإنسان من نطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة، نختبره بالتكاليف الشرعية فيما بعد، فجعلناه من أجل ذلك ذا سمع وذا بصر؛ ليسمع الآيات، ويرى الدلائل، إنا بيَّنا له وعرَّفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر; ليكون إما مؤمنًا شاكرًا، وإما كفورًا جاحدًا.

قوله تعالى:{إِنَّا خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ} [الإنسان : ٢]، أي:" إنا خلقنا الإنسان من نطفة مختلطة من ماء الرجل وماء المرأة"(٧).

---

(١) رواه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٦٩/٥.

(٢) الكشاف: ٦٦٥/٤.

(٣) رواه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٦٩/٥.

(٤) نقلا عن تفسير ابن كثير: ٢٨٥/٨، وقال ابن كثير: ٢٨٥/٨" مرسل غريب".
وقد جاء موصولا، فرواه الطبراني في المعجم الأوسط برقم (٤٧٧٤) "مجمع البحرين" من طريق عفيف بن سالم، عن أيوب بن عتبه، عن عطاء، عن ابن عمر : أن رجلا من الحبشة، فذكر قصة طويلة وفيها : أن نزلت هذه السورة وهو عند الرسول فقال : يا رسول الله، هل ترى عيني في الجنة مثل ما ترى عينك ؟ فقال النبي : "نعم" فبكى الحبشى حتى فاضت نفسه. وقال الطبراني : "لا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرد به عفيف".

(٥) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٥٧):ص٣٥/٣.

(٦)أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق ٤٨/ ١٩٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٧٨.

وفي «النطفة»، قولان :
أحدهما : ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا فهما نطفة ، قاله السدي[١]، ومقاتل[٢].
قال مقاتل:" يعني: ماء مختلطا وهو ماء الرجل وماء المرأة فإذا اختلطا فذلك المشج"[٣].
قال الطبري:" إنا خلقنا ذرّية آدم من نطفة، يعني: من ماء الرجل وماء المرأة، والنطفة: كلّ ماء قليل في وعاء كان ذلك ركية أو قربة، أو غير لك، كما قال عبد الله بن رواحة[٤]:
هَلْ أنْتِ إلا نُطْفَةٌ في شَنَّه"[٥].
قال النحاس:" النطفة-عند العرب-: الماء القليل في وعاء"[٦].
الثاني : أن النطفة ماء الرجل، فإذا اختلط في الرحم وماء المرأة صارا أمشاجاً. حكاه الماوردي[٧].
وفي معنى: «الأمشاج»، أقوال:
أحدها : أنه الأخلاط ، وهو أن يختلط ماء الرجل بماء المرأة ، قاله ابن عباس[٨]، والحسن[٩]، وعكرمة[١٠]، ومجاهد[١١]، والربيع[١٢]، وبه قال أبو عبيدة[١٣]، والطبري[١٤]، ومنه قول رؤبة بن العجاج[١٥]:
يَطْرَحْنَ كُلَّ مُعْجَلٍ نَشَّاج ... لَمْ يُكْسَ جِلْدًا في دَمٍ أمْشاج
ومنه قول الشاعر[١٦]:
كأن الرّيش والفوقين منه ... خلاف النّصل سيط به مشيج
قال الثعلبي:" يقال: مشجت هذا بهذا أي خلطته فهو ممشوج ومشج، مثل مخلوط وخليط"[١٧].
قال الشَّافِعِي رحمه الله: "وما اختلط سَمَّته العرب أمشاجاً"[١٨].
عن عكرمة: "{أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ}، قال: ماء الرجل وماء المرأة يمشج أحدهما بالآخر"[١٩].
قال عكرمة:" ماء الرجل وماء المرأة يختلطان"[٢٠].
قال ابن عباس:" ماء المرأة وماء الرجل يمشجان"[١].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ١٦٣/٦.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٢/٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٢/٤.
(٤)هذا رجز في خبر طويل، الخزانة ٣/ ١٧، قيل هزءًا برجل: ألقوه في بئر ثم رجزوا به. والمائح: هو الرجل الذي ينزل إلى قرار البئر إذا قل ماؤها، فيلقي الدلاء فيملؤها بيده ويميح لأصحابه.
(٥) تفسير الطبري: ٨٨/٢٤.
(٦) إعراب القرآن: ٦٢/٥.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٦٢/٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٨٩/٢٤، والكشف والبيان: ٩٤/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٨٩/٢٤، والكشف والبيان: ٩٤/١٠، والنكت والعيون: ١٦٢/٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٨٩/٢٤، والكشف والبيان: ٩٤/١٠، والنكت والعيون: ١٦٢/٦.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢٤، والكشف والبيان: ٩٤/١٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٨٩/٢٤، والكشف والبيان: ٩٤/١٠.
(١٣) انظر: مجاز القرآن: ٢٧٩/٢.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٨٨/٢٤.
(١٥) ديوانه: ٣٢ و تفسير الطبري:٨٨/٢٤، وتفسير القرطبي ١٩/ ١١٨.
(١٦) البيت لعمرو بن الداخل الهذلي من قصيدته في ديوان الهذليين ٣/ ١٠٤، وانظر اللسان (مشج).
(١٧) الكشف والبيان: ٩٤/١٠.
(١٨) تفسير الإمام الشافعي: ١٤١٤/٣.
(١٩) أخرجه الطبري: ٨٩/٢٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٨٩/٢٤.

قال ابن عباس:" ماء المرأة وماء الرجل يختلطان"[٢].
قال الربيع:" إذا اجتمع ماء الرجل وماء المرأة فهو أمشاج"[٣].
قال الحسن:" مُشج ماء المرأة مع ماء الرجل"[٤].
قال مجاهد:" خلق الله الولد من ماء الرجل وماء المرأة، وقد قال الله: {يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى}"[٥].
قال مجاهد:" خلق من تارات ماء الرجل وماء المرأة"[٦].
الثاني : أن الأمشاج الألوان ، قاله ابن عباس[٧]، وعكرمة[٨].
قال ابن عباس:" الأمشاج: خلق من ألوان، خلق من تراب، ثم من ماء الفرج والرحم، وهي النطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظما، ثم أنشأه خلقا آخر فهو ذلك"[٩].
عن عكرمة، في هذه الآية "{أمْشاجٍ}، قال: نطفة، ثم علقة، ثم مضغة، ثم عظما"[١٠].
وقال مقاتل:" فماء الرجل غليظ أبيض فمنه العصب والعظم والقوة، ونطفة المرأة صفراء رقيقة فمنها اللحم والدم والشعر والظفر، فيختلطان فذلك: الأمشاج"[١١].
روى سعيد عن قتادة، عن أنس قال : قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- :"ماء الرجل غليظ أبيض ، وماء المرأة رقيق أصفر فأيهما سبق أو علا فمنه يكون الشبه"[١٢] .
الثالث : عُني بذلك اختلاف ألوان النطفة. قاله ابن عباس أيضا[١٣]، ومجاهد[١٤].
عن ابن عباس: "{أمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ}، يقول: مختلفة الألوان"[١٥].
قال مجاهد: "ألوان النطفة"[١٦].
عن مجاهد: "{أمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ}، قال: ألوان النطفة؛ نطفة الرجل بيضاء وحمراء، ونطفة المرأة حمراء وخضراء"[١٧].
وقال مجاهد:" أيّ الماءين سبق أشبه عليه أعمامه وأخواله"[١٨].
الرابع : أن الأمشاج : الأطوار ، وهو أن الخلق يكون طوراً نطفة ، وطوراً علقة ، وطوراً مضغة ، ثم طوراً عظماً ، ثم يكسى العظم لحماً ، قاله قتادة[١٩].
قال قتادة:" أطوار الخلق، طورا نطفة، وطورا علقة، وطورا مضغة، وطورا عظاما، ثم كسى الله العظام لحما، ثم أنشأه خلقا آخر، أنبت له الشعر"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٨٩/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٨٩/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٨٩/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٨٩/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٢/٤.
(١٢)رواه البخاري، كتاب مناقب الأنصار، باب كيف آخى النبي - صلى الله عليه وسلم - بين أصحابه (٣٩٣٨)، ومسلم كتاب الحيض، باب بيان صفة مني الرجل (٣١٥)، وأحمد في "المسند" ٣/ ٢٧١ (١٣٨٦٨).
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢٤-٩١.
(١٥) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٩١/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٩١/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٩٠/٢٤.

قال قتادة:" الأمشاج: اختلط الماء والدم، ثم كان علقة، ثم كان مضغة"[٢].

الخامس : أن الأمشاج :العروق التي تكون في النطفة ، قاله ابن مسعود[٣]، ورواه أسامة بن زيد عن أبيه[٤]. وبه قال زيد بن أسلم[٥].

قال ابن مسعود:" أمشاجها: عروقها"[٦].

عن أسامة بن زيد، عن أبيه، قال: "هي العروق التي تكون في النطفة"[٧].

السادس: أنه الأمشاج: الذي يخرج على أثر البول كقطع الأوتار ومنه يكون الولد. وهذا مروي عن ابن عباس-أيضا-[٨].

قال الطبري:" وأشبه هذه الأقوال بالصواب قول من قال: معنى ذلك (مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ) نطفة الرجل ونطفة المرأة، لأن الله وصف النطفة بأنها أمشاج، وهي إذا انتقلت فصارت علقة، فقد استحالت عن معنى النطفة فكيف تكون نطفة أمشاجا وهي علقة؟ وأما الذين قالوا: إن نطفة الرجل بيضاء وحمراء، فإن المعروف من نطفة الرجل أنها سحراء على لون واحد، وهي بيضاء تضرب إلى الحمرة، وإذا كانت لونا واحدا لم تكن ألوانا مختلفة، وأحسب أن الذين قالوا: هي العروق التي في النطفة قصدوا هذا المعنى. وقد حدثنا ابن حميد، قال: ثنا سلمة، عن ابن إسحاق، عن عطاء بن أبي رباح، عن ابن عباس، قال: «إنما خلق الإنسان من الشيء القليل من النطفة. ألا ترى أن الولد إذا أسكت ترى له مثل الرّير؟ وإنما خلق ابن آدم من مثل ذلك من النطفة أمشاج نبتليه»"[٩].

قوله تعالى:{نَبْتَلِيهِ} [الإنسان : ٢]، أي:" نختبره بالتكاليف الشرعية فيما بعد"[١٠].

قال الطبري: أي:" نختبره"[١١].

قال السمعاني:" أي: نختبره ونمتحنه، وقيل: في الآية تقديم وتأخير، ومعناها: فجعلناه سمعيا بصيرا نبتليه ونختبره"[١٢].

عن أبي عثمان المغربي، قال: سئلت وأنا بمكة عن قوله تعالى: {أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ} فقلت: ابتلى الله تعالى الخلق بتسعة أمشاج: ثلاث مفتنات، وثلاث كافرات، وثلاث مؤمنات.

فأما الثلاث المفتنات: فسمعه، وبصره، ولسانه.

وأما الثلاث الكافرات: فنفسه، وهواه، وشيطانه.

وأما الثلاث المؤمنات: فعقله، وروحه، وملكه.

فإذا أيد الله تعالى العبد بالمعونة، سلّط العقل على القلب فملكه، واستأثرت النفس والهوى، فلم يجد إلى الحركة سبيلًا، فجالست النفس الروح وجالس الهوى العقل، وصارت كلمة الله هي العليا {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ}"[١٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٩٠/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٩١/٢٤.

(٥)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٦) أخرجه الطبري: ٩١/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ٩١/٢٤.

(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٧٩):ص٠/٣٣٩٠.

(٩) تفسير الطبري: ٩١/٢٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٧٨.

(١١) تفسير الطبري: ٩١/٢٤.

(١٢) تفسير السمعاني: ١١٣/٦.

(١٣) أخرجه الثعلبي في "التفسير": ١٩٨/٢٧-١٩٩، وذكره السلمي في "حقائق التفسير" [٣٥٥/ أ] ومن طريقه الثعلبي.

قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُ سَمِيعًا بَصِيرًا} [الإنسان : ٢]، أي:" فجعلناه من أجل ذلك ذا سمع وذا بصر؛ ليسمع الآيات، ويرى الدلائل"[١].

قال الطبري: يقول:" فجعلناه ذا سمع يسمع به، وذا بصر يبصر به، إنعاما من الله على عباده بذلك، ورأفة منه لهم، وحجة له عليهم"[٢].

قوله تعالى:{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان : ٣]، أي:" إنا بيَّنا له وعرَّفناه طريق الهدى والضلال والخير والشر، ليكون إما مؤمنًا شاكرًا، وإما كفورًا جاحدًا "[٣].

قال الطبري: يقول:" إنا بينا له طريق الجنة، وعرّفناه سبيله، إن شكر، أو كفر"[٤].

عن عكرمة:" {إنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ}، قال: سبيل الهُدى"[٥].

عن عطية العَوفيّ، {إنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ}، قال: الخير، والشّرّ"[٦].

عن مجاهد، قوله: "{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ}، قال: الشقوة والسَّعادة"[٧].

عن قتادة، قوله: "{إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا} للنعم، {وَإِمَّا كَفُورًا} لها"[٨].

قال ابن زيد، في قوله: "{مِنْ نُطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَبْتَلِيهِ ... } إلى {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ}، قال: ننظر أيّ شيء يصنع، أيّ الطريقين يسلك، وأيّ الأمرين يأخذ، قال: وهذا الاختبار"[٩].

القرآن

{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ وَأَغْلَالًا وَسَعِيرًا (٤)} [الإنسان : ٤]

التفسير:

إنا أعتدنا للكافرين قيودًا من حديد تُشَدُّ بها أرجلهم، وأغلالا تُغلُّ بها أيديهم إلى أعناقهم، ونارًا يُحرقون بها.

قوله تعالى:{إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَاسِلَ} [الإنسان : ٤]، أي:" إنا أعتدنا للكافرين قيودًا من حديد تُشَدُّ بها أرجلهم"[١٠].

قال الطبري: يقول:" إنا أعتدنا لمن كفر نعمتنا وخالف أمرنا سلاسل يُسْتَوْثَق بها منهم شدّا في الجحيم"[١١].

قال القشيري:" أي: هيّأنا لهم سلاسل يسحبون فيها"[١٢].

قال القاسمي:" أي: ليقادوا بها ويستوثق بها منهم شدا في الجحيم"[١٣].

قال القرطبي:" بين حال الفريقين، وأنه تعبد العقلاء وكلفهم ومكنهم مما أمرهم، فمن كفر فله العقاب، ومن وحد وشكر فله الثواب. والسلاسل: القيود في جهنم طول كل سلسلة سبعون ذراعا كما مضى في «الحاقة»[١٤]"[١٥].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٢) تفسير الطبري: ٩٢/٢٤.
(٣) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٤) تفسير الطبري: ٩٢/٢٤.
(٥)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٧) أخرجه الطبري: ٩٢/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٩٢/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٩٢/٢٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(١١) تفسير الطبري: ٩٣/٢٤.
(١٢) لطائف الإشارات: ٦٦١/٣.
(١٣) محاسن التأويل: ٣٧٤/٩.
(١٤) يشير إلى قوله تعالى: {ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعًا فَاسْلُكُوهُ} [الحاقة : ٣٢].
(١٥) تفسير القرطبي: ١٢٣/١٩.

وقرأ نافع والكسائي وأبو بكر عن عاصم وهشام عن ابن عامر: «سلاسلا» منونا. الباقون بغير تنوين. ووقف قنبل وابن كثير وحمزة بغير ألف. الباقون بالألف[١].

قوله تعالى:{وَأَغْلَالًا} [الإنسان : ٤]، أي:" وأغلالا تُغلُّ بها أيديهم إلى أعناقهم"[٢].

قال الطبري: " يقول: وتشدّ بالأغلال فيها أيديهم إلى أعناقهم"[٣].

قال القشيري:" وأغلالا لأعناقهم يهانون بها"[٤].

قال القاسمي:" أي: لتشد فيها أيديهم إلى أعناقهم"[٥].

عن التيمي -من طريق ابنه- قال: "لو أنّ غُلًّا مِن أغلال جهنم وُضِع على جبلٍ لَوَهَصَهُ حتى يبلغ الماء الأسود"[٦].

قوله تعالى:{وَسَعِيرًا} [الإنسان : ٤]، أي:" ونارًا يُحرقون بها"[٧].

قال الطبري: " يقول: ونارا تُسْعر عليهم فتتوقد"[٨].

قال القشيري:" نارا مستعرة"[٩].

قال القاسمي:" أي: نارا تسعر عليهم فتتوقد"[١٠].

عن سعيد بن جبير، قال: "السعير: وادي من فيح في جهنم"[١١].

قال الزمخشري:" ولما ذكر الفريقين أتبعهما الوعيد والوعد"[١٢].

القرآن

{إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا (٥)} [الإنسان : ٥]

التفسير:

إن أهل الطاعة والإخلاص الذين يؤدون حق الله، يشربون يوم القيامة مِن كأس فيها خمر ممزوجة بأحسن أنواع الطيب، وهو ماء الكافور.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذين برّوا بطاعتهم ربهم في أداء فرائضه، واجتناب معاصيه، يشربون من كأس- وهو كل إناء كان فيه شراب- كان مزاج ما فيها من الشراب في طيب رائحتها كالكافور"[١٣].

قال الفراء:" يُقال: إنها عين تسمى الكافور، وَقَدْ تكون كَانَ مزاجها كالكافور لطيب ريحه، فلا تكون حينئذ اسما"[١٤].

قال ابن كثير:" قد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة"[١٥].

قال قتادة:" قوم تمزج لهم بالكافور، وتختم لهم بالمسك"[١].

---

(١) انظر: السبعة في القراءات: ٦٦٣.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٣) تفسير الطبري: ٩٣/٢٤.
(٤) لطائف الإشارات: ٦٦١/٣.
(٥) محاسن التأويل: ٣٧٤/٩.
(٦)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ١٨٣.
(٧) التفسير الميسر: ٥٧٨.
(٨) تفسير الطبري: ٩٣/٢٤.
(٩) لطائف الإشارات: ٦٦١/٣.
(١٠) محاسن التأويل: ٣٧٤/٩.
(١١) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٤٩٠):ص٩٨٢/٣.
(١٢) الكشاف: ٦٦٧/٤.
(١٣) تفسير الطبري: ٩٣/٢٤.
(١٤) معاني القرآن: ٢١٥/٣.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٢٨٧/٨.

عن مجاهد، قوله: "{مِزَاجُهَا كَافُورًا}، قال: تمزج"[٢].
قال عطاء: "الكافور: اسم لِعَيْنٍ ماءٍ في الجنة"[٣].
قال الزجاج:" يجوز في اللغة أن يكونَ طَعْمُ الطيب فيها والكَافور، وجائز أن يمزج بالكافور فلا يكون في ذلك ضرر لأن أهل الجنة لا يمسهم فيما يأكلون ويشربون ضَرَرٌ ولا نَصَبٌ. و«الكأس» -في اللغة-: الِإناء إذا كان فيه الشرَابُ. فإذا لم يكن فيه الشراب لم يسم كأساً. قال الشاعر[٤]:
صَبَنْتِ الكأسَ عَنَّا أُمَّ عمرٍو ... وكانَ الكأسُ مَجْراها اليَمِينا"[٥].
عن الحسن: " الْأَبْرارَ : هم الذين لا يؤذون الذرّ[٦]"[٧].
قال القشيري:" قيل: البرّ: الذي لا يضمر الشّرّ، ولا يؤذى الذّرّ"[٨].
قال سهل: " الأبرار: الذين تخلقوا بخلق من أخلاق العشرة الذين شهد لهم رسول الله صلّى الله عليه وسلّم بالجنة. قيل: فما أول شيء ينبغي من الأخلاق؟ فقال: احتمال المئونة، والرفق في كل شيء، والحذر أن لا يميل في رفعه إلى هواه في هذه الخصال اكتساب العقل. ثم لا بد من ثلاثة أخرى فيها اكتساب المعرفة واستعمال العلم والحلم والتواضع، ثم لا بد من ثلاثة أخرى فيها أحكام التعبد السكينة والوقار والإنصاف. وقال: من كان فيه ثلاث خصال لم يأكل التراب جسده، كف الأذى عن الناس، ثم احتمال أذاهم، ثم اصطناع المعروف معهم"[٩].

القرآن
{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا (٦) يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا (٧) وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (٨) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا (٩) إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (١٠)} [الإنسان : ٦-١٠]
التفسير:
هذا الشراب الذي مزج من الكافور هو عين يشرب منها عباد الله، يتصرفون فيها، ويُجْرونها حيث شاؤوا إجراءً سهلا. هؤلاء كانوا في الدنيا يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من طاعة الله، ويخافون عقاب الله في يوم القيامة الذي يكون ضرره خطيرًا، وشره فاشيًا منتشرًا على الناس، إلا مَن رحم الله، ويُطْعِمون الطعام مع حبهم له وحاجتهم إليه، فقيرًا عاجزًا عن الكسب لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، وطفلا مات أبوه وهو دون سن البلوغ ولا مال له، وأسيرًا أُسر في الحرب من المشركين وغيرهم، ويقولون في أنفسهم: إنما نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله، وطلب ثوابه، لا نبتغي عوضًا ولا نقصد حمدًا ولا ثناءً منكم. إنا نخاف من ربنا يومًا شديدًا تَعْبس فيه الوجوه، وتتقطَّبُ الجباه مِن فظاعة أمره وشدة هوله.
اختلفوا فيمن نزلت قوله تعالى: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعامَ عَلى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً} [الإنسان: ٨]، على قولين:

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٤/٩٣.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٤/٩٣.
(٣)تفسير البغوي ٨/ ٢٩٣.
(٤) لعمرو بن كلثوم، انظر: "ديوانه" ص ٦٥، و"كتاب سيبويه" ١/ ٢٢٢.
(٥) معاني القرآن: ٥/٢٥٨.
(٦)في الصحاح «الذر»: النمل.
(٧) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٥/١٠٦، والكشاف: ٤/٦٦٧.
(٨) لطائف الإشارات: ٣/٦٦١.
(٩) تفسير التستري: ١٨٣.

أحدهما: قال عطاء عن ابن عباس: "وذلك أن علي بن أبي طالب نوبة أجر نفسه يسقي نخلا بشيء من شعير ليلة، حتى أصبح وقبض الشعير وطحن ثلثه، فجعلوا منه شيئا ليأكلوه، يقال له: الخزيرة. فلما تم إنضاجه أتى مسكين فأخرجوا إليه الطعام. ثم عمل الثلث الثاني، فلما تم إنضاجه أتى يتيم فسأل فأطعموه. ثم عمل الثلث الباقي، فلما تم إنضاجه أتى أسير من المشركين فأطعموه، وطووا يومهم ذلك. فأنزلت فيه هذه الآيات"[١].

الثاني: أنها نزلت في أبي الدحداح الأنصاري صام يوماً، فلما أراد أن يفطر جاء مسكين، ويتيم، وأسير، فأطعمهم ثلاثة أرغفة، وبقي له ولأهله رغيف واحد، فنزلت فيهم هذه الآية، قاله مقاتل[٢].

قال مقاتل:" نزلت في أبي الدحداح الأنصاري، ويقال في علي بن أبي طالب- رضي الله عنه- وذلك أنه صام يوما فلما أراد أن يفطر دعا سائل، فقال: عشوني بما عندكم فإني لم أطعم اليوم شيئا. قال أبو الدحداح أو علي: قومي فاثردي رغيفا وصبي عليه مرقة، وأطعميه. ففعلت ذلك فما لبثوا أن جاءت جارية يتيمة فقالت: أطعموني فإني ضعيفة لم أطعم اليوم شيئا، قال: يا أم الدحداح قومي فاثردي رغيفا وأطعميها، فإن هذه والله أحق من ذلك المسكين، فبينما هم كذلك إذ جاء على الباب سائل أسير ينادي: عشوا الغريب في بلادكم، فإني أسير في أيديكم وقد أجهدني الجوع فبالذي أعزكم وأذلني لما أطعمتموني. فقال أبو الدحداح: يا أم الدحداح، قومي ويحك فاثردي رغيفا وأطعمي الغريب الأسير، فإن هذا أحق من أولئك فأطعموا ثلاث أرغفة، وبقي لهم «رغيف واحد، فأنزل الله- تبارك وتعالى- فيهم يمدحهم بما فعلوا، فقال: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً}"[٣].

قال السمعاني:" اختلف القول فيمن نزلت هذه الآية، فأصح الأقاويل: أن الآية على العموم، والقول الثاني: أنها نزلت في علي وفاطمة والحسن والحسين.. وقيل: إن الآية نزلت في أبي الدرداء"[٤].

قوله تعالى:{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ} [الإنسان : ٦]، أي:" هذا الشراب الذي مزج من الكافور هو عين يشرب منها عباد الله"[٥].

قال الطبري: يقول: " كان مزاج الكأس التي يشرب بها هؤلاء الأبرار كالكافور في طيب رائحته من عين يشرب بها عباد الله الذين يدخلهم الجنة"[٦].

قال ابن كثير:" أي : هذا الذي مُزج لهؤلاء الأبرار من الكافور هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفا بلا مزج ويَرْوَوْنَ بها"[٧].

قوله تعالى:{يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا} [الإنسان : ٦]، أي:" يتصرفون فيها، ويُجْرونها حيث شاؤوا إجراءً سهلا"[٨].

قال الطبري: يقول: " يفجرون تلك العين التي يشربون بها كيف شاءوا وحيث شاءوا من منازلهم وقصورهم تفجيرا، ويعني بالتفجير: الإسالة والإجراء"[٩].

قال الزجاج:" معناه: تجري لهم تلك العين كما يحِبُّون"[١٠].

---

(١) أسباب النزول للواحدي: ٤٧٠، بدون إسناد، وعزاه في الدر (٦/ ٢٩٩) لابن مردويه.
(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٥/٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٥/٤.
(٤) تفسير السمعاني: ١١٥/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٦) تفسير الطبري: ٩٣/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٨٧/٨.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٩) تفسير الطبري: ٩٤/٢٤.
(١٠) معاني القرآن: ٢٥٨/٥.

قال الفراء:" أيها أحب الرجل من أهل الجنة فجرها لنفسه"[١].

قال ابن كثير:" أي : يتصرفون فيها حيث شاؤوا وأين شاؤوا، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم، والتفجير هو الإنباع، كما قال تعالى :{وَقَالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنْبُوعًا} [الإسراء : ٩٠]. وقال :{وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَرًا} [الكهف : ٣٣]"[٢].

عن مجاهد، في قوله: "{يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيرًا}، قال: يعدّلونها حيث شاءوا"[٣].

قال مجاهد:" يقودونها حيث شاءوا"[٤].

قال سفيان:" يصرفونها حيث شاءوا"[٥].

قال قتادة:" مستقيد ماؤها لهم يفجرونها حيث شاءوا"[٦].

عن الحسن البصري، قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: «أربع عيون في الجنة؛ عينان تَجريان من تحت العرش، إحداهما التي ذكر الله: {يُفَجِّرُونَها تَفْجِيرًا}، والأخرى الزَّنجبيل، وعينان نَضّاختان من فوقُ، إحداهما التي ذكر الله: {سَلْسَبِيلًا}، والأخرى التّسنيم»[٧].

قوله تعالى:{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ} [الإنسان : ٧]، أي:" هؤلاء كانوا في الدنيا يوفون بما أوجبوا على أنفسهم من طاعة الله"[٨].

قال الفراء:" هَذِهِ من صفاتهم فِي الدنيا"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الأبرار الذين يشربون من كأس كان مزاجها كافورا، برّوا بوفائهم لله بالنذور التي كانوا ينذرونها في طاعة الله"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع، وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر"[١١].

قال القاسمي:" {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ}: استئناف مسوق لبيان ما لأجله رزقوا ما ذكر من النعيم، مشتمل على نوع تفصيل لما ينبئ عنه اسم الأبرار إجمالا. كأنه قيل: ماذا يفعلون حتى ينالوا تلك الرتبة العالية؟ فقيل: يوفون بما أوجبوه على أنفسهم، فكيف بما أوجبه الله تعالى عليهم؟"[١٢].

عن مجاهد: "{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ}، قال: إذا نذروا في حق الله"[١٣].

عن سفيان: "{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ}، قال: في غير معصية"[١٤].

عن قتادة: "{يُوفُونَ بِالنَّذْرِ}، قال: بطاعة الله، وبالصلاة، وبالحجّ، وبالعمرة"[١٥].

قال قتادة:" كانوا ينذرون طاعة الله من الصلاة والزكاة، والحجّ والعمرة، وما افترض عليهم، فسماهم الله بذلك الأبرار، فقال: {يُوفُونَ بِالنَّذْرِ وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا}"[١٦].

---

(١) معاني القرآن: ٢١٥/٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٨٧/٨.
(٣) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٩٥/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٩٤/٢٤-٩٥.
(٧)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد مرسلًا.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٩) معاني القرآن: ٢١٦/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٩٥/٢٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٢٨٧/٨.
(١٢) محاسن التأويل: ٣٧٥/٩.
(١٣) أخرجه الطبري: ٩٥/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٩٥/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٩٥/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٩٥/٢٤.

عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يَعصي الله فلا يَعصِه"[١].

قوله تعالى:{وَيَخَافُونَ يَوْمًا كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا} [الإنسان : ٧]، أي:" ويخافون عقاب الله في يوم القيامة الذي يكون ضرره خطيرًا، وشره فاشيًا منتشرًا على الناس، إلا مَن رحم الله"[٢].

قال الطبري: يقول:" ويخافون عقاب الله بتركهم الوفاء بما نذروا لله من برّ في يوم كان شرّه مستطيرا، ممتدّا طويلا فاشيا"[٣].

قال ابن كثير:" ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، أي : منتشر عام على الناس إلا من رَحِمَ الله"[٤].

قال الفراء:{شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا}، أي:" ممتد البلاء، والعرب تَقُولُ: استطار الصدع فِي القارورة وشبهها، واستطال"[٥].

قال أبو عبيدة:" {شَرُّهُ مُسْتَطِيراً}: فاشيا"[٦].

قال ابن قتيبة:" أي: فاشيًا منتشرًا. يقال: اسْتَطار الحريقُ؛ إذا انتشر. واسْتَطار الفجرُ: إذا انتشر الضوء"[٧].

عن ابن عباس: { كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيرًا}، قال: فاشيا"[٨].

قال قتادة:" استطار والله شرّ ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض"[٩].

قال مقاتل:" يعني: كان شرا فاشيا في أهل السموات والأرض، فانشقت السماء، وتناثرت الكواكب، وفزعت الملائكة، وكورت الشمس والقمر فذهب ضوءهما وبدلت الأرض ونسفت الجبال، وغارت المياه، وتكسر كل شيء على الأرض من جبل أو بناء أو شجر، ففشى شر يوم القيامة فيها"[١٠].

قال سهل: " البلايا والشدائد في الآخرة عامة، والسلامة منها خاص الخاص"[١١].

قوله تعالى:{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا} [الإنسان : ٨]، أي:" ويُطْعِمون الطعام مع حبهم له وحاجتهم إليه، فقيرًا عاجزًا عن الكسب لا يملك ما يكفيه ويسد حاجته، وطفلا مات أبوه وهو دون سن البلوغ ولا مال له، وأسيرًا أُسر في الحرب من المشركين وغيرهم"[١٢].

قال الطبري: يقول:" كان هؤلاء الأبرار يطعمون الطعام على حبهم إياه، وشهوتهم له، {مِسْكِينًا}، يعني: جلّ ثناؤه بقوله مسكينا: ذوي الحاجة الذين قد أذلتهم الحاجة، {وَيَتِيمًا}: وهو الطفل الذي قد مات أبوه ولا شيء له، {وأسِيرًا}: وهو الحربيّ من أهل دار الحرب يُؤخذ قهرا بالغلبة، أو من أهل القبلة يُؤخذ فيُحبس بحقّ، فأثنى الله على هؤلاء الأبرار بإطعامهم هؤلاء تقرّبا بذلك إلى الله وطلب رضاه، ورحمة منهم لهم"[١٣].

---

(١)صحيح البخاري برقم (٦٦٩٦، ٦٧٠٠).
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٣) تفسير الطبري: ٩٦/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٨.
(٥) معاني القرآن: ٢١٦/٣.
(٦) مجاز القرآن: ٢٧٩/٢.
(٧) غريب القرآن: ٥٠٢.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٨١):ص٣٣٩١/١٠.
(٩) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٤/٤.
(١١) تفسير التستري: ١٨٣.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(١٣) تفسير الطبري: ٩٦/٢٤.

قال القاسمي:" وإنما اقتصر على الثلاثة لأنهم من أهم من تجدر الصدقة عليهم. فإن المسكين عاجز عن الاكتساب لما يكفيه. واليتيم مات من يعوله ويكتسب له، مع نهاية عجزه بصغره. والأسير لا يملك لنفسه نصرا ولا حيلة"[١].

عن مجاهد: "{وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ}، قال: وهم يشتهونه"[٢].

عن أبي العريان، قال: "سألت سليمان بن قيس أبا مقاتل بن سليمان، عن قوله: {وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِينًا}، قال: على حبهم للطعام"[٣].

قال ابن كثير:" قيل : على حب الله تعالى. وجعلوا الضمير عائدًا إلى الله عز وجل لدلالة السياق عليه. والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي : ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، كقوله تعالى :{وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ} [البقرة : ١٧٧]، وكقوله تعالى :{لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ} [آل عمران : ٩٢]"[٤].

عن نافع قال : "مرض ابن عمر فاشتهى عنبا - أول ما جاء العنب - فأرسلت صفية - يعني امرأته - فاشترت عنقودًا بدرهم، فاتبع الرسولَ السائل، فلما دخل به قال السائل : السائل. فقال ابن عمر : أعطوه إياه. فأعطوه إياه. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودًا فاتبع الرسولَ السائلُ، فلما دخل قال السائل : السائل. فقال ابن عمر : أعطوه إياه. فأعطوه إياه. فأرسلت صفية إلى السائل فقالت : والله إن عُدتَ لا تصيبُ منه خيرًا أبدًا. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به"[٥].

وفي الصحيح : "أفضل الصدقة أن تَصَدّقَ وأنت صحيح، شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر"[٦].

واختلف أهل العلم في «الأسير» الذي ذكره الله في هذا الموضع، على أقوال:

أحدها : أنه المسجون من أهل القبلة. قاله مجاهد[٧]، سعيد بن جبير[٨]، وعطاء[٩].

قال مجاهد:" الأسير: المسجون"[١٠]. وفي رواية: "المحبوس"[١١].

الثاني: أنه العبد، قاله عكرمة[١٢].

قال ابن كثير:" وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث، حتى إنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول : «الصلاةَ وما ملكت أيمانكم»[١٣]"[١٤].

الثالث: المرأة، قاله أبو حمزة الثمالي[١٥].

---

(١) محاسن التأويل: ٣٧٥/٩.
(٢) أخرجه الطبري: ٩٦/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٨.
(٥)السنن الكبرى للبيهقي (١٨٥/٤).
(٦)صحيح مسلم برقم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤، وزاد المسير: ٣٧٧/٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤-٩٨.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٦٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٢٨٩/٨.
(١٣)رواه أحمد في المسند (٧٨/١) من حديث على رضي الله عنه.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٨.
(١٥) انظر: زاد المسير: ٣٧٧/٤.

الرابع : أنه الأسير المشرك، قاله ابن عباس[١]، والحسن[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، وقتادة[٤]، وعكرمة[٥]، وعطاء[٦]، ومقاتل[٧].

قال الجصاص:" وهذا القول أظهر لأن الأسير في دار الإسلام لا يكون إلا مشركا"[٨].

قال ابن كثير:" ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء"[٩].

قال الحسن:" ما كان أسراهم إلا المشركين"[١٠].

قال قتادة:" لقد أمر الله بالأسراء أن يحسن إليهم، وإن أسراهم يومئذ لأهل الشرك"[١١].

قال قتادة:" كان أسراهم يومئذ المشرك، وأخوك المسلم أحقّ أن تطعمه"[١٢].

قال ابن أبي زمنين:" يعني: الأسير من المشركين، كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يدفع الأسير إلى الرجل، فيقول: احبس هذا عندك. فيكون عنده الليلة والليلتين، فكانوا يؤثرون على أنفسهم أولئك الأسرى فأثنى الله عليهم بذلك"[١٣].

قال سعيد بن جبير : "ثم نسخ أسير المشركين بالسيف"[١٤]، وقال غيره:" بل هو ثابت الحكم في الأسير بإطعامه ، إلا أن يرى الإمام قتله"[١٥].

قال هبة الله:" {وَيُطعِمونَ الطَعامَ عَلى حُبِّهِ مِسكيناً وَيَتيماً}: هذا محكم في أهل القبلة، {وَأسيراً} هذا منسوخ بآية السيف وهو من غير أهل القبله وهم المشركون"[١٦].

قال ابن الجوزي:" ذهب بعض المفسرين إلى أن الآية تضمنت مدحهم على إطعام الأسير المشرك. قال: وهذا منسوخ بآية السيف. وليس هذا القول بشيء، فإن في إطعام الأسير المشرك ثواباً، وهذا محمول على صدقة التطوع. فأما الفرض فلا يجوز صرفه إلى الكفَّار، ذكره القاضي أبو يعلى"[١٧].

قال الزجاج:" الأسير، قيل: كان في ذلك الوقت من الكُفَّار، وقَدْ مُدِحَ من يطعم الأسير وهو كافرٌ، فكيف بأَسَارَى المسلمين، وهذا يدل عَلَى أنَ في إطعام أهل الحبوس ثواباً جزيلا، وأهْل الحبوس أُسَرَاء"[١٨].

قال النحاس:" هو لأهل الحرب وللمسلمين، وهذا أولى بعموم الآية فلا يقع فيها خصوص إلا بدليل قاطع فيكون لمن كان في ذلك الوقت ولمن بعد"[١٩].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٨.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤.
(٣) انظر: النكت والعيون: ١٦٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٢٨٨/٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٩٧/٢٤.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٨.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٥/٤.
(٨) أحكام القرآن: ١٧٩/٢.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٨٨/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٩٧/٢٤.
(١٣) تفسير ابن أبي زمنين: ٧١/٥.
(١٤) نقلا عن: النكت والعيون: ١٦٦/٦.
(١٥) نقلا عن: النكت والعيون: ١٦٦/٦.
(١٦) الناسخ والمنسوخ: ١٩١.
(١٧) زاد المسير: ٣٧٨/٤.
(١٨) معاني القرآن: ٢٥٩/٥.
(١٩) إعراب القرآن: ٦٤/٥.

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: إن الله وصف هؤلاء الأبرار بأنهم كانوا في الدنيا يطعمون الأسير، والأسير الذي قد وصفت صفته؛ واسم الأسير قد يشتمل على الفريقين، وقد عمّ الخبر عنهم أنهم يطعمونهم فالخبر على عمومه حتى يخصه ما يجب التسليم له. وأما قول من قال: لم يكن لهم أسير يومئذ إلا أهل الشرك، فإن ذلك وإن كان كذلك، فلم يخصص بالخبر الموفون بالنذر يومئذ، وإنما هو خبر من الله عن كلّ من كانت هذه صفته يومئذ وبعده إلى يوم القيامة، وكذلك الأسير معنيّ به أسير المشركين والمسلمين يومئذ، وبعد ذلك إلى قيام الساعة"(١).

قوله تعالى:{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ} [الإنسان : ٩]، أي:" ويقولون في أنفسهم: إنما نحسن إليكم ابتغاء مرضاة الله، وطلب ثوابه"(٢).

قال الطبري:" يقولون: إنما نطعمكم إذا هم أطعموهم لوجه الله، يعنون طلب رضا الله، والقُربة إليه"(٣).

قال ابن كثير:" أي : رجاءَ ثواب الله ورضاه"(٤).

قوله تعالى:{لَا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلَا شُكُورًا} [الإنسان : ٩]، أي:" لا نبتغي عوضًا ولا نقصد حمدًا ولا ثناءً منكم"(٥).

قال الطبري:" يقولون للذين يطعمونهم ذلك الطعام: لا نريد منكم أيها الناس على إطعامناكم ثوابا ولا شكورا"(٦).

قال ابن كثير:" أي : لا نطلب منكم مجازاة تكافئونا بها ولا أن تشكرونا عند الناس"(٧).

عن مجاهد: "{إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُورًا}، قال: أما إنهم ما تكلموا به، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى به عليهم ليرغب في ذلك راغب"(٨).

قال سعيد بن جبير:" أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علمه الله من قلوبهم، فأثنى عليهم ليرغب في ذلك راغب"(٩).

قوله تعالى:{إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} [الإنسان : ١٠]، أي:" إنا نخاف من ربنا يومًا شديدًا تَعْبِس فيه الوجوه، وتتقطَّبُ الجباه مِن فظاعة أمره وشدة هوله"(١٠).

قال الطبري: "ما نطعمكم طعاما نطلب منكم عوضا على إطعامناكم جزاء ولا شكورا، ولكنا نطعمكم رجاء منا أن يؤمننا ربنا من عقوبته في يوم شديد هوله، عظيم أمره، تعبس فيه الوجوه من شدّة مكارهه، ويطول بلاء أهله، ويشتدّ"(١١).

قال ابن كثير:" أي : إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه، في اليوم العبوس القمطرير"(١٢).

وفي قوله تعالى:{إِنَّا نَخَافُ مِنْ رَبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا} [الإنسان : ١٠]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن العبوس: الذي يعبس الوجوه من شره ، والقمطرير: الشديد ، قاله ابن زيد(١).

---

(١) تفسير الطبري: ٩٨/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٣) تفسير الطبري: ٩٨/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٨.
(٥) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٦) تفسير الطبري: ٩٨/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٨.
(٨) أخرجه الطبري: ٩٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٩٨/٢٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(١١) تفسير الطبري: ٩٩/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٨.

قال ابن زيد:" العَبوس: الشرّ، والقَمْطَرير: الشديد"[٢].
قال أبو عبيدة:" {عَبُوساً}: العبوس ، و«القمطرير»: أشد ما يكون من الأيام وطوله في البلاء"[٣].
قال ابن قتيبة:" {يَوْمًا عَبُوسًا} أي: يومًا تَعْبِسُ فيه الوجوهُ. فجعل عبوسًا من صفة اليوم؛ كما قال: {فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ} [إبراهيم : ١٨]؛ أراد: عاصف الريح. و {الْقَمْطَرِيرُ}: الصَّعب الشديد"[٤].
قال الفراء:" القمطرير: الشديد، يُقال: يوم قمطرير، ويوم قماطر، أنشدني بعضهم[٥]:
بَنِي عمِّنا، هَلْ تذكُرونَ بَلاءنا ... عليكُمْ إذَا ما كَانَ يومٌ قُمَاطِرُ"[٦].
قال الزجاج:" العبوس: الذي يُعَبِّسُ الوُجُوهَ، وهذا مثل قوله: {وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ بَاسِرَةٌ}، و{قَمْطَرِيراً}، يقال: يوم قمطرير ويوْم قُماطر إذا كان شَديداً غليظاً، وجاء في التفسير أن قمطريرا معناه تَعْبسُ فَيجمعُ مَا بينَ العينين وهذا سائغ في اللغة. يقال: اقمَطَرتْ النَّاقةُ إذا رفعت ذنبها وجمعت قطريها وَرمَتْ بأنفها"[٧].
وقال الأخفش: القمطرير: أشدّ ما يكون من الأيام وأطوله في البلاء يقال: يوم قمطرير وقماطر إذا كان شديدا لكربها. قال الشاعر[٨]:
فَفِرُّوا إذَا مَا الحَرْبُ ثَار غُبَارُهَا ... ولجَّ بِها اليَوْمَ العَبُوسُ القُمَاطِرُ"[٩].
وقال الكسائي: "يقال: اقمطر اليوم وازمهر اقمطرارا وازمهرارا، وهو القمطرير والزمهرير، ويوم مقمطر إذا كان صعبا شديدا، قال الهذلي[١٠]:
بَنُو الحَرْبِ ارضَعْنَا لَهُم مُقمطرَّةً ... ومَنْ يُلقَ مِنَّا ذلِكَ اليَوْمَ يهْربِ"[١١].
الثاني : أن العبوس: الضيق ، والقمطرير: الطويل ، قاله ابن عباس[١٢]، قال الشاعر[١٣]:
شديداً عبوساً قمطريراً تخالهُ ... تزول الضحى فيه قرون المناكب
قال ابن كثير:" وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها، وأعلاها وأولاها - قولُ ابن عباس، رضي الله عنه"[١٤].
الثالث : أن العُبوس: العابس بالشفتين، والقمطرير: تقبيض الوَجه بالبُسُور، فجعلها من صفات الوجه المتغير من شدائد ذلك اليوم، قاله مجاهد[١٥]، وأنشد ابن الأعرابي[١٦]:
يَغْدو على الصّيْدِ يَعودُ مُنكَسِرْ ... ويَقْمَطُّر ساعةً ويكْفَهرّ
عن مجاهد:" {يَوْمًا} قال: يوم القيامة {عَبُوسًا} قال: العابس الشَّفَتَيْن، {قَمْطَرِيرًا} قال: تُقبَض الوجوه بالبسور. وفي لفظ: انقباض ما بين عينيه ووجهه"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٠١/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٤.
(٣) مجاز القرآن: ٢٧٩/٢.
(٤) غريب القرآن: ٥٠٢.
(٥)البيت في تفسير الطبري: ٢٤/ ٩٩، وتفسير القرطبي: ١٩/ ١٣٣.
(٦) معاني القرآن: ٢١٦/٣.
(٧) معاني القرآن: ٢٥٩/٥.
(٨) بلا نسبة في: الكشف والبيان: ٩٧/١٠، وتفسير القرطبي: ١٣٥/١٩.
(٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ٩٧/١٠، وتفسير القرطبي: ١٣٥/١٩.
(١٠)الصحاح: ٢/ ٧٩٧، وفي تاج العروس (٣/ ٥٠٧) رواه: بها مقمطرة، فمن يلق يلق سيد مدرّب.
(١١) نقلا عن: الكشف والبيان: ٩٧/١٠، وتفسير القرطبي: ١٩/!٣٥.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٠٠/٢٤.
(١٣) بلا نسبة في النكت والعيون: ١٦٧/٦.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٨.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠/٢٤، وتفسير ابن كثير: ٢٨٩/٨.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ١٦٧/٦، وتفسير القرطبي: ١٣٦/١٩.

قال مجاهد:" يُقبِّض الوجه بالبسور[٢].
وعن ابن عباس، في قوله: "{عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا}، قال: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران"[٣].
قال ابن عباس:" القمطرير: المُقَبِّض بين عينيه"[٤].
قال ابن عباس:" يوم يقبِّض فيه الرجل ما بين عينيه ووجهه"[٥].
قال عكرمة:" القمطرير: ما يخرج من جباههم مثل القطران، فيسيل على وجوهم[٦].
عن قابوس، عن أبيه، قال: سألت ابن عباس، عن قوله: "{قَمْطَرِيرًا}، قال: يُقَبِّض ما بين العينين"[٧].
عن قتادة:" {يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا}، قال: يومًا تُقبض فيه الجباه من شِدّته"[٨].
قال قتادة:" عبست فيه الوجوه، وقبضت ما بين أعينها كراهية ذلك اليوم"[٩].
قال قتادة:" تُقبِّض فيه الجباه، وقوم يقولون: القمطرير: الشديد"[١٠].

القرآن
{فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا (١١) وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا (١٢) مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا (١٣) وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا (١٤)} [الإنسان : ١١-١٤]
التفسير:
فوقاهم الله من شدائد ذلك اليوم، وأعطاهم حسنًا ونورًا في وجوههم، وبهجة وفرحًا في قلوبهم، وأثابهم بصبرهم في الدنيا على الطاعة جنة عظيمة يأكلون منها ما شاؤوا، ويَلْبَسون فيها الحرير الناعم، متكئين فيها على الأسرَّة المزينة بفاخر الثياب والستور، لا يرون فيها حر شمس ولا شدة برد، وقريبة منهم أشجار الجنة مظللة عليهم، وسُهِّل لهم أَخْذُ ثمارها تسهيلا.
قوله تعالى:{فَوَقَاهُمُ اللَّهُ شَرَّ ذَلِكَ الْيَوْمِ} [الإنسان : ١١]، أي:" فوقاهم الله من شدائد ذلك اليوم"[١١].
قال الطبري: يقول:" فدفع الله عنهم ما كانوا في الدنيا يحذرون من شر اليوم العبوس القمطرير بما كانوا في الدنيا يعملون مما يرضي عنهم ربهم"[١٢].
قال ابن كثير:" أي : آمنهم مما خافوا منه"[١٣].
قوله تعالى:{وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا} [الإنسان : ١١]، أي:" وأعطاهم حسنًا ونورًا في وجوههم، وبهجة وفرحًا في قلوبهم"[١٤].
قال الطبري: يقول:" ولقّاهم نضرة في وجوههم، وسرورا في قلوبهم"[١].

---

(١)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٢) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٩٩/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٩٩/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٤.
(٨)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣٧.
(٩) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٠/٢٤.
(١١) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(١٢) تفسير الطبري: ١٠١/٢٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٨.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٧٩.

قال الحسن:" نَضْرة في الوجوه، وسرورا في القلوب"[٢].
قال قتادة:" نضرة في وجوههم، وسرورا في قلوبهم"[٣].
قال ابن زيد:" نعمة وسرورا"[٤].
قال ابن كثير:" {وَلَقَّاهُمْ نَضْرَةً}، أي : في وجوههم، {وَسُرُورًا}، أي : في قلوبهم، وهذه كقوله تعالى :{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ} [عبس : ٣٨، ٣٩]. وذلك أن القلب إذا سُرَّ استنار الوجه، قال كعب بن مالك في حديثه الطويل : وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سُرَّ، استنار وجهه حتى كأنه قطعة قَمَر»[٥]، وقالت عائشةُ : «دخل عَلَيّ رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا تَبرُقُ أسَاريرُ وَجْهه»[٦]"[٧].
قوله تعالى:{وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} [الإنسان : ١٢]، أي:" وأثابهم بصبرهم في الدنيا على الطاعة جنة عظيمة يأكلون منها ما شاؤوا، ويَلْبَسون فيها الحرير الناعم"[٨].
قال الطبري: يقول:" وأثابهم الله بما صبروا في الدنيا على طاعته، والعمل بما يرضيه عنهم جنة وحريرا"[٩].
قال ابن كثير:" أي : بسبب صبرهم أعطاهم ونَوّلهم وبوّأهم {جَنَّةً وَحَرِيرًا}، أي : منزلا رحبا، وعيشا رَغَدًا ولباسًا حَسَنًا"[١٠].
قال قتادة:" يقول: وجزاهم بما صبروا على طاعة الله، وصبروا عن معصيته ومحارمه، جنة وحريرا"[١١].
روى الحافظ ابن عساكر في ترجمة هشام بن سليمان الدّارَاني قال : "قرئ على أبي سليمان الداراني سورة :{هَلْ أَتَى عَلَى الإِنْسَانِ} فلما بلغ القارئ إلى قوله :{وَجَزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا} قال بما صبروا على ترك الشهوات في الدنيا، ثم أنشد :
كَم قَتيل لشَهوةٍ وأسير... أفّ مِنْ مُشتَهي خِلاف الجَميل
شَهوَاتُ الإنْسان تورثه الذُّل... وَتُلْقيه في البَلاء الطَّويل"[١٢].
قوله تعالى:{مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الْأَرَائِكِ} [الإنسان : ١٣]، أي:" متكئين فيها على الأسرَّة المزينة بفاخر الثياب والستور"[١٣].
قال الطبري:" يقول: متكئين في الجنة على السُّرر في الحجال، وهي: الأرائك، واحدتها: أريكة"[١٤].
قال ابن كثير:" الاتكاء : هل هو الاضطجاع، أو التمرفق، أو التربع أو التمكن في الجلوس ؟ والأرائك هي السُّرر تحت الحجال"[١٥].

---

(١) تفسير الطبري: ١٠١/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٤.
(٥)حديث توبة كعب بن مالك في صحيح البخاري برقم (٣٩٥١، ٤٦٧٣)، وفي صحيح مسلم برقم (٢٧٦٩).
(٦)حديث عائشة في لحاق أسامة بأبيه زيد. رواه البخاري في صحيحه برقم (٣٥٥٥)، ومسلم في صحيحه برقم (١٤٥٩).
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٨٩/٨-٢٩٠.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٩) تفسير الطبري: ١٠١/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٩٠/٨.
(١١) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٤.
(١٢)انظر : مختصر تاريخ دمشق لابن منظور (٨٦/٢٧).
(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(١٤) تفسير الطبري: ١٠١/٢٤-١٠٢.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٢٩٠/٨.

عن ابن عباس، قوله: "{مُتَّكِئِينَ فِيهَا عَلَى الأَرَائِكِ}، يعني: الحِجال"[١].

قال مجاهد:" السُّرُر في الحجال"[٢].

قال قتادة:" كنا نُحدَّث أنها الحجال فيها الأسرّة"[٣].

قوله تعالى:{لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا} [الإنسان : ١٣]، أي:" لا يرون فيها حر شمس ولا شدة برد"[٤].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لا يرَوْن فيها شمسا فيؤذيهم حرّها، ولا زمهريرا، وهو البرد الشديد، فيؤذيهم بردها"[٥].

قال ابن كثير:" أي : ليس عندهم حَرّ مزعج، ولا برد مؤلم، بل هي مزاج واحد دائم سَرْمَدْيّ، {لا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلا} [الكهف : ١٠٨]"[٦].

قال مقاتل:" لا يصيبهم حر الشمس، ولا يصيبهم برد الزمهرير لأنه ليس فيها شتاء ولا صيف"[٧].

قال مجاهد:" الزمهرير: البرد المفظع"[٨].

قال قتادة:" يعلم أن شدّة الحرّ تؤذي، وشدّة القرّ تؤذي، فوقاهم الله أذاهما"[٩].

قال ابن مسعود: "الزمهرير: إنما هو لون من العذاب إن الله تعالى قال: {لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا}"[١٠].

عن السُّدِّيّ، عن مرّة بن عبد الله:" قال في الزمهرير: إنه لون من العذاب، قال الله: {لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا}"[١١].

عن أبي هريرة، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "اشتكت النار إلى ربها، فقالت: رب، أكل بعضي بعضا، فنفسني، فأذن لها في كل عام بنفسين؛ فأشد ما تجدون من البرد من زمهرير جهنم وأشد ما تجدون من الحر من حر جهنم"[١٢].

قوله تعالى:{وَدَانِيَةً عَلَيْهِمْ ظِلَالُهَا} [الإنسان : ١٤]، أي:" وقريبة منهم أشجار الجنة مظللة عليهم"[١٣].

قال الطبري: يقول:" وقربت منهم ظلال أشجارها"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : قريبة إليهم أغصانها"[١٥].

قال مقاتل:" يعني: ظلال الشجر"[١٦].

قوله تعالى:{وَذُلِّلَتْ قُطُوفُهَا تَذْلِيلًا} [الإنسان : ١٤]، أي:" وسُهِّل لهم أخْذُ ثمارها تسهيلا"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٥) تفسير الطبري: ١٠٢/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٩٠/٨.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٧/٤.
(٨) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٨٣):ص٣٣٩١/١٠.
(١١) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(١٤) تفسير الطبري: ١٠٣/٢٤.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٧/٤.

قال الطبري:"يقول: وذلل لهم اجتناء ثمر شجرها، كيف شاءوا قعودا وقياما ومتكئين"[٢].

قال ابن كثير:" أي : متى تعاطاه دنا القطْفُ إليه وتدلى من أعلى غصنه، كأنه سامع طائع، كما قال تعالى في الآية الأخرى :{وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ دَانٍ} [الرحمن : ٥٤] وقال تعالى {قُطُوفُهَا دَانِيَةٌ} [الحاقة : ٢٣]"[٣].

قال ابن قتيبة:" «التَّذْلِيلُ» أيضًا: تسويةُ العُذوق. يقول أهل المدينة: ذُلِّلَ النخلُ؛ أي: سُوِيَ عُذُوقُه"[٤].

قال مجاهد:" إذا قام ارتفعت بقدره، وإن قعد تدلت حتى ينالها، وإن اضطجع تدلت حتى ينالها، فذلك تذليلها"[٥].

قال سفيان:" يتناوله كيف شاء جالسا ومتكئا"[٦].

قال قتادة:" لا يرد أيديهم عنها بعد ولا شوك"[٧].

قال ابن زيد:" الدانية: التي قد دنت عليهم ثمارها"[٨].

قال مجاهد : "أرض الجنة من وَرق، وترابها المسك، وأصول شجرها من ذهب وفضة، وأفنانها من اللؤلؤ الرطب والزبرجد والياقوت، والوَرَق والثمر بين ذلك. فمن أكل منها قائما لم يؤذه، ومن أكل منها قاعدا لم يؤذه، ومن أكل منها مضطجعًا لم يؤذه"[٩].

فوائد الآيات: [١-١٤]:

١- بيان نشأة الإنسان الأب والإنسان الأبن وما تدل عليه من إفضال الله وإكرامه لعباده.

٢- حاستا السمع والبصر وجودهما معاً أو وجود إحداهما ضروري للتكليف مع ضميمة العقل.

٣- بيان أن الإنسان أمامه طريقان فيسلك أيهما شاء وكل طريق ينتهي به إلى غاية فطريق الرشد يوصل إلى الجنة دار النعيم، وطريق الغي يوصل إلى دار الشقاء الجحيم.

٤- وجوب الوفاء بالنذر فمن نذر شيئا لله وجب أن يفي بنذره إلا أن ينذر معصية فلا يجوز له الوفاء بنذره فيها فمن قال لله على أن أصوم يوم أو شهر كذا وجب عليه أن يصوم ومن قال لله علي أن لا أصل رحمي، أو أن لا أصلي ركعة مثلا فلا يجوز له الوفاء بنذره وليصل رحمه وليصل صلاته ولا كفارة عليه.

٥- الترغيب في إطعام الطعام للمحتاجين إليه من فقير ويتيم وأسير.

القرآن

{وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا (١٥) قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا (١٦) وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا (١٧) عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا (١٨)} [الإنسان :]

التفسير:

ويدور عليهم الخدم بأواني الطعام الفضيَّة، وأكواب الشراب من الزجاج، زجاج من فضة، قدَّرها السقاة على مقدار ما يشتهي الشاربون لا تزيد ولا تنقص، ويُسْقَى هؤلاء الأبرار في الجنة

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٢) تفسير الطبري: ١٠٣/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(٤) غريب القرآن: ٥٠٣.
(٥) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ١٠٣/٢٤.
(٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.

كأسًا مملوءة خمرًا مزجت بالزنجبيل، يشربون مِن عينٍ في الجنة تسمى سلسبيلا؛ لسلامة شرابها وسهولة مساغه وطيبه.

قوله تعالى:{وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بِآنِيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ} [الإنسان : ١٥]، أي:" ويدور عليهم الخدم بأواني الطعام الفضيَّة"(١).

قال الطبري: يقول:" ويطاف على هؤلاء الأبرار بآنية من الأواني التي يشربون فيها شرابهم، هي من فضة كانت قواريرا، فجعلها فضة، وهي في صفاء القوارير، فلها بياض الفضة وصفاء الزجاج"(٢).

قال ابن كثير:" أي : يطوف عليهم الخَدَم بأواني الطعام، وهي من فضة"(٣).

قال قتادة:" أي: صفاء القوارير في بياض الفضة"(٤).

عن مجاهد: "{مِنْ فِضَّةٍ}، قال: فيها رقة القوارير في صفاء الفضة"(٥).

قال مجاهد:" صفاء القوارير وهي من فضة"(٦).

وقيل: "إنما قيل: ويطاف عليهم بآنية من فضة، ليدلّ بذلك على أن أرض الجنة فضة، لأن كل آنية تُتَّخذ، فإنما تُتَّخذ من تُرْبة الأرض التي فيها، فدلّ جلّ ثناؤه بوصفه الآنية متى يطاف بها على أهل الجنة أنها من فضة، ليعلم عباده أن تربة أرض الجنة فضة"(٧).

قوله تعالى:{وَأَكْوَابٍ كَانَتْ قَوَارِيرَا} [الإنسان : ١٥]، أي:" وأكواب الشراب من الزجاج"(٨).

قال الطبري: " يقول: ويطاف مع الأواني بجرار ضخام فيها الشراب، كانت هذه الأواني والأكواب قواريرا، فحولها الله فضة، وكل جرة ضخمة لا عروة لها فهي كوب"(٩).

قال ابن كثير: أي : "وأكواب الشراب وهي الكيزان التي لا عرى لها ولا خراطيم"(١٠).

قال مجاهد:" الأكواب: الأقداح"(١١).

عن مجاهد: "{وأَكْوَابٍ}، قال: ليس لها آذان"(١٢).

قال السدي: "الأكواب: التي ليست لها آذان"(١٣).

قال قتادة:" الأكواب: التي دون الأباريق ليس لها عُرًى"(١٤).

قال ابن عباس:" الأكواب: الجرار من الفضة"(١٥).

قال الحسن: "هي الأباريق التي يصبّ لهم منها"(١٦).

قال الفراء:" الكوب: ما لا أذن لهُ ولا عروة لهُ. والأباريق: ذوات الآذان والعرا"(١٧).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٢) تفسير الطبري: ١٠٤/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(٤) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(٧) حكاه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٩) تفسير الطبري: ١٠٤/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(١١) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٦٤١/٢١.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٠١/٢٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٠٢/٢٣.
(١٧) معاني القرآن: ١٢٣/٣.

قال أبو عبيدة: واحدها: كوب. وهو الذي لا خرطوم له من الأباريق واسع الرأس"[١].
قال ابن قتيبة:" «الأكواب»: الأباريق لا عُرى لها؛ ويقال: ولا خراطيمَ. واحدها: «كُوب»"[٢].
قوله تعالى:{قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ} [الإنسان : ١٦]، أي:" زجاج من فضة"[٣].
قال السعدي:" أي: مادتها من فضة، وهي على صفاء القوارير، وهذا من أعجب الأشياء، أن تكون الفضة الكثيفة من صفاء جوهرها وطيب معدنها على صفاء القوارير"[٤].
قال الطبري: يقول:" «قَوَارِيرَا» في صفاء الصفاء من فضة الفضة من البياض"[٥].
قال الحسن:" صفاء القوارير في بياض الفضة"[٦].
قال الحسن:" بياض الفضة في صفاء القوارير"[٧].
عن مجاهد، قوله: "{قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ}، قال: صفاء القوارير وهي من فضة"[٨].
قال مجاهد:" على صفاء القوارير، وبياض الفضة"[٩].
عن أبي صالح، قوله: "{كَانَتْ قَوَارِيرَ قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ}، قال: كان ترابها من فضة، قوله: {قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ}، قال: صفاء الزجاج في بياض الفضة"[١٠].
عن قتادة: "{قَوَارِيرَ مِنْ فِضَّةٍ}، قال: هي من فضة، وصفاؤها: صفاء القوارير في بياض الفضة"[١١].
قال قتادة:" لو احتاج أهل الباطل أن يعملوا إناء من فضة يرى ما فيه من خلفه، كما يرى ما في القوارير ما قدروا عليه"[١٢].
قال ابن عباس:" ليس في الجنة شيء إلا قد أعطيتم في الدنيا شبهه إلا قوارير من فضة"[١٣].
قال ابن كثير: «القوارير» لا تكون إلا من زجاج. فهذه الأكواب هي من فضة، وهي مع هذا شفافة يرى ما في باطنها من ظاهرها، وهذا مما لا نظير له في الدنيا"[١٤].
قوله تعالى:{قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا} [الإنسان : ١٦]، أي:" قدَّرها السقاة على مقدار ما يشتهي الشاربون لا تزيد ولا تنقص"[١٥].
قال الطبري:" يقول: قدّروا تلك الآنية التي يُطاف عليهم بها تقديرا على قَدْر ريِّهم لا تزيد ولا تنقص عن ذلك"[١٦].
وفي قوله تعالى:{قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا} [الإنسان : ١٦]، ثلاثة وجوه من التفسير:
أحدها: على مقدار لا تزيد فتفيض، ولا تنقص فتغيض. قاله مجاهد[١].

---

(١) مجاز القرآن: ٢٤٩/٢.
(٢) غريب القرآن: ٤٠٠.
(٣) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤) تفسير السعدي: ٩٠١.
(٥) تفسير الطبري: ١٠٥/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ١٠٤/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٠٥/٢٤.
(١٣) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٢٩١/٨.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(١٦) تفسير الطبري: ١٠٦/٢٤.

قال مجاهد:" لا تنقص ولا تفيض"[٢].
قال مجاهد:" ممتلئة لا تُهَراق، وليست بناقصة"[٣].
قال مجاهد:" لا تَترع فتُهراق، ولا ينقصون من مائها فتنقص فهي ملأى"[٤].
الثاني: على قدر ريهم وكفايتهم. قاله الحسن[٥]، وسعيد بن جبير[٦]، وقتادة[٧]، وابن زيد[٨].
قال الحسن:" قُدّرت لريّ القوم"[٩].
قال سعيد:" قدر ريِّهم"[١٠].
عن قتادة :"{قَدَّرُوهَا تَقْدِيرًا}، لريِّهم"[١١].
قال قتادة:" قدرت على ريّ القوم"[١٢].
قال ابن زيد:" قدّروها لريهم على قدر شربهم أهل الجنة"[١٣].
قال ابن كثير: أي : على قدر ريّهم، لا تزيد عنه ولا تنقص، بل هي مُعَدّة لذلك، مقدرة بحسب ريّ صاحبها.. وهذا أبلغ في الاعتناء والشرف والكرامة"[١٤].
وقال السعدي:" ويحتمل أن المراد: قدرها أهل الجنة بنفوسهم بمقدار يوافق لذاتهم، فأتتهم على ما قدروا في خواطرهم"[١٥].
الثالث: قدّروها على قدر ملء الكف. وهذا قول ابن عباس[١٦]، والربيع بن انس[١٧].
وقال الضحاك : على قدر أكُفّ الخُدّام"[١٨].
قال ابن كثير:" وهذا لا ينافي القول الأول، فإنها مقدرة في القَدْر والرّي"[١٩].
قرأ ابن عباس وأبو عبد الرحمن السلمي، وأبو عمران، والجحدري، وابن يعمر: «قُدِّروها» برفع القاف، وكسر الدال، وتشديدها. وقرأ حميد، وعمرو بن دينار: «قَدَرُوها» بفتح القاف، والدال، وتخفيفها[٢٠].
قوله تعالى:{وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا} [الإنسان : ١٧]، أي:" ويُسْقَى هؤلاء الأبرار في الجنة كأسًا مملوءة خمرًا مزجت بالزنجبيل"[٢١].
قال الطبري:" ويُسْقَى هؤلاء القوم الأبرار في الجنة كأسا، -وهي كلّ إناء كان فيه شراب- كان مزاج شراب الكأس التي يُسقون منها زنجبيلا"[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٠٦/٢٤.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(١٥) تفسير السعدي: ٩٠١.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٦/٢٤-١٠٧.
(١٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(١٨) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(١٩) تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨.
(٢٠) انظر: زاد المسير: ٣٧٩/٤.
(٢١) التفسير الميسر: ٥٧٩.

قال ابن كثير:" أي : ويسقون - يعني الأبرار أيضا - في هذه الأكواب {كَأسًا}، أي : خمرًا، {كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلا} فتارة يُمزَج لهم الشراب بالكافور وهو بارد، وتارة بالزنجبيل وهو حار، ليعتدل الأمر، وهؤلاء يمزج لهم من هذا تارة ومن هذا تارة. وأما المقربون فإنهم يشربون من كل منهما صِرْفًا، كما قاله قتادة وغير واحد. وقد تقدم قوله :{عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ}"[٢].

وفي قوله تعالى:{وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأْسًا كَانَ مِزَاجُهَا زَنْجَبِيلًا} [الإنسان : ١٧]، وجوه من التفسير:

أحدها : تمزج بالزنجبيل، وهو مما تستطيبه العرب لأنه يحذو اللسان ويهضم المأكول، قاله مجاهد[٣]، وقتادة[٤]، والسدي[٥]، وابن أبي نجيح[٦].

قال مجاهد:" يأثَرُ لهم ما كانوا يشربون في الدنيا. زاد الحارث في حديثه: فَيُحَبِّبُهُ إليهم"[٧].

قال ابن قتيبة:" وأمَّا "الزنجبيل": فإن العرب تضرب به المثل وبالخمر ممتزجَيْن"[٨].

الثاني : أن الزنجبيل اسم للعين التي فيها مزاج شراب الأبرار ، قاله وقتادة[٩].

قال قتادة:" رقيقة يشربها المقرّبون صِرْفا، وتمزج لسائل أهل الجنة"[١٠].

الثالث : أن الزنجبيل طعم من طعوم الخمر يعقب الشرب منه لذة ، حكاه ابن شجرة[١١]، ومنه قول الشاعر[١٢] :

وَكَأَنَّ طَعْمَ الزَّنْجَبِيلِ به ... - إذْ دُقْتُه - وَسُلافَةَ الخَمْرِ

قوله تعالى:{عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} [الإنسان : ١٨]، أي:" يشربون مِن عينٍ في الجنة تسمى سلسبيلا؛ لسلامة شرابها وسهولة مساغه وطيبه"[١٣].

قال الطبري:" عينا في الجنة تسمى سلسبيلا"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : الزنجبيل عين في الجنة تسمى سلسبيلا"[١٥].

واختلف في تفسير قوله تعالى:{عَيْنًا فِيهَا تُسَمَّى سَلْسَبِيلًا} [الإنسان : ١٨]، على وجوه:

أحدها : أنه اسم لها ، قاله عكرمة[١٦].

قال الفراء:" ذكروا أن السلسبيل اسم للعين، وذكر أَنَّهُ صفة للماء لسلسلته وعذوبته، ونرى أَنَّهُ لو كَانَ اسمًا للعين لكان ترك الإجراء فِيهِ أكثر، ولم نر أحدا من القراء ترك إجراءها وهو جائز فِي العربية"[١٧].

---

(١) تفسير الطبري: ١٠٧/٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٩١/٨-٢٩٢.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٤.
(٥) انظر: النكت والعيون: ١٧٠/٦.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٧٠/٦.
(٧) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٤.
(٨) غريب القرآن: ٥٠٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٠٧/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٠٧/٢٤.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٧٠/٦.
(١٢)البيت للأعشى: في الكشاف ٥١٢/٢ (أو شواهده ٦٩) ، وتفسير القرطبي ١٩/ ١٤٠، والبحر المحيط: ٨/ ٣٩٢، وديوانه الملحق بديوان الأعشى ٣٥٢. وانظر اللسان ٣٣٢/١٣.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(١٤) تفسير الطبري: ١٠٧/٢٤.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ١٧١/٦.
(١٧) معاني القرآن: ٢١٧/٣.

الثاني : معناه: سلْ سبيلاً إليها ، قاله علّي -رضي الله عنه-[١].
وحكي ابن قتيبة:" أراد سَلْني سبيلا إليها يا محمدُ"[٢].
قال سهل: "نبه الله به عباده المؤمنين، ثم قال: سلوا ربكم السبيل إلى هذه العين"[٣].
حكي عن المسيب أنه قال: "هي عين يمين العرش من قصب من ياقوت"[٤].
الثالث : يعني: سلسلة الجرية، قاله مجاهد[٥].
الرابع : سلسلة يصرفونها حيث شاءوا، قاله قتادة[٦].
قال قتادة:" سلسة يصرفونها حيث شاءوا"[٧].
قال قتادة:" عينا سلسة مستقيدا ماؤها"[٨].
الخامس : أنها العين التي تمزج بها الخمر. قاله عطاء الخراساني[٩].
السادس : أنها الحديدة الجري ، قاله مجاهد –أيضاً-[١٠]، ومنه قول حسان بن ثابت[١١]:
يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيْهِمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ
وقال مقاتل : تسيل عليهم من جنة عدن فتمر على كل جنة، ثم ترجع لهم الجنة كلها"[١٢].
السابع : أنها تنسلّ في حلوقهم انسلالاً ، قاله ابن عباس[١٣].
قال الزجاج:" سَلْسَبِيل في اللغَةِ صفَة لما كان في غاية السلاسة، فكأنَّ العين - واللَّه أعلم - سميت بصفتها"[١٤].
قال الزمخشري:" سَلْسَبِيلًا لسلاسة انحدارها في الحلق وسهولة مساغها، يعنى: أنها في طعم الزنجبيل وليس فيها لذعه، ولكن نقيض اللذع وهو السلاسة. يقال: شراب سلسل وسلسال وسلسبيل، وقد زيدت الباء في التركيب حتى صارت الكلمة خماسية. ودلت على غاية السلاسة"[١٥].
قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك عندي أن قوله: {تُسَمَّى سَلْسَبِيلا} صفة للعين، وصفت بالسلاسة في الحلق، وفي حال الجري، وانقيادها لأهل الجنة يصرّفونها حيث شاءوا،

---

(١) انظر: النكت والعيون: ١٧١/٦.
(٢) غريب القرآن: ٤.
(٣) تفسير التستري: ١٨٣.
(٤) نقلا عن: تفسير التستري: ١٨٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٠٨/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٠٨/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ١٠٨/٢٤.
(٩)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(٣٤٣):ص١١٥.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٠٨/٢٤.
(١١)ورد البيت في: ديوانه: ١٨٠ دار صادر، "لسان العرب" ١٠/ ٢٠٢: مادة: (صفق)، "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٣٠٠ برواية بردًا، "جامع البيان: ٢١٥/٢٤، "النكت والعيون" ٦/ ٢٣٠، "المحرر الوجيز" ٥/ ٤٥٣، "التفسير الكبير" ٣١/ ١٠٠، "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٢٦٣، "روح المعاني" ٣٠/ ٧٥.
معنى البيت: البريص: نهر بدمشق. وقوله بردى: أراد ماء بردى، وهو نهر في دمشق، ويروى بردًا أي ثلجًا أي باردًا، يصفق: يمزج، الرحيق: الخمر. السلسل: اللينة السهلة الدخول في الحلق. شرح ديوان حسان: وضعة عبد الرحمن البرقوقي: ٣٦٢.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٨/٤.
(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٧١/٦.
(١٤) معاني القرآن: ٢٦١/٥.
(١٥) الكشاف: ٦٧٢/٤.

كما قال مجاهد وقتادة؛ وإنما عني بقوله: {تُسَمَّى}: توصف، لإجماع أهل التأويل على أن قوله: {سَلْسَبِيلا} صفة لا اسم"[١].
قال ابن كثير:" وهو كما قال ابن جرير"[٢].

القرآن
{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا (١٩)} [الإنسان : ١٩]
التفسير:
ويدور على هؤلاء الأبرار لخدمتهم غلمان دائمون على حالهم، إذا أبصرتهم ظننتهم -لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم- اللؤلؤ المفرَّق المضيء.
قوله تعالى:{وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَانٌ مُخَلَّدُونَ} [الإنسان : ١٩]، أي:" ويدور على هؤلاء الأبرار لخدمتهم غلمان دائمون على حالهم"[٣].
قال الطبري: " ويطوف على هؤلاء الأبرار ولدان، وهم الوصفاء، مخلَّدون"[٤].
قال النحاس:" أي: بما يحتاجون إليه"[٥].
وفي قوله تعالى:{مُخَلَّدُونَ} [الإنسان : ١٩]، وجوه من التفسير:
أحدها : مخلدون لا يموتون، قاله الحسن[٦]، ومجاهد[٧]، وقتادة[٨]، ومنه قول امرىء القيس[٩]:
وهَلْ ينعمَنْ إلا سعيدٌ مُخلدٌ ... قليلُ الهمومِ ما يبيتُ بأوْجالِ
قال مجاهد:" لَا يَمُوتُونَ وَلَا يَكْبُرُونَ"[١٠].
قال قتادة:" لا يموتون"[١١].
قال السجستاني:" مبقون ولدانا لا يهرمون ولا يتغيرون"[١٢].
قال مقاتل: فأما الولدان، فهم الغلمان الذين لا يشيبون أبدا «مخلدون» يعني: لا يحتلمون، ولا يشيبون أبدا» هم على تلك الحال لا يختلفون «ولا يكبرون"[١٣].
قال أبو عبيدة:"«مُخَلَّدُونَ»: من الخلد، أي: لا يهرمون يبقون على حالهم لا يتغيرون ولا يكبرون"[١٤].
قال الفراء:" يُقال: إنهم عَلَى سن واحدة لا يتغيرون، والعرب تقول للرجل إذا كبر ولم يشمط: إنه لمخلّد، وإذا لم تذهب أسنانه عَنِ الكبر قيل أيضًا: إنه لمخلد"[١٥].
قال الطبري:" وذُكر عن العرب أنها تقول للرجل إذا كبر وثبت سواد شعره: إنه لمخلَّد؛ كذلك إذا كبر وثبت أضراسه وأسنانه قيل: إنه لمخلد، يراد به أنه ثابت الحال، وهذا تصحيح لما

---

(١) تفسير الطبري: ١٠٩/٢٤-١١٠.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨.
(٣) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٤) تفسير الطبري: ١١٠/٢٤.
(٥) إعراب القرآن: ٦٦/٥.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٤٥٠/٥.
(٧) انظر: تفسير مجاهد: ٦٤١.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٤.
(٩)ديوانه: ٢٧.
(١٠) تفسير مجاهد: ٦٤١.
(١١) أخرجه الطبري: ١١٠/٢٤، وعبدالرزاق في "التفسير"(٣٤٣٧):ص٣٧٧/٣.
(١٢) غريب القرآن: ٤٨٩.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٨/٤.
(١٤) مجاز القرآن: ٢٤٩/٢.
(١٥) معاني القرآن: ١٢٢/٣-١٢٣.

قال قتادة من أن معناه: لا يموتون، لأنهم إذا ثبتوا على حال واحدة فلم يتغيروا بهرم ولا شيب ولا موت، فهم مخلّدون"[١].
الثاني : صغار لا يكبرون وشبابٌ لا يهرمون ، قاله الضحاك[٢]، والحسن[٣].
قال ابن كثير:" أي : على حالة واحدة مخلدون عليها، لا يتغيرون عنها، لا تزيد أعمارهم عن تلك السن "[٤].
الثالث : أي: مُسَوَّرون ، قاله ابن عباس[٥]، قال الشاعر[٦]:
ومُخَلّداتٍ باللُّجَيْنِ كأنما ... أعْجازُهنّ أقاوزُ الكُثبانِ
قال الزجاج:" يقال: «مُخَلَّدُونَ»: محلَّون عليهم الحلى، ويقال لجماعة الحلى: الخَلَدَة"[٧].
الرابع: أي: مقرّطون. حكاه الفراء[٨]، والطبري[٩].
قال ابن كثير:" ومن فسرهم بأنهم مُخَرّصُونَ في آذانهم الأقرطة، فإنما عبر عن المعنى بذلك ؛ لأن الصغير هو الذي يليق له ذلك دون الكبير"[١٠].
الخامس : أنهم مبقون أبدا على شكل الولدان وحدّ الوصافة، لا يتحوّلون عنه. قاله الزجاج[١١]، وبه قال الزمخشري[١٢].
قال الزجاج:" وتأويل {مُخَلَّدُونَ}، أي: لا يجوز واحد منهم حَدَّ الوَصَافة أبداً، هو وصيف، والعرب تقول للرجل الذي لا يشيب: هو مُخَلَّدٌ"[١٣].
وروي عن على -رضى الله عنه- وعن الحسن :" أنهم أولاد أهل الدنيا: لم تكن لهم حسنات فيثابوا عليها، ولا سيئات فيعاقبوا عليها"[١٤].
عن سمرة بن جندب، رضي الله عنه،" أن رسول الله صلى الله عليه وسلم سئل عن أطفال المشركين فقال: «هم خدم أهل الجنة»"[١٥].
عن سمرة بن جندب، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أولاد المشركين خدم أهل الجنة»[١٦].
عن أنس بن مالك - رضي الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم -: " أطفال المشركين هم خدم أهل الجنة "[١٧].

---

(١) تفسير الطبري: ١١٠/٢٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ١٧١/٦.
(٣) انظر: النكت والعيون: ١٧١/٦.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٤.
(٦)البيت في "تهذيب اللغة" ٧/ ٢٧٧، و"اللسان" ١/ ٨٧٦ (خلد) و٣/ ١٨٦ (قوز)، و"تفسير غريب القرآن" ص ٤٤٧، ولم ينسب لقائل، واللجين هي الفضة، الأقاويز" جمع "قوز" بالفتح، وهو: الكثيب الصغير من الرمل، كما قال أبو عبيدة.
(٧) معاني القرآن: ٢٦١/٥.
(٨) انظر: معاني القرآن: ١٢٣/٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٠/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨.
(١١) انظر: معاني القرآن: ٢٦١/٥.
(١٢) انظر: الكشاف: ٤٥٩/٤.
(١٣) معاني القرآن: ٢٦١/٥.
(١٤) حكاه عنهما الزمخشري في "الكشاف": ٤٥٩/٤.
(١٥) مسند البزاز(٤٥١٦):ص٣٨٤/١٠.
(١٦) المعجم الأوسط(٢٠٤٥):ص٣٠٢/٢.
(١٧) .

عن يزيد، قال: "قلنا لأنس: يا أبا حمزة، ما تقول في أطفال المشركين؟ فقال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لم تكن لهم سيئات، فيعاقبوا بها، فيكونوا من أهل النار، ولم تكن لهم حسنات، فيجازوا بها فيكونوا من ملوك أهل الجنة، هم خدم أهل الجنة»[١].

قوله تعالى:{إِذَا رَأَيْتَهُمْ حَسِبْتَهُمْ لُؤْلُؤًا مَنْثُورًا} [الإنسان : ١٩]، أي:" إذا أبصرتهم ظننتهم -لحسنهم وصفاء ألوانهم وإشراق وجوههم- اللؤلؤ المفرَّق المضيء"[٢].

قال قتادة:" من كثرتهم وحُسنهم[٣].

قال سفيان:" في كثرة اللؤلؤ وبياض اللؤلؤ"[٤].

قال مقاتل: أي:" في الحسن والبياض يعني في الكثرة، مثل اللؤلؤ المنثور الذي لا يتناهى عدده"[٥].

قال الزجاج:" أي: هم في حسن ألوانهم وصفائها كاللؤلؤ المنثور"[٦].

قال السمعاني:" إنما شبه باللآلئ في الصفاء والحسن والكثرة. وذكر منثورا لأن اللؤلؤ المنثور في المجلس أحسن منه منظوما"[٧].

قال ابن كثير:" أي : إذا رأيتهم في انتشارهم في قضاء حوائج السادة، وكثرتهم، وصباحة وجوههم، وحسن ألوانهم وثيابهم وحليهم، حسبتهم لؤلؤا منثورا. ولا يكون في التشبيه أحسن من هذا، ولا في المنظر أحسن من اللؤلؤ المنثور على المكان الحسن"[٨].

قال الزمخشري:" شبهوا في حسنهم وصفاء ألوانهم وانبثاثهم في مجالسهم ومنازلهم باللؤلؤ المنثور.. وقيل: شبهوا باللؤلؤ الرطب إذا نثر من صدفه، لأنه أحسن وأكثر ماء"[٩].

وقيل: "إنما شبههم بالمنثور، لأنهم سراع في الخدمة، بخلاف الحور العين إذ شبههن باللؤلؤ المكنون المخزون، لأنهن لا يمتهن بالخدمة"[١٠].

قال قتاده، عن أبي أيوب، عن عبد الله بن عمرو : "ما من أهل الجنة من أحد إلا يسعى عليه ألف خادم، كل خادم على عمل ما عليه صاحبه"[١١].

وعن المأمون: "أنه ليلة زفت إليه بوران بنت الحسن بن سهل وهو على بساط منسوج من ذهب وقد نثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ. فنظر إليه منثورا على ذلك البساط، فاستحسن المنظر وقال: لله درّ أبى نواس، وكأنه أبصر هذا حيث يقول[١٢]:

كأنَّ صُغْرَى وكُبْرَى من فَواقِعهَا ... حَصباءُ دُرٍ عَلَى أرْض من الذَّهَبِ"[١٣].

---

(١) مسند أبي داود(٢٢٢٥):ص٣/٥٨٠.

(٢) التفسير الميسر: ٥٧٩.

(٣)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٣٨، وعبد بن حميد -كما في فتح الباري ٦/ ٣٢١ – والطبري:١١١/٢٤، كذلك من طريق سعيد. وعزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤) أخرجه الطبري: ١١١/٢٤.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٨/٤.

(٦) معاني القرآن: ٢٦١/٥.

(٧) تفسير السمعاني: ١٢٠/٦. ثم قال السمعاني:" وفي تفسير النقاش: أنهم ينشرون في الخدمة، فلهذا قال: {لؤلؤا منثورا} فلو كان صفا واحدا لقال منظوما".

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨.

(٩) الكشاف: ٦٧٢/٤-٦٧٣.

(١٠) نقلا عن: تفسير القرطبي: ١٤٤/١٩.

(١١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨.

(١٢) لأبى نواس، في ديوانه: ٢٤٣، يصف الخمر بأن حبابها الذي يعلوها كالقوارير يشبه الدر، وبأنها تشبه الذهب، وهو من التشبيه المركب. وحكى أنه لما زفت بوران بنت الحسن بن سهل للمأمون بن الرشيد كان على بساط منسوج بالذهب ونثرت عليه نساء دار الخلافة اللؤلؤ، فنظر إليه وقال: لله در أبى نواس حيث قال: كأن صغرى ... البيت، وقد عيب عليه استعمال صغرى وكبرى مجردتين من أل والاضافة، مع أنهما عن أفعل التفضيل، وهو إذا جرد وجب تذكيره.

(١٣) نقلا عن: الكشاف: ٦٧٣/٤.

القرآن

{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا (٢٠)} [الإنسان : ٢٠]

التفسير:

وإذا أبصرت أيَّ مكان في الجنة رأيت فيه نعيمًا لا يُدْركه الوصف، ومُلْكا عظيمًا واسعًا لا غاية له.

قوله تعالى:{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا} [الإنسان : ٢٠]، أي:" وإذا أبصرت أيَّ مكان في الجنة رأيت فيه نعيمًا لا يُدْركه الوصف"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وإذا نظرت ببصرك يا محمد، ورميت بطرفك فيما أعطيتُ هؤلاء الأبرار في الجنة من الكرامة. وعُني بقوله: {ثَمَّ} الجنة {رَأَيْتَ نَعِيمًا}، وذلك أن أدناهم منزلة من ينظر في مُلكه فيما قيل في مسيرة ألفي عام، يُرى أقصاه، كما يرى أدناه"(٢).

قال ابن كثير:" أي : وإذا رأيت يا محمد، {ثَمَّ}، أي : هناك، يعني: في الجنة ونعيمها وسَعَتها وارتفاعها وما فيها من الحَبْرَة والسرور، {رَأَيْتَ نَعِيمًا}"(٣).

قال مقاتل:" عني بالنعيم الذي هو فيه"(٤).

قوله تعالى:{وَمُلْكًا كَبِيرًا} [الإنسان : ٢٠]، أي:" ومُلْكا عظيمًا واسعًا لا غاية له"(٥).

قال الطبري:" يقول: ورأيت مع النعيم الذي ترى لهم ثَمَّ مُلْكا كبيرا. وقيل: إن ذلك الملك الكبير: تسليم الملائكة عليهم، واستئذانهم عليهم"(٦).

قال ابن كثير:" أي : مملكةً لله هُناك عظيمةً وسلطانًا باهرًا"(٧).

عن ابن عمر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن أدنى أهل الجنة منزلة لينظر في ملكه ألفي سنة، يرى أقصاه كما يرى أدناه"(٨). قال ابن كثير: "فإذا كان هذا عطاؤه تعالى لأدنى من يكون في الجنة، فما ظنك بما هو أعلى منزلة، وأحظى عنده تعالى(٩).

وقال سفيان: حدثني من سمع مجاهدا يقول: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا}، قال: تسليم الملائكة"(١٠).

عن مجاهد: {وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا}، قال: عظيما: استئذان الملائكة عليهم، وقال بعضهم: لا يدخل الملائكة عليهم إلا بإذن"(١١).

قال سفيان:" بلغنا أنه تسليم الملائكة"(١٢).

قال الأشجعي:" فسَّرها سفيان، قال: تستأذن الملائكة عليهم"(١٣).

عن سفيان: "{وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا}، قال استئذان الملائكة عليهم"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٢) تفسير الطبري: ١١١/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣١/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٦) تفسير الطبري: ١١٢/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨.
(٨)المسند (١٣/٢).
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٩٢/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٤.
(١١)الجزء فيه تفسير القرآن ليحيى بن يمان ونافع بن أبي نعيم القارئ ومسلم بن خالد الزنجي وعطاء الخراساني برواية أبي جعفر الترمذي(١١٥):ص٦٥.
(١٢) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٤.

قال مقاتل: {وَمُلْكًا كَبِيرًا}: أي:" حين لا يدخل عليه رسول رب العزة إلا بإذن"[٢].

عن كعب الأحبار: "{وإذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا ومُلْكًا كَبِيرًا}، قال: يُرسِل إليهم ربُّهم الملائكة، فتأتي فتستأذن عليهم"[٣].

عن الحسن البصري، أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال: «إنّ أدنى أهل الجنة منزلة الذي يَركب في ألف ألف مِن خَدَمه مِن الولدان المُخلّدين، على خيلٍ مِن ياقوت أحمر، لها أجنحة من ذهب، {وإذا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا ومُلْكًا كَبِيرًا}»"[٤].

قال القشيري:" وقيل: هو قوله: {لَهُمْ ما يَشاؤُنَ فِيها} [ق: ٣٥]، ويقال: أي لا زوال له"[٥].

قال السعدي:" فتجد الواحد منهم، عنده من القصور والمساكن والغرف المزينة المزخرفة، ما لا يدركه الوصف، ولديه من البساتين الزاهرة، والثمار الدانية، والفواكه اللذيذة، والأنهار الجارية، والرياض المعجبة، والطيور المطربة [لمشجية ما يأخذ بالقلوب، ويفرح النفوس. وعنده من الزوجات. اللاتي هن في غاية الحسن والإحسان، الجامعات لجمال الظاهر والباطن، الخيرات الحسان، ما يملأ القلب سرورا، ولذة وحبورا، وحوله من الولدان المخلدين، والخدم المؤبدين، ما به تحصل الراحة والطمأنينة، وتتم لذة العيش، وتكمل الغبطة. ثم علاوة ذلك وأعظمه الفوز برؤية الرب الرحيم، وسماع خطابه، ولذة قربه، والابتهاج برضاه، والخلود الدائم، وتزايد ما هم فيه من النعيم كل وقت وحين، فسبحان الملك المالك، الحق المبين، الذي لا تنفد خزائنه، ولا يقل خيره، فكما لا نهاية لأوصافه فلا نهاية لبره وإحسانه"[٦].

عن ابن عمر قال : جاء رجل من الحبشة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم : فقال له رسول الله : "سل واستفهم". فقال : يا رسول الله، فُضّلْتُم علينا بالصور والألوان والنبوة، أفرأيتَ إن آمنتُ بما آمنتَ به وعملتُ بمثل ما عملتَ به، إني لكائن معكَ في الجنة ؟ قال : "نعم، والذي نفسي بيده، إنه لَيُرَى بياض الأسود في الجنة من مسيرة ألف عام". ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "من قال : لا إله إلا الله، كان له بها عَهدٌ عند الله، ومن قال : سبحان الله وبحمده، كتب له مائة ألف حسنة، وأربعة وعشرون ألف حسنة". فقال رجل : كيف نهلك بعد هذا يا رسول الله ؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن الرجل ليأتي يوم القيامة بالعمل لو وُضِعَ على جبل لأثقله، فتقوم النعمة - أو : نعَم الله - فتكاد تستنفذ ذلك كله، إلا أن يَتَغَمّده الله برحمته". ونزلت هذه السورة :{هَلْ أَتَى عَلَى الإنْسَانِ حِينٌ مِنَ الدَّهْرِ} إلى قوله :{وَمُلْكًا كَبِيرًا} فقال الحبشي : وإن عيني لترى ما ترى عيناك في الجنة ؟ قال : "نعم". فاستبكى حتى فاضت نفسه. قال ابن عمر : فلقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يُدليه في حُفرَته بيده"[٧].

وقال مقاتل في الآية: " وذلك أن الرجل من أهل الجنة له قصر، في ذلك القصر سبعون قصرا، في كل قصر سبعون بيتا، كل بيت من لؤلؤة مجوفة طولها في السماء فرسخ، وعرضها فرسخ، عليها أربعة ألف مصراع من ذهب، في ذلك البيت سرير منسوج بقضبان الدر والياقوت، عن يمين السرير وعن يساره أربعون ألف كرسي من ذهب قوائمها ياقوت أحمر، على ذلك السرير سبعون فراشا، كل فراش على لون، وهو جالس فوقها، وهو متكئ على يساره عليه سبعون حلة من ديباج، الذي يلي جسده حريرة بيضاء، وعلى جبهته إكليل مكلل بالزبرجد

---

(١) أخرجه الطبري: ١١٢/٢٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣١/٤.
(٣)أخرجه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة -موسوعة ابن أبي الدنيا ٦/ ٣٦١ (٢٠٢) -.
(٤)عزاه السيوطي إلى ابن وهب.
(٥) لطائف الإشارات: ٦٦٥/٣.
(٦) تفسير السعدي: ٩٠١.
(٧)المعجم الأوسط برقم (٤٧٧٤) "مجمع البحرين"، وقال : "لا يروى عن ابن عمر إلا بهذا الإسناد، تفرد به عفيف". قال ابن كثير: ٢٩٣/٨:"غريب جدا".

والياقوت وألوان الجواهر كل جوهرة على لون، وعلى رأسه تاج من ذهب فيه سبعون ذؤابة، في كل ذؤابة درة، تساوي مال المشرق والمغرب، وفي يديه ثلاث أسورة، سوار من ذهب، وسوار من فضة، وسوار من لؤلؤ، وفي أصابع يديه ورجليه خواتيم من ذهب وفضة فيه ألوان الفصوص، وبين يديه عشرة آلاف غلام لا يكبرون ولا يشيبون أبدا، ويوضع بين يديه مائدة من ياقوتة حمراء، طولها ميل في ميل، ويوضع على المائدة سبعون ألف إناء من ذهب وفضة في كل إناء سبعون لونا من الطعام، يأخذ اللقمة بيديه فما يخطر على باله حتى تتحول اللقمة عن حالها إلى الحال التي يشتهيها، وبين يديه غلمان بأيديهم أكواب من ذهب، وإناء من فضة معهم الخمر والماء، فيأكل على قدر أربعين رجلا من الألوان كلها، كلما شبع من لون من الطعام سقوه شربة مما يشتهي من الأشربة فيتجشأ، فيفتح الله- تعالى- عليه ألف باب من الشهوة من الشراب فيدخل عليه الطير من الأبواب، كأمثال النجائب فيقومون بين يديه صفا فينعت كل نفسه بصوت مطرب لذيذ ألذ من كل غناء في الدنيا، يقول: يا ولى الله، كلني إنى كنت أرعى في روضة كذا وكذا من رياض الجنة، فيحلون عليه أصواتها فيرفع بصره فينظر إليهم، فينظر إلى أزهاها صوتا، وأجودها نعتا، فيشتهيها فيعلم الله ما وراء شهوته في قلبه من حبه، فيجيء الطير فيقع على المائدة بعضه قديد، وبعضه شواء، أشد بياضا من الثلج، وأحلى من العسل، فيأكل حتى إذا شبع منها، واكتفى طارت طيرا كما كانت، فتخرج من الباب الذي كانت دخلت منه، فهو على الأرائك وزوجته مستقبلة، يبصر وجهه في وجهها من الصفاء والبياض، كلما أراد أن يجامعها ينظر إليها فيستحي أن يدعوها، فتعلم ما يريد منها زوجها فتدنو إليه، فتقول: بأبي وأمي، ارفع رأسك فانظر إلي فإنك اليوم لي، وأنا لك فيجامعها على قوة مائة رجل من الأولين، وعلى شهوة أربعين رجلا كلما أتاها وجدها عذراء، لا يغفل عنها مقدار أربعين يوما، فإذا فرغ وجد ريح المسك منها فيزداد حبالها، فيها أربعة آلاف وثمانمائة زوجة مثلها لكل زوجة سبعون خادما وجارية"[1].

عن علي بن أبي طالب- عليه السلام- قال: "لو أن جارية أو خادما خرجت إلى الدنيا لاقتتل عليها أهل الأرض كلهم حتى يتفانوا"[2].

القرآن

{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا (٢١)} [الإنسان : ٢١]

التفسير:

يعلوهم ويجمل أبدانهم ثياب بطائنها من الحرير الرقيق الأخضر، وظاهرها من الحرير الغليظ، ويُحَلَّون من الحليِّ بأساور من الفضة، وسقاهم ربهم فوق ذلك النعيم شرابًا لا رجس فيه ولا دنس.

قوله تعالى:{عَالِيَهُمْ ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ} [الإنسان : ٢١]، أي:" يعلوهم ويجمل أبدانهم ثياب بطائنها من الحرير الرقيق الأخضر، وظاهرها من الحرير الغليظ"[3].

قال البيضاوي: أي: " يعلوهم ثياب الحرير الخضر ما رق منها وما غلظ"[4].

قال الطبري:" فوق هؤلاء الأبرار ثياب {ثِيَابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ وَإِسْتَبْرَقٌ}، و«السندس»: هو ما رقّ من الديباج، و«الإستبرق»: هو ما غَلُظ من الديباج"[5].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٢٨/٤-٥٣٠.

(٢) رواه مقاتل بن سليمان في "التفسير": ٥٣٠/٤.

(٣) التفسير الميسر: ٥٧٩.

(٤) تفسير البيضاوي: ٢٧٢/٥.

(٥) تفسير الطبري: ١١٢/٢٤، ١١٣.[باختصار]

قال السعدي:" أي: قد جللتهم ثياب السندس والإستبرق الأخضران، اللذان هما أجل أنواع الحرير، فالسندس: ما غلظ من الديباج والإستبرق: ما رق منه"[١].

قال ابن كثير:" أي : لباس أهل الجنة فيها الحرير، ومنه سندس، وهو رفيع الحرير كالقمصان ونحوها مما يلي أبدانهم، والإستبرق منه ما فيه بريق ولمعان، وهو مما يلي الظاهر، كما هو المعهود في اللباس"[٢].

قال يحيى: "سمعت بعض أهل الكوفة يقول: هي بالفارسية: استبره"[٣].

قال الطبري:" وكان بعض أهل التأويل يتأوّل قوله: {عالِيَهُمْ}: فوق حِجَالهم المثبتة عليهم {ثِيَابُ سُنْدُسٍ}، وليس ذلك بالقول المدفوع، لأن ذلك إذا كان فوق حجالٍ هم فيها، فقد علاهم فهو عاليهم"[٤].

قال مقاتل:" وإنما قال {عاليهم}، لأن الذي يلي جسده حريرة بيضاء"[٥].

عن أبي الجَوْزاء أنه كان يقرأ: "{عالِيَهُمْ ثِيابُ سُنْدُسٍ خُضْرٌ}، قال: عَلَت الخُضرة، أكثر ثيابها الخُضرة"[٦].

قال عكرمة:" الإستبرق: الدِّيباج الغليظ"[٧].

قال الضحاك:" الإستبرق، الديباج الغليظ، وهو بلغة العجم استبره"[٨].

عن عبد الرحمن بن سابط قال: "يبعث الله إلى العبد من اهل الجنة بالكسوة فتعجبه، فيقول: لقد رأيت الجنان فما رأيت مثل هذه الكسوة قط! فيقول الرسول الذي جاء بالكسوة: إن ربك يأمر أن تهيئ لهذا العبد مثل هذه الكسوة ما شاء"[٩].

عن كعب قال: "لو إن ثوبا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا، لصعق من ينظر إليه وما حملته أبصارهم"[١٠].

عن سليم بن عامر قال:" إن الرجل من أهل الجنة يلبس الحلة من حلل اهل الجنة فيضعها بين أصبعيه، فما يرى منها شيء، وإنه يلبسها فيتعفر حتى تغطي قدميه، يكسى في الساعة الواحدة سبعين ثوبا ... إن أدناها مثل شقيق النعمان، وأنه يلبس سبعين ثوبا يكاد إن يتوارى، وما يستطيع أحد في الدنيا يلبس سبعة أثواب ما يسعه عنقه"[١١].

وقرئ: «عَالِيهُمْ»، بتسكين الياء[١٢].

قوله تعالى:{وَحُلُّوا أَسَاوِرَ مِنْ فِضَّةٍ} [الإنسان : ٢١]، أي:" ويُحَلَّون من الحليِّ بأساور من الفضة"[١٣].

قال الطبري:" يقول: وحلاهم ربهم أساور، وهي جمع أسورة من فضة"[١٤].

قال ابن كثير:" وهذه صفة الأبرار، وأما المقربون فكما قال :{يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ} [الحج : ٢٣]"[١].

---

(١) تفسير السعدي: ٩٠١.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٩٣/٨.
(٣) تفسير يحيى بن سلام: ١٨٤/١.
(٤) تفسير الطبري: ١١٢/٢٤.
(٥) تفسيرمقاتل بن سليمان: ٥٣١/٤.
(٦)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٧) أخرجه الطبري: ٥١/٢٢.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٦):ص٢٣٥٩/٧.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٧):ص٢٣٥٩/٧.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٨):٢٣٦٠/٧.
(١١)أخرجه ابن أبي حاتم(١٢٧٩٩):٢٣٦٠/٧.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١١٢/٢٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(١٤) تفسير الطبري: ١١٣/٢٤.

قال الزمخشري:" ذكر هاهنا أنّ أساورهم من فضة، وفي موضع آخر أنها من ذهب. قلت: هب أنه قيل: وحلوا أساور من ذهب ومن فضة، وهذا صحيح لا إشكال فيه، على أنهم يسوّرون بالجنسين: إما على المعاقبة، وإما على الجمع، كما تزاوج نساء الدنيا بين أنواع الحلي وتجمع بينها، وما أحسن بالمعصم أن يكون فيه سواران: سوار من ذهب، وسوار من فضة"[٢].

قال سعيد بن جبير: "يُحَلّى كلُّ واحد منهم ثلاثةً من الأساور: واحدًا من فضّة، وواحدًا من ذهب، ووحدًا من لؤلؤ ويواقيت"[٣].

عن عكرمة، قال: "إنّ أهل الجنة يحلون أسورة من ذهب ولؤلؤ وفضة، هي أخفُّ عليهم من كل شيء، إنما هي نور"[٤].

عن كعب الأحبار، قال:" إنّ لله ملكًا -وفي لفظ: في الجنة ملك-، لو شئت أن أُسَمِّيَه لَسَمَّيْتُه، يصوغ حُلِيَّ أهل الجنة مِن يوم خُلِق إلى أن تقوم الساعة، ولو أن حليًا منها أخرج لرَدَّ شعاع الشمس، وإن لأهل الجنة أكاليل مِن در، لو أنّ إكليلًا منها دلي من السماء الدنيا لذهب بضوء الشمس، كما تذهب الشمس بضوء القمر"[٥].

قوله تعالى:{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا} [الإنسان : ٢١]، أي:" وسقاهم ربهم فوق ذلك النعيم شرابًا لا رجس فيه ولا دنس"[٦].

قال السعدي:" أي: لا كدر فيه بوجه من الوجوه، مطهرا لما في بطونهم من كل أذى وقذى"[٧].

قال الطبري:" وسقى هؤلاء الأبرار ربُّهُم شرابا طهورا، ومن طهره أنه لا يصير بولا نجسا، ولكنه يصير رشحا من أبدانهم كرشح المسك"[٨].

قال ابن كثير:" ولما ذكر تعالى زينة الظاهر بالحرير والحلي قال بعده :{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا}، أي : طهر بواطنهم من الحَسَد والحقد والغل والأذى وسائر الأخلاق الرّديَّة، كما روينا عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب[٩] أنه قال : إذا انتهى أهلُ الجنة إلى باب الجنة

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٩٣/٨.
(٢) الكشاف: ٦٧٣/٤-٦٧٤.
(٣)تفسير الثعلبي ٦/ ١٦٩، وتفسير البغوي ٥/ ١٦٩.
(٤)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٥)أخرجه ابن أبي شيبة ١٣/ ١١٦، ١١٥، وأبو الشيخ في العظمة (٣٣٧). وعزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(٦) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٧) تفسير السعدي: ٩٠١.
(٨) تفسير الطبري: ١١٣/٢٤.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٤١٣) :ص٣٢٦٢/١٠ بسنده عن علي –رضي الله عنه في قوله تعالى: {وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا} [الزمر : ٧٣]، قال: سيقوا حتى انتهوا إلى باب من أبواب الجنة، وجدوا، عندها شجرة يخرج من تحت ساقها عينان، فعمدوا إلى إحداهما فتطهروا منها، فجرت عليهم نضرة النعيم، فلم تغير أبشارهم بعدها أبدا، ولم تشعث أشعارهم أبدا بعدها، كأنما دهنوا بالدهان، ثم عمدوا إلى الأخرى كأنما أمروا بها، فشربوا منها، فأذهبت ما كان في بطونهم من أذى أو قذى. وتلقتهم الملائكة على أبواب الجنة سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين ويلقى كل غلمان صاحبهم يطيفون به، فعل الولدان بالحميم جاء من الغيبة: أبشر قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا، قد أعد الله لك من الكرامة كذا وكذا قال: وينطلق غلام من غلمانه إلى أزواجه من الحور العين، فيقول: هذا فلان- باسمه في الدنيا فيقلن: أنت رأيته فيقول: نعم فيستخفهن الفرح حتى تخرج إلى أسكفة الباب قال: فيجيء فإذا هو بنمارق مصفوفة، وأكواب موضوعة، وزرابي مبثوثة. قال: ثم ينظر إلى تأسيس بنيانه، فإذا هو قد أسس على جندل اللؤلؤ، بين أحمر وأخضر وأصفر، ومن كل لون. ثم يرفع طرفه إلى سقفه فلولا أن الله قدره له لالم أن يذهب ببصره، إنه لمثل البرق، ثم ينظر إلى أزواجه من الحور العين، ثم يتكئ على أريكة من أرائكه ثم يقول: {الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّ} [الأعراف : ٤٣] ... الآية".

وَجَدوا هنالك عينين فكأنما ألهموا ذلك فشربوا من إحداهما فأذهب الله ما في بطونهم من أذى، ثم اغتسلوا من الأخرى فَجَرت عليهم نضرةُ النعيم"[١].

عن مجاهد، قوله: "{شَرَابًا طَهُورًا}، قال: ما ذكر الله من الأشربة"[٢].

قال القشيري:" الشراب الطهور هو الطاهر في نفسه المطهّر لغيره، فالشراب يكون طهورا في الجنة- وإن لم يحصل به التطهير لأن الجنة لا يحتاج فيها إلى التطهير. ولكنه- سبحانه- لمّا ذكر الشراب- وهو اليوم في الشاهد نجس- أخبر أنّ ذلك الشراب غدا طاهر، ومع ذلك مطهّر.. يقال: يطهّر صدورهم من الغلّ والغشّ، ولا يبقى لبعضهم مع بعض خصيمة ولا عداوة ولا دعوى ولا شيء. ويقال: يطهّر قلوبهم عن محبة الحور العين. ويقال: إن الملائكة تعرض عليهم الشراب فيأبون قبوله منهم، ويقولون: لقد طال أخذنا من هؤلاء، فإذا هم بكاسات تلاقى أفواههم بغير أكفّ من غيب إلى عبد"[٣].

قال الزمخشري:"{شَراباً طَهُوراً}: ليس برجس كخمر الدنيا، لأنّ كونها رجسا بالشرع لا بالعقل، وليست الدار دار تكليف. أو لأنه لم يعصر فتمسه الأيدى الوضرة[٤]، وتدوسه الأقدام الدنسة، ولم يجعل في الدنان والأباريق التي لم يعن بتنظيفها. أو لأنه لا يئول إلى النجاسة لأنه يرشح عرقا من أبدانهم له ريح كريح المسك"[٥].

قال الفراء:" طهور ليس بنجس كما كَانَ فِي الدنيا مذكورًا بالنجاسة"[٦].

قال النحاس:" أي: طاهرا من الأقذار والأدناس والأوساخ"[٧].

قال سهل:" أي: طهرهم به من بقاء أدناس الدنيا"[٨].

وقال سهل: "نهى الله عباده عن نجاسة خمور الدنيا بما فرق بين الطاهر والطهور، وبين خمور الجنة وخمور الدنيا نجاسة، فإن خمور الدنيا نجسة تنجس شاربها بالآثام، وخمور الجنة طهور تطهر شاربها من كل دنس، وتصلحه لمجلس القدس ومشهد العز. وصلى سهل صلاة العتمة فقرأ قوله تعالى: {وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَراباً طَهُوراً} فجعل يحرك فاه كأنما يمص شيئاً، فلما فرغ من صلاته قيل له: أتشرب في الصلاة؟ فقال: والله لو لم أجد لذته عند قراءته كأني عند شربه به ما فعلت ذلك"[٩].

عن إبراهيم التيمي: "{وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا}، قال: عرق يفيض من أعراضهم مثل ريح المسك"[١٠].

عن إبراهيم التيمي، قال: "إن الرجل من أهل الجنة يقسَمُ له شهوة مئة رجل من أهل الدنيا، وأكلهم وهمتهم، فإذا أكل سقي شرابا طهورا، فيصير رشحا يخرج من جلده أطيب ريحًا من المسك الأذفر، ثم تعود شهوته"[١١].

عن أبي قِلابة: "إن أهل الجنة إذا أكلوا وشربوا ما شاءوا دَعَوا بالشراب الطهور فيشربونه، فتطهر بذلك بطونهم ويكون ما أكلوا وشربوا رَشْحا وريحَ مسك، فتضمر لذلك بطونهم"[١٢].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٩٣/٨.
(٢) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٤.
(٣) لطائف الإشارات: ٦٦٦/٣.
(٤)الوضر: وهو الدرن والدسم. أفاده الصحاح.
(٥) الكشاف: ٦٧٤/٤.
(٦) معاني القرآن: ٢١٩/٣.
(٧) إعراب القرآن: ٦٨/٥.
(٨) تفسير التستري: ٤٧.
(٩) تفسير التستري: ١٨٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١١٣/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١١٣/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٤.

عن أبي العالية الرياحي، عن أبي هريرة أو غيره -شكّ أبو جعفر الرازي- قال: "صعد جبرائيل بالنبيّ صلى الله عليه وسلم ليلة أُسري به إلى السماء السابعة، فاستفتَح، فقيل له: من هذا؟ فقال: جبرائيل، قيل: ومن معك؟ قال: محمد، قالوا: أو قد أُرسل إليه؟ قال: نعم، قالوا: حياه الله من أخ وخليفة، فنعم الأخ ونعم الخليفة، ونعم المجيءُ جاء، قال: فدخل فإذا هو برجل أشمط جالس على كرسيّ عند باب الجنة، وعنده قوم جلوس بيض الوجوه أمثال القراطيس، وقوم في ألوانهم شيء، فقام الذين في ألوانهم شيء، فدخلوا نهرًا فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خَلُص من ألوانهم شيء ثم دخلوا نهرًا آخر فاغتسلوا فيه، فخرجوا وقد خَلصت ألوانهم، فصارت مثل ألوان أصحابهم، فجاءوا فجلسوا إلى أصحابهم، فقال: يا جبريل من هذا الأشمط، ومن هؤلاء البيض الوجوه، ومن هؤلاء الذين في ألوانهم شيء، وما هذه الأنهار التي اغتسلوا فيها، فجاءوا وقد صفت ألوانهم؟ قال: هذا أبوك إبراهيم، أوّل من شَمِط على الأرض، وأما هؤلاء البيض الوجوه، فقوم لم يَلْبسوا إيمانهم بظلم: وأما هؤلاء الذين في ألوانهم شيء فقوم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا فتابوا، فتاب الله عليهم. وأما الأنهار، فأوّلها رحمة الله، والثاني نعمة الله، والثالث سقاهم ربهم شرابا طهورا"[1].

وقال مقاتل-في الآية- :" وذلك أن على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان، فإذا جاز الرجل الصراط إلى العين، يدخل في عين منها فيغتسل فيها، فيخرج وريحه أطيب من المسك طوله سبعون ذراعا في السماء على طول آدم- عليه السلام- وميلاد- عيسى بن مريم-، أبناء ثلاث وثلاثين سنة، فأهل الجنة كلهم رجالهم ونساؤهم على قدر واحد يكبر الصغير حتى يكون ابن ثلاث وثلاثين سنة، وينحط الشيخ عن حاله إلى ثلاث وثلاثين سنة، كلهم رجالهم ونساؤهم على قدر واحد في حسن يوسف بن يعقوب - عليهما السلام- ويشرب من العين الأخرى فينقي ما في صدره من غل، أو هم، أو حسد، أو حزن، فيطهر الله قلبه بذلك الماء فيخرج وقلبه على قلب أيوب- عليه السلام- ولسان محمد- صلى الله عليه وسلم-، عربي، ثم ينطلقون حتى يأتوا الباب، فتقول لهم الخزنة: طبتم. يقولون: نعم. فتقول: ادخلوها خالدين يبشرونهم بالخلود قبل الدخول، بأنهم لا يخرجون منها أبدا، فأول ما يدخل من باب الجنة ومعه الملكان اللذان كانا معه في دار الدنيا الكرام الكاتبين فإذا هو بملك معه بختية من ياقوتة حمراء زمامها ياقوتة خضراء فإذا كانت البختية من ياقوتة خضراء كان زمامها ياقوتة حمراء، عليها راحلة مقدمها ومؤخرها در وياقوت، صفحتها الذهب والفضة، ومعه سبعون حلة فيلبسه ويضع على رأسه التاج، ومعه «عشرة آلاف غلام كاللؤلؤ المكنون، فيقول: يا ولي الله، اركب فإن هذا لك، ولك مثلها فيركبها ولها جناحان، خطوة منها منتهى البصر فيسير على بختيته وبين يديه عشرة آلاف غلام، ومعه الملكان اللذان كانا معه في دار الدنيا حتى يأتي إلى قصوره فينزلها"[2].

القرآن

{إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا (٢٢)} [الإنسان : ٢٢]

التفسير:

ويقال لهم: إن هذا أُعِدَّ لكم مقابل أعمالكم الصالحة، وكان عملكم في الدنيا عند الله مرضيًا مقبولا.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً} [الإنسان : ٢٢]، أي:" ويقال لهم: إن هذا أُعِدَّ لكم مقابل أعمالكم الصالحة"[3].

---

(١) أخرجه الطبري: ١١٤/٢٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٢/٤-٥٣٣.

(٣) التفسير الميسر: ٥٧٩.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يقال لهؤلاء الأبرار حينئذ: إن هذا الذي أعطيناكم من الكرامة كان لكم ثوابا على ما كنتم في الدنيا تعملون من الصالحات"[١].

قال ابن كثير:" أي : يقال لهم ذلك تكريما لهم وإحسانا إليهم كقوله :{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الأَيَّامِ الْخَالِيَةِ} [الحاقة : ٢٤] وكقوله :{وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [الأعراف : ٤٣]"[٢].

قال السعدي:" {إِنَّ هَذَا} الجزاء الجزيل والعطاء الجميل {كَانَ لَكُمْ جَزَاءً} على ما أسلفتموه من الأعمال"[٣].

قوله تعالى:{وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} [الإنسان : ٢٢]، أي:" وكان عملكم في الدنيا عند الله مرضيًا مقبولا"[٤].

قال الطبري:" يقول: كان عملكم فيها مشكورا، حمدكم عليه ربكم، ورضيه لكم، فأثابكم بما أثابكم به من الكرامة عليه"[٥].

قال مقاتل:" يعني: شكر الله أعمالهم فأثابهم بها الجنة"[٦].

قال النسفي: أي" محموداً مقبولاً مرضياً عندنا حيث قلتم للمسكين واليتيم والأسير لا نريد منكم جزاء ولا شكوراً"[٧].

قال ابن كثير:" أي : جزاكم الله على القليل بالكثير"[٨].

قال القشيري:" وشكره لسعيهم تكثير الثواب على القليل من العمل- هذا على طريقة العلماء، وعند قوم شكرهم جزاؤهم على شكرهم، ويقال: شكره لهم ثناؤه عليهم بذكر إحسانهم على وجه الإكرام"[٩].

عن معمر، عن قتادة، قال: "تلا قتادة: {وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا}، قال: لقد شَكر الله سعيا قليلا"[١٠].

عن قتادة، قوله: "{إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا}، غفر لهم الذنب، وشكر لهم الحسن"[١١].

قال الماتريدي في الآية:" جائِز أن تكون هذه البشارة خرجت لأهلها في الدنيا، وجائز أن تكون لهم في الآخرة: أن هذا الذي أكرمتم به من الكرامات جزاء لعملكم وسعيكم في الدنيا"[١٢].

فوائد الآيات: [١٥-٢٢]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر صور الجزاء الأخروي.

٢- حرمة استعمال أواني الذهب والفضة لقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "هي لهم في الدنيا ولنا في الآخرة".

٣- حرمة الخمر لحديث "من شرب الخمر في الدنيا لا يشربها في الآخرة إن مات مستحلا لها"

٤- مشروعية اتخاذ خدم صالحين يخدمون المرء ويحسن إليهم.

---

(١) تفسير الطبري: ١١٥/٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٩٣/٨.
(٣) تفسير السعدي: ٩٠١.
(٤) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٥) تفسير الطبري: ١١٥/٢٤.
(٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٣/٤.
(٧) تفسير النسفي: ٥٨١/٣.
(٨) تفسير ابن كثير: ٢٩٣/٨.
(٩) لطائف الإشارات: ٦٦٨/٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٤.
(١٢) تأويلات أهل السنة: ٣٦٩/١٠.

٥- حرمة لبس الحرير على الرجال وإباحته للنساء، وكالحرير الذهب أيضا.

القرآن

{إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا (٢٣)} [الإنسان : ٢٣]

التفسير:

إنا نحن نَزَّلْنا عليك -أيها الرسول- القرآن تنزيلا من عندنا؛ لتذكر الناس بما فيه من الوعد والوعيد والثواب والعقاب.

قال ابن عباس:" مُتفرِّقًا آية بعد آية، ولم يُنزله جملة"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: إنا نحن نزلنا عليك يا محمد هذا القرآن تنزيلا ابتلاء منا واختبارا"(٢).

قال القشيري: أي:" في مدّة سنين"(٣).

قال البيضاوي: أي:" مفرقا منجما لحكمة اقتضته، وتكرير «الضمير» مع «أن» مزيد لاختصاص التنزيل به"(٤).

قال النسفي:" تكرير الضمير بعد إيقاهم اسما لأن تأكيد على تأكيد بمعنى اختصاص الله بالتنزيل ليستقر في نفس النبي صلى الله عليه وسلم أنه إذا كان هو المنزل لم يكن تنزيله مفرقاً إلا حكمة وصواباً ومن الحكمة الأمر بالمصابرة"(٥).

قال الماتريدي:" قيل: فرقنا عليك القرآن تفريقا، والحكمة في التفريق ما ذكر في آية أخرى في القرآن، وهو قوله: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ}، فأخبر أن في التفريق تثبيتا؛ فيكون الناس له أوعى وأعرف بمواقع النوازل منه من أن ينزل جملة واحدة"(٦).

قال مكحول: "إن القرآن جزء من اثنين وسبعين جزءا من النبوة"(٧).

عن ربيعة، قال: "إن الله تبارك وتعالى أنزل القرآن وترك فيه موضعا للسنة، وسن الرسول صلى الله عليه وسلم السنة وترك فيها موضعا للرأي"(٨).

القرآن

{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا (٢٤) وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٢٥)} [الإنسان : ٢٤-٢٥]

التفسير:

فاصبر لحكم ربك القدري واقبله، ولحكمه الديني فامض عليه، ولا تطع من المشركين من كان منغمسًا في الشهوات أو مبالغًا في الكفر والضلال، وداوم على ذكر اسم ربك ودعائه في أول النهار وآخره.

سبب النزول:

عن قتادة، قوله: "{وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا}، قال: نزلت في عدوّ الله أبي جهل"(٩).

---

(١)تفسير الثعلبي ١٠/ ١٠٦، وعقب الأثر: فلذلك قال: {نزّلنا}.
(٢) تفسير الطبري: ١١٥/٢٤.
(٣) لطائف الإشارات: ٦٦٨/٣.
(٤) تفسير البيضاوي: ٢٧٢/٥.
(٥) تفسير النسفي: ٥٨١/٣.
(٦) تأويلات أهل السنة: ٣٦٩/١٠.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(٢٨٣٩):ص٥٣٤/٢.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(٥٩٢٧):ص٤م١٠٥٨-١٠٥٩.
(٩) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٤.

عن معمر:" عن قتادة أنه بلغه أن أبا جهل قال: لئن رأيت محمدًا يصلي لأطأنّ عنقه، فأنزل الله: (وَلا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا}"[١].

قوله تعالى:{فَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ} [الإنسان : ٢٤]، أي:" فاصبر لحكم ربك القدري واقبله، ولحكمه الديني فامض عليه"[٢].

قال الطبري:" يقول: اصبر لما امتحنك به ربك من فرائضه، وتبليغ رسالاته، والقيام بما ألزمك القيام به في تنزيله الذي أوحاه إليك"[٣].

قال البيضاوي:" بتأخير نصرك على كفار مكة وغيرهم"[٤].

قال القشيري: " أي: ارض بقضائه، واستسلم لحكمه"[٥].

قال ابن كثير:" أي : كما أكرمتُكَ بما أنزلتُ عليك، فاصبر على قضائه وقَدَره، واعلم أنه سَيُدَبرك بحسن تدبيره"[٦].

قال مقاتل:" يعني: حتى يحكم الله بينك وبين أهل مكة، ولا تشتم إذا شتمت، ولا تغتظ إذا ضربت"[٧].

قال النسفي:" عليك بتبليغ الرسالة واحتمال الأذية وتأخير نصرتك على أعدائك من أهل مكة"[٨].

قال الماتريدي: "فيه أنه ابتلاه بما تكرهه نفسه، ويشتد عليها، حتى دعاه إلى الصبر؛ لأن المرء لا يدعى إلى الصبر على النعم واللذات، وإنما يدعى إليه إذا ابتلي بالمكاره البليّات، وقد صبر - عليه السلام - على المكاره؛ لأنه أمر بمضادة الجن والإنس؛ فانتصب لهم حتى آذوه كل الأذى، وهموا بقتله"[٩].

قوله تعالى:{وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا} [الإنسان : ٢٤]، أي:" ولا تطع من المشركين من كان منغمسًا في الشهوات أو مبالغًا في الكفر والضلال"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ولا تطع في معصية الله من مشركي قومك آثما يريد بركوبه معاصيه، أو كفورا: يعنى جحودا لنعمه عنده، وآلائه قِبَلَه، فهو يكفر به، ويعبد غيره. وقيل: إن الذي عني بهذا القول أبو جهل"[١١].

قال ابن كثير:" أي : لا تطع الكافرين والمنافقين إن أرادوا صَدّك عما أنزل إليك، بل بَلّغ ما أنزل إليك من ربك، وتوكل على الله ؛ فإن الله يعصمك من الناس. فالآثم هو الفاجر في أفعاله، والكفور هو الكافر بقلبه"[١٢].

قال الماتريدي: " كأنه قال: ولا تطع من دعاك إلى ما تأثم فيه، أو يكون كفورا. أو لا تجب الآثم أو الكفور إلى ما يدعوك إليه"[١٣].

قال القشيري: " وهذا أمر له بإفراد ربّه بطاعته"[١٤].

---

(١) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٣) تفسير الطبري: ١١٥/٢٤.
(٤) تفسير البيضاوي: ٢٧٢/٥.
(٥) لطائف الإشارات: ٦٦٨/٣.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٨.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٣/٤.
(٨) تفسير النسفي: ٥٨١/٣.
(٩) تأويلات أهل السنة: ٣٧٠/١٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(١١) تفسير الطبري: ١١٥/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٨.
(١٣) تأويلات أهل السنة: ٣٧٠/١٠.
(١٤) لطائف الإشارات: ٦٦٨/٣.

قال البيضاوي:"أي: كل واحد من مرتكب الإثم الداعي لك إليه ومن الغالي في الكفر الداعي لك إليه، و«أو» للدلالة على أنهما سيان في استحقاق العصيان والاستقلال به والتقسيم باعتبار ما يدعونه إليه، فإن ترتب النهي على الوصفين مشعر بأنه لهما وذلك يستدعي أن تكون المطاوعة في الإثم والكفر. فإن مطاوعتهما فيما ليس بإثم ولا كفر غير محظور"(١).

عن الحسن: "{ولا تُطِعْ مِنهُمْ آثِمًا} وهو المُنافق أظهر الإسلام وقلبه على الشّرك، {أوْ كَفُورًا} وهو المُشرك الجاحد"(٢).

عن ابن جريج:" {آثِمًا أوْ كَفُورًا}، قال: كان أبو جهل يقول: لَئِن رأيتُ محمدًا يُصلّي لأطأنّ على رقبته. فنَهاه أن يُطيعه"(٣).

قال ابن زيد:" الآثِم: المذنب الظالم والكفور، هذا كله واحد"(٤).

قال مقاتل:" {آثِمًا}: وهو الوليد ابن المغيرة بن هشام المخزومي قال:{ أوْ كَفُورًا}، «أو»: ها هنا صلة، و«الكفور»: هو عتبة بن ربيعة، وذلك أنهم خلوا به في دار الندوة، وفيهم عمرو ابن عمير بن مسعود الثقفي، فقالوا: يا محمد، أخبرنا لم تركت دين آبائك وأجدادك؟ فقال الوليد بن المغيرة: إن طلبت مالا أعطيتك نصف مالي على أن تدع مقالتك هذه. وقال أبو البختري بن هشام: واللات والعزى إن ارتد عن دينه لأزوجنه ابنتي فإنها أحسن النساء، وأجملهن جمالا، وأفصحهن قولا وأبلغهن علما، وقد علمت العزى بذلك، فسكت النبي- صلى الله عليه وسلم- عن ذلك فلم يجبهم شيئا. فقال ابن مسعود الثقفي: مالك لا تجيبنا إن كنت تخاف عذاب ربك وذمه أجرتك فضحك النبي- صلى الله عليه وسلم- عند ذلك، وقبض ثوبه وقام عنهم، وقال: أصعب أقوال وأضعف أعمال، فأنزل الله- عز وجل- : {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا} [الإنسان : ٢٣]، فيها تقديم، وتأخير، {وَلَا تُطِعْ مِنْهُمْ آثِمًا أَوْ كَفُورًا} [الإنسان : ٢٤] يعنى: الوليد بن المغيرة وأبا البختري بن هشام. وقال في قول عمرو بن عمير بن مسعود الثقفي: {قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا} [الجن : ٢٢] يعنى: لا يؤمن من عذابه أحد، ولن أجد من دونه مهربا، {إِلَّا بَلَاغًا مِنَ اللَّهِ وَرِسَالَاتِهِ} [الجن : ٢٣]، إلى آخر الآية"(٥).

قوله تعالى:{وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا} [الإنسان : ٢٥]، أي:" وداوم على ذكر اسم ربك ودعائه في أول النهار وآخره"(٦).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {وَاذْكُرْ} يا محمد {اسْمَ رَبِّكَ} فادعه به بكرة في صلاة الصبح، وعشيا في صلاة الظهر والعصر"(٧).

قال السمعاني:" أي: بالغدو والعشي"(٨).

قال ابن كثير:" أي : أولَ النهار وآخره"(٩).

قال الماتريدي: " البكرة: تحتمل صلاة الصبح، والأصيل: يحتمل صلاة الظهر والعصر"(١٠).

---

(١) تفسير البيضاوي: ٢٧٢/٥.
(٢)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٧٥ -.
(٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٤) أخرجه الطبري: ١١٥/٢٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٣/٤.
(٦) التفسير الميسر: ٥٧٩.
(٧) تفسير الطبري: ١١٦/٢٤.
(٨) تفسير السمعاني: ١٢٢/٦.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٨.
(١٠) تأويلات أهل السنة: ٣٧٠/١٠.

عن مجاهد:" {وسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وأصِيلًا}، يعني: قولوا: سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله"[١].

عن أبي العالية:" في قوله: {بكرة}، قال: صلاة الفجر، وقوله: {وأصيلا}، قال: صلاة العصر"[٢].

قال ابن زيد:" بكرة: صلاة الصبح، وأصيلا صلاة الظهر الأصيل"[٣].

عن قتادة:" {وسبحوه بكرة وأصيلا} [الأحزاب: ٤٢] قال: «صلاة الصبح وصلاة العصر»"[٤].

عن هلال بن يساف، قال: "كانت امرأة من همدان تسبح، وتحصيه بالحصى أو النوى، فقال لها عبد الله: ألا أدلك على خير مِن ذلك؟ تقولين: اللهُ أكبر كبيرًا، وسبحان الله بكرة وأصيلًا"[٥].

وفي بعض الغرائب من الأخبار:" أن النبي كان إذا صلى الغداة قال: «الله أكبر ثلاثا، وإذا صلى العصر قال: الله أكبر ثلاثا»"[٦].

القرآن

{وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا (٢٦)} [الإنسان : ٢٦]

التفسير:

ومن الليل فاخضع لربك، وصَلِّ له، وتهجَّد له زمنًا طويلا فيه.

قوله تعالى:{وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ} [الإنسان : ٢٦]، أي:" ومن الليل فاخضع لربك، وصَلِّ له"[٧].

قال الطبري:" يقول: ومن الليل فاسجد له في صلاتك"[٨].

قال السمعاني:" أي: صل له. وقيل: هو صلاة المغرب"[٩].

قوله تعالى:{وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا} [الإنسان : ٢٦]، أي:" وتهجَّد له زمنًا طويلا فيه"[١٠].

قال عطاء: "يريد أن صلاة الليل فريضة عليك يا محمد"[١١].

عن ابن عباس، قال:"كلّ تسبيح في القرآن فهو صلاة"[١٢].

قال مجاهد: "كل سُبْحَةٍ في القرآن: صلاة"[١٣].

قال الضحاك:" كل تسبيح في القرآن صلاة، إلا قوله: {سبحانك إني كنت من الظالمين}"[١٤].

عن ابن عباس، قوله: "{وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلا طَوِيلا}، يعني: الصلاة والتسبيح"[١].

---

(١)تفسير الثعلبي ٨/ ٥١، وتفسير البغوي ٦/ ٣٦٠.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٤٩٧٨):ص٢٦٦٤/٨.
(٣) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٤.
(٤) تفسير عبدالرزاق(٢٣٥٤):ص٤٢/٣.
(٥)عزاه السيوطي إلى ابن أبي شيبة.
(٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٢٢/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٨) تفسير الطبري: ١١٦/٢٤.
(٩) تفسير السمعاني: ١٢٢/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(١١) التفسير البسيط للواحدي: ٦١/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٩١/١٩.
(١٣) التفسير البسيط للواحدي: ٢٩/١٨.
(١٤)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قال الطبري:" يقول: فسبحه ليلا طويلا يعني: أكثر الليل، كما قال جلّ ثناؤه: {قُمِ اللَّيْلَ إلا قَلِيلا نِصْفَهُ أوِ انْقُصْ مِنْهُ قَلِيلا أوْ زِدْ عَلَيْهِ}"[٢].

قال الثعلبي:" يعني: التطوّع"[٣].

قال السمعاني:" هو التطوع من بعد صلاة العشاء الأخيرة إلى الصبح، وهذا على الندب والاستحباب"[٤].

قال النحاس:" هو منسوخ بزوال فرض صلاة الليل، وقيل: هو على الندب وقيل: هو خاص للنبي صلّى الله عليه وسلّم"[٥].

عن ابن زيد:" قوله: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلا طَوِيلا}، قال: كان هذا أوّل شيء فريضة. وقرأ: {يَا أَيُّهَا الْمُزَّمِّلُ قُمِ اللَّيْلَ إلا قَلِيلا نِصْفَهُ}، ثم قال: {إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ أَنَّكَ تَقُومُ أَدْنَى مِنْ ثُلُثَيِ اللَّيْلِ وَنِصْفَهُ وَثُلُثَهُ ... }، إلى قوله: {فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ ... }، إلى آخر الآية، ثم قال: مُحِي هذا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وعن الناس، وجعله نافلة فقال: {وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ}، قال: فجعلها نافلة"[٦].

القرآن

{إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا (٢٧)} [الإنسان : ٢٧]

التفسير:

إن هؤلاء المشركين يحبون الدنيا، وينشغلون بها، ويتركون خلف ظهورهم العمل للآخرة، ولما فيه نجاتهم في يوم عظيم الشدائد.

قوله تعالى:{إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ} [الإنسان : ٢٧]، أي:" إن هؤلاء المشركين يحبون الدنيا، وينشغلون بها"[٧].

قال القشيري:" أي: كفّار قريش"[٨].

قال الطبري:" إن هؤلاء المشركين بالله يحبون الدنيا، يقول: يحبون البقاء فيها وتعجبهم زينتها"[٩].

قال مقاتل:" يعني: الدنيا، لا يهمهم شيء إلا أمر الدنيا الذهب والفضة والبناء والثياب والدواب"[١٠].

قال النحاس:" أي: يحبون خير الدنيا"[١١].

قال الزمخشري:" يؤثرونها على الآخرة، كقوله: {بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا}"[١٢].

قال ابن كثير:" ثم قال : منكرًا على الكفار ومن أشبههم في حُبّ الدنيا والإقبال عليها والانصباب إليها، وترك الدار الآخرة وراء ظهورهم :{إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ..}"[١٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ١١٦/٢٤.
(٢) تفسير الطبري: ١١٦/٢٤.
(٣) الكشف والبيان: ١٠٧/١٠.
(٤) تفسير السمعاني: ١٢٣/٦.
(٥) إعراب القرآن: ٦٩/٥.
(٦) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٨) لطائف الإشارات: ٦٦٩/٣.
(٩) تفسير الطبري: ١١٧/٢٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٤.
(١١) إعراب القرآن: ٦٩/٥.
(١٢) الكشاف: ٦٧٥/٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٨.

عن قتادة:" {كَلَّا بَلْ يُحِبُّونَ العاجِلَة ويَذَرُونَ الآخِرَةَ}، قال: اختار أكثرُ الناس العاجلة، إلا مَن رَحِم الله وعَصَم"[١].

روي عن قتادة في قوله:" {مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ}..قال:" من كانت الدنيا همّه وسدمه وطلبته ونيته"[٢].

قوله تعالى:{وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا} [الإنسان : ٢٧]، أي:" ويتركون خلف ظهورهم العمل للآخرة، ولما فيه نجاتهم في يوم عظيم الشدائد"[٣].

قال الطبري:" يقول: ويدعون خلف ظهورهم العمل للآخرة، وما لهم فيه النجاة من عذاب الله يومئذ"[٤].

قال ابن كثير:" يعني : يوم القيامة"[٥].

قال القشيري:" أي: لا يعملون ليوم القيامة"[٦].

عن سفيان: "{وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلا}، قال: الآخرة"[٧].

قال السمعاني:" هو يوم القيامة، وتركهم له هو تركهم العمل والسعي له. وقوله: {ثقيلا} يجوز أن يكون سماه ثقيلا لشدة الهول والفزع فيه، ويجوز أن يكون سماه ثقيلا لفصل القضاء فيه بين العباد وعدله معهم، وهو في غاية الثقل عليهم إلا من تداركه الله بفضله"[٨].

قال الزمخشري:" {وَراءَهُمْ}: قدّامهم أو خلف ظهورهم لا يعبئون به، {يَوْماً ثَقِيلًا} استعير الثقيل لشدّته وهو له، من الشيء الثقيل الباهظ لحامله. ونحوه: {ثَقُلَتْ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْض}"[٩].

قال مقاتل:" {وَرَاءَهُمْ} يعني: أمامهم، وكل شيء في القرآن «وراءهم»، يعني: أمامهم، {يَوْمًا ثَقِيلا}، لأنها تثقل على الكافرين إذا حشروا وإذا وقفوا وإذا حاسبوهم، وإذا جازوا الصراط فهي مقدار ثلاثمائة سنة وأربعين سنة فأما المؤمن فإنه ييسر الله خروجه من قبره وإذا حشره وإذا حاسبه، وإذا جاز الصراط، فذلك قوله: {يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ(٩) {عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ} [المدثر : ١٠]"[١٠].

قال النحاس:" وقيل: «وراء» بمعنى: «قدّام»، ومن يمنع من الأضداد يجيز هذا لأن وراء مشتقّ من توارى فهو يقع لما بين يديك وما خلفك. وقيل: التقدير: ويذرون وراءهم عمل يوم ثقيل. أي: لا يعملون للآخرة"[١١].

القرآن

{نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا (٢٨)} [الإنسان : ٢٨]

التفسير:

نحن خلقناهم، وأحكمنا خلقهم، وإذا شئنا أهلكناهم، وجئنا بقوم مطيعين ممتثلين لأوامر ربهم.

قوله تعالى:{نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ} [الإنسان : ٢٨]، أي:" نحن بقدرتنا أو جدناهم من العدم"[١٢].

---

(١)أخرجه الطبري: ٧١/٢٤. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(٢) أخرجه الطبري: ١٠٩/١٧.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٤) تفسير الطبري: ١١٧/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٨.
(٦) لطائف الإشارات: ٦٦٩/٣.
(٧) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٤.
(٨) تفسير السمعاني: ١٢٣/٦.
(٩) الكشاف: ٦٧٥/٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٤.
(١١) إعراب القرآن: ٦٩/٥.
(١٢) صفوة التفاسير: ٤٧٢/٣.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: نَحْنُ خَلَقْنَا هؤلاء المشركين بالله المخالفين أمره ونهيه"[١].

قال مقاتل:" في بطون أمهاتهم وهم نطفة"[٢].

قوله تعالى:{وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ} [الإنسان : ٢٨]، أي:" وأحكمنا خلقهم"[٣].

وفي قوله تعالى:{وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ} [الإنسان : ٢٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : يعني: مفاصلهم ، قاله أبو هريرة [٤]،قاله الحسن[٥]، والربيع[٦].

عن الربيع بن أنس، "{وشَدَدْنا أسْرَهُمْ}، قال: مفاصلهم"[٧].

قال ابن زيد، سمعته - يعني: خلادا - يقول: سمعت أبا سعيد، وكان قرأ القرآن على أبي هريرة قال: ما قرأت القرآن إلا على أبي هريرة، هو أقرأني، وقال في هذه الآية: {وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ}، قال: هي المفاصل"[٨].

الثاني : يعني: خلقهم، قاله ابن عباس[٩]، ومجاهد[١٠]، وقتادة[١١]، وبه قال الفراء[١٢]، وابن قتيبة[١٣]، والزجاج[١٤]، والطبري[١٥]، قال لبيد[١٦]:

ساهم الوجه شديد أسْرُهُ ... مُغبَط الحارِكِ مَحبوكُ الكَفلُ

عن ابن عباس، قوله: "{نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ}، يقول: شددنا خلقهم"[١٧].

عن مجاهد، وقتادة: "{وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ}، قال: خَلقهم"[١٨].

قال الطبري: أي:" وشددنا خلقهم، وشددنا خلقهم، من قولهم: قد أُسِر هذا الرجل فأحسِن أسره، بمعنى: قد خلِقَ فأحسِن خَلْقه.. ومنه قول العامة: خذه بأسره: أي هو لك كله"[١٩].

قال الفراء:" الأسر: الخَلْق. تَقُولُ: لقد أُسِر هَذَا الرجل أحسنُ الأسر، كقولك: خُلِقَ أحْسَن الخَلْق"[٢٠].

قال ابن قتيبة:" يقال: امرأةٌ حسنةُ الأسْرِ؛ أي حسنة الخَلْق: كأنها أُسِرت، أي شُدَّتْ. وأصل هذا من «الإسار»، وهو: القِدُّ الذي يُشَدُّ به الأقْتَابُ. يقال: ما أحسَنَ ما أسَرَ قَتَبَهُ! أي ما أحسن ما شَدَّه بالقِدِّ ! وكذلك: امرأةٌ حسنة العَصَب، إذا كانت مُدْمَجَة الخَلْق: كأنها عُصِّبَتْ، أي شُدَّت"[٢١].

---

(١) تفسير الطبري: ١١٧/٢٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٤.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١١٨/٢٤.
(٥)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد.
(٦) انظر: الكشف والبيان: ١٠٧/١٠، وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر
(٧) انظر: الكشف والبيان: ١٠٧/١٠، وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر
(٨) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١١٧/٢٤-١١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١١٨/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١١٨/٢٤.
(١٢) انظر: معاني القرآن: ٢٢٠/٣.
(١٣) انظر: غريب القرآن: ٥٠٤.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٦٣/٥.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١١٧/٢٤، ١١٨.
(١٦)البيت في "ديوان لبيد بن ربيعة" ص ١٤٤، "تهذيب اللغة" ٤/ ٩٧ (حرك) والحارك: أعلى الكاهل.
(١٧) أخرجه الطبري: ١١٧/٢٤-١١٨.
(١٨) أخرجه الطبري: ١١٨/٢٤.
(١٩) تفسير الطبري: ١١٧/٢٤، ١١٨.
(٢٠) معاني القرآن: ٢٢٠/٣.
(٢١) غريب القرآن: ٥٠٤.

الثالث : أن «الأسر»: القوة ، قاله ابن زيد[١]، قال ابن أحمر في وصف فرس[٢]:
يمشي لأوظفةٍ شدادٍ أسْرُها ... صُمٍّ السنابِك لاتقى بالجَدْجَدِ
قال الثعلبي: أي:" قوّينا وحكمنا"[٣].
الرابع: أنه موضع الحديث. حكاه النحاس[٤].
الخامس: يعني: أوصالهم بعضها إلى بعض بالعروق والعصب. قاله الحسن[٥].
وقال الزمخشري:" الأسر: الربط والتوثيق. ومنه: أسر الرجل إذا أوثق بالقدّ وهو الإسار. وفرس مأسور الخلق. وترس مأسور بالعقب[٦]. والمعنى: شددنا توصيل عظامهم بعضها ببعض، وتوثيق مفاصلهم بالأعصاب. ومثله قولهم: جارية معصوبة الخلق ومجدولته"[٧].
السادس : يعني: أسرة الشباب وما خلق الله شيئا أحسن من الشباب، منور الوجه أسود الشعر واللحية قوى البدن. قاله مقاتل[٨].
السابع: -ما رواه عبد الوهاب بن مجاهد، عن أبيه : قال: "{وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ}: قال: الشَرْج"[٩].
قال الألوسي تعقيبًا على هذا القول: "وفسر بمجرى الفضلة، وشد ذلك، جعله بحيث إذا خرج الأذى انقبض، ولا يخفى أن هذا داخل في شدة الخلق وكونه موثقًا حسنًا"[١٠].
قال النحاس:" ومن أحسن ما قيل فيه قول ابن عباس ومجاهد وقتادة قالوا: «أسرهم خلقهم»، يكون من قولهم: ما أحسن أسر هذا الرجل أي خلقه ومن هذا أخذه بأسره أي بجملته وخلقته لم يبق منه شيئا"[١١].
قوله تعالى:{وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَا أَمْثَالَهُمْ تَبْدِيلًا} [الإنسان : ٢٨]، أي:" وإذا شئنا أهلكناهم، وجئنا بقوم مطيعين ممتثلين لأوامر ربهم"[١٢].
قال الطبري:" يقول: وإذا نحن شئنا أهلكنا هؤلاء وجئنا بآخرين سواهم من جنسهم أمثالهم من الخلق، مخالفين لهم في العمل"[١٣].
وقال ابن كثير:" أي : وإذا شئنا بعثناهم يوم القيامة، وبَدلناهم فأعدناهم خلقا جديدا. وهذا استدلال بالبداءة على الرجعة "[١٤].
قال ابن زيد:" بني آدم الذين خالفوا طاعة الله، قال: وأمثالهم من بني آدم"[١٥].
وقال مقاتل: يعني" ذلك السواد[أي: سواد الشباب] والنور، بالبياض والضعف {تبديلا} من السواد حتى لا يبقى شيء منه إلا البياض"[١٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١١٨/٢٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ١٧٣/٦، وتفسير القرطبي: ١٥١/١٩.
(٣) الكشف والبيان: ١٠٧/١٠.
(٤) انظر: إعراب القرآن: ٦٩/٥.
(٥) انظر: الكشف والبيان: ١٠٧/١٠.
(٦)في الصحاح: العقب- بالتحريك-: العصب: الذي تعمل منه الأوتار، الواحدة عقبة، تقول منه: عقبت السهم والقدح والقوس: إذا لويت شيئا منه عليه.
(٧) الكشاف: ٦٧٥/٤.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٤.
(٩) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٢٦١/٢٨، ذكره الواحدي في "الوسيط" ٤/ ٤٠٦، والسمعاني في "تفسير القرآن" ٦/ ١٢٣، والبغوي في "معالم التنزيل" ٨/ ٣٠٠، والقرطبي في "الجامع" ١٩/ ١٤٩.
(١٠)روح المعاني" ٢٩/ ١٦٧.
(١١) إعراب القرآن: ٦٩/٥.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(١٣) تفسير الطبري: ١١٨/٢٤-١١٩.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٨.
(١٥) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٤.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٤.

قال ابن عباس-في رواية أبي صالح-: "يقول لو نشاء لاهلكناهم وجينا بأطوع لله منهم"[١].

وروي الضحاك عن ابن عباس: "لغيرنا محاسنهم إلى أسمج الصور وأقبحها"[٢].

القرآن

{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا (٢٩) وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا (٣٠) يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا (٣١)} [الإنسان : ٢٩-٣١]

التفسير:

إن هذه السورة عظة للعالمين، فمن أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ بالإيمان والتقوى طريقًا يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه. وما تريدون أمرًا من الأمور إلا بتقدير الله ومشيئته. إن الله كان عليمًا بأحوال خلقه، حكيمًا في تدبيره وصنعه. يُدْخل مَن يشاء مِن عباده في رحمته ورضوانه، وهم المؤمنون، وأعدَّ للظالمين المتجاوزين حدود الله عذابًا موجعًا.

قوله تعالى:{إِنَّ هَذِهِ تَذْكِرَةٌ} [الإنسان : ٢٩]، أي:" إن هذه السورة عظة للعالمين"[٣].

قال الطبري:" يقول: إن هذه السورة تذكرة لمن تذكر واتعظ واعتبر"[٤].

قال قتادة:" إن هذه السورة تذكرة"[٥].

قال القشيري:" أي: القرآن تذكرة"[٦].

قال النحاس:" أي: هذه الأمثال والقصص"[٧].

وقال مقاتل: يعني :"إن هذا السواد والحسن والقبح تذكرة، يعني: عبرة"[٨].

قوله تعالى:{فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلًا} [الإنسان : ٢٩]، أي:" فمن أراد الخير لنفسه في الدنيا والآخرة اتخذ بالإيمان والتقوى طريقًا يوصله إلى مغفرة الله ورضوانه"[٩].

قال الطبري:" يقول: فمن شاء أيها الناس اتخذ إلى رضا ربه بالعمل بطاعته، والانتهاء إلى أمره ونهيه"[١٠].

قال الفراء:" وجهة وطريقًا إلى الخير"[١١].

قال ابن كثير:" أي: طريقا ومسلكا، أي : من شاء اهتدى بالقرآن، كقوله :{وَمَاذَا عَلَيْهِمْ لَوْ آمَنُوا بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَنْفَقُوا مِمَّا رَزَقَهُمُ اللَّهُ وَكَانَ اللَّهُ بِهِمْ عَلِيمًا} [النساء : ٣٩]"[١٢].

قال النحاس:" أي: فمن شاء اتّخذ إلى رضاء ربه طريقا بطاعة الله عزّ وجلّ والانتهاء عن معاصيه"[١٣].

وقال مقاتل: "يعني: فمن شاء اتخذ في هذه التذكرة، فيعتبر فيشكر الله ويوحده، ويتخذ طريقا إلى الجنة"[١].

---

(١) تفسير القرطبي: ١٥٢/١٩.
(٢) تفسير القرطبي: ١٥٢/١٩.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٤) تفسير الطبري: ١١٩/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١١٩/٢٤.
(٦) لطائف الإشارات: ٦٦٩/٣.
(٧) إعراب القرآن: ٧٠/٥.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٤.
(٩) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(١٠) تفسير الطبري: ١١٩/٢٤.
(١١) معاني القرآن: ٢٢٠/٣.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٨.
(١٣) إعراب القرآن: ٧٠/٥.

عن قتادة:" {فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلا}، بطاعة الله"[٢].

قوله تعالى:{وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ} [الإنسان : ٣٠]، أي:" وما تريدون أمرًا من الأمور إلا بتقدير الله ومشيئته"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {وَما تَشاءُونَ} اتخاذ السبيل إلى ربكم أيها الناس {إلا أنْ يَشَاءَ اللَّهُ} ذلك لكم لأن الأمر إليه لا إليكم"[٤].

قال الزجاج:" أي: لستم تشاءون إلا بمشيئة اللَّه"[٥].

قال ابن كثير:" أي : لا يقدر أحد أن يَهدي نفسه، ولا يدخل في الإيمان ولا يجر لنفسه نفعًا، {إلا أنْ يَشَاءَ اللَّهُ}"[٦].

قال النحاس:" {وَما تَشاؤُنَ} اتّخاذ السبيل إلا بأن يشاء الله ذلك، لأن المشيئة إليه"[٧].

وفي قراءة عبد الله: «وَما تَشاءُونَ إلا مَا شَاءَ اللَّهُ»"[٨].

عن الربيع، قال: "سمعتُ الشافعي يقول: لأن يَلقى اللهَ العبدُ بكلِّ ذنب ما خلا الشّرك خيرٌ من أن يَلقاه بشيء من هذه الأهواء. وذلك أنه رأى قومًا يَتجادلون في القَدَر بين يديه، فقال الشافعي: في كتاب الله المشيئة دون خَلْقه، والمشيئة إرادة الله، يقول الله تعالى: {وما تشاءون إلا أن يشاء الله} فأعلم خَلْقه أنّ المشيئة له"[٩].

قوله تعالى:{إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا} [الإنسان : ٣٠]، أي:" إن الله كان عليمًا بأحوال خلقه، حكيمًا في تدبيره وصنعه"[١٠].

قال الطبري:" فلن يعدو منكم أحد ما سبق له في علمه بتدبيركم"[١١].

قال النحاس:" {إِنَّ اللَّهَ كانَ عَلِيماً}، أي: بما يشاء أن يتّخذ إلى رضاه طريقا، {حَكِيماً} في تدبيره، لا يقدر أحد أن يخرج عنه"[١٢].

قال ابن كثير:" أي : عليم بمن يستحق الهداية فَيُيَسّرها له، ويقيض له أسبابها، ومن يستحق الغواية فيصرفه عن الهدى، وله الحكمة البالغة، والحجة الدامغة "[١٣].

عن محمد بن إسحاق، قوله: "{عليم}، أي: عليم بما تخفون"[١٤]، "قوله: {حكيم}، في عذره وحجته إلى عباده"[١٥].

عن أبي العالية في قوله: "{حكيم}، قال: حكيم في أمره"[١٦].

قوله تعالى:{يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ} [الإنسان : ٣١]، أي:" يُدْخل مَن يشاء مِن عباده في رحمته ورضوانه، وهم المؤمنون"[١٧].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٣٥/٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٦٩٧/٢٣.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٤) تفسير الطبري: ١١٩/٢٤.
(٥) معاني القرآن: ٢٦٤/٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٨.
(٧) إعراب القرآن: ٧٠/٥.
(٨) تفسير الطبري: ١١٩/٢٤.
(٩)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٩/ ١١٢، والبيهقي في القضاء والقدر ٣/ ٨٣٠.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(١١) تفسير الطبري: ١١٩/٢٤.
(١٢) إعراب القرآن: ٧٠/٥.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٨.
(١٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٣):ص٢١٠٤/٧.
(١٥) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٥):ص٢١٠٤/٧.
(١٦) أخرجه ابن ابي حاتم(١١٣٤٤):ص٢١٠٤/٧.
(١٧) التفسير الميسر: ٥٨٠.

قال الطبري:" يقول: يدخل ربكم من يشاء منكم في رحمته، فيتوب عليه حتى يموت تائبا من ضلالته، فيغفر له ذنوبه، ويُدخله جنته"[١].

قال ابن كثير:" أي : يهدي من يشاء ويضل من يشاء، ومن يهده فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له"[٢].

قوله تعالى:{وَالظَّالِمِينَ أَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا} [الإنسان : ٣١]، أي:" وأعدَّ للظالمين المتجاوزين حدود الله عذابًا موجعًا"[٣].

قال الطبري:" يقول: الذين ظلموا أنفسهم، فماتوا على شركهم، أعدّ لهم في الآخرة عذابا مؤلما موجعا، وهو عذاب جهنم"[٤].

قال القشيري:" أي: عذابا أليما موجعا يخلص وجعه إلى قلوبهم"[٥].

قال أبو العالية:" الأليم: الموجع في القرآن كله"[٦]، وروي عن سعيد بن جبير، وأبي مالك، والضحاك، وقتادة، وأبي عمران الجوني، نحو ذلك[٧].

فوائد الآيات: [٢٣-٣١]:

١- حرمة طاعة ذوي الإثم وأهل الكفر في حال الاختيار.

٢- على المؤمن أن يستعين بالصلاة والذكر والدعاء فإنها نعم العون.

٣- استحباب نافلة الليل.

٤- مشيئة الله عز وجل قبل فوق كل مشيئة.

٥- القرآن تذكرة للمؤمنين.

«آخر تفسير سورة (الإنسان)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) تفسير الطبري: ١١٩/٢٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٢٩٤/٨.

(٣) التفسير الميسر: ٥٨٠.

(٤) تفسير الطبري: ١١٩/٢٤.

(٥) لطائف الإشارات: ٦٦٩/٣.

(٦) أخرجه ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

(٧) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(٤٤٥١):ص٨٢٣/٣.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «المرسلات»

«سورة المرسلات» هي السورة السابعة والسبعون بحسب الرسم القرآني، وهي السورة الأولى من المجموعة الثامنة من قسم المفصل، بعد سورة «الهمزة» ، وقبل سورة «ق»[١]، وآياتها خمسون. وكلماتها مائة وإحدى وثمانون. وحروفها ثمانمائة وستة عشر. مجموع فواصل آياتها «عبرتم لنا»، على اللام {الْفَصْلِ} [المرسلات : ١٣]، {الْفَصْلِ} [المرسلات : ١٤]، في الموضعين، وعلى الراء {كَالْقَصْرِ} [المرسلات : ٣٢]، و{صُفْرٌ} [المرسلات : ٣٣] ، وعلى الباء {ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ} [المرسلات : ٣٠]، و {اللَّهَبِ} [المرسلات : ٣١][٢].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة المرسلات»:**

وردت هذه التسمية عند السلف، وسميت بذلك في المصاحف وكتب التفسير، وذلك لافتتاحها بالقسم الإلهي بالمرسلات وهي الرياح كما قال تعالى: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١)} [المرسلات : ١].

كما سميت السورة «والمرسلات»، بإضافة واو القسم إليها، كما عند الطبري في تفسيره.

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة والمرسلات عرفا»:**

وردت هذه التسمية في عهد الصحابة-رضوان الله تعالى عليهم-، كما عند ابن مسعود[٣]، وهي تسمية للسورة بأول آية افتتحت فيها، قال تعالى: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١)} [المرسلات : ١].

- **الاسم الثاني: «سورة العرف»:**

وردت هذه التسمية دون إسناد عند البقاعي[٤]، وشهاب الدين الخفاجي[٥]، والألوسي[٦]، والقاسمي[٧].

ولعلهم سموها بلفظ وقع في أولها وهو مأخوذ من قوله تعالى: {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} [المرسلات : ١].

وهذا الاسم والذي قبله هما اجتهاديان لم يثبتا عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، في خبر صحيح.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

في مكان نزول السورة، قولان:

أحدها: أنها مدنيّة كلّها، قاله ابن عباس[٨].وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٩].

---

(١) انظر: التفسير الوسيط للطنطاوي: ٢٣١/١٥.

(٢) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٥/١.

(٣) انظر: صحيح البخاري(١٨٣٠):ص١٤/٣. كما سيأتي في فضائل السورة.

(٤) انظر: مَصَاعِدُ النَّظَرِ لِلإِشْرَافِ عَلَى مَقَاصِدِ السُّوَرِ: ١٤٦/٣.

(٥) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوي: ٢٩٤/٨.

(٦) انظر: روح المعاني: ١٨٧/١٥.

(٧) انظر: محاسن التأويل: ٣٨١/٩.

(٨) انظر: الدر المنثور: ٣٨٠/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٩) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.

الثاني: أن فيها آية مدنيّة، وهي قوله عزّ وجلّ: {وَإِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ} [المرسلات: ٤٨]. حكي هذا القول عن ابن عباس[١]، وقتادة[٢]، ومقاتل[٣].

قال ابن عاشور:" هي مكية عند جمهور المفسرين من السلف، وذلك ظاهر حديث ابن مسعود المذكور آنفا[٤]، وهو يقتضي أنها من أوائل سور القرآن نزولا لأنها نزلت والنبيء صلى الله عليه وسلم مختف في غار بمنى مع بعض أصحابه.. عن ابن عباس وقتادة: أن آية {وَإِذا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ} [المرسلات: ٤٨] مدنية نزلت في المنافقين، ومحمل ذلك أنه تأويل ممن رواه عنه نظرا إلى أن الكفار الصرحاء لا يؤمرون بالصلاة، وليس في ذلك حجة لكون الآية مدنية فإن الضمير في قوله: {وَإِذا قِيلَ لَهُمُ} [المرسلات: ٤٨] وارد على طريقة الضمائر قبله وكلها عائدة إلى الكفار وهم المشركون. ومعنى «قيل لهم اركعوا»: كناية عن أن يقال لهم: أسلموا. ونظيره قوله تعالى: {وَقَدْ كَانُوا يُدْعَوْنَ إِلَى السُّجُودِ وَهُمْ سَالِمُونَ} [القلم : ٤٣]، فهي في المشركين وقوله: {قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ} [المدثر : ٤٣] إلى قوله: {وَكُنَّا نُكَذِّبُ بِيَوْمِ الدِّينِ} [المدثر : ٤٦]"[٥].

وقال مقاتل: "نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصلاة فقالوا لا نحني فإنها مسبّة علينا فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لا خير في دين ليس فيه ركوع ولا سجود»"[٦].

قال ابن عاشور:" وهذا أيضا أضعف، وإذا صح ذلك فإنما أراد مقاتل أن النبيء صلى الله عليه وسلم قرأ عليهم الآية"[٧].

مناسبة السورة لما قبلها:

من مناسبتها لما قبلها:

١- أن الله قد ذكر في آخر سورة الإنسان ظرفًا من تهديد الكفار بالعذاب في الآخرة: {إِنَّ هَؤُلَاءِ يُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ وَيَذَرُونَ وَرَاءَهُمْ يَوْمًا ثَقِيلًا} [الإنسان : ٢٧]، وأتي في أول سورة «والمرسلات» بمزيد من الوعيد والعذاب للكفار حتى استغرق هذا أكثر السورة، وذلك من أولها إلى الآية الأربعين، فكأن هذه الآيات من سورة «المرسلات» امتداد لآخر سورة الإنسان.

٢- أن سورة «الإنسان» قد ضم أكثرها جزاءَ المحسنين بدءًا من الآية الخامسة: {إِنَّ الْأَبْرَارَ يَشْرَبُونَ مِنْ كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُورًا} [الإنسان : ٥]، إلى الآية الثانية والعشرين: {إِنَّ هَذَا كَانَ لَكُمْ جَزَاءً وَكَانَ سَعْيُكُمْ مَشْكُورًا} [الإنسان : ٢٢]، وفي سورة

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.

(٢) انظر: زاد المسير: ٣٨٢/٤.

(٣) انظر: الكشف والبيان: ١١١/١٠-١١٢، وزاد المسير: ٣٨٢/٤.

(٤) سوف يأتي في فضائل السورة.

(٥) التحرير والتنوير: ٤١٨/٢٩.

(٦) الحديث بهذا اللفظ نقلا عن: الكشف والبيان: ١١١/١٠-١١٢.

والحديث ضعيف. أخرجه أبو داود ٣٠٢٦ وأحمد(١٧٩١٣):ص٤٣٨/٢٩، من حديث عثمان بن أبي العاص وليس فيه سبب نزول، وحسّن إسناده الأرناؤوط في «جامع الأصول» ٦١٧٥. وخالفه الألباني فذكره في ضعيف أبي داود ٦٥٢ و «الضعيفة» ٤٣١٩ وعلته عنعنه الحسن، وهو مدلس.

(٧) التحرير والتنوير: ٤١٩/٢٩.

ونص الحديث:

عن عثمان بن أبي العاص، أن وفد ثقيف قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأنزلهم المسجد ليكون أرق لقلوبهم، فاشترطوا على النبي صلى الله عليه وسلم أن لا يحشروا، ولا يعشروا، ولا يجبوا، ولا يستعمل عليهم غيرهم، قال: فقال: " إن لكم أن لا تحشروا، ولا تعشروا، ولا يستعمل عليكم غيركم ". وقال النبي صلى الله عليه وسلم: " لا خير في دين لا ركوع فيه "

«المرسلات» جاءَ ذكر ثواب المتقين في صورة مجملة: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} [المرسلات : ٤١]، فالسورتان تلتقيان في وعد المؤمنين ووعيد الكافرين. (١).

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تتمثل مقاصد سورة المرسلات الإجمالية في الدلالة على آخرة الإنسان من إثابة الشاكرين بالنعيم، وإصابة الكافرين بعذاب الجحيم، في يوم الفصل بعد جمع الأجساد وإحياء العباد عندما يُطوى هذا الوجود ويغير العالم المعهود بما له سبحانه من القدرة على إنبات النبات وإنشاء الأقوات وإنزال العلوم وإيساع الفهوم لإحياء الأرواح بأسباب خفية وعلل مرئية وغير مرئية، وتطوير الإنسان في أطوار الأسنان، وإيداع الإيمان فيما يرضى من الأبدان، وإيجاد الكفران في أهل الخيبة والخسران، مع اشتراك الكل في أساليب هذا القرآن، الذي عجز الإنس والجان، عن الإتيان بمثل آية منه على كثرتهم ومهما تطاول الزمان.

وقد جاءت مقاصد سورة المرسلات تفصيلاً كالتالي:

١- استهلال السورة بالقسم العظيم من الله تعالى بملائكة العذاب التي يرسلها الله على الكافرين، وريح العذاب التي يرسلها على العصاة، وعندما يقسم الله بأحد مخلوقاته فإن ذلك تعظيما لشأنه ونظرا لأهمية المهمة التي أوكلها الله إليه، بينما لا يجوز للعباد القسم بغير الله تعالى.

٢- تذكير الإنسان بأصله وفي ذلك رسالة فحواها على الإنسان أن يؤمن بقدرة الله تعالى على إحيائه بعد موته ومجازاته على ما ارتكب، لأنه خلقه ابتداء من العدم، والقادر على البدء بالطبع يكون أقدر على الإعادة.

٣- بيان قدرة الله -سبحانه وتعالى- في خلق الأرض شاملة جميع الأحياء والأموات، وما خلق الله -سبحانه وتعالى- من جبال، وخلق الماء الذي هو أصل الحياة.

٤- تصوير الأهوال التي ستحل على الكون يوم القيامة، والحديث عن العديد من التغيرات التي ستطرأ على السماوات وما فيها وعلى الأرض وما فيها.

٥- تحذير المكذبين بالرسالات ومن ينكرون البعث والجزاء بعد الموت، وذلك من خلال استعراض مصير المجرمين وما ينتظرهم من العقاب والنكال في جهنم.

٦- توبيخ الكافرين على التكذيب والإجرام.

٧- الترغيب في الإيمان والتقوى، حيث تتحدث الآيات عن حال المؤمنين وما أعده الله لهم من التنعيم والتكريم في جنان الخلد.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: القسم بوقوع القيامة، والخبر عن إهلاك القرون، الماضية، والمنة على الخلائق بإيجادهم في الابتداء، وإدخال الأجانب فى النار، وصعوبة عقوبة الحق إياهم وأنواع كرامة المؤمنين في الجنة، والشكاية عن الكفار بإعراضهم عن القرآن في قوله: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المرسلات : ٥٠] "(٢).

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة كلها لم يدخلها ناسخ ولا منسوخ (٣).

- **فضائل السورة:**

- عن عبد الله رضي الله عنه، قال: بينما نحن مع النبي صلى الله عليه وسلم في غار بمنى، إذ نزل عليه: «والمرسلات» وإنه ليتلوها، وإني لأتلقاها من فيه، وإن فاه لرطب

---

(١) انظر: التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٧٢١/١٠.
(٢)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٥/١.
(٣) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٣.

بها إذ وثبت علينا حية، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «اقتلوها»، فابتدرناها، فذهبت، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «وقيت شركم كما وقيتم شرها»[١].

- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصدِّيق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شِبتَ! قال: قال رسول الله: "«شيبتني «هود»، و«الواقعة»، و«المرسلات»، و«عم يتساءلون»، و«إذا الشمس كورت»"[٢].
- عن ابن عباس قال: "إن أم الفضل بنت الحارث، سمعته وهو يقرأ {وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا}، فقالت: يا بني لقد ذكرتني بقراءتك هذه السورة. إنها لآخر ما سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقرأ بها في المغرب"[٣].
- روى الأسود بن يزيد عن عبد الله بن مسعود: "قرأت «وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفاً» على رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة الجن ونحن نسير"[٤].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة والمرسلات كتب أنه ليس من المشركين» [٥].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) صحيح البخاري(١٨٣٠):ص١٤/٣، وصحيح مسلم(٢٢٣٤):١٧٥٥/٤.

(٢)أخرجه الترمذي وحسنه فى (كتاب التفسير - سورة الواقعة) والحاكم فى المستدرك (٢/ ٣٤٣) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي فى الدلائل (١/ ٣٥٧) والبغوي فى شرح السنة (١٤/ ٣٧٢) وفى التفسير، كلهم من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

ورواه أيضا الطبراني في الكبير (١٠٠٩١)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩)، والمروزي في "مسند أبي بكر" (٣٠ - ٣٢)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٤٣٦)، وابن عساكر (٤/ ١٧٢،١٧٣) والحديث غير ثابت وعلله أكثر الأئمة، وانظر علل الدارقطني (١/ ١٩٣ - ٢١١)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٧٧٤ - ٧٧٦)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٣) صحيح مسلم(٤٦٢):ص٣٣٨/١.

(٤) انظر: الكشف والبيان: ١٠٨/١٠.

(٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٠٨/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٢٧/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

القرآن

{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا (١) فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا (٢) وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا (٣) فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا (٤) فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا (٦) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ (٧)} [المرسلات : ١ - ٧]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالرياح حين تهب متتابعة يقفو بعضها بعضًا، وبالرياح الشديدة الهبوب المهلكة، وبالملائكة الموكلين بالسحب يسوقونها حيث شاء الله، وبالملائكة التي تنزل من عند الله بما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام، وبالملائكة التي تتلقى الوحي من عند الله وتنزل به على أنبيائه; إعذارًا من الله إلى خلقه وإنذارًا منه إليهم ; لئلا يكون لهم حجة. إن الذي توعدون به مِن أمر يوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء لنازلٌ بكم لا محالة.

قوله تعالى:{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} [المرسلات : ١]، أي:" أُقسم بالرياح حين تهبُّ متتابعة، يقفوا بعضها إثر بعض"[١].

اختلف في تفسير قوله تعالى:{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا} [المرسلات : ١]، على وجوه:

أحدها : أنهم الرسل يرسلون بما يُعرفون به من المعجزات ، وهذا قول أبي صالح[٢]، وهو قول ابن عباس في رواية عطاء[٣]، وحكاه الزجاج[٤].

قال عطاء عن ابن عباس: "يريد الأنبياء أرسلوا بلا إله إلا الله"[٥].

عن أبي صالح في قوله: "{وَالْمُرْسَلَاتِ عُرْفًا}، قال: هي الرسل ترسل بالعُرف"[٦].

قال ابن عطية:" قال كثير من المفسرين: {الْمُرْسَلَاتِ}، الرسل إلى الناس من الأنبياء كأنه قال: والجماعات المرسلات"[٧].

الثاني: أنها الرياح يَتْبَعُ بعضُها بعضاً، رواه أبو العُبَيْدَين عن ابن مسعود[٨]، والعوفي عن ابن عباس[٩]، وبه قال الحسن[١٠]، ومجاهد[١١]، وقتادة[١٢]، وأبو صالح[١٣]، وبه قال ابن كثير[١٤].

قال الواحدي:" يدل على صحة هذا القول: قوله: {يُرْسِلُ الرِّيَاحَ} [الأعراف : ٥٧]، {وَأَرْسَلْنَا الرِّيَاحَ} [الحجر: ٢٢]، فالله يرسلها، وهي مرسلات"[١٥].

عن الحسن:" أنها الرياح، وقال: عرفها: جريها"[١٦].

قال الزجاج:" جاء في التفسير أنها الريَاح أرسلت كعرف الفرس"[١٧].

قال القرطبي:" جمهور المفسرين على أن «المرسلات»: الرياح"[١٨].

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٧٥/٣.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٤، والنكت والعيون: ١٧٥/٦.

(٣) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ٧٢/٢٣.

(٤) انظر: معاني القرآن: ٢٦٥/٥.

(٥) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ٨٣/٢٣.

(٦) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٤.

(٧) المحرر الوجيز: ٤١٦/٥.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٨٨):ص٣٣٩٢/١٠

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٤، وزاد المسير: ٣٨٣/٤.

(١٠) حكاه عنه ابن ابي زمنين في "التفسير": ٧٧/٥.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢٢/٢٤.

(١٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.

(١٥) التفسير البسيط: ٧٢/٢٣.

(١٦) حكاه عنه ابن أبي زمنين في "التفسير": ٧٧/٥.

(١٧) معاني القرآن: ٢٦٥/٥.

(١٨) تفسير القرطبي: ١٥٤/١٩.

قال السمعاني:" قال أكثر المفسرين: على أنها الرياح ترسل عرفا، أي: تتبع بعضها بعضا كعرف الفرس"[١].

الثالث: أنها الملائكة التي تُرسَل بالعرف. رواه مسروق عن ابن مسعود[٢]، وبهذا قال أبو هريرة[٣]، ومقاتل[٤]، والفراء[٥]، وابن قتيبة[٦].

قال أبو هريرة: "هي الملائكة، أرسلت بالمعروف"[٧].

وفي «العرف» على هذا القول وجهان من التفسير:

أحدهما : أي: متتابعات كعُرف الفرس، قاله صالح بن بريدة[٨].

قال ابن قتيبة:" يعني الملائكة، يريد: أنها متتابعة يتلو بعضها بعضا بما ترسل به من أمر الله عز وجل. وأصل هذا من: عرف الفرس، لأنه سطر مستو بعضه في إثر بعض، فاستعير للقوم يتبع بعضهم بعضا، ومنه يقول الناس: هم إليه عرف واحد، إذا كثروا وتتابعوا في توجّههم إليه"[٩].

الثاني: أرسلت بالمعروف من أمر الله تعالى ونهيه والخبر والوحي. رواه مسروق عن ابن مسعود[١٠]، وبهذا قال أبو هريرة[١١]، وأبو صالح-أيضا-[١٢]، وسهل بن عبدالله[١٣].

عن إسماعيل، قال: سألت أبا صالح عن قوله: "{وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا}، قال: هي الرسل ترسل بالمعروف؛ قالوا: فتأويل الكلام: والملائكة التي أرسلت بأمر الله ونهيه، وذلك هو العرف"[١٤].

قال الفراء:" وأمَّا قوله: {عرفا}، فيقال: أُرْسِلَتْ بالمعروف، وَيُقَال: تتابعت كعرف الفرس، والعرب تَقُولُ: تركتُ النَّاس إلى فلان عُرفا واحدًا، إذَا توجهوا إلَيْه فأكثروا"[١٥].

قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك عندنا أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالمرسلات عرفا، وقد ترسل عُرْفا الملائكة، وترسل كذلك الرياح، ولا دلالة تدلّ على أن المعنيّ بذلك أحد الحِزْبين دون الآخر، وقد عمّ جلّ ثناؤه بإقسامه بكل ما كانت صفته ما وصف، فكلّ من كان صفته كذلك، فداخل في قسمه ذلك مَلَكا أو ريحا أو رسولا من بني آدم مرسلا"[١٦].

وقال النحاس:" الصفة في هذا أقيمت مقام الموصوف فلهذا وقع الاختلاف فإذا كان التقدير: وربّ المرسلات فالمعنى واحد والقسم بالله جلّ وعزّ، وإذا زدنا هذا شرحا قلنا قد ذكرنا ما قيل إنها الرياح وأنها الملائكة وأنها الرسل عليهم السّلام ولم نجد حجّة قاطعة تحكم لأحد هذه الأقوال فوجب أن يردّ إلى عموم الظاهر فيكون عاما لهذه الأشياء كلها"[١٧].

---

(١) تفسير السمعاني: ١٢٥/٦.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٤.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٨٦):ص٣٣٩٢/١٠.
(٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٣/٤.
(٥) انظر: معاني القرآن: ٢٢١/٣.
(٦) انظر: تأويل مشكل القرآن: ١٠٦.
(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٨٧):ص٣٣٩٢/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٤.
(٩) تأويل مشكل القرآن: ١٠٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٢٣/٢٤.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٨٦):ص٣٣٩٢/١٠.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير التستري: ١٨٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٤.
(١٥) معاني القرآن: ٢٢١/٣.
(١٦) تفسير الطبري: ١٢٤/٢٤-١٢٥.
(١٧) إعراب القرآن: ٧١/٥-٧٢.

قوله تعالى:{فَالْعَاصِفَاتِ عَصْفًا} [المرسلات : ٢]، أي:" وأقسم بالرياح الشديدة الهبوب المهلكة"[١].

وفي «العاصفات» قولان:

أحدهما: أنها الرياح الشديدة الهبوب، قاله علي بن أبي طالب[٢]، وابن مسعود[٣]، وابن عباس[٤]، وقتادة[٥]، وأبو صالح[٦]، والسدي[٧]، ومقاتل[٨]، والفراء[٩]، وابن كثير[١٠]. وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١١].

قال الطبري:" يعني: الشديدات الهبوب السريعات الممرّ"[١٢].

قال ابن كثير:" العاصفات هي : الرياح، يقال : عصفت الريح إذا هَبَّت بتصويت"[١٣].

قال السمعاني:" يقال: الرياح عاصفات لأنها تأتي بالعصف، أي: بورق الزرع"[١٤].

الثاني: الملائكة، قاله مسلم بن صبيح[١٥].

قال الزجاج: "قيل: تعصف بروح الكافر"[١٦].

قوله تعالى:{وَالنَّاشِرَاتِ نَشْرًا} [المرسلات : ٣]، أي:" وأقسم بالملائكة الموكلين بالسحب يسوقونها حيث شاء الله"[١٧].

وفي «الناشرات» خمسة أقوال:

أحدها : أنها الرياح تنشر السحاب، قاله ابن مسعود[١٨]، ومجاهد[١٩]، وقتادة[٢٠]، وأبو صالح[٢١]، والفراء[٢٢]. والزجاج[٢٣]، وابن كثير[٢٤]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٢٥].

قال الفراء:" هي: الرياح التي تأتي بالمطر"[٢٦].

قال الزجاج:" الرياح تأتي بالمطر كما قال عزَّ وجلَّ: {وَهُوَ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ}"[٢].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٥/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢٥/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٨٨):ص٣٣٩٢/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٢٥/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٦/٢٤، وتفسير عبدالرزاق(٣٤٤٢):ص٣٧٩/٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٥/٢٤.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٣/٤.
(٩) انظر: معاني القرآن: ٢٢١/٣.
(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١١) انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.
(١٢) تفسير الطبري: ١٢٥/٢٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٤) تفسير السمعاني: ١٢٥/٦.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٧٦/٦.
(١٦) معاني القرآن: ٢٦٥/٥.
(١٧) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٢٦/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٨٨):ص٣٣٩٢/١٠.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٦/٢٤.
(٢٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٤٤٢):ص٣٧٩/٣.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ١٢٦/٢٤-١٢٧.
(٢٢) انظر: معاني القرآن: ٢٢١/٣.
(٢٣) انظر: معاني القرآن: ٢٦٥:٥.
(٢٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٢٥) انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٢٦) معاني القرآن: ٢٢٢/٣.

قال ابن كثير:" هي : الرياح التي تنشر السحاب في آفاق السماء، كما يشاء الرب عز وجل"[٢].

الثاني : أنها الملائكة تنشر الكتب، قاله أبو صالح-أيضا-[٣].

الثالث : أنه المطر ينشر النبات، قاله أبو صالح –أيضاً-[٤].

الرابع : أنه البعث للقيامة تُنشر فيه الأرواح ، قاله الربيع[٥].

الخامس : أنها الصحف تنشر على الله تعالى بأعمال العباد ، قاله الضحاك[٦]، ومقاتل[٧].

قال مقاتل:" هي أعمال بني آدم تنشر يوم القيامة"[٨].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصواب أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالناشرات نشرا، ولم يَخْصُص شيئا من ذلك دون شيء، فالريح تنشر السحاب، والمطر ينشر الأرض، والملائكة تنشر الكتب، ولا دلالة من وجه يجب التسليم له على أن المراد من ذلك بعض دون بعض، فذلك على كل ما كان ناشرا"[٩].

قوله تعالى:{فَالْفَارِقَاتِ فَرْقًا} [المرسلات : ٤]، أي:" وأقسم بالملائكة التي تنزل من عند الله بما يفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام"[١٠].

وفي «الفارقات» أربعة أقوال:

أحدها: الملائكة تأتي بما يفرِّق بين الحق والباطل، قاله ابن مسعود[١١]، وابن عباس[١٢]، ومسروق[١٣]، ومجاهد-في رواية-[١٤]، وقتادة[١٥]، والربيع بن أنس[١٦]، والسدي[١٧]، والثوري[١٨]، وأبو صالح[١٩]، والفراء[٢٠]، والزجاج[٢١]، وحكاه ابن الجوزي عن الأكثرين[٢٢].

قال قتادة: "الملائكة تلقي القرآن"[٢٣].

قال الفراء:" هي: الملائكة، تنزل بالفرْق، بالوحي ما بين الحلال والحرام وبتفصيله"[٢٤].

---

(١) معاني القرآن: ٢٦٥/٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٢٧/٢٤، والنكت والعيون: ١٧٦/٦، وزاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٢٧/٢٤، والنكت والعيون: ١٧٦/٦.
(٥) انظر: النكت والعيون: ١٧٦/٦، وزاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٧٦/٦، وزاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٣/٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٣/٤.
(٩) تفسير الطبري: ١٢٧/٢٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(١١) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٧١/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٧/٢٤-١٢٨.
(١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٥) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٤٤٢):ص٣٧٩/٣.
(١٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٧/٢٤.
(٢٠) انظر: معاني القرآن: ٢٢٢/٣.
(٢١) انظر: معاني القرآن: ٢٦٥/٥.
(٢٢) انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٢٣) تفسير عبدالرزاق(٣٤٤٢):ص٣٧٩/٣.
(٢٤) معاني القرآن: ٢٢٢/٣.

قال ابن كثير:" فإنها تنزل بأمر الله على الرسل، تفرق بين الحق والباطل، والهدى والغيّ، والحلال والحرام"[١].

قال السمعاني:" في قول أكثر المفسرين: هم الملائكة يأتون بالفرق بين الحق والباطل والحلال والحرام"[٢].

الثاني: يعني: القرآن ما فرق الله فيه بين الحقّ والباطل، قاله الحسن[٣]، وقتادة[٤]، وابن كيسان[٥]، ومقاتل[٦].

قال النحاس:" التقدير على هذا: فالآيات الفارقات"[٧].

الثالث: الريح تفرّق بين السحاب فتبدِّدُه، قاله مجاهد-أيضا-[٨].

الرابع: الرسل الذين يفرقون بين الحلال والحرام. حكاه الماوردي عن أبي صالح[٩].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك أن يقال: أقسم ربنا جلّ ثناؤه بالفارقات، وهي الفاصلات بين الحق والباطل، ولم يخصص بذلك منهنّ بعضا دون بعض، فذلك قَسَم بكلّ فارقة بين الحقّ والباطل، مَلَكا كان أو قرآنا، أو غير ذلك"[١٠].

قوله تعالى:{فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا (٥) عُذْرًا أَوْ نُذْرًا} [المرسلات : ٥-٦]، أي:" وأقسم بالملائكة التي تتلقى الوحي من عند الله وتنزل به على أنبيائه; إعذارًا من الله إلى خلقه وإنذارًا منه إليهم ; لئلا يكون لهم حجة"[١١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فالملقيات ذكرا إلى الرسل إعذارا من الله إلى خلقه، وإنذارا منه لهم"[١٢].

قال السمعاني:" العذر: ظهور معنى يوضع اللوم عن الإنسان، وهذا الحد في حق الخلق، فأما في حق الله فل"[١٣].

قوله تعالى:{فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا} [المرسلات : ٥]، قولان:

أحدهما: الرسل يلقون ما أُنزل عليهم إلى الأمم، قاله قطرب[١٤].

الثاني : الملائكة تبلّغ ما حملت من الوحي إلى الأنبياء، وهذا مذهب ابن مسعود[١٥]، وابن عباس[١٦]، ومسروق[١٧]، ومجاهد-في رواية-[١٨]، وقتادة[١٩]، والربيع بن أنس[٢٠]، والسدي[٢١]،

---

(١) تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٢) تفسير السمعاني: ١٢٦/٦.
(٣) انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٢٨/٢٤.
(٥) انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٣/٤.
(٧) إعراب القرآن: ٧١/٥.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٧٦/٦، وزاد المسير: ٣٨٣./٤
(٩) انظر: النكت والعيون: ١٧٦/٦.
(١٠) تفسير الطبري: ١٢٨/٢٤.
(١١) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(١٢) تفسير الطبري: ١٢٨/٢٤.
(١٣) تفسير السمعاني: ١٢٦/٦.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٧٧/٦، وزاد المسير: ٣٨٣/٤.
(١٥) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٧١/٥، وتفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٨/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٢٨/٢٤.
(٢٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٢١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.

والثوري[١]، والكلبي[٢]، والفراء[٣]، والزجاج[٤]، والطبري[٥]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٦].

عن ابن عباس :"{فَالْمُلْقِيَاتِ ذِكْرًا}، يعني: الملائكة"[٧].

عن ابن عباس: {عُذْرًا أَوْ نُذْرًا}، يعني: الملائكة"[٨].

قال قتادة:" هي الملائكة تلقي الذكر على الرسل وتبلغه"[٩].

قال قتادة:" الملائكة تلقي القرآن"[١٠].

عن قتادة: "{عُذْرًا أَوْ نُذْرًا}، قال: عذرًا من الله، ونُذْرا منه إلى خلقه"[١١].

قال قتادة:" عذرا لله على خلقه، ونذرًا للمؤمنين ينتفعون به، ويأخذون به"[١٢].

عن السدي:" {عُذْرًا أَوْ نُذْرًا} المعنى: عُذْرًا ونُذْرًا، والألف صلة"[١٣].

قال الفراء:" هي: الملائكة تلقى الذكر إلي الأنبياء"[١٤].

قال ابن كثير:" تلقي إلى الرسل وحيا فيه إعذار إلى الخلق، وإنذارٌ لهم عقابَ الله إن خالفوا أمره"[١٥].

قال مقاتل:" فهو جبريل- صلى الله عليه وسلم- وحده يلقي الذكر على ألسنة الأنبياء والرسل، وهو {فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا} [الصافات : ٣]"[١٦].

قوله تعالى:{إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ} [المرسلات : ٧]، أي:" إن الذي توعدون به مِن أمر يوم القيامة وما فيه من حساب وجزاء لنازلٌ بكم لا محالة"[١٧].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: والمرسلات عرفا، إن الذي توعدون أيها الناس من الأمور لواقع، وهو كائن لا محالة، يعني بذلك يوم القيامة، وما ذكر الله أنه أعدّ لخلقه يومئذ من الثواب والعذاب"[١٨].

قال الزمخشري:" إن الذي توعدونه من مجيء يوم القيامة لكائن نازل لا ريب فيه، وهو جواب القسم"[١٩].

قال ابن كثير:" هذا هو المقسم عليه بهذه الأقسام، أي : ما وعدتم به من قيام الساعة، والنفخ في الصور، وبعث الأجساد وجمع الأولين والآخرين في صعيد واحد، ومجازاة كل عامل بعمله، إن خيرا فخير وإن شرا فشر، إن هذا كله {لَوَاقِعٌ}، أي : لكائن لا محالة"[٢٠].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٢) انظر: النكت والعيون: ١٧٧/٦.
(٣) انظر: معاني القرآن: ٢٢٢/٣.
(٤) انظر: معاني القرآن: ٢٦٥/٥.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٢٨/٢٤.
(٦) انظر: زاد المسير: ٣٨٣/٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٤-١٢٩.
(٩) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٢٨/٢٤.
(١٣)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٧٧ -.
(١٤) معاني القرآن: ٢٢٢/٣.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٣/٤.
(١٧) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(١٨) تفسير الطبري: ١٢٩/٢٤.
(١٩) الكشاف: ٦٧٨/٤.
(٢٠) تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.

وقال الكلبي: "إنما توعدون من الخير والشر لواقع بكم"[1].

القرآن

{فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ (٨) وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ (٩) وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ (١٠) وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ (١١) لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ (١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ (١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٥)} [المرسلات : ٨-١٥]

التفسير:

فإذا النجوم طُمست وذهب ضياؤها، وإذا السماء تصدَّعت، وإذا الجبال تطايرت وتناثرت وصارت هباء تَذْروه الرياح، وإذا الرسل عُيِّن لهم وقت وأجل للفصل بينهم وبين الأمم، يقال: لأيِّ يوم عظيم أخِّرت الرسل؟ أخِّرت ليوم القضاء والفصل بين الخلائق. وما أعلمك -أيها الإنسان- أيُّ شيء هو يوم الفصل وشدته وهوله؟ هلاك عظيم في ذلك اليوم للمكذبين بهذا اليوم الموعود.

قوله تعالى:{فَإِذَا النُّجُومُ طُمِسَتْ} [المرسلات : ٨]، أي:" فإذا النجوم طُمست وذهب ضياؤها"[2].

قال الضحاك:" تُطمس فيَذهب نورها"[3].

قال الطبري:" يقول: فإذا النجوم ذهب ضياؤها، فلم يكن لها نور ولا ضوء"[4].

قال الزجاج:" معناه: أُذْهِبَتْ وغُطِيَتْ"[5].

قال ابن كثير:" أي : ذهب ضوؤها، كقوله :{وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ} [التكوير : ٢] وكقوله :{وَإِذَا الْكَوَاكِبُ انْتَثَرَتْ} [الانفطار : ٢]"[6].

قال الزمخشري:" {طُمِسَتْ}: محيت ومحقت. وقيل: ذهب بنورها ومحق ذواتها، موافق لقوله: {انْتَثَرَتْ} و{انْكَدَرَتْ}، ويجوز أن يمحق نورها ثم تنتثر ممحوقة النور"[7].

قوله تعالى:{وَإِذَا السَّمَاءُ فُرِجَتْ} [المرسلات : ٩]، أي:" وإذا السماء تصدَّعت"[8].

قال الطبري:" يقول: وإذا السماء شقّقت وصدّعت"[9].

قال الزجاج:" معناه: شقَّت كما قال عزَّ وجلَّ: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ}"[10].

قال ابن كثير:" أي : انفطرت وانشقت، وتدلت أرجاؤها، وَوَهَت أطرافها"[11].

قال الزمخشري:" {فُرِجَتْ}: فتحت فكانت أبوابا"[12].

وروى الضحاك عن ابن عباس قال: "فرجت للطي"[13].

قوله تعالى:{وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ} [المرسلات : ١٠]، أي:" وإذا الجبال تطايرت وتناثرت وصارت هباء تَذْروه الرياح"[14].

---

(١) التفسير البسيط للواحدي: ٨١/٢٣.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٤) تفسير الطبري: ١٢٩/٢٤.
(٥) معاني القرآن: ٢٦٦/٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(٧) الكشاف: ٦٧٨/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٩) تفسير الطبري: ١٢٩/٢٤.
(١٠) معاني القرآن: ٢٦٦/٥.
(١١) تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨.
(١٢) الكشاف: ٦٧٨/٤.
(١٣) تفسير القرطبي: ١٥٧/١٩.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٨٠.

قال الطبري:" يقول: وإذا الجبال نسفت من أصلها، فكانت هباء منبثا"[١].
قال الزجاج:" ذهب بها كلها بسرعة، يقال: انتسفت الشيء إذا أخذته كله بسرعة"[٢].
قال الزمخشري:" كالحب إذا نسف بالمنسف. ونحوه: {وَبُسَّتِ الْجِبالُ بَسًّا}، {وَكانَتِ الْجِبالُ كَثِيباً مَهِيلًا}، وقيل: أخذت بسرعة من أماكنها، من انتسفت الشيء إذا اختطفته"[٣].
قال ابن كثير:" أي : دُهِب بها، فلا يبقى لها عين ولا أثر، كقوله :{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا} [طه : ١٠٥ - ١٠٧]، وقال تعالى :{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا} [الكهف : ٤٧]"[٤].
عن ابن عباس والكلبي : {وَإِذَا الْجِبَالُ نُسِفَتْ}، قالا: "سويت بالأرض"[٥].
قوله تعالى:{وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ} [المرسلات : ١١]، أي:" وإذا الرسل عُيِّن لهم وقت وأجل للفصل بينهم وبين الأمم"[٦].
وفي قوله تعالى:{وَإِذَا الرُّسُلُ أُقِّتَتْ} [المرسلات : ١١]، وجوه:
أحدها : جمعت، قاله ابن عباس[٧].
الثاني : يعني: أُوعِدَت، قاله إبراهيم[٨].
وفي رواية عنه قال:" وعدت"[٩].
قال ابن كثير:" وكأنه يجعلها كقوله :{وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ الْكِتَابُ وَجِيءَ بِالنَّبِيِّينَ وَالشُّهَدَاءِ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْحَقِّ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ} [الزمر : ٦٩]"[١٠].
الثالث : أُجِّلَتْ، قاله الحسن[١١]، ومجاهد[١٢].
قال الطبري:" وإذا الرسل أجلت للاجتماع لوقتها يوم القيامة"[١٣].
قال الزجاج:" معنى «وُقِّتَتْ» جعل لها وقت وأجل"[١٤].
قال الزمخشري:" معنى توقيت الرسل: تبيين وقتها الذي يحضرون فيه للشهادة على أممهم. والتأجيل: من الأجل، كالتوقيت: من الوقت"[١٥].
وقال ابن زيد:" أقتت ليوم القيامة، وقرأ: {يَوْمَ يَجْمَعُ اللَّهُ الرُّسُلَ}، قال: والأجل: الميقات، وقرأ: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأهِلَّةِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ}، وقرأ: {إِلَى مِيقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ}، قال: إلى يوم القيامة، قال: لهم أجل إلى ذلك اليوم حتى يبلغوه"[١٦].
قرئ: «وُقِّتَتْ»، بالواو وتشديد القاف، وقرأه أبو جعفر: «وُقِتَتْ» بالواو وتخفيف القاف[١].

---

(١) تفسير الطبري: ١٢٩/٢٤.
(٢) معاني القرآن: ٢٦٦/٥.
(٣) الكشاف: ٦٧٨/٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٢٩٧/٨-٢٩٨.
(٥) تفسير القرطبي: ١٥٧/١٩.
(٦) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٢٩/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٣٠/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٢٩٨/٨.
(١١)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٧٨ -.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٢٩/٢٤-١٣٠.
(١٣) تفسير الطبري: ١٢٩/٢٤.
(١٤) معاني القرآن: ٢٦٦/٥.
(١٥) الكشاف: ٦٧٨/٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٣٠/٢٤.

قوله تعالى:{لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ} [المرسلات : ١٢]، أي:" يقال: لأيِّ يوم عظيم أخِّرت الرسل؟"[٢].

قال الزمخشري:" تعظيم لليوم، وتعجيب من هوله"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره مُعَجِّبًا عباده من هول ذلك اليوم وشدّته: لأيِّ يوم أجِّلت الرسل ووقّتت، ما أعظمه وأهوله"[٤].

قال ابن كثير:" يقول تعالى : لأي يوم أجلت الرسل وأرجئ أمرها ؟ حتى تقوم الساعة، كما قال تعالى :{فَلا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ ذُو انْتِقَامٍ يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم : ٤٧، ٤٨]"[٥].

قوله تعالى:{لِيَوْمِ الْفَصْلِ} [المرسلات : ١٣]، أي:" أخِّرت ليوم القضاء والفصل بين الخلائق"[٦].

قال الطبري: " يقول: ليوم يفصل الله فيه بين خلقه القضاء، فيأخذ للمظلوم من الظالم، ويجزي المحسن بإحسانه، والمسيء بإساءته"[٧].

قال الزجاج:" أي: أجلت القضاء فيما بينها وبين الأمم ليوم الفصل"[٨].

قال قتادة:" يوم يفصل فيه بين الناس بأعمالهم إلى الجنة وإلى النار"[٩].

قوله تعالى:{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ} [المرسلات : ١٤]، أي:" وما أعلمك -أيها الإنسان- أيُّ شيء هو يوم الفصل وشدته وهوله؟"[١٠].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وأيّ شيء أدراك يا محمد ما يوم الفصل، معظما بذلك أمره، وشدّة هوله"[١١].

عن قتادة: "{وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ}، تعظيما لذلك اليوم"[١٢].

قوله تعالى:{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [المرسلات : ١٥]، أي:" هلاك عظيم في ذلك اليوم للمكذبين بهذا اليوم الموعود"[١٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره الوادي الذي يسيل في جهنم من صديد أهلها للمكذّبين بيوم الفصل"[١٤].

قال الزجاج: "«ويل»: كلمة تقال لكل من وقع في هلكة، وكذلك يقولها كل من وقع في هلكة"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : ويل لهم من عذاب الله غدا. وقد قدمنا في الحديث أن «ويل»: واد في جهنم. ولا يصح"[١٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٣٠/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٣) الكشاف: ٦٧٨/٤.
(٤) تفسير الطبري: ١٣١/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٢٩٨/٨.
(٦) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٧) تفسير الطبري: ١٣١/٢٤.
(٨) معاني القرآن: ٢٦٧/٥.
(٩) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(١١) تفسير الطبري: ١٣١/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(١٤) تفسير الطبري: ١٣١/٢٤.
(١٥) معاني القرآن: ٣/ ٣٨٦.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٢٩٨/٨.

عن قتادة: "{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ}، ويل والله طويل"[١].

عن أبي سعيد الخدري عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "«ويل»: واد في جهنم يهوي فيه الكافر أربعين خريفا قبل أن يبلغ قعره"[٢].

عن عطاء بن يسار قال: "«الويل»: واد في جهنم لو سيرت فيه الجبال لماعت من حره"[٣].

عن زياد بن فياض قال: سمعت عياض يقول: «ويل»: سيل من صديد في أصل جهنم"[٤].

فوائد الآيات: [١-١٥]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه وليس للعبد أن يقسم بغير خالقه عز وجل.

٣- علامات القيامة وظاهرة الانقلاب الكوني العام وهي انطماس ضوء النجوم وانفراج السماء ونسف الجبال.

٤- الوعيد الشديد بالويل الذي هو واد في٤جهنم تستغيث جهنم من حره للمكذبين بما يجب التصديق به من أركان الإيمان الستة، والوعد والوعيد الإلهيين.

القرآن

{أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ (١٦) ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ (١٧) كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ (١٨)} [المرسلات : ١٦-١٨]

التفسير:

ألم نهلك السابقين من الأمم الماضية; بتكذيبهم للرسل كقوم نوح وعاد وثمود؟ ثم نلحق بهم المتأخرين ممن كانوا مثلهم في التكذيب والعصيان. مِثل ذلك الإهلاك الفظيع نفعل بهؤلاء المجرمين من كفار «مكة» ؛ لتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم.

قوله تعالى:{أَلَمْ نُهْلِكِ الْأَوَّلِينَ} [المرسلات : ١٦]، أي:" ألم نهلك السابقين من الأمم الماضية; بتكذيبهم للرسل كقوم نوح وعاد وثمود؟"[٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ألم نهلك الأمم الماضين الذين كذّبوا رسلي، وجحدوا آياتي من قوم نوح وعاد وثمود"[٦].

قال الثعلبي: أي:" من الأمم المكذّبين في قديم الدهر"[٧].

قال ابن كثير:" يعني : من المكذبين للرسل المخالفين لما جاؤوهم به"[٨].

قال الزجاج: " أي: أولًا وَآخِراً"[٩].

قال مقاتل:" الذين كذبوا بيوم القيامة أهلكتهم بالصيحة والخسف والمسخ والفرق والعدو"[١٠].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٣١/٢٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٨):ص١٥٣/١، وانظر: سنن الترمذي برقم (٣١٦٤)، وقال: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث ابن لهيعة". قال ابن كثير: ٣١٢/١:" وهذا الحديث بهذا الإسناد -مرفوعا-منكر، والله أعلم".

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص١٥٣/١.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١٥٣/١.

(٥) التفسير الميسر: ٥٨٠.

(٦) تفسير الطبري: ١٣١/٢٤.

(٧) الكشف والبيان: ١٠٩/١٠.

(٨) تفسير ابن كثير: ٢٩٨/٨.

(٩) معاني القرآن: ٢٦٧/٥.

(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٤/٤.

قال السمعاني:" أي: قوم نوح وَعَاد وَثَمُود وَمن قرب من زمانهم"[١].

قال القشيري:" الذين كذّبوا رسلهم، وجحدوا آياتنا فمثلما أهلكنا الأولين كذلك نفعل بالمجرمين إذا فعلوا مثل فعلهم"[٢].

قال ابن عاشور:" المخاطب به أهل الشرك في المحشر، ويتضمن استدلالا على المشركين الذين في الدنيا، بأن الله انتقم من الذين كفروا بيوم البعث من الأمم سابقهم ولاحقهم ليحذروا أن يحل بهم ما حل بأولئك الأولين والآخرين. والاستفهام للتقرير استدلالا على إمكان البعث بطريقة قياس التمثيل، المراد بالأولين جميع أمم الشرك الذين كانوا قبل مشركي عصر النبوة. والإهلاك: الإعدام والإماتة "[٣].

قوله تعالى:{ثُمَّ نُتْبِعُهُمُ الْآخِرِينَ} [المرسلات : ١٧]، أي:" ثم نلحق بهم المتأخرين ممن كانوا مثلهم في التكذيب والعصيان"[٤].

قال الطبري:" ثم نتبعهم الآخرين بعدهم، ممن سلك سبيلهم في الكفر بي وبرسولي، كقوم إبراهيم وقوم لوط، وأصحاب مدين، فنهلكهم كما أهلكنا الأوّلين قبلهم"[٥].

قال ابن كثير:" أي : ممن أشبههم"[٦].

قال الثعلبي: أي:" السالكين سبيلهم في الكفر والتكذيب"[٧].

قال مقاتل:" بالأولين بالهلاك، يعني: العذاب، يعني: كفار مكة لما كذبوا بمحمد- صلى الله عليه وسلم-"[٨].

قال السمعاني:" أي: الَّذين كَانُوا بعد ذَلِك من فِرْعَوْن وهامان وَقَارُون وَمن بعدهمْ...وقيل: هم كفار قُرَيْش"[٩].

وفِي قراءة عَبْد اللَّه: «ألم نهلك الأولين وسنتبعهم الآخرين»[١٠]، قرأ الأعرج: «نُتْبِعْهُمُ» بالجزم[١١].

قوله تعالى:{كَذَلِكَ نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ} [المرسلات : ١٨]، أي:" مِثل ذلك الإهلاك الفظيع نفعل بهؤلاء المجرمين من كفار «مكة»؛ لتكذيبهم الرسول صلى الله عليه وسلم"[١٢].

قال الزجاج: "مثل ذلك نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِين"[١٣].

قال السمعاني:" هم الَّذين يأتونَ بعدهمْ من الْكفَّار إِلَى يَوْم الْقِيَامَة"[١٤].

قال النحاس:" أي: كذلك سنتي فيمن أقام على الإجرام أن أهلكه بإجرامه"[١٥].

قال الطبري:" يقول: كما أهلكنا هؤلاء بكفرهم بي، وتكذيبهم برسلي، كذلك سنتي في أمثالهم من الأمم الكافرة، فنهلك المجرمين بإجرامهم إذا طغوا وبغوا"[١٦].

---

(١) تفسير السمعاني: ١٢٨/٦.
(٢) لطائف الإشارات: ٦٧١/٣.
(٣) التحرير والتنوير: ٤٢٨/٢٩.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(٥) تفسير الطبري: ١٣١/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٢٩٨/٨.
(٧) الكشف والبيان: ١٠٩/١٠.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٤/٤.
(٩) تفسير السمعاني: ١٢٨/٦.
(١٠) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٢٣/٣.
(١١) انظر: الكشف والبيان: ١٠٩/١٠.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨٠.
(١٣) معاني القرآن: ٢٦٧/٥.
(١٤) تفسير السمعاني: ١٢٨/٦.
(١٥) إعراب القرآن: ٧٤/٥.
(١٦) تفسير الطبري: ١٣١/٢٤-١٣٢.

قال مقاتل:" يعني: الكفار الظلمة، يخوف كفار مكة لئلا يكذبوا بمحمد- صلى الله عليه وسلم- أي: فاحذروا، يا أهل مكة، أن نفعل بكم كما فعلنا بالقرون الأولى"[١].

قال السمعاني:" أي: مُشْركي مَكَّة ننزل بهم مثل مَا نزل بهم، لأنهم عمِلُوا مثل عَمَلهم"[٢].

قال ابن عاشور:" «المجرمون»، من ألقاب المشركين في اصطلاح القرآن، قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ أَجْرَمُوا كانُوا مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا يَضْحَكُونَ} [المطففين: ٢٩]"[٣].

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (١٩)} [المرسلات : ١٩]

التفسير:

هلاك وعذاب شديد يوم القيامة لكل مكذِّب بأن الله هو الإله الحق وحده لا شريك له، والنبوةِ والبعث والحساب.

قال مقاتل: أي: "بالبعث"[٤].

قال الطبري: أي: "بأخبار الله التي ذكرناها في هذه الآية، الجاحدين قُدرته على ما يشاء"[٥].

قال النحاس:" أي: لمن كذّب بما أخبر الله جلّ وعزّ وبقدرته على ما يشاء"[٦].

قال ابن عاشور:" تقرير لنظيره المتقدم تأكيدا للتهديد وإعادة لمعناه"[٧].

القرآن

{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ (٢٠) فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ (٢١) إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ (٢٢) فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ (٢٣)} [المرسلات : ٢٠-٢٣]

التفسير:

ألم نخلقكم -يا معشر الكفار- من ماء ضعيف حقير وهو النطفة، فجعلنا هذا الماء في مكان حصين، وهو رحم المرأة، إلى وقت محدود ومعلوم عند الله تعالى؟ فقدرنا على خلقه وتصويره وإخراجه، فنعم القادرون نحن.

قوله تعالى:{أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} [المرسلات : ٢٠]، أي:" ألم نخلقكم -يا معشر الكفار- من ماء ضعيف حقير وهو النطفة"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ} أيها الناس من نطفة ضعيفة "[٩].

قال مقاتل:" يقول: ماء ضعيف، وهو النطفة"[١٠].

قال ابن عباس:" يعنى بالمهين: الضعيف"[١١].

عن مجاهد:" {مِن ماءٍ مَهِينٍ}، قال: ضعيف"[١٢].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٤/٤.
(٢) تفسير السمعاني: ١٢٨/٦.
(٣) التحرير والتنوير: ٤٢٩/٢٩.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٤/٤.
(٥) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٤.
(٦) إعراب القرآن: ٧٤/٥.
(٧) التحرير والتنوير: ٤٢٩/٢٩.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٩) تفسير الطبري: ١٣٢/٢٤.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٤/٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٤.
(١٢)عزاه السيوطي إلى ابن جرير، وعبد بن حميد، وابن المنذر.

قال ابن عاشور:" الماء: هو ماء الرجل. والمهين: الضعيف.. وهذا الوصف كناية رمزية عن عظيم قدرة الله تعالى إذ خلق من هذا الماء الضعيف إنسانا شديد القوة عقلا وجسما"[١].

قال ابن كثير:" أي : ضعيف حقير بالنسبة إلى قُدرَة البارئ عز وجل، كما تقدم في سورة "يس" في حديث بُسْر بن جحَاش : «ابنَ آدم، أنَّى تُعجزُني وقد خلقتك من مثل هذه ؟»"[٢][٣].

قال القشيري:" أي: حقير. وإذ قد علمتم ذلك فلم لم تقيسوا أمر البعث عليه؟ ويقال: ذكّرهم أصل خلقتهم لئلا يعجبوا بأحوالهم فإنه لا جنس من المخلوقين والمخلوقات أشدّ دعوى من بنى آدم. فمن الواجب أن يتفكّر الإنسان في أصله ... كان نطفة وفي انتهائه يكون جيفة، وفي وسائط حاله كنيف في قميص!!"[٤].

قوله تعالى:{فَجَعَلْنَاهُ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} [المرسلات : ٢١]، أي:" فجعلنا هذا الماء في مكان حصين، وهو رحم المرأة"[٥].

قال الطبري:" يقول: فجعلنا الماء المَهين في رحمٍ استقرّ فيها فتمكن"[٦].

قال مقاتل:" يعنى: الماء يتمكن في الرحم"[٧].

قال ابن كثير:" يعني : جمعناه في الرّحِم، وهو قرار الماء من الرجل والمرأة، والرحم معد لذلك، حافظ لما أودع فيه من الماء"[٨].

عن مجاهد، قوله: "{فِي قَرَارٍ مَكِينٍ}، قال: الرحم"[٩].

قوله تعالى:{إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ} [المرسلات : ٢٢]، أي:" إلى وقت محدود ومعلوم عند الله تعالى"[١٠].

قال الطبري:" يقول: إلى وقت معلوم لخروجه من الرحم عند الله"[١١].

قال ابن كثير:" يعنى : إلى مدة معينة من ستة أشهر أو تسعة أشهر"[١٢].

قال مقاتل:" يعنى: تسعة أشهر"[١٣].

قال مجاهد: "إلى أن نصوره"[١٤].

قوله تعالى:{فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ} [المرسلات : ٢٣]، أي:" فقدرنا على خلقه وتصويره وإخراجه، فنعم القادرون نحن"[١].

---

(١) التحرير والتنوير: ٢٩/٤٣٠-٤٣١.

(٢) الحديث:" قول الله يا ابن آدم أنى تعجزنى وقد خلقتك من مثل هذا حتى إذا سويتك وعدلتك مشيت بين بردين وللأرض منك وئيد فجمعت ومنعت حتى إذا بلغت التراقى قلت أتصدق وأنى أوان الصدقة".
أخرجه أحمد (٤/٢١٠، رقم ١٧٨٧٦) ، وابن ماجه (٢/٩٠٣، رقم ٢٧٠٧) قال البوصيرى (٣/١٤٢) : إسناده صحيح ورجاله ثقات. وابن سعد (٧/٤٢٧) ، وابن أبى عاصم فى الآحاد والمثانى (٢/١٤٩، رقم ٨٦٩) ، وابن قانع (١/٧٦) ، والطبرانى (٢/٣٢ رقم ١١٩٣) والحاكم (٢/٥٤٥، رقم ٣٨٥٥) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى فى شعب الإيمان (٣/٢٥٦ رقم ٣٤٧٣).

(٣) تفسير ابن كثير: ٨/٢٩٨.

(٤) لطائف الإشارات: ٣/٦٧٢.

(٥) التفسير الميسر: ٥٨١.

(٦) تفسير الطبري: ٢٤/١٣٢.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٥٤٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٨/٢٩٩.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٤/١٣٢.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٨١.

(١١) تفسير الطبري: ٢٤/١٣٢.

(١٢) تفسير ابن كثير: ٨/٢٩٩.

(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٥٤٤.

(١٤) تفسير القرطبي: ١٩/١٦٠.

قال مقاتل:" فقدرنا الصبي في رحم أمه تسعة أشهر، ودون ذلك أو فوق ذلك"[٢].
عن الضحاك: "{فَقَدَرْنَا فَنِعْمَ الْقَادِرُونَ}، قال: فملكنا فنعم المالكون"[٣].
قال ابن قتيبة:" معنى «قدَّرنا» مشدَّدةً. يقال: قدَرتُ كذا وقدَّرتُه. ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم- في الهلال: «إذا غُمَّ عليكم فاقْدُرُوا له»[٤]. أي: فقدِّرُوا له المسيرَ والمنازلَ"[٥].
قال الفراء:" {فَقَدَرْنَا}: يُخَفَّفُ ويُشَدَّدُ، والتخفيفُ –هاهنا- أحبُّ إليَّ، وإن كان الكِسَائِيُّ يَقرأُ بالتشديدِ، وقد بَلَغَنا أن عَلِيَّ بنَ أبي طَالِبٍ والحَسَنَ شدَّدَا: {فَقَدَّرْنَا}"[٦].

القرآن
{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٤)} [المرسلات : ٢٤]
التفسير:
هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بقدرتنا.
قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: ويل يومئذ للمكذّبين بأن الله خلقهم من ماء مهين"[٧].
قال النحاس:" أي: بقدرة الله جلّ وعزّ على هذه الأشياء وغيرها"[٨].
عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"[٩].

القرآن
{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا (٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا (٢٦) وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا (٢٧)} [المرسلات : ٢٥-٢٧]
التفسير:
ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها، تضم على ظهرها أحياء لا يحصون، وفي بطنها أمواتًا لا يحصرون، وجعلنا فيها جبالا ثوابت عاليات؛ لئلا تضطرب بكم، وأسقيناكم ماءً عذبًا سائغًا؟
قوله تعالى:{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا(٢٥) أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا} [المرسلات : ٢٥-٢٦]، أي:" ألم نجعل هذه الأرض التي تعيشون عليها، تضم على ظهرها أحياء لا يحصون، وفي بطنها أمواتًا لا يحصرون"[١٠].
قال الطبري: يقول:" ألم نجعل الأرض كِفاتَ أحيائكم وأمواتكم، تكْفِت أحياءكم في المساكن والمنازل، فتضمهم فيها وتجمعهم، وأمواتكم في بطونها في القبور، فيُدفَنون فيها"[١١].
وفي قوله تعالى:{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ كِفَاتًا} [المرسلات : ٢٥]، وجوه:
أحدها : يعني: كِنّاً، قاله ابن عباس[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٤/٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٣٢/٢٤.
(٤) هذا بعض من حديث مشهور في كتب اللغة والحديث، أخرجه البخاري (٦٧٢/٢، رقم ١٨٠١) ، ومسلم (٧٦٠/٢، رقم ١٠٨٠) ، والنسائى (١٣٤/٤، رقم ٢١٢٠) ، وابن ماجه (٥٢٩/١، رقم ١٦٥٤) ، وابن حبان (٢٢٦/٨، رقم ٣٤٤١).
(٥) غريب القرآن: ٥٠٦.
(٦)كتاب فيه لغات القرآن: ١٥٠.
(٧) تفسير الطبري: ١٣٣/٢٤.
(٨) إعراب القرآن: ٧٥/٥.
(٩) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص١٥/٢.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨١.
(١١) تفسير الطبري: ١٣٣/٢٤.

الثاني : غطاء، وهو معنى قول مجاهد[٢].
قال مجاهد:" تكفت الميت ولا يرى منه شيء وقوله: {أحياء} الرجل في بيته لا يرى من عمله شيء"[٣].
الثالث: أوعية، قاله أبو عبيدة[٤]، والسجستاني[٥]، والثعلبي[٦]، وحكاه الماوردي[٧] وانشد له قول الصمصامة بن الطرماح[٨]:
فأنت اليومَ فوق الأرض حيٌّ ... وأنت غداً تَضُمُّكَ من كِفات
قال الواحدي:" يقال للنِّحْي: كِفْتٌ، كِفت، وكفيت؛ لأنه يحوي اللبن ويضمه، ويقال أيضًا: جِرابٌ كَفِيتٌ وكِفتٌ إذا كان لا يضيِّع شيئًا مما يجعل فيه، ويقال للقدر أيضًا: كِفْتٌ، ومنه المثل: «كِفْتٌ إلى وئيَّةٍ»[٩]"[١٠].
قال النحاس:" يقال: كفته إذا جمعه وأحرزه، فالأرض تجمع الناس على ظهرها أحياء وفي بطنها أمواتا. واشتقاق هذا من :الكفتة، وهي وعاء الشيء، وكذا: الكفتة"[١١].
الرابع: مجمعاً ، قاله المفضل[١٢].
قال الزجاج:" {كفاتاً}: ذات جمع"[١٣].
قال النحاس:" يقال: كفته إذا جمعه وأحرزه"[١٤].
قال الواحدي:" معنى «الكفت» -في اللغة-: الضم، والجمع، يقال: كَفَتُّ الشيء: أي ضممته فانكفت، أي انضم، ومنه قول أوس[١٥]:
كِرامٌ حين تَنْكَفِتُ الأفاعي ... إلى أجحارهنَّ من الصَّقيع"[١٦].
قال ابن قتيبة:" «الكَفْتُ»: الضمّ. يقال: أكْفِتُ إليك كذا؛ أي: أضُمُّه إليك. وكانوا يسمون بقيعَ الغَرْقَدِ: «كَفْتَةَ»؛ لأنها مَقْبَرَةٌ تضمُّ الموتى"[١٧].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٣٤/٢٤.
(٢) انظر: الدر المنثور" ٨/ ٣٨٤ وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر ، وانظر: النكت والعيون: ١٧٩/٦.
(٣) الدر المنثور: ٣٨٤/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.
(٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٨١/٢. ولفظه: "واعية".
(٥) انظر: عريب القرآن: ٣٩٨.
(٦) انظر: الكشف والبيان: ١١٠/١٠.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٦.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٧/٦.
(٩)مجمع الأمثال": للميداني: ٣/ ٣٧، الكِفْتُ: القِدْر الصغيرة، والوئِيَّة: الكبيرة، والكفت من الكفت وهو الضم، سمي به؛ لأنه يكفت ما يلقى فيه، والوئِيَّة من الوَأي، وهو الضخم، يقال: فرس وأي إذا كان ضخماً، والأنثى وأية وآة.
يضرب للرجل يحملك البَلِيَّة ... ثم يزيدك إليها أخرى صغيرة.
(١٠) التفسير البسيط: ٩٠/٢٣.
(١١) إعراب القرآن: ٧٥/٥.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٦.
(١٣) معاني القرآن: ٢٦٧/٥.
(١٤) إعراب القرآن: ٧٥/٥.
(١٥)ورد البيت في كتاب "سيبويه" ٣/ ٥٧٧، وقد استشهد به على جواز جمع جحر على أجحار جمع قلة، أما الجحرة فهي جمع كثرة له، ولم ينسبه، "المقتضب" ٢/ ١٩٧، "المخصص" ٨/ ٨٥ المجلد الثاني، "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ١٥٩ غير منسوب، ولم أعثر عليه في ديوانه.
ومعنى البيت: انكفت القوم إلى منازلهم: انقلبوا، وهي هنا بمعنى تنقبض، الصقيع: الذي يسقط من السماء بالثلج، ويعني: أنهم كرام إذا أجدب الزمان , واشتد البرد. "المقتضب" ٢/ ١٩٧ (حاشية).
(١٦) التفسير البسيط: ٩٠/٢٣.
(١٧) غريب القرآن: ٥٠٦.

ومثله قول النبي -عليه السلام- « خمروا الآنية وأوكوا الأسقية وأجيفوا الأبواب واكفتوا صبيانكم عند المساء فإن للجن انتشارا وخطفة وأطفئوا المصابيح عند الرقاد فإن الفويسقة ربما اجترت الفتيلة فأحرقت أهل البيت"[١].

وفي قوله تعالى:{ أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا} [المرسلات : ٢٥-٢٦]، وجهان:

أحدهما: أن المعنى: ألم نجعل الأرض أحياءً بالنبات والعمارة، وأمواتاً بالخراب واليبس، وهذا قول مجاهد[٢]، وأبي عبيدة[٣].

قال أبو عبيدة:" منه ما ينبت ومنه ما لا ينبت"[٤].

الثاني: أن الأرض تجمع الناس أحياء على ظهرها وأمواتاً في بطنها، قاله مجاهد-أيضا-[٥]، وقتادة[٦]، والشعبي[٧]، ومقاتل[٨]، والفراء[٩]، وابن قتيبة[١٠]، والزجاج[١١]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١٢].

قال ابن قتيبة:" يريد: أنها تضم الأحياءَ والأمواتَ"[١٣].

قال مقاتل:" تدفنون فيها، أمواتكم وتبثون عليها أحياءكم، وتسكنون عليها فقد كفت الموتى والأحياء"[١٤].

قال قتادة:" يسكن فيها حيهم، ويدفن فيها ميتهم"[١٥].

قال قتادة:" أحياء فوقها على ظهرها، وأمواتا يُقبرون فيها"[١٦].

قال الشعبي:" بطنها لأمواتكم، وظهرها لأحيائكم"[١٧].

قال مجاهد:" تكفت أذاهم {أَحْيَاءً} تواريه، {وَأَمْوَاتًا}، يدفنون: تكفتهم"[١٨].

عن مجاهد: "{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا}، قال: تكفت أذاهم وما يخرج منهم، {أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا}، قال: تكفتهم في الأحياء والأموات"[١٩].

عن ليث، قال: "قال مجاهد في الذي يرى القملة في ثوبه وهو في المسجد، ولا أدري قال في صلاة أم لا إن شئت فألقها، وإن شئت فوارها، {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا}"[٢٠].

---

(١)أخرجه البخارى (١٢٠٥/٣، رقم ٣١٣٨) . وأخرجه أيضا: أحمد (٣٨٨/٣، رقم ١٥٢٠٦) ، والترمذى (١٤٣/٥، رقم ٢٨٥٧) وقال: حسن صحيح. وأبو يعلى (٩٨/٤، رقم ٢١٣٠) ، والبيهقى فى شعب الإيمان (١٢٨/٥، رقم ٦٠٦٢) ، والديلمى (١٦٩/٢، رقم ٢٨٤٥).

(٢) انظر: النكت والعيون: ١٧٩/٦، وزاد المسير: ٣٨٥/٤.

(٣) انظر: مجاز القرآن: ٢٨١/٢.

(٤) مجاز القرآن: ٢٨١/٢.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٣٤/٢٤، وتفسير مجاهد: ٦٩١.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٣٥/٢٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٣٤/٢٤.

(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٥/٤.

(٩) انظر: معاني القرآن: ٢٢٤/٣.

(١٠) انظر: غريب القرآن: ٥٠٦.

(١١) انظر: معاني القرآن: ٢٦٧/٥.

(١٢) انظر: زاد المسير: ٣٨٥/٤.

(١٣) غريب القرآن: ٥٠٦.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٥/٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٤.

(١٨) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٤.

(١٩) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٤.

(٢٠) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٤.

عن مجاهد: "{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا}، قال: أحياء يكونون فيها، قال محمد بن عمرو: يغيبون فيها ما أرادوا، وقال الحارث: ويغيبون فيها ما أرادوا. وقوله: {أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا}، قال: يدفنون فيها"[1].

عن عبد الله بن مسعود:" أنه وجد قملة في ثوبه، فدفنها في المسجد ثم قال: {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ كِفَاتًا أَحْيَاءً وَأَمْوَاتًا}"[2].

عن بَيان بن بِشر، قال: "خَرجْنا في جنازة فيها عامر الشعبي، فلما انتَهينا إلى الجبّان تلا هذه الآية: {ألم نجعل الأرض كفاتا أحياء وأمواتا}، قال: كِفات الأموات -وأشار إلى القبور-، وهذه كِفات الأحياء -وأشار بيده إلى البيوت-"[3].

قال الفراء:" تكفتهم أحياء عَلَى ظهرها فِي بيوتهم ومنازلهم، وتكفتهم أمواتًا فِي بَطنها، أي: تحفظهم وتحرزهم. ونصبك الأحياءَ والأموات بوقوع الكفات عَلَيْهِ، كأنك قلت: ألم نجعل الأرض كفاتَ أحياءٍ، وأمواتٍ، فإذا نونت نصبت- كما يقرأ من قَرَأ: {أَوْ إِطْعامٌ فِي يَوْمٍ ذِي مَسْغَبَةٍ (١٤) يَتِيماً} [البلد: ١٤-١٥]، وكما يقرأ: {فَجَزاءٌ مِثْلُ ما قَتَلَ} [المائدة: ٩٥] ، ومثله: {فِدْيَةٌ طَعامُ مِسْكِينٍ} [البقرة: ١٨٤]"[4].

قال ابن عاشور:" وفي الآية امتنان يجعل الأرض صالحة لدفن الأموات، وقد ألهم الله لذلك ابن آدم حين قتل أخاه كما تقدم ذكره في سورة المائدة، فيؤخذ من الآية وجوب الدفن في الأرض إلا إذا تعذر ذلك كالذي يموت في سفينة بعيدة عن مراسي الأرض أو لا تستطيع الإرساء، أو كان الإرساء يضر بالراكبين أو يخاف تعفن الجثة فإنها يرمى بها في البحر وتثقل بشيء لترسب إلى غريق الماء. وعليه فلا يجوز إحراق الميت كما يفعل مجوس الهند، وكان يفعله بعض الرومان، ولا وضعه لكواسر الطير كما كان يفعل مجوس الفرس، وكان أهل الجاهلية يتمدحون بالميت الذي تأكله السباع أو الضباع وهو الذي يموت قتيلا في فلاة، قال تأبط[5]:

فَلَا تَدْفِنُونِي إنَّ دَفْنِي مُحَرَّمٌ ... عَلَيْكُمْ ولكن خَامِري أُمَّ عَامِرِ

وهذا من جهالة الجاهلية وكفران النعمة"[6].

قال مالك: "القبر حوز للميت كما أن البيت حوز الحي"[7].

قوله تعالى:{وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ} [المرسلات : ٢٧]، أي:" وجعلنا فيها جبالا ثوابت عاليات؛ لئلا تضطرب بكم"[1].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ١٣٤/٢٤.

(٣)أخرجه سعيد بن منصور في سننه -التفسير ٨/ ٢٣٧ (٢٣٧٢).

(٤) معاني القرآن: ٢٢٤/٣.

(٥)يروى البيت بلفظ:

لا تقبروني إن قبري محرم ... عليكم ولكن أبشري أم عامر

والبيت من الطويل، وهو للشنفرى في ديوانه ص ٤٨، ولسان العرب (عمر) ، ومقاييس اللغة ٢/ ٢١٧، وتاج العروس (عمر) ، والأغاني ٢١/ ٢٠٥، وأمالي المرتضى ٢/ ٧٣، والبرصان والعرجان ص ١٦٦، ٣١١، وتمثال الأمثال ١/ ٣٤٠، وجمهرة الأمثال ٢/ ٣٠٥، والحماسة البصرية ١/ ٩٤، وخزانة الأدب ٣/ ٣٤٧، وديوان المفضليات ص ١٩٧، وذيل الأمالي ص ٣٦، وشرح ديوان الحماسة للتبريزي ٢/ ٢٤، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ٢/ ٤٨٧، والشعر والشعراء ١/ ٨٦، والصاحبي في فقه اللغة ص ٢٣٤، وكتاب الصناعتين ص ١٨٣، وتفسير البحر المحيط ٢/ ٣٧٧، ومجمع البيان ١/ ٧٤، والحيوان ٦/ ٤٥٠، والطرائف الأدبية ص ٣٦.

ويروى البيت (لا تقتلوني)، (إن قبري)، (ولكن أبشري) وفي "ذيل الأمالي" (لا تقتلوني)، (إن قتلي). وأم عامر: كنية الضبع و (خامري) أي استتري، يريد دنو الضبع مستخفية ملازمة لمكانها حتى تخالط القتيل فتصيب منه. والمعنى: يقول لا تدفنوني بعد قتلي واتركوني للتي يقال لها (أم عامر).

(٦) التحرير والتنوير: ٤٣٣/٢٩.

(٧) نقلا عن: التحرير والتنوير: ٤٣٣/٢٩.

قال الطبري:" وجعلنا في الأرض جبالا ثابتات فيها، باذخات شاهقات"[٢].
قال ابن كثير:" يعني : الجبال، أرسى بها الأرض لئلا تميد وتضطرب"[٣].
قال قتادة:" يعني: الجبال"[٤].
قال ابن عباس:" جبالا مشرفات"[٥].
قال السمعاني:" يُقَال: شمخ فلان بِأنْفِهِ إذا رفع قدره"[٦].
قوله تعالى:{وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا} [المرسلات : ٢٧]، أي:" وأسقيناكم ماءً عذبًا سائغًا"[٧].
قال الطبري:" يقول: وأسقيناكم ماء عذبا"[٨].
قال ابن كثير:" عذبا زُلالا من السحاب، أو مما أنبعه الله من عيون الأرض"[٩].
عن ابن عباس، ومجاهد: "{وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا}، يقول: عذبا"[١٠].
قال قتادة:" أي: ماء عذبا"[١١].
قال مقاتل:" يقول: ماء حلوا"[١٢].
قال القشيري:" يذكّرهم عظيم منّته بذلك عليهم. والإشارة فيه إلى عظيم منّته أنّه لم يخسف بكم الأرض- وإن عملتم ما عملتم"[١٣].
قال ابن عاشور:" عطف "{وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً} { فُرَاتًا} لمناسبة ذكر الجبال، لأنها تنحدر منها المياه تجري في أسافلها وهي الأدوية وتقر في قرارات وحياض وبحيرات. والفرات: العذب وهو ماء المطر، وتنوين «شامخات» و«ماء فراتا»، للتعظيم لدلالة ذلك على عظيم القدرة"[١٤].
عن ابن عباس: "{وَأَسْقَيْنَاكُمْ مَاءً فُرَاتًا}، قال: من أربعة أنهار: سيحانَ، وجيحان، والنيل، والفراتِ، وكل ماء يشربه ابن آدم، فهو من هذه الأنهار، وهي تخرج من تحت صخرة من عند بيت المقدس، وأما سيحان فهو ببلخ، وأما جيحان فدجلة، وأما الفرات ففرات الكوفة، وأما النيل فهو بمصر"[١٥].

القرآن
{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٢٨)} [المرسلات : ٢٨]
التفسير:
هلاك ودمار يوم القيامة للمكذبين بهذه النعم.

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٢) تفسير الطبري: ١٣٥/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٢٩٩/٨.
(٤) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤.
(٦) تفسير السمعاني: ١٢٩/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٨) تفسير الطبري: ١٣٥/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٩٩/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٥/٤.
(١٣) لطائف الإشارات: ٦٧٣/٣.
(١٤) التحرير والتنوير: ٤٣٤/٢٩.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٣٥/٢٤-١٣٦.

قال الطبري:" يقول: ويل يومئذ للمكذّبين بهذه النعم التي أنعمتها عليكم من خلقي الكافرين بها"[١].

قال مقاتل: أي:" بالبعث وقد علموا أن الله- تعالى- قد خلق هذه الأشياء كلها"[٢].

قال ابن كثير:" أي : ويل لمن تأمل هذه المخلوقات الدالة على عظمة خالقها، ثم بعد هذا يستمر على تكذيبه وكفره"[٣].

قال ابن عاشور:" تكرير للتوبيخ والتقريع"[٤].

وفي معنى "الويل"، أقوال:

أحدها : أنه ما يسيل من صديد في أصل جهنم. قاله أبو العياض[٥]، وشقيق[٦].

الثاني : أنه الحزن، قاله ابن كيسان[٧].

يقال : تويل الرجل إذا دعا بالويل، وإنما يقال ذلك عند الحزن والمكروه، ومنه قوله : {فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ} [البقرة : ٧٩]، ومنه قول الشاعر[٨]:

تَوَيّل إذ ملأتُ يدي وكانَتْ ... يميني لا تعلّلُ بالقليل

الثالث : أن الويل وادٍ في جهنم، وهذا قول عطاء بن يسار[٩].

عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"[١٠].

الرابع: أنه النار ، قاله عمر مولى عفرة [١١].

فوائد الآيات: [١٦-٢٨]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- الاستدلال على البعث والجزاء بالقدرة والعلم إذ هما أساس البعث والجزاء.

٣- بيان إنعام الله تعالى على عباده في خلقهم ورزقهم وتدبير حياتهم أحياء وأمواتا.

٤- بيان أن الناس أكثرهم لا يشكرون.

٥- الوعيد الشديد للمكذبين الكافرين.

القرآن

{انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ (٢٩) انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ (٣٠) لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ (٣١) إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ (٣٢) كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ (٣٣)} [المرسلات : ٢٩-٣٣]

التفسير:

يقال للكافرين يوم القيامة: سيروا إلى عذاب جهنم الذي كنتم به تكذبون في الدنيا، سيروا، فاستظلوا بدخان جهنم الذي يتفرع منه ثلاث قطع، لا يُظِل ذلك الظل من حر ذلك اليوم، ولا

---

(١) تفسير الطبري: ١٣٦/٢٤.

(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٥/٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٢٩٩/٨.

(٤) التحرير والتنوير: ٤٣٤/٢٩.

(٥)انظر: تفسير الطبري(١٣٨٢)، و(١٣٨٣)، و(١٣٨٤):ص٢٦٧/٢-٢٦٨، وابن أبي حاتم(٧٩٩):ص١٥٣/١.

(٦) انظر: تفسير الطبري(١٣٨٥):ص٢٦٨/٢.

(٧) انظر: الممتع في التصريف:٢/ ٥٦٨، ولسان العرب: ٨/ ٤٩٣٩، والمعجم المفصل:٦/ ٥٨٧.

(٨) لم أتعرف على قائله، والبيت في: الممتع في التصريف" ٢/ ٥٦٨، وفي "لسان العرب" ٨/ ٤٩٣٩، "المعجم المفصل" ٦/ ٥٨٧.

(٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(٨٠٠):ص٢٥٣/١، والطبري(١٣٩٦):ص٢٧١/٢-٢٧٢.

(١٠) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص١٥/٢.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٢٦/٦.

يدفع من حر اللهب شيئًا. إن جهنم تقذف من النار بشرر عظيم، كل شرارة منه كالبناء المشيد في العِظم والارتفاع. كأن شرر جهنم المتطاير منها إبل سود يميل لونها إلى الصُّفْرة.

قوله تعالى:{انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} [المرسلات : ٢٩]، أي:" يقال للكافرين يوم القيامة: سيروا إلى عذاب جهنم الذي كنتم به تكذبون في الدنيا"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بهذه النَّعم والحجج التي احتجّ بها عليهم يوم القيامة: {انْطَلِقُوا إِلَى مَا كُنْتُمْ بِهِ} في الدنيا {تُكَذِّبُونَ} من عذاب الله لأهل الكفر به"[٢].

قال الزجاج: " يعنى: النار لأنهم كذّبوا بالبعث والنشور والنار"[٣].

قال مقاتل: {تُكَذِّبُونَ} " في الدنيا أنه غير كائن وهي النار وذلك أنه إذا انطلق أهل النار وهي تهمهم، زفرت جهنم زفرة واحدة فيخرج عنق فيحيط بأهلها، ثم تزفر زفرة أخرى فيخرج عنق لها من نار وتحيط بهم، ثم تزفر الثالثة فيخرج عنق فيحيط بالآخرين فتصير حولهم سرادق من نار، فيخرج دخان من جهنم فيقوم فوقهم، فيظن أهلها أنه ظل وأنه سينفعهم من هذه النار، فينطلقون كلهم بأجمعهم فيستظلون تحتها، فيجدونها أشد حرا من السرادق[٤].

قال ابن عاشور:" الأمر بانطلاقهم مستعمل في التسخير، لأنهم تنطلق بهم ملائكة العذاب قسرا"[٥].

قال السمعاني:" فِي التَّفْسِير: أَن النَّاس يقفون على رُءُوس قُبُورهم أَرْبَعِينَ عَاما إِذا بعثوا، وتدنوا الشَّمْس من رُءُوسهم وَيُزَاد فِي حرهَا حَتَّى يَأْخُذهُمْ الكرب الْعَظِيم وَحَتَّى تَأْخُذ بِأَنْفَاسِهِمْ ثمَّ إِن الله تَعَالَى يُنجي الْمُؤمنِينَ إِلَى ظلّ من ظله برحمته، وَيبقى الْكفَّار فَيخرج لَهُم دُخان من النَّار ويتشعب ثَلَاث شعب فَيُقَال لَهُم: انْطَلقُوا إِلَى ذَلِك الدُّخان فاستظلوا بِهِ فَهُوَ معنى قَوْله تَعَالَى: {انْطَلقُوا إِلَى مَا كُنْتُم بِهِ تكذبون}، وَإِنَّمَا قَالَ: {مَا كُنْتُم بِهِ تكذبون} لأنهم كَانُوا يكذبُون بالنَّار. وَهَذَا دُخان النَّار"[٦].

قوله تعالى:{انْطَلِقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثِ شُعَبٍ} [المرسلات : ٣٠]، أي:" سيروا، فاستظلوا بدخان جهنم الذي يتفرع منه ثلاث قطع"[٧].

قال الطبري:" يعني تعالى ذكره: إلى ظلّ دخان ذي ثلاث شعب"[٨].

قال ابن كثير:" يعني : لَهَبَ النار إذا ارتفع وصَعِدَ معه دخان، فمن شدته وقوته أن له ثلاث شعب"[٩].

قال الزجاج: " يعنى بالـ«ظل» -ههنا-: دُخَانُ جَهَنَّمَ"[١٠].

قال ابن عاشور:" أريد بالظل دخان جهنم لكثافته، فعبر عنه بالظل تهكما بهم لأنهم يتشوقون ظلا يأوون إلى برده. وأفرد «ظل» -هنا-، لأنه جعل لهم ذلك الدخان في مكان واحد ليكونوا متراصين تحته لأن ذلك التراص يزيدهم ألما، و«الشعب»: اسم جمع شعبة وهي الفريق من الشيء والطائفة منه، أي ذي ثلاث طوائف وأريد بها طوائف من الدخان فإن النار إذا عظم اشتعالها تصاعد دخانها من طرفيها ووسطها لشدة انضغاطه في خروجه منها"[١١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٢) تفسير الطبري: ١٣٦/٢٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٦٧/٥.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٥/٤.
(٥) التحرير والتنوير: ٤٣٥/٢٩.
(٦) تفسير السمعاني: ١٣٠/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٨) تفسير الطبري: ١٣٦/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٩٩/٨.
(١٠) معاني القرآن: ٢٦٧/٥.
(١١) التحرير والتنوير: ٤٣٥/٢٩.

قال الفراء:" يُقال: إنه يخرج لسانٌ من النار، فيحيط بهم كالسرادق ثُمَّ يتشعب مِنْهُ ثلاث شعب من دخان فيظلهم، حتَّى يفرغ من حسابهم إلى النار"[١].

قال الثعلبي:" يعني: دخان جهنم إذا ارتفع أشعب، وقيل: أنها عنق يخرج من النار فينشعب ثلاث شعب، فأمّا النور فيقف على رؤوس المؤمنين، والدخان يقف على رؤس المنافقين، واللهب الصافي يقف على رؤوس الكافرين"[٢].

عن مجاهد، قوله: "{إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ}، قال: دخان جهنم"[٣].

عن قتادة :"{ظِلٍّ ذِي ثَلاثِ شُعَبٍ}، قال: هو كقوله: {نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا}، قال: والسرادق: دخان النار، فأحاط بهم سرادقها، ثم تفرّق، فكان ثلاث شعب، فقال: انطلقوا إلى ظلّ ذي ثلاث شعب: شعبة هاهنا، وشعبة هاهنا، وشعبة هاهنا"[٤].

قوله تعالى:{لَا ظَلِيلٍ وَلَا يُغْنِي مِنَ اللَّهَبِ} [المرسلات : ٣١]، أي:" لا يُظِل ذلك الظل من حر ذلك اليوم، ولا يدفع من حر اللهب شيئًا"[٥].

قال الطبري:" وذلك أنه يرتفع من وقودها الدخان فيما ذُكر، فإذا تصاعد تفرّق شعبا ثلاثا"[٦].

قال النحاس:" أي: غير ظليل من الحرّ ولا يقي لهب النار"[٧].

قال السمعاني:" أي: لَا يدْفع الْأَذَى فَهُوَ فِي صُورَة ظلّ وَلَيْسَ لَهُ معنى الظل، ولا يدْفع عَنْهُم أذى اللهب، واللهب لهب النَّار"[٨].

قال ابن كثير:" أي : ظل الدخان المقابل للهب لا ظليل هو في نفسه، ولا يغني من اللهب، يعني : ولا يقيهم حر اللهب"[٩].

قال ابن عاشور:" الظليل: القوي في ظلاله، اشتق له وصف من اسمه لإفادة كماله فيما يراد منه مثل: ليل أليل، وشعر شاعر، أي: ليس هو مثل ظل المؤمنين قال تعالى:{وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا} [النساء: ٥٧]. وفي هذا تحسير لهم.. وبذلك سلب عن هذا الظل خصائص الظلال، لأن شأن الظل أن ينفس عن الذي يأوي إليه ألم الحر"[١٠].

وَعَن قطرب قَالَ: "اللهب: هُوَ الْعَطش"[١١].

قوله تعالى:{إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ} [المرسلات : ٣٢]، أي:" إن جهنم تقذف من النار بشرر عظيم، كل شرارة منه كالبناء المشيد في العِظم والارتفاع"[١٢].

قال الطبري: "إن جهنم ترمي بشرر كالقصر"[١٣].

قال ابن كثير:" أي : يتطاير الشرر من لهبها كالقصر"[١٤].

قال الثعلبي:" {بِشَرَرٍ}: وهي ما تطاير من النار إذا التهبت واحدتها شررة"[١٥].

---

(١) معاني القرآن: ٢٢٤/٣.
(٢) الكشف والبيان: ١١٠/١٠.
(٣) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٣٦/٢٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٦) تفسير الطبري: ١٣٦/٢٤.
(٧) إعراب القرآن: ٧٥/٥.
(٨) تفسير السمعاني: ١٣٠/٦.
(٩) تفسير ابن كثير: ٢٩٩/٨.
(١٠) التحرير والتنوير: ٤٣٦/٢٩.
(١١) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٣٠/٦.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨١.
(١٣) تفسير الطبري: ١٣٧/٢٤.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٢٩٩/٨.
(١٥) الكشف والبيان: ١١٠/١٠.

قال القرطبي:" الشرر: واحدته شررة. والشرار: واحدته شرارة، وهو ما تطاير من النار في كل جهة، وأصله من شررت الثوب إذا بسطته للشمس ليجف"[١].

قال ابن عاشور:" يجوز أن يكون هذا من تمام ما يقال للمكذبين الذين قيل لهم: {انْطَلِقُوا إِلى مَا كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ} [المرسلات: ٢٩] ، فإنهم بعد أن حصل لهم اليأس مما ينفس عنهم ما يلقون من العذاب، وقيل لهم: انطلقوا إلى دخان جهنم ربما شاهدوا ساعتئذ جهنم تقذف بشررها فيروعهم المنظر، أو يشاهدونها عن بعد لا تتضح منه الأشياء وتظهر عليهم مخائل توقعهم أنهم بالغون إليه فيزدادون روعا وتهويلا، فيقال لهم: إن جهنم ترمي بشرر كالقصر"[٢].

وقرأ عيسى: «بشرار» وهي لغة تميم، واحدها: شرارة[٣].

وفي قوله تعالى:{كَالْقَصْرِ} [المرسلات : ٣٢]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه أصول الشجر العظام ، قاله الضحاك[٤].

قال الضحاك:" أصول الشجر العظام، كأنها أجواز الإبل الصفر وسط كل شيء جوزُه، وهي الأجواز"[٥].

عن هارون، قال: قرأها الحسن: «كالْقَصْرِ»، وقال: هو الجزل من الخشب قال: واحدته: قصرة وقصر، مثله: جمرة وجمر، وتمرة وتمر"[٦].

الثاني : كالجبل-بتسكين الصَّاد-. قاله مجاهد[٧].

الثالث : القصر من البناء، وهو واحد: القصور ، قاله ابن مسعود[٨]، وابن عباس[٩]، والحسن[١٠]، ومجاهد[١١]، والقرظي[١٢]، والأخفش[١٣].

قال القرطبي:" القصر: البناء العالي. وقراءة العامة «كالقصر»، بإسكان الصاد: أي الحصون والمدائن في العظم وهو واحد القصور"[١٤].

قال ابن الجوزي:" قرأ الجمهور بإسكان الصاد على أنه واحد القصور المبنيَّة. وهذا المعنى في رواية ابن أبي طلحة عن ابن عباس، وهو قول الجمهور"[١٥].

قال الزمخشري:" أي: كل شررة كالقصر من القصور في عظمها"[١٦].

عن ابن عباس، قوله: "{إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ}، يقول: كالقصر العظيم"[١].

---

(١) تفسير القرطبي: ١٦٣/١٩.
(٢) التحرير والتنوير: ٤٣٦/٢٩-٤٣٧.
(٣) انظر: الكشف والبيان: ١١٠/١٠.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٧) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٣١/٦.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٩١):ص٣٣٩٣/١٠.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٢٤.
(١٠) رواه عنه النحاس في "إعراب القرآن": ٧٦/٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٢٤، وإعراب القرآن للنحاس: ٧٦/٥.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٥٦٣/٢.
(١٤) تفسير القرطبي: ١٦٣/١٩.
(١٥) زاد المسير: ٣٨٥/٤. وقرأ سعد بن أبي وقاص، وعائشة، وعكرمة، وأبو مجلز، وأبو المتوكل، وابن يعمر «كالقَصِرِ» بفتح القاف، وكسر الصاد. وقرأ ابن مسعود، وأبو هريرة، والنخعي «كالقُصُر» برفع القاف والصاد جميعاً. وقرأ أبو الدرداء، وسعيد بن جبير «كالقِصَر» بكسر القاف، وفتح الصاد، وقرأ أبو العالية، وأبو عمران، وأبو نهيك، ومعاذ القارئ «كالقصر» بضمّ القاف وإسكان الصاد.
ورواها أبو حاتم: كالقصر: القاف والصاد مفتوحتان- عن ابن عباس وسعيد بن جبير (المحتسب ٢/ ٣٤٦).
(١٦) الكشاف: ٦٨٠/٤.

قال أبُو عَمْرو: "كالبناء العَظِيم"[٢].
وعن ابن مسعود: {تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ}، قال:" إنها ليست كالشجر والجبال، ولكنها مثل المدائن والحصون"[٣].
عن الحسن قال: "{ كَالْقَصْرِ}، واحد القصور"[٤].
عن مجاهد: "{إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ}، قال: ذكر القصر"[٥].
قال الفراء:" يريد: القصر من قصور مياه العرب، وتوحيده وجمعه عربيان"[٦].
قال الكلبي: "شبه الشرار من النار بالقصر من قصور الأعراب التي تكون على المياه"[٧].
قال القرظي: "إن على جهنم سورا فما خرج من وراء السور مما يرجع فيها في عظم القصر، ولون القار"[٨].
قال السمعاني:" وقيل: كالخيمة من خيام العرب، والعرب تسمي ذلك قصرا"[٩].
قال النحاس:" والعرب تشبه الناقة والجمل بالقصر، كما قال[١٠]:
كأنها برج روميّ يشيّده ... بان بجصّ وآجرّ وأحجار"[١١].
قال الزمخشري:" «القصر» في قول ابن عباس وجماعة من المفسرين اسم نوع القصور وهو إلا دورا لكبار مشيدة، وقد شبهت العرب بها النوق"[١٢].
الرابع : أنها خشبة كان أهل الجاهلية يقصدونها ، نحو ثلاثة أذرع ، يسمونها القصر ، قاله ابن عباس[١٣]، وبه قال ابن العربي[١٤]، وابن القتيبة[١٥]، والنحاس[١٦].
قال النحاس:" وهذا أصح ما قيل فيه ومنه قيل: قصّار، لأنه يعمل بمثل هذا الخشب، والقصر بهذا المعنى يكون جمع: قصرة"[١٧].
قال ابن قتيبة:" أراد: أصولَ النخل المقطوعة المقلوعة"[١٨].
قال مقاتل:" هو أصول الشجر يكون في البرية، فإذا جاء الشتاء قطعت أغصانها فتبقى أصولها، «فيحرقها البرد فتسود، فتراها في البرية كأمثال الجمال إذا أنيخت في البرية"[١٩].
قال ابن عباس:" القصر: خشب كان يُقْطع في الجاهلية ذراعا وأقلّ أو أكثر، يُعْمَد به"[٢٠].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٤.
(٢) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٣١/٦.
(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩٠٩١):ص٣٣٩٣/١٠.
(٤) رواه عنه النحاس في "إعراب القرآن": ٧٦/٥.
(٥) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٤.
(٦) معاني القرآن: ٢٢٤/٣.
(٧) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ٩٧/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٤.
(٩) تفسير السمعاني: ١٣١/٦.
(١٠)الشاهد للأخطل التغلبي في ديوانه ٧٦.
(١١) إعراب القرآن: ٧٦/٥.
(١٢) الكشاف: ٤٢٠/٥.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٣٧/٢٤.
(١٤) انظر: أحكام القرآن: ٣٥٨/٤.
(١٥) انظر: غريب القرآن: ٥٠٧.
(١٦) انظر: إعراب القرآن: ٧٦/٥.
(١٧) إعراب القرآن: ٧٦/٥.
(١٨) غريب القرآن: ٥٠٧.
(١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٦/٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٤.

قال ابن عباس:" القصر: خشب كنا ندّخره للشتاء ثلاث أذرع، وفوق ذلك، ودون ذلك كنا نسميه القصر"[١].

قال ابن عباس:" كنا في الجاهلية نقصر ذراعين أو ثلاث أذرع، وفوق ذلك ودون ذلك نسميه القصر"[٢].

قال ابن عباس:" فالقصر: الشجر المقطع، ويقال: القصر: النخل المقطوع"[٣].

قال ابن عباس:" مثل قَصْرِ النخلة"[٤].

وعن مجاهد، قوله: "{كالْقَصْرِ}، قال: حزم الشجر، يعني: الحزمة"[٥].

وقال مجاهد:" كَأَنَّهَا حِذْمُ الشَّجَرِ"[٦].

قال قتادة:" أصول الشجر، وأصول النخل"[٧].

قال قتادة:" كأصل الشجر"[٨].

عن سعيد بن جُبير، عن ابن عباس أنه قرأها: "«كالْقَصَرِ»، بفتح القاف والصاد"[٩].

وقال هارون: "أخبرني أبو عمر أن ابن عباس قرأها: «كالقَصَرِ»، وقال: قصر النخل، يعني: الأعناق"[١٠].

الخامس : أنها أعناق الإبل-وهو بفتح الصاد- ، وهذا مروي عن ابن عباس-أيضا-[١١]، وقتادة[١٢].

قال الزجاج:" وقرئت كالقَصَرِ - بفتح الصاد – جمع: قَصَرَةٌ، أي: كأنَّها أعناق الإبلَ"[١٣].

قال الأخفش:" وقال بعضهم : كأعناق الإبل"[١٤].

قال ابن العربي:" روي أن ابن عباس قرأها «القَصَرُ»، وفسرها: بأعناق الإبل"[١٥].

السادس: قلوس السفن. وهذا مروي عن ابن عباس –أيضا-[١٦].

قال السمعاني:" وَقيل: حبال السفن"[١٧].

قوله تعالى:{كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ} [المرسلات : ٣٣]، أي:" كأن شرر جهنم المتطاير منها إبل سود يميل لونها إلى الصُّفْرة"[١٨].

وفي قوله تعالى:{كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ} [المرسلات : ٣٣]، وجوه من التفسير:

---

(١) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٣٧/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٦) تفسير مجاهد: ٦٩٢.
(٧) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٣٨/٢٤.
(١١) انظر: أحكام القرآن لابن العربي: ٣٥٨/٤.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٨٠/٦.
(١٣) معاني القرآن: ٢٦٨/٥.
(١٤) معاني القرآن: ٥٦٣/٢.
(١٥) أحكام القرآن: ٣٥٨/٤.
(١٦) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٣١/٦.
(١٧) تفسير السمعاني: ١٣١/٦.
(١٨) التفسير الميسر: ٥٨١.

أحدها : يعني: جِمالاً صُفراً، وأراد بالصفر: السود ، سميت صفراً لأن سوادها يضرب إلى الصفرة ، وهو قول ابن عباس[١]، والحسن[٢]، ومجاهد[٣]، وقتادة[٤]، وأبو عبيدة[٥]، قال الشاعر[٦]:

تِلْكَ خَيْلِي مِنْهُ وَتِلْكَ رِكَابِي ... هُنَّ صُفْرٌ أوْلادُها كَالزَّبِيبِ

قال مقاتل:" يقول: كأنها جمال سوداء إذا رأيتها من مكان بعيد"[٧].

قال ابن عباس:" حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض , حتى تكون كأوساط الرجال[٨]

قال الحسن:" الأينق السود"[٩].

قال قتادة: نوق سود"[١٠].

قال قتادة:" كالنوق السود الذي رأيتم"[١١].

قال مجاهد:" هي الإبل"[١٢].

قال ابن قتيبة:" وقع تشبيه «الشّرر» بـ«القصر» في مقاديره، ثم شبّهه في لونه بالجمالات الصّفر، وهي السود، والعرب تسمى السّود من الإبل صفرا، وإنما سمّيت السّود من الإبل: صفرا، لأنه يشوب سودها شيء من صفرة، كما قيل لبيض الظباء: أدم، لأن بياضها تعلوه كدرة، والشّرر إذا تطاير فسقط وفيه بقية من لون النار، أشبه شيء بالإبل السّود، لما يشوبها من الصفرة "[١٣].

قال الزمخشري:" «جِمالَتٌ»: جمع «جمال»، أو جمالة جمع: جمل، شبهت بالقصور، ثم بالجمال لبيان التشبيه. ألا تراهم يشبهون الإبل بالأفدان والمجادل[١٤]"[١٥].

قال ابن عاشور:" قوله:{كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ} تشبيه له في حجمه ولونه وحركته في تطايره بجمالات صفر. وضمير {كَأَنَّهُ} عائد إلى «شرر». و«الجمالات»: بكسر الجيم جمع جمالة، وهي اسم جمع طائفة من الجمال، أي تشبه طوائف من الجمال متوزعة فرقا، وهذا تشبيه مركب لأنه تشبيه في هيئة الحجم مع لونه مع حركته. والصفرة: لون الشرر إذا ابتعد عن لهيب ناره"[١٦].

الثاني : أنها قلوس السفن، شبَّه بها الشرر. قاله ابن عباس-أيضا-[١٧]، وسعيد بن جبير[١٨]، ومجاهد-في رواية-[١].

---

(١) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٤٤٩):ص٣/٣٨١-٣٨٢.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٣٩/٢٤.

(٥) انظر: مجاز القرآن: ٤٤/١.

(٦)للأعشى في ديوانه ص ٣٨٥، ولسان العرب (خشب) ، (صفر) ، وتهذيب اللغة ١٢/ ١٧٠، وجمهرة اللغة ص ٧٤٠، وتاج العروس (خشب) ، والخزانة ٢/ ٤٦٤، وبلا نسبة في مقاييس اللغة ٣/ ٢٩٤، ومجمل اللغة ٣/ ٢٣١، والمخصص ٢/ ١٠٥.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٦/٤.

(٨) تفسير عبدالرزاق(٣٤٤٩):ص٣/٣٨١-٣٨٢.

(٩) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ١٣٩/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.

(١٣) تأويل مشكل القرآن: ١٩٤.

(١٤)«بالأفدان والمجادل» جمع فدن وجمع مجدل، وكلاهما بمعنى القصر، كذا في الصحاح.

(١٥) الكشاف: ٦٨٠/٤.

(١٦) التحرير والتنوير: ٤٣٧/٢٩.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٤.

(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٤.

قال سعيد بن جبير:" قُلوس الجِسر"[٢]. وفي رواية:" الحبال"[٣].
قال مجاهد:" حبال الجسور"[٤].
قال ابن عباس:" قلوس سفن البحر"[٥].
قال ابن عباس:" فالجِمالات الصفر: قلوس السفن التي تجمع فتوثق بها السفن"[٦].
قال ابن عباس:" قُلُوس سفن البحر يجمل بعضها على بعض، حتى تكون كأوساط الرجال"[٧].
قال ابن عباس:" حبال السفن يجمع بعضها إلى بعض حتى تكون كأوساط الرجال"[٨].
الثالث : أنها قطع النحاس ، وهو مروي عن ابن عباس -أيضاً -[٩].
قال الطبري:" وأولى الأقوال عندي بالصواب قول من قال: عُنِي بالجمالات الصفر: الإبل السود، لأن ذلك هو المعروف من كلام العرب، وأن الجِمالات جمع جِمال، نظير رِجال ورِجالات، وبُيوت وبُيوتات"[١٠].
قال الماوردي:" وفي تسميتها بالجمالات الصفر وجهان : أحدهما : لسرعة سيرها . الثاني : لمتابعة بعضها لبعض"[١١].
وروي عن ابن عباس، أنه قرأ: «جُمالاتٌ»، بالتاء وضمّ الجيم كأنه جمع: جُمالة من الشيء المجمل[١٢].

القرآن
{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٤)} [المرسلات : ٣٤]
التفسير:
هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بوعيد الله.
قال مقاتل:" بالبعث"[١٣].
قال ابن عاشور:" تكرير لقصد تهديد المشركين الأحياء"[١٤].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ويل يوم القيامة للمكذّبين هذا الوعيد الذي توعد الله به المكذّبين من عباده"[١٥].
عن عطاء بن يسار، قال: "الويل: واد في جهنم، لو سيرت فيه الجبال لا ماعت من شدة حره"[١٦].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٤٠/٢٤-١٤١.
(٢) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ١٤٠/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٩٠):ص٣٣٩٢/١٠.
(١٠) تفسير الطبري: ١٤١/٢٤.
(١١) النكت والعيون: ١٨٠/٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٤١/٢٤.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٦/٤.
(١٤) التحرير والتنوير: ٤٣٩/٢٩.
(١٥) تفسير الطبري: ١٤١/٢٤.
(١٦) تفسير القرآن من الجامه لابن وهب(٢٤):ص١٥/٢.

القرآن

{هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦)} [المرسلات : ٣٥-٣٦]

التفسير:

هذا يوم القيامة الذي لا ينطق فيه المكذبون بكلام ينفعهم، ولا يكون لهم إذن في الكلام فيعتذرون؛ لأنه لا عذر لهم.

قوله تعالى:{هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ} [المرسلات : ٣٥]، أي:" هذا يوم القيامة الذي لا ينطق فيه المكذبون بكلام ينفعهم"(١).

قال مقاتل:" ثم ذكر الويل متى يكون؟ فقال: {هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ}"(٢).

قال ابن كثير:" أي : لا يتكلمون"(٣).

قال يحيى بن سلام: أي:" بحجة، وهي مواطن لا يؤذن لهم في موطن في الكلام، ويؤذن لهم في موطن"(٤).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بثواب الله وعقابه: {هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ} أهل التكذيب بثواب الله وعقابه.. فإنهم لا ينطقون في بعض أحوال ذلك اليوم، لا أنهم لا ينطقون ذلك اليوم كله "(٥).

قال الزجاج: " يوم القيامة له مواطن ومواقيتُ، فهذا من المواقيت التي لا يتكلمون فيها"(٦).

قال الشوكاني:" قيل: إن هذا إشارة إلى وقت دخولهم النار وهم عند ذلك لا ينطقون لأن مواقف السؤال والحساب قد انقضت"(٧).

قال أبو عثمان: "أمسكتهم رؤية الهيبة وحياء الذنوب"(٨).

قال سهل:" لا ينطق أحد عن نفسه بحجة، إلا بإظهار العجز والعبودية والتزام المخالفات والجرائم"(٩).

عن قتادة ، قال: "جاء رجل إلى عكرمة، فقال: "أرأيت قول الله: {هذا يوم لا ينطقون} [المرسلات: ٣٥] وقوله: {ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون} [الزمر: ٣١] قال: «إنها مواقف ، فأما موقف منها فتكلموا واختصموا ، ثم ختم الله على أفواههم فتكلمت أيديهم وأرجلهم ، فحينئذ لا ينطقون»"(١٠).

عن أبي الضحى، قال: "جاء ابن الأزرق وعطية إلى ابن عباس، فقالا له: أرأيت قول الله عز وجل: {هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات: ٣٦] ، وقال: {ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ} [الزمر: ٣١]، وقال في مكان آخر: {وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا} [النساء: ٤٢] وقال: {وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ} [الأنعام: ٢٣] ، فقال له ابن عباس: «ويحك يا ابن الأزرق، إنه يوم طويل فيه مواقف كثيرة، فيأتي عليهم ما شاء الله وهم لا ينطقون، ثم يؤذن لهم فيختصمون، ثم يأتي عليهم حال فيجحدون شركهم، ويظنون أن ذلك ينفعهم فيختم الله على

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٦/٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٠/٨.
(٤) تفسير يحيى بن سلام: ٨١/١.
(٥) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٤.
(٦) معاني القرآن: ٢٦٨/٥.
(٧) فتح القدير: ٤٣٤/٥.
(٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١١/١٠.
(٩) تفسير التستري: ١٨٤.
(١٠) تفسير عبدالرزاق(٥٩٠):ص٤٦٠/١.

ألسنتهم، وتنطق جوارحهم فتشهد عليهم بأعمالهم، ثم تنطق ألسنتهم، فتقر بما عملوا فلا يكتمون الله حديثا» ، فيقولون: {قَدْ جَاءَنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ} [الملك: ٩]"[١].

قوله تعالى:{وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات : ٣٦]، أي:" ولا يكون لهم إذن في الكلام فيعتذرون؛ لأنه لا عذر لهم"[٢].

قال السعدي:" أي: لا تقبل معذرتهم، ولو اعتذروا"[٣].

قال السمعاني:" لِأَنَّهُ لَا عذر لَهُم فيعتذرون"[٤].

قال ابن أبي زمنين:" قد يؤذن لهم في الكلام في بعض المواطن، ولايؤذن لهم في بعض؛ فإذا أذن لهم في الكلام لم يعتذروا بعذر"[٥].

قال الطبري:" يقول:" {وَلا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} مما اجترموا في الدنيا من الذنوب"[٦].

قال ابن كثير:" أي : لا يقدرون على الكلام، ولا يؤذن لهم فيه ليعتذروا، بل قد قامت عليهم الحجة، ووقع القولُ عليهم بما ظلموا فهم لا ينطقون. وعرصات القيامة حالات، والرب تعالى يخبر عن هذه الحالة تارة، وعن هذه الحالة تارة ؛ ليدل على شدّة الأهوال والزلازل يومئذ"[٧].

قال البيضاوي:" عطف {فَيَعْتَذِرُونَ} على {يُؤْذَنُ}، ليدل على نفي الإذن والاعتذار عقيبه مطلقا، ولو جعله جوابا لدل على أن عدم اعتذارهم لعدم الإذن فأوهم ذلك أن لهم عذرا لكن لا يؤذن لهم فيه"[٨].

عن أبي العالية في قوله:" {ولا هم ينظرون} يقول: لا يُنظرون فيَعْتَذِرُون، كقوله: {هَذَا يَوْمُ لا يَنْطِقُونَ ولا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ} [المرسلات: ٣٥ - ٣٦]"[٩].

روى عبد اللَّه بن محمد البلوي: "كنت أنا وعمر بن نباته جلوساً نتذاكر العُبَّاد والزهاد، فقال لي عمر: ما رأيت أورع ولا أفصح من محمد بن إدريس الشَّافِعِي - رحمه الله -، فرحت أنا وهو والحارث بن لبيد إلى الصفا، وكان الحارث تلميذاً لصالح المري، فافتتح يقرأ، وكان حسن الصوت، فقرأ هذه الآية عليه: {هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ (٣٥) وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ (٣٦)} [المرسلات: ٣٥-٣٦] .. الآيتان. فرأيت الشَّافِعِي - رحمه الله - وقد تغير لونه واقشعر جلده، واضطرب اضطراباً شديداً وخرَّ مغشياً عليه، فلما أفاق جعل يقول: أعوذ بك من مقام الكاذبين، وإعراض الغافلين، اللهم خضعت للك قلوب العارفين، وذلَّت لك رقاب المشتاقين، إلهي هب لي جودك. وجللني بسترك، واعف عن تقصيري بكرم وجهك. قال: ثم مشى وانصرفنا"[١٠].

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٣٧)} [المرسلات : ٣٧]

التفسير:

هلاك وعذاب شديد يومئذ للمكذبين بهذا اليوم وما فيه.

---

(١) تفسير مجاهد: ٦٩٢.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٣) تفسير السعدي: ٩٠٥.
(٤) تفسير السمعاني: ١٣٢/٦.
(٥) تفسير ابن ابي زمنين: ٨٠/٥.
(٦) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٤.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٠٠/٨.
(٨) تفسير البيضاوي: ٢٧٧/٥.
(٩) أخرجه الطبري(٢٣٩٧):ص٢٦٤/٣-٢٦٥.
(١٠) تفسير الإمام الشافعي: ١٤١٩/٣.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ويل يومئذ للمكذّبين بخبر الله عن هؤلاء القوم، وما هو فاعل بهم يوم القيامة"[١].

قال ابن عاشور:" تكرير لتهديد المشركين متصل بقوله: {هَذَا يَوْمُ لَا يَنْطِقُونَ} [المرسلات: ٣٥]"[٢].

قال أبو الليث:" يعني: ويل لمن جحد يوم القيامة وهو يقدر على الكلام في هذا اليوم، يعني: كان في الدنيا يقدر على المعذرة فتركها"[٣].

قال الشوكاني:" {للمكذبين} بما دعتهم إليه الرسل وأنذرتهم عاقبته"[٤].

القرآن

{هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩)} [المرسلات : ٣٨-٣٩]

التفسير:

هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلائق، ويتميز فيه الحق من الباطل، جمعناكم فيه -يا معشر كفار هذه الأمة- مع الكفار الأولين من الأمم الماضية، فإن كان لكم حيلة في الخلاص من العذاب فاحتالوا، وأنقذوا أنفسكم مِن بطش الله وانتقامه.

قوله تعالى:{هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ} [المرسلات : ٣٨]، أي:" هذا يوم يفصل الله فيه بين الخلائق، ويتميز فيه الحق من الباطل"[٥].

قال قتادة:" يعني: يوم القيامة"[٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لهؤلاء المكذّبين بالبعث يوم يبعثون: هذا يوم الفصل الذي يَفْصل الله فيه بالحقّ بين عباده"[٧].

قال البيضاوي:" {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ} بين المحق والمبطل"[٨].

قال النفسي:" {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ} بين المحق والمبطل والمحسن والمسيء بالجزاء"[٩].

قال السعدي:" لنفصل بينكم، ونحكم بين الخلائق"[١٠].

قال الزجاج: " أي: هذا يوم يفصل فيه بين أهل الجنة والنار وأهل الحق والبَاطِل"[١١].

قوله تعالى:{جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ} [المرسلات : ٣٨]، أي:" جمعناكم فيه -يا معشر كفار هذه الأمة- مع الكفار الأولين من الأمم الماضية"[١٢].

قال البيضاوي:" تقرير وبيان للفصل"[١٣].

قال الطبري:" جمعناكم فيه لموعدكم الذي كنا نعدكم في الدنيا، الجمع فيه بينكم وبين سائر من كان قبلكم من الأمم الهالكة. فقد وقَّينا لكم بذلك"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٤.
(٢) المحرر الوجيز: ٤٤١/٢٩.
(٣) بحر العلوم: ٥٣٥/٣.
(٤) فتح القدير: ٤٣٥/٥.
(٥) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨١٥٥):ص٣٢٠٧/١٠.
(٧) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٤-١٤٣.
(٨) تفسير البيضاوي: ٢٧٧/٥.
(٩) تفسير النسفي: ٥٨٧/٣-٥٨٨.
(١٠) تفسير السعدي: ٩٠٥.
(١١) معاني القرآن: ٢٦٨/٥.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨١.
(١٣) تفسير البيضاوي: ٢٧٧/٥.
(١٤) تفسير الطبري: ١٤٢/٢٤-١٤٣.

قال النسفي:" {جمعناكم} يا مكذبي محمد {والأولين} والمكذبين بين قبلكم"[١].

قال ابن كثير:"هذه مخاطبة من الخالق لعباده يقول لهم :{هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ} يعني : أنه جمعهم بقدرته في صعيد واحد، يُسمعُهم الداعي ويَنفُذهُم البصر"[٢].

قال ابن عاشور:" المخاطبون بضمير {جَمَعْنَاكُمْ}: المشركون الذين سبق الكلام لتهديدهم وهم المكذبون بالقرآن"[٣].

قال الماتريدي:" فيه إخبار أنه لا يخص بالبعث فريقا دون فريق، بل يجمع الخلائق كلهم، ثم يفصل بينهم؛ فينزل كلا منزلته التي استوجبها {فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ}"[٤].

عن عبد اللَّه بن عبد الحكم قال: "جلسنا يوماً نتذاكر الزُّهاد والعبَّاد، وما بلغ من فصاحتهم حتى ذكرنا ذا النون، فبينما نحن كذلك إذ دخل علينا عمر بن نباته فقال: فيما تشاجرون؟ فقلنا: نتذاكر الزهاد والعبَّاد وما بلغ من فصاحتهم حتى ذكرنا ذا النون. فقال: واللَّه ما رأيت رجلاً قط أفصح ولا أورع من محمد بن إدريس الشَّافِعِي رحمة اللَّه عليه. ثم قال: خرجت أنا وهو والحارث بن لبيد ذات يوم إلى الصفا فافتتح الحارث، وكان غلاماً لصالح المري، فقرأ: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ: {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ} فرأيت الشَّافِعِي قد اضطرب، ثم بكى بكاء شديداً، ثم لم يتمالك أن قال: إلهي، أعوذ بك من مقال الكاذبين، وإعراض الغافلين، إلهي، لك خضعت قلوب العارفين، وذلَّت هيبة المشتاقين، إلهي هب لي جودك، وجللني بسترك، واعف عن توبيخي بكرم وجهك، يا أرحم الراحمين"[٥].

قوله تعالى:{فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ} [المرسلات : ٣٩]، أي:" فإن كان لكم حيلة في الخلاص من العذاب فاحتالوا، وأنقذوا أنفسكم مِن بطش الله وانتقامه"[٦].

قال الفراء:" إن كَانَ عندكم حيلة، فاحتالوا لأنفسكم"[٧].

قال الطبري:" يقول: والله منجز لكم ما وعدكم في الدنيا من العقاب على تكذيبكم إياه بأنكم مبعوثون لهذا اليوم إن كانت لكم حيلة تحتالونها في التخلص من عقابه اليوم فاحتالوا"[٨].

قال عطاء: "يريد: كنتم في الدنيا تحاربون محمداً -صلى الله عليه وسلم-، وتحاربونني، فاليوم حَاربون"[٩].

وقال الكلبي: "يقول: إن استطعتم أن تصنعوا شيئاً فاصنعوا"[١٠].

قال البيضاوي:" تقريع لهم على كيدهم للمؤمنين في الدنيا وإظهار لعجزهم"[١١].

قال ابن عاشور:" أي: فإن كان لكم كيد اليوم كما كان لكم في الدنيا، أي كيد بديني ورسولي فافعلوه. والأمر للتعجيز، والشرط للتوبيخ والتذكير بسوء صنيعهم في الدنيا، والتسجيل عليهم بالعجز عن الكيد يومئذ حيث مكنوا من البحث عما عسى أن يكون لهم من الكيد فإذا لم يستطيعوه بعد ذلك فقد سجل عليهم العجز. وهذا من العذاب الذي يعذبونه إذ هو من نوع العذاب النفساني وهو أوقع على العاقل من العذاب الجسماني"[١٢].

---

(١) تفسير النسفي: ٥٨٧/٣-٥٨٨.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٠٠/٨.
(٣) المحرر الوجيز: ٤٤٢/٢٩.
(٤) تأويلات أهل السنة: ٣٨٦/١٠.
(٥) تفسير الإمام الشافعي: ١٤٢٠/٣.
(٦) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٧) معاني القرآن: ٢٢٧/٣.
(٨) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٤.
(٩) التفسير البسيط للواحدي: ١٠٤/١٠-١٠٥.
(١٠) التفسير البسيط للواحدي: ١٠٥/١٠.
(١١) تفسير البيضاوي: ٢٧٧/٥.
(١٢) المحرر الوجيز: ٤٤٢/٢٩.

قال السعدي:" ففي ذلك اليوم، تبطل حيل الظالمين، ويضمحل مكرهم وكيدهم، ويستسلمون لعذاب الله، ويبين لهم كذبهم في تكذيبهم"[١].

قال ابن كثير:" تهديد شديد ووعيد أكيد، أي : إن قدرتم على أن تتخلصوا من قبضتي، وتَنجُوا من حكمي فافعلوا، فإنكم لا تقدرون على ذلك، كما قال تعالى {يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ إِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ تَنْفُذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ فَانْفُذُوا لا تَنْفُذُونَ إِلا بِسُلْطَانٍ} [الرحمن : ٣٣]، وقال تعالى :{وَلا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا} [هود : ٥٧] وفي الحديث : «يا عبادي، إنكم لن تَبلُغوا نَفْعِي فتنفعوني، ولن تبلغوا ضري فتضروني»[٢]"[٣].

عن أبي عبد الله الجَدَلي قال : "أتيت بيت المقدس، فإذا عُبادة بن الصامت، وعبد الله بن عمرو، وكعب الأحبار يتحدثون في بيت المقدس، فقال عبادة : إذا كان يوم القيامة جمع الله الأولين والآخرين بصعيد واحد، ينفذهم البصر ويُسمعهم الداعي، ويقول الله :{هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالأَوَّلِينَ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ} اليوم لا ينجو مني جبار عنيد، ولا شيطان مريد. فقال عبد الله بن عمرو: فإنا نحدث يومئذ أنه يخرج عُنُق من النار فتنطلق حتى إذا كانت بين ظهراني الناس نادت : أيها الناس، إني بُعثتُ إلى ثلاثة أنا أعرف بهم من الأب بولده ومن الأخ بأخيه، لا يُغَيِّبهم عني وَزَر، ولا تُخفِيهم عني خافية : الذي جعل مع الله إلها آخر، وكلّ جبار عنيد، وكلّ شيطان مريد. فتنطوي عليهم فتقذف بهم في النار قبل الحساب بأربعين سنة"[٤].

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)} [المرسلات : ٤٠]

التفسير:

هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم القيامة.

قال الطبري:" يقول: ويل يومئذ للمكذّبين بهذا الخبر"[٥].

قال ابن عاشور:" تكرير للوعيد والتهديد وهو متصل بما قبله"[٦].

قال البيضاوي:" إذ لا حيلة لهم في التخلص من العذاب"[٧].

روى الحافظ ابن عساكر:" أن الشَّافِعِي رحمه اللَّه قرأ يوماً هذه الآية: {هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأَوَّلِينَ (٣٨) فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِيدُونِ (٣٩) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٠)} .. الآيات. فلم يزل يبكي حتى غُشِيَ عليه، رحمه اللَّه"[١].

---

(١) تفسير السعدي: ٩٠٥.

(٢) قطعة من حديث:" قال الله يا عبادى إنى حرمت الظلم على نفسى وجعلته محرما بينكم فلا تظالموا يا عبادى كلكم ضال إلا من هديته فاستهدونى أهدكم يا عبادى كلكم جائع إلا من أطعمته فاستطعمونى أطعمكم يا عبادى كلكم عار إلا من كسوته فاستكسونى أكسكم يا عبادى إنكم تخطئون بالليل والنهار وأنا أغفر الذنوب جميعا فاستغفرونى أغفر لكم يا عبادى إنكم لن تبلغوا ضرى فتضرونى ولن تبلغوا نفعى فتنفعونى يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما زاد ذلك فى ملكى شيئا يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك من ملكى شيئا يا عبادى لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم قاموا فى صعيد واحد فسألونى فأعطيت كل إنسان مسألته ما نقص ذلك مما عندى إلا كما ينقص المخيط إذا أدخل البحر يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها لكم ثم أوفيكم إياها فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه".

أخرجه مسلم (١٩٩٤/٤، رقم ٢٥٧٧) ، وابن حبان (٣٨٥/٢، رقم ٦١٩) ، والحاكم (٢٦٩/٤، رقم ٧٦٠٦) ، وقال: صحيح على شرط الشيخين.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٠/٨.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٠٠/٨، ورواه ابن أبي شيبة في المصنف (١٧٠/١٣) عن محمد بن فضيل به نحوه.

(٥) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٤.

(٦) المحرر الوجيز: ٤٤٢/٢٩.

(٧) تفسير البيضاوي: ٢٧٧/٥.

فوائد الآيات: [٢٩-٤٠]:
١- التهكم والسخرية والتبكيت من ألم أنواع العذاب الروحي يوم القيامة.
٢- عرصات القيامة واسعة والمقام فيها طويل والبلاء فيها شديد.
٣- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر بعض ما يتم فيه.
٤- التكذيب هو رأس الكفر، وبموجبه يكون العذاب.

القرآن
{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ (٤١) وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ (٤٢) كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٤٣) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٤٤) وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٥)} [المرسلات : ٤١-٤٥]

التفسير:
إن الذين خافوا ربهم في الدنيا، واتقوا عذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، هم يوم القيامة في ظلال الأشجار الوارفة وعيون الماء الجارية، وفواكه كثيرة مما تشتهيه أنفسهم يتنعمون. يقال لهم: كلوا أكلا لذيذًا، واشربوا شربًا هنيئًا؛ بسبب ما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال. إنا بمثل ذلك الجزاء العظيم نجزي أهل الإحسان في أعمالهم وطاعتهم لنا. هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم الجزاء والحساب وما فيه من النعيم والعذاب.

قوله تعالى:{إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ} [المرسلات : ٤١]، أي:" إن الذين خافوا ربهم في الدنيا، واتقوا عذابه بامتثال أوامره واجتناب نواهيه، هم يوم القيامة في ظلال الأشجار الوارفة وعيون الماء الجارية"(٢).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن الذين اتقوا عقاب الله بأداء فرائضه في الدنيا، واجتناب معاصيه {فِي ظِلَالٍ} ظليلة، وكِنّ كَنِين، لا يصيبهم أذى حرّ ولا قرّ- إذ كان الكافرون بالله في ظلّ ذي ثلاث شعب، لا ظليل ولا يغني من اللهب- وأنهار تجري خلال أشجار جناتهم"(٣).

قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن عباده المتقين الذين عبدوه بأداء الواجبات، وترك المحرمات : إنهم يوم القيامة يكونون في جنات وعيون، أي : بخلاف ما أولئك الأشقياء فيه، من ظل اليحموم، وهو الدخان الأسود المنتن"(٤).

قال البيضاوي:" إن المتقين عن الشرك، لأنهم في مقابلة المكذبين. {فِي ظِلَالٍ وَعُيُونٍ}"(٥).

قال السعدي:" لما ذكر عقوبة المكذبين، ذكر ثواب المحسنين، فقال: {إِنَّ الْمُتَّقِينَ} [أي:] للتكذيب، المتصفين بالتصديق في أقوالهم وأفعالهم وأعمالهم، ولا يكونون كذلك إلا بأدائهم الواجبات، وتركهم المحرمات. {فِي ظِلَالٍ} من كثرة الأشجار المتنوعة، الزاهية البهية. {وَعُيُونٍ} جارية من السلسبيل، والرحيق وغيرهما"(٦).

قال ابن عاشور:" التعريف في «المتقين»، للاستغراق، فلكل واحد من المتقين كون في ظلال"(٧).

عن الضحاك:"{الْمُتَّقِينَ}، قال: "الذين يتقون الشرك(١).

---

(١) تفسير الإمام الشافعي: ١٤٢١/٣.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٣) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٠١/٨.
(٥) تفسير البيضاوي: ٢٧٧/٥.
(٦) تفسير السعدي: ٩٠٥.
(٧) المحرر الوجيز: ٤٤٣/٢٩.

عن السدي: "{المتقين}، قال: هم المؤمنون"[٢].

قال عطاء: "يريد المهاجرين والأنصار، والتابعين بإحسان"[٣].

قوله تعالى:{وَفَوَاكِهَ مِمَّا يَشْتَهُونَ} [المرسلات : ٤٢]، أي:" وفواكه كثيرة مما تشتهيه أنفسهم يتنعمون"[٤].

قال الطبري:" يأكلون منها كلما اشتهوا لا يخافون ضرّها، ولا عاقبة مكروهها"[٥].

قال ابن كثير:" أي : من سائر أنواع الثمار، مهما طلبوا وجدوا"[٦].

قال السعدي:" أي: من خيار الفواكه وطيبها"[٧].

قال ابن عاشور:" فالتبعيض الذي دل عليه حرف «من»، تبعيض من أصناف الشهوات لا من أصناف الفواكه فأفاد أن تلك الفواكه مضمومة إلى ملاذ أخرى مما اشتهوه"[٨].

قوله تعالى:{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} [المرسلات : ٤٣]، أي:" يقال لهم: كلوا أكلا لذيذًا، واشربوا شربًا هنيئًا؛ بسبب ما قدمتم في الدنيا من صالح الأعمال"[٩].

قال السعدي:" ويقال لهم: {كُلُوا وَاشْرَبُوا} من المآكل الشهية، والأشربة اللذيذة {هَنِيئًا} أي: من غير منغص ولا مكدر، ولا يتم هناؤه حتى يسلم الطعام والشراب من كل آفة ونقص، وحتى يجزموا أنه غير منقطع ولا زائل، {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ}، فأعمالكم هي السبب الموصل لكم إلى هذا النعيم المقيم"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : يقال لهم ذلك على سبيل الإحسان إليهم "[١١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: يقال لهم: كلوا أيها القوم من هذه الفواكه، واشربوا من هذه العيون كلما اشتهيتم هنيئا: يقول: لا تكدير عليكم، ولا تنغيص فيما تأكلونه وتشربون منه، ولكنه لكم دائم، لا يزول، ومريء لا يورثكم أذى في أبدانكم، ويقال لهم: هذا جزاء بما كنتم في الدنيا تعملون من طاعة الله، وتجتهدون فيما يقرّبكم منه"[١٢].

قال ابن عاشور:" المقصود من ذلك القول كرامتهم بعرض تناول النعيم عليهم كما يفعله المضيف لضيوفه فالأمر في كلوا واشربوا مستعمل في العرض، وهنيئا دعاء تكريم كما يقال للشارب أو الطعام في الدنيا: هنيئا مريئا، كقوله تعالى: {فَكُلُوهُ هَنِيئًا مَرِيئًا} [النساء : ٤]، والباء في {بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ} للسببية، أي: لإفادة تسبب ما بعدها في وقوع متعلقه، أي: كلوا واشربوا بسبب ما كنتم تعملون في الدنيا من الأعمال الصالحة وذلك من إكرامهم بأن جعل ذلك الإنعام حقا لهم"[١٣].

عن عكرمة:"{كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا}، أي: لا موت"[١٤].

قوله تعالى:{إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} [المرسلات : ٤٤]، أي:" إنا بمثل ذلك الجزاء العظيم نجزي أهل الإحسان في أعمالهم وطاعتهم لنا"[١].

---

(١) أخرجه الطبري(١١٧٢٤):ص٢١١/١٠.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(٩٢٤٨):ص١٧٥١/٦.
(٣) التفسير البسيط للواحدي: ١٠٥/٢٣.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٥) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٠١/٨.
(٧) تفسير السعدي: ٩٠٥.
(٨) المحرر الوجيز: ٤٤٣/٢٩.
(٩) التفسير الميسر: ٥٨١.
(١٠) تفسير السعدي: ٩٠٥.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٠١/٨.
(١٢) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٤.
(١٣) المحرر الوجيز: ٤٤٣/٢٩.
(١٤) الدر المنثور: ٣٨٨/٨، وعزاه إلى عبد بن حميد وابن المنذر.

قال الطبري:" يقول: إنا كما جزينا هؤلاء المتقين بما وصفنا من الجزاء على طاعتهم إيانا في الدنيا، كذلك نجزي ونثيب أهل الإحسان في طاعتهم إيانا، وعبادتهم لنا في الدنيا على إحسانهم لا نضيع في الآخرة أجرهم"[٢].

قال ابن كثير:" أي : هذا جزاؤنا لمن أحسن العمل "[٣].

قال البيضاوي:" {إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ} في العقيدة"[٤].

قال السعدي:" وهكذا كل من أحسن في عبادة الله وأحسن إلى عباد الله"[٥].

قال القشيري:" الإحسان من العبد ترك الكلّ لأجله! كذلك غدا: يجازيك بترك كلّ الحاصل عليك لأجلك"[٦].

قوله تعالى:{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [المرسلات : ٤٥]، أي:" هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم الجزاء والحساب وما فيه من النعيم والعذاب"[٧].

قال الطبري:" يقول: ويل للذين يكذّبون خبر الله عما أخبرهم به من تكريمه هؤلاء المتقين بما أكرمهم به يوم القيامة"[٨].

قال مقاتل:" ثم قال الله- تعالى- لكفار مكة: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} بالبعث"[٩].

قال البيضاوي:" يمحض لهم العذاب المخلد ولخصومهم الثواب المؤبد"[١٠].

قال السعدي:" ولو لم يكن لهم من هذا الويل إلا فوات هذا النعيم، لكفى به حرمانا وخسرانا"[١١].

القرآن

{كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ (٤٦)} [المرسلات : ٤٦]

التفسير:

ثم هدَّد الله الكافرين فقال: كلوا من لذائذ الدنيا، واستمتعوا بشهواتها الفانية زمنًا قليلا؛ إنكم مجرمون بإشراككم بالله.

قوله تعالى:{كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا} [المرسلات : ٤٦]، أي:" يقال للكفار على سبيل التهديد والوعيد: كلوا من لذائذ الدنيا، واستمتعوا بشهواتها الفانية زمنًا قليلا"[١٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره تهدّدا ووعيدا منه للمكذبين بالبعث: كلوا في بقية آجالكم، وتمتعوا ببقية أعماركم"[١٣].

قال ابن كثير:" خطاب للمكذبين بيوم الدين، وأمَرَهم أمر تهديد ووعيد فقال تعالى :{كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلا}، أي : مدة قليلة قريبة قصيرة"[١٤].

قال الواحدي:" يريد في الدنيا إلى منتهى آجالهم"[١].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٢) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠١/٨.
(٤) تفسير البيضاوي: ٢٧٧/٥.
(٥) تفسير السعدي: ٩٠٥.
(٦) لطائف الإشارات: ٦٧٤/٣.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٨) تفسير الطبري: ١٤٣/٢٤-١٤٤.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٦/٤.
(١٠) تفسير البيضاوي: ٢٧٧/٥.
(١١) تفسير السعدي: ٩٠٥.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨١، وصفوة التفاسير: ٤٧٩/٣.
(١٣) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٤.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٣٠١/٨.

قال النحاس:" أي: وقتا قليلا وتمتعا قليل"[٢].

قال البيضاوي:" تذكيرا لهم بحالهم في الدنيا وبما جنوا على أنفسهم من إيثار المتاع القليل على النعيم المقيم"[٣].

قال السعدي:" هذا تهديد ووعيد للمكذبين، أنهم وإن أكلوا في الدنيا وشربوا وتمتعوا باللذات، وغفلوا عن القربات"[٤].

قال ابن عاشور:" خطاب للمشركين الموجودين الذين خوطبوا بقوله تعالى: إنما توعدون لواقع [المرسلات: ٧] ، وهو استئناف ناشىء عن قوله: {إنا كذلك نجزي المحسنين} [المرسلات: ٤٤] إذ يثير في نفوس المكذبين المخاطبين بهذه القوارع ما يكثر خطوره في نفوسهم من أنهم في هذه الدنيا في نعمة محققة وأن ما يوعدون به غير واقع فقيل لهم: {كُلُوا وَتَمَتَّعُوا قَلِيلًا}، فالأمر في قوله: {كُلُوا وَتَمَتَّعُوا} مستعمل في الإمهال والإنذار، أي ليس أكلكم وتمتعكم بلذات الدنيا بشيء لأنه تمتع قليل ثم مأواكم العذاب الأبدي قال تعالى: لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلادِ(١٩٦) مَتَاعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْواهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهادُ [آل عمران: ١٩٦، ١٩٧]"[٥].

قال سهل:" من كانت همته بطنه وفرجه فقد أظهر خسارته"[٦].

قوله تعالى:{إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ} [المرسلات : ٤٦]، أي:" إنكم مجرمون بإشراككم بالله"[٧].

قال الطبري:" مَسْئُولٌ بكم سنة من قبلكم من مجرمي الأمم الخالية التي متعت بأعمارها إلى بلوغ كتبها آجالها، ثم انتقم الله منها بكفرها، وتكذبيها رسلها"[٨].

قال ابن كثير:" أي : ثم تساقون إلى نار جهنم التي تقدم ذكرها.. كما قال تعالى :{نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَى عَذَابٍ غَلِيظٍ} [لقمان : ٢٤] وقال تعالى :{إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لا يُفْلِحُونَ مَتَاعٌ فِي الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ} [يونس : ٦٩، ٧٠]"[٩].

قال ابن عاشور:" جملة {إِنَّكُمْ مُجْرِمُونَ} خبر مستعمل في التهديد والوعيد بالسوء، أي: أن إجرامكم مهو بكم إلى العذاب، وذلك مستفاد من مقابلة وصفهم بالإجرام بوصف {الْمُتَّقِينَ}[المرسلات: ٤١] بالإحسان إذ الجزاء من جنس العمل، فالجملة واقعة موقع التعليل. وتأكيد الخبر بـ«إن» لرد إنكارهم كونهم مجرمين"[١٠].

قال السعدي:" فإنهم مجرمون، يستحقون ما يستحقه المجرمون، فستنقطع عنهم اللذات، وتبقى عليهم التبعات"[١١].

قال الزمخشري:" وعلل ذلك بكونهم مجرمين دلالة على أن كل مجرم ماله إلا الأكل والتمتع أياما قلائل، ثم البقاء في الهلاك أبدا"[١٢].

قال ابن زيد:" عُني به أهل الكفر"[١٣].

---

(١) التفسير البسيط: ١٠٥/٢٣.
(٢) إعراب القرآن: ٧٨/٥.
(٣) تفسير البيضاوي: ٢٧٧/٥.
(٤) تفسير السعدي: ٩٠٥.
(٥) التحرير والتنوير: ٤٤٥/٢٩-٤٤٦.
(٦) تفسير التستري: ١٨٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨١.
(٨) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٠١/٨.
(١٠) التحرير والتنوير: ٤٤٥/٢٩-٤٤٦.
(١١) تفسير السعدي: ٩٠٥.
(١٢) الكشاف: ٦٨٢/٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٤.

قال الثعلبي:" مشركون مستخفون للعذاب"[١].
قال القرطبي:" أي: كافرون. وقيل: مكتسبون فعلا يضركم في الآخرة، من الشرك والمعاصي"[٢].
قال مقاتل:" فيحل بكم ما أحل بالذين من قبلكم من العذاب"[٣].

القرآن
{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٧)} [المرسلات : ٤٧]
التفسير:
هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بيوم الحساب والجزاء.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ويل يومئذ للمكذبين الذين كذّبوا خبر الله الذي أخبرهم به عما هو فاعل بهم في هذه الآية"[٤].
قال البيضاوي:" حيث عرضوا أنفسهم للعذاب الدائم بالتمتع القليل"[٥].
قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: لمن رضي بالدنيا ولا يقر بالبعث"[٦].
قال ابن عاشور:" لما في تمتعوا قليلا من الكناية عن ترقب سوء عاقبة لهم فيقع قوله: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} موقع البيان لتلك الكناية، أي: كلوا وتمتعوا قليلا الآن وويل لكم يوم القيامة"[٧].

القرآن
{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ (٤٨)} [المرسلات : ٤٨]
التفسير:
وإذا قيل لهؤلاء المشركين: صلُّوا لله، واخشعوا له، لا يخشعون ولا يصلُّون، بل يصرُّون على استكبارهم.
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وإذا قيل لهؤلاء المجرمين المكذّبين بوعيد الله أهل التكذيب به: اركعوا؛ لا يركعون"[٨].
وفي قوله تعالى: {وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ} [المرسلات : ٤٨]، ثلاثة وجوه"
أحدها: أنه حين يُدْعَون إلى السجود يوم القيامة، رواه العوفي عن ابن عباس[٩].
عن ابن عباس قوله: "{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ}، يقول: يُدْعون يوم القيامة إلى السجود فلا يستطيعون السجود من أجل أنهم لم يكونوا يسجدون لله في الدنيا"[١٠].
الثاني: أنه في الدنيا كانوا إذا قيل لهم: اركعوا، أي: صلوا {لا يَرْكَعُونَ}، أي: لا يصلُّون، فعبر عن الصلاة بالركوع لأنه من أركانها. وإلى نحو هذا ذهب مجاهد[١١]، وبه قال الفراء[١]، والزجاج[٢]، قال ابن الجوزي: "وهو الأصح"[٣].

---

(١) الكشف والبيان: ١١١/١٠.
(٢) تفسير القرطبي: ١٦٨/١٩.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٧/٤.
(٤) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٤.
(٥) تفسير البيضاوي: ٢٧٧/٥.
(٦) بحر العلوم: ٥٣٥/٣.
(٧) التحرير والتنوير: ٤٤٦/٢٩.
(٨) تفسير الطبري: ١٤٤/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٤٤/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٤٥/٢٤.

قال مجاهد:" نزلت في ثقيف"[٤].
قال الماوردي:" نزلت في ثقيف امتنعوا عن الصلاة فنزل ذلك فيهم"[٥].
قال ابن الجوزي:" وقيل: نزلت في ثقيف حين أمرهم رسول الله صلّى الله عليه وسلم بالصلاة، فقالوا: لا نحني، فإنها مَسَبَّةٌ علينا، فقال: «لا خير في دين ليس فيه ركوع»"[٦].
قال النحاس:" كان الركوع أشدّ الأشياء على العرب حتى أسلم بعضهم وامتنع من أن يركع"[٧].
قال ابن كثير:" أي : إذا أمر هؤلاء الجهلة من الكفار أن يكونوا من المصلين مع الجماعة، امتنعوا من ذلك واستكبروا عنه"[٨].
قال السعدي:" ومن إجرامهم أنهم إذا أمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات، وقيل لهم: {ارْكَعُوا} امتنعوا من ذلك. فأي إجرام فوق هذا؟ وأي تكذيب يزيد على هذا؟ "[٩].
عن مجاهد، قوله: "{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ}، قال: صَلَّوا"[١٠].
قال مجاهد:" إذا قيل لهم صلوا لا يصلون"[١١].
قال الفراء والزجاج: أي:" إذا أُمروا بالصلاة لم يصلوا"[١٢].
قال الواحدي:" إذا أمروا بالصلوات الخمس لا يصلون مع محمد -صلى الله عليه وسلم-"[١٣].
قال مقاتل:" يعني: الصلوات الخمس، قالوا: لا نصلي إلا أن يكون بين أيدينا أوثانا"[١٤].
عن قتادة، قوله: "{وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لا يَرْكَعُونَ}، عليكم بحسن الركوع، فإن الصلاة من الله بمكان. وقال قتادة عن ابن مسعود، أنه رأى رجلا يصلي ولا يركع، وآخر يجرّ إزاره، فضحك، قالوا: ما يُضحكك؟ قال: أضحكني رجلان، أما أحدهما فلا يقبل الله صلاته، وأما الآخر فلا ينظر الله إليه"[١٥].
الثالث: أي: أنهم كنوا له مخالفين في أمره ونهيه، لا يأتمرون بأمره، ولا ينتهون عما نهاهم عنه. قاله الطبري[١٦]، وذكر نحوه أبو الليث السمرقندي[١٧]، والزمخشري[١٨].
قال أبو الليث السمرقندي:" اخضعوا لله تعالى بالتوحيد لا يخضعون"[١٩].

---

(١) انظر: معاني القرآن: ٢٢٧/٣.
(٢) انظر: معاني القرآن: ٢٦٩/٥.
(٣) زاد المسير: ٣٨٦/٤.
(٤) الدر المنثور: ٣٨٨/٨، وعزاه إلى عبد حميد وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم.
(٥) النكت والعيون: ١٨١/٨.
(٦) زاد المسير: ٣٨٦/٤، والحديث ضعيف. أخرجه أبو داود ٣٠٢٦ وأحمد ٤/ ٢١٨ من حديث عثمان بن أبي العاص وليس فيه سبب نزول، وحسّن إسناده الأرناؤوط في «جامع الأصول» ٦١٧٥. وخالفه الألباني فذكره في ضعيف أبي داود ٦٥٢ و «الضعيفة» ٤٣١٩ وعلته عنعنه الحسن، وهو مدلس.
(٧) إعراب القرآن: ٧٨/٥.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٠١/٨.
(٩) تفسير السعدي: ٩٠٥.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٤٥/٢٤.
(١١) تفسير مجاهد: ٦٩٣.
(١٢) معاني القرآن للفراء: ٢٢٧/٣/ ومعاني القرآن للزجاج: ٢٦٩/٥.
(١٣) التفسير البسيط: ١٠٥/٢٣.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٤٧/٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٤٤/٢٤-١٤٥.
(١٦) تفسير الطبري: ١٤٥/٢٤.
(١٧) انظر: بحر العلوم: ٥٣٥/٣.
(١٨) انظر: الكشاف: ٦٨٣/٤.
(١٩) بحر العلوم: ٥٣٥/٣.

قال الزمخشري: أي:" اخشعوا لله وتواضعوا له بقبول وحيه واتباع دينه. واطرحوا هذا الاستكبار والنخوة، لا يخشعون ولا يقبلون ذلك، ويصرون على استكبارهم"[١].

قال ابن العربي:" هذه الآية حجة على وجوب الركوع وإنزاله ركنا في الصلاة، وقد انعقد الإجماع عليه، وظن قوم أن هذا إنما يكون في القيامة، وليست بدار تكليف، فيتوجه فيها أمر يكون عليه ويل وعقاب، وإنما يدعون إلى السجود كشفا لحال الناس في الدنيا، فمن كان يسجد لله تمكن من السجود، ومن كان يسجد رئاء لغيره صار ظهره طبقا واحدا"[٢].

قال القرطبي: "يذكر أن مالكا رحمه الله دخل المسجد بعد صلاة العصر، وهو ممن لا يرى الركوع بعد العصر، فجلس ولم يركع، فقال له صبي: يا شيخ قم فاركع. فقام فركع ولم يحاجه بما يراه مذهبا، فقيل له في ذلك، فقال: خشيت أن أكون من الذين {إِذَا قِيلَ لَهُمُ ارْكَعُوا لَا يَرْكَعُونَ} [المرسلات : ٤٨] "[٣].

القرآن

{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ (٤٩) فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ (٥٠)} [المرسلات : ٤٩-٥٠]

التفسير:

هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بآيات الله، إن لم يؤمنوا بهذا القرآن، فبأي كتاب وكلام بعده يؤمنون؟ وهو المبيِّن لكل شيء، الواضح في حكمه وأحكامه وأخباره، المعجز في ألفاظه ومعانيه.

قوله تعالى:{وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} [المرسلات : ٤٩]، أي:" هلاك وعذاب شديد يوم القيامة للمكذبين بآيات الله"[٤].

قال الطبري:" ومن الويل عليهم أنهم تنسد عليهم أبواب التوفيق، ويحرمون كل خير، فإنهم إذا كذبوا هذا القرآن الكريم، الذي هو أعلى مراتب الصدق واليقين على الإطلاق"[٥].

قال أبو الليث السمرقندي:" يعني: ويل طويل لمن لا يقر بالصلاة ولا يؤديها"[٦].

قال السعدي:" ومن إجرامهم أنهم إذا أمروا بالصلاة التي هي أشرف العبادات، وقيل لهم: {ارْكَعُوا} امتنعوا من ذلك. فأي إجرام فوق هذا؟ وأي تكذيب يزيد على هذا؟ "[٧].

قال الثعلبي:" قال أهل المعاني: ليس قوله: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} تكرارا غير مفيد لأنه أراد بكلّ قول منه غير ما أراد بالقول الآخر كأنه ذكر شيئا ثم قال: ويل للمكذّبين بهذا"[٨].

قال القرطبي: " كرر: «ويل يومئذ للمكذبين» لمعنى تكرير التخويف والوعيد. وقيل: ليس بتكرار، لأنه أراد بكل قول منه غير الذي أراد بالآخر، كأنه ذكر شيئا فقال: ويل لمن يكذب بهذا، ثم ذكر شيئا آخر فقال: ويل لمن يكذب بهذا، ثم ذكر شيئا آخر فقال: ويل لمن يكذب بهذا. ثم كذلك إلى آخرها"[٩].

قال السمعاني:" فإن قال قائل: ما وجه التكرار في قوله: {وَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِلْمُكَذِّبِينَ} في هذه السورة والمرة الواحدة تغني عن المراد به؟ والجواب قد بينا هذا في سورة الرحمن. ووجه ذلك أنه لما كرر ذكر النعم في تلك السورة كرر الزجر عن كفرانها والنهي عنها بقوله: {فَبِأَيِّ آلَاءِ

---

(١) انظر: الكشاف: ٦٨٣/٤.
(٢) أحكام القرآن: ٣٥٩/٤.
(٣) تفسير القرطبي: ١٦٨/١٩.
(٤) صفوة التفاسير: ٤٧٩/٣.
(٥) تفسير الطبري: ١٤٥/٢٤.
(٦) بحر العلوم: ٥٣٥/٣.
(٧) تفسير السعدي: ٩٠٥.
(٨) الكشف والبيان: ١١٢/١٠.
(٩) تفسير القرطبي: ١٦٨/١٩.

رَبكُمَا تُكَذِّبَان}، ولما كرر ذكر الآيات في هذه السورة لإقامة الحجيج عليهم كرر ذكر العقوبة عليهم بذكر الويل ليكون أبلغ في الإنذار والإعذار وهو على عادة كلام العرب فإن الرجل يقول لغيره: ألم أحسن إليك بأن فعلت لك كذا؟ ألم أحسن بأن خلصتك من المكاره؟ ألم أحسن بأن تشفعت لك إلا فلان؟ وغير ذلك فيحسن منه التكرير لاختلاف ما يقرره به، قَالَ مهلهل بن ربيعَة يرثي أَخَاهُ كليبا على هَذَا الْمَعْنى[1]:

عليّ أن لَيْسَ عدلا من كُلَيْب ... إذا طرد اللَّئِيم عَن الْجَزُور
عليّ أن لَيْسَ عدلا من كُلَيْب ... إذا مَا ضيم جيران المجير
عليّ أن لَيْسَ عَدلاً من كُلَيْب ... إذا خرجت مخبأة الْخُدُور
على أن لَيْسَ عَدلاً من كُلَيْب ... غَدَاة بلائك الْأَمر الْكَبِير
عَليّ أن لَيْسَ عَدلاً من كُلَيْب ... إذا مَا ضام جَار المستجير"[2].

قوله تعالى:{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} [المرسلات : ٥٠]، أي:" فبأي كتابٍ وكلام بعد هذا القرآن المعجز الواضح يصدّقون إن لم يؤمنوا بالقرآن؟"[3].

قال ابن عباس:" يريد: فبأي قرآن غير ما جاء به محمد يصدقون"[4].

قال الضحاك: [{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ}]"بعد توحيد الله"[{يُؤْمِنُونَ}][5].

قال الزجاج:" أي: فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بعد القرآن الذي أتاهم فيه البيان وأَنَهُ مُعْجِزَة وهو آية قائمة، دليلة على الإسلام مما جاء به النبي عليه السلام"[6].

قال ابن كثير:" أي : إذا لم يؤمنوا بهذا القرآن، فبأي كلام يؤمنون به ؟! كقوله تعالى :{فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ اللَّهِ وَآيَاتِهِ يُؤْمِنُونَ} [الجاثية : ٦]"[7].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: فبأي حديث بعد هذا القرآن، أي أنتم أيها القوم كذبتم به مع وضوح برهانه، وصحة دلائله، أنه حق من عند الله تصدّقون، وإنما أعلمهم تعالى ذكره أنهم إن لم يصدّقوا بهذه الأخبار التي أخبرهم بها في هذا القرآن مع صحة حججه على حقيقته لم يمكنهم الإقرار بحقيقة شيء من الأخبار التي لم يشاهدوا المخبَر عنه، ولم يعاينوه، وأنهم إن صدّقوا بشيء مما غاب عنهم لدليل قام عليه لزمهم مثل ذلك في أخبار هذا القرآن"[8].

قال الزمخشري: يعنى: أنّ القرآن من بين الكتب المنزلة آية مبصرة ومعجزة باهرة، فحين لم يؤمنوا به فبأي كتاب بعده يُؤْمِنُونَ"[9].

---

(١) انظر: الأمالي :٢/ ١٣٢، وقد سقط منها - هنا - أحد الأبيات، كما وقع بين أبياتها شيء من التقديم والتأخير، وهي في الأمالي هكذا:

على أنْ ليس عِدْلاً من كُليبٍ ... إذا طُردَ اليتيم عن الجَزور
على أنْ ليس عِدْلاً من كُليبٍ ... إذا رجف العِضَاه من الدَّبور
على أنْ ليس عِدْلاً من كُليبٍ ... إذا ما ضِيمَ جيران المُجير
على أنْ ليس عِدْلاً من كُليبٍ ... إذا خيف المخوف من الثغور
على أنْ ليس عِدْلاً من كُليبٍ ... غداة بلابل الأمر الكبير
على أنْ ليس عِدْلاً من كُليبٍ ... إذا برزت مُخبَّأة الخدور
على أنْ ليس عِدْلاً من كُليبٍ ... إذا عَلَنَت نَجيَّات الأمور

(٢) تفسير السمعاني: ١٣٣/٦.
(٣) صفوة التفاسير: ٤٧٩/٣.
(٤) التفسير البسيط للواحدي: ٤٩٢/٩.
(٥) البحر المحيط في التفسير: ٤١٥/٩.
(٦) معاني القرآن: ٢٦٩/٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٠١/٨.
(٨) تفسير الطبري: ١٤٥/٢٤.
(٩) الكشاف: ٦٨٣/٤.

قال السمعاني:" أي: بِأيّ كتاب بعد الْقُرْآن يُؤمنُونَ إِن لم يُؤمنُوا بِهَذَا الحَدِيث بعد ظُهُور براهينه وَقيام الدَّلَائِل على أنه من عِنْد الله؟ !"[1].

قال السعدي:" أبالباطل الذي هو كاسمه، لا يقوم عليه شبهة فضلا عن الدليل؟ أم بكلام كل مشرك كذاب أفاك مبين؟. فليس بعد النور المبين إلا دياجى الظلمات، ولا بعد الصدق الذي قامت الأدلة والبراهين على صدقه إلا الكذب الصراح والإفك المبين، الذي لا يليق إلا بمن يناسبه. فتبا لهم ما أعماهم! وويحا لهم ما أخسرهم وأشقاهم!"[2].

قال ابن عطية:" قوله تعالى: {فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ}، يؤيد أن الآية كلها في قريش، والحديث الذي يقتضيه الضمير هو القرآن، وهذا توقيف وتوبيخ"[3].

وروي عن يعقوب أنه قرأ: «تؤمنون»، بالتاء من فوق، على المواجهة، ورويت عن ابن عامر[4].

عن إسماعيل بن أمية : "سمعت رجلا أعرابيا بَدَويا يقول : سمعت أبا هريرة يرويه إذا قرأ :{وَالْمُرْسَلاتِ عُرْفًا} فقرأ :{فَبأيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ} ؟ فليقل : آمنت بالله وبما أنزل"[5].

فوائد الآيات: [٤١-٥٠]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر ما أعد الله تعالى لأوليائه المؤمنين المتقين المحسنين.

٢- بيان نعيم أهل التقوى والإحسان وفضلهما أي فضل التقوى والإحسان.

٣- صدق القرآن في أخباره إذ وعيد الله لأكابر مجرمي مكة نفذ بعد أقل من خمس سنوات.

٤- من دخل مسجدا وأهله يصلون فليدخل معهم في صلاتهم وإن كان قد صلى حتى لا يكون غيره راكعا لله وهو غير راكع وقد جاء في الصحيح هذا المعنى.

«آخر تفسير سورة (المرسلات)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) تفسير السمعاني: ١٣٣/٦.

(٢) تفسير السعدي: ٩٠٥.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٢٢/٥.

(٤) انظر: المحرر الوجيز: ٤٢٢/٥.

(٥)سنن أبي داود برقم (٨٨٧) ، والمسند (٢٤٩/٢) ، وسنن الترمذي برقم (٣٣٤٧) . وقد جاء تسمية هذا الأعرابي في رواية الحاكم، فرواه في المستدرك (٥١٠/٢) من طريق يزيد بن عياض، عن إسماعيل بن أمية، عن أبي اليسع، عن أبي هريرة بنحوه وقال: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه". قلت: يزيد بن عياض كذاب.

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «النبأ»

«سورة النبأ» هي السورة الثامنة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد «سورة المعارج»، وآياتها إحدى وأربعون في عد المكي والبصرى، وأربعون في عد الباقين. وكلماتها مائة وثلاث وسبعون. وحروفها ثمانمائة وست عشرة. المختلف فيها آية: {عَذَابًا قَرِيبًا} [النبأ : ٤٠]. فواصل آياتها: «منا» وعلى الميم آية: {الْعَظِيمِ} [النبأ : ٢][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة النبأ»:**

سميت هذه السورة في أكثر المصاحف وكتب التفسير[٢]، وكتب التفسير السنة «سورة النبأ» لوقوع كلمة «النبأ» في مقدمتها: {عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ} [النبأ : ٢].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة عمّ يتساءلون»:**

سميت في بعض المصاحف وفي «صحيح البخاري»[٣]، وفي «تفسير الطبري»[٤]، «وتفسير ابن أبي زمنين»[٥]، «وتفسير ابن فورك»[٦]، و«الكشاف»[٧]، «سورة عم يتساءلون».

وفي «تفسير القرطبي» سماها «سورة عم»[٨]، أي: بدون زيادة «يتساءلون» تسمية لها بأول جملة فيها.

- **الاسم الثاني: «سورة التساؤل»:**

ووجه تسميتها بذلك، لوقوع «يتساءلون» في أولها: {يَتَسَاءَلُونَ} [النبأ : ١].

- **الاسم الثالث: «سورة المعصرات»:**

وردت هذه التسمية في «المبسوط في القراءات العشر» للنيسابوري[٩]، وتفسير الطبرسي[١٠]، والألوسي[١١]، وعدّها السيوطي من بين أسماء السورة[١٢]، ووجه تسميتها وذلك لقوله تعالى فيها: {وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا} [النبأ : ١٤].

وهذه الأسماء الثلاثة اجتهاد المفسرين ولم تثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، في خبر صحيح، كما يرد عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- أثر في تسميتها.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٧/١.

(٢) انظر مثلا: تفسير الطبري: ١٤٧/٢٤، وبحر العلوم للسمرقندي: ٥٣٦/٣، والكشف والبيان للثعلبي: ١١٣/١٠، والنكت والعيون: ١٨٢/٦، وتفسير السمعاني: ١٣٥/٦، وتفسير البغوي: ١٩٩/٥، وزاد المسير: ٣٨٧/٤، وغيرها.

(٣) انظر: صحيح البخاري: ١٦٥/٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٨١/٢٤.

(٥) انظر: تفسير ابن أبي زمنين: ٨٢/٥.

(٦) انظر: تفسير ابن فورك: ١٢٥/٣.

(٧) انظر: الكشاف: ٦٨٣/٤.

(٨) انظر: تفسير القرطبي: ١٦٩/١٩.

(٩) انظر: المبسوط في القراءات العشر: ٢٩٥، ٤٥٨.

(١٠) انظر: مجمع البيان: ٣/٣٠.

(١١) انظر: روح المعاني: ٢٠١/١٥.

(١٢) انظر: الإتقان: ١٩٦/١.

عن ابن عباس قال: "نزلت سورة: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} بمكة"[١]. وروي عن عبد الله بن الزبير مثله[٢].

قال هبة الله:" نزلت بمكة وهي من آخر المكي الأول، لأن النبي -صلى الله عليه وسلم- هاجر من غد يوم نزلت، والمكي الأول: ما نزل قبل الهجرة، والمكي الآخر: ما نزل بعد فتح مكة"[٣].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع"[٤].

قال ابن عاشور:" هي مكية بالاتفاق"[٥].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها لما قبلها من وجوه:

١- اشتمالها على إثبات القدرة على البعث الذي ذكر في السورة السالفة أن الكافرين كذبوا به.

٢- أن في هذه وما قبلها تأنيبا وتقريعا للمكذبين، فهناك قال: {أَلَمْ نَخْلُقْكُمْ مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ} [المرسلات : ٢٠]، وهنا قال: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا} [النبأ : ٦].

٣- أن في كل منهما وصف الجنة والنار وما ينعم به المتقون، ويعذب به المكذبون.

٤- أن في هذه تفصيل ما أجمل في تلك عن يوم الفصل، فهناك قال: {لِأَيِّ يَوْمٍ أُجِّلَتْ(١٢) لِيَوْمِ الْفَصْلِ(١٣) وَمَا أَدْرَاكَ مَا يَوْمُ الْفَصْلِ (١٤)} [المرسلات : ١٢-١٤]، وهنا قال: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا} [النبأ : ١٧]، إلى آخر السورة[٦].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

وقد جاءت مقاصد سورة «النبأ» تفصيلاً كالتالي:

١- تبين أوائل آيات سورة النبأ قدرة الله على الخلق والبعث والحساب والحياة الذي سيعيشها الأنسان بعد الموت نتيجة لأعماله في الدنيا، وتشير الآيات ايضًا الى عظمة الخالق في جعل الأرض مهادًا من اجل المشي عليها وجعل الجبل أوتادًا من اجل ان تثبت الأرض وخلق الليل والنهار والشمس والمطر والنبات والجنات.

٢- والجزء الثاني من آيات سورة النبأ تبين ما سيحدث في يوم القيامة من تغير كبير في الكون والنفخ في الصور، كما تصف النار وما سيحدث للكافرين من عذاب اليم في يوم القيامة وخلودهم في النار.

٣- والجزء الاخير من آيات سورة النبأ يبين ما سيحدث للمؤمنين يوم القيامة وفوزهم بالجنة ورزقهم الأمن والسلام وحور العين والحدائق متدلية العناقيد.

٤- وتبين سورة النبأ ايضًا ندم الكافرين على كفرهم وإرادتهم في ان يصبحوا تربًا من كثرة خوفهم من العذاب الذي ينتظرهم.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: ذكر القيامة، وخلق الأرض والسماء، وبيان نفع الغيث، وكيفية النشر والبعث، وعذاب العاصين، وثواب المطيعين من المؤمنين، وقيام الملائكة في القيامة مع المؤمنين، وتمنى الكفار المحال في قوله: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ : ٤٠] "[٧].

- **الناسخ والمنسوخ:**

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٣٨٩/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٣٨٩/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٣) الناسخ والمنسوخ: ١٩٣.

(٤) المحرر الوجيز: ٤٢٣/٥.

(٥) التحرير والتنوير: ٥/٣٠.

(٦) انظر: تفسير المراغي: ٣/٣٠.

(٧)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٧/١.

السورة محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[١].

قال ابن عطية:" وليس فيها نسخ ولا حكم إلا ما قاله بعض الناس في قوله تعالى: {لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً} [النبأ: ٢٣]، من أنه منسوخ، وهو قول خلف، لأن الأخبار لا تنسخ وإنما ذكرنا هذا القول تنبيها على فساده"[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن ابن عباس قال: قال أبو بكر الصدِّيق - رضي الله عنه -: يا رسول الله قد شِبتَ! قال: قال رسول الله: "«شيبتني «هود»، و«الواقعة»، و«المرسلات»، و«عم يتساءلون»، و«إذا الشمس كورت»"[٣].
- عن عبد العزيز بن قيس قال:" سألت أنسا عن مقدار صلاة النبي صلى الله عليه وسلم فأمر أحد بنيه فصلى بنا الظهر والعصر فقرأ بنا: «المرسلات»، و«عم يتساءلون»[٤].
- عن ابن عباس، رضي الله عنهما: "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في العيدين بـ {عم يتساءلون} ، و {والشمس وضحاها}"[٥].
- عن أبي إسحاقَ، عن علقمة والأسود، قالا: "أتى ابنَ مسعودٍ رجلٌ فقال: إني أقرأ المُفَصَّل في رَكعة، فقال: أهذّاً كهذِّ الشِّعرِ ونثراً كنثر الدَّقَل؟ لكنَّ النبي - صلَّى الله عليه وسلم - كان يقرأ النَّظائرَ السُورتين في رَكْعةٍ، «الرحمن، والنجم» في ركعة، و «اقتربت، والحاقة» في ركعة، و«الطور، والذاريات» في ركعة، و«إذا وقَعَت، ونون» في ركعة، و«سأل سائل، والنازعات» في ركعة، و«وَيْلٌ للمطففين، وعبس» في ركعة، و«المدَّثر، والمزمِّل» في ركعة، و«هل أتى، ولا أقسمُ بيوم القيامة» في ركعة، و«عمَ يتساءلون، والمرسلات» في ركعة، و«الدخان، وإذا الشمسُ كورت» في ركعة"[٦].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ «عَمَّ يَتَساءَلُونَ»، سقاه الله سبحانه وتعالى برد الشراب يوم القيامة» [٧].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٣.

(٢) المحرر الوجيز: ٤٢٣/٥.

(٣)أخرجه الترمذي وحسنه فى (كتاب التفسير - سورة الواقعة) والحاكم فى المستدرك (٢/ ٣٤٣) وصححه ووافقه الذهبي، وأخرجه البيهقي فى الدلائل (١/ ٣٥٧) والبغوي فى شرح السنة (١٤/ ٣٧٢) وفى التفسير، كلهم من حديث ابن عباس رضى الله عنه.

ورواه أيضا الطبراني في الكبير (١٠٠٩١)، وعبد الله ابن الإمام أحمد في "زوائد الزهد" (٩)، والمروزي في "مسند أبي بكر" (٣٠ - ٣٢)، وابن سعد في الطبقات (١/ ٤٣٦)، وابن عساكر (٤/ ١٧٢،١٧٣) والحديث غير ثابت وعلله أكثر الأئمة، وانظر علل الدارقطني (١/ ١٩٣ - ٢١١)، والنكت على ابن الصلاح لابن حجر (٢/ ٧٧٤ - ٧٧٦)، وصحح الحديث الشيخ ناصر الدين الألباني - رحمه الله - في السلسلة الصحيحة (٩٥٥).

(٤) الدر المنثور: ٣٨٩/٨، وعزاه إلى البيهقي في سننه.

(٥) مسند البزاز(٤٨٠٨):ص٩٥/١١.

(٦) سنن أبي داود(١٣٩٦):ص٥٤٣/٢، وأخرجه البخاري (٧٧٥) و (٤٩٩٦) و (٥٠٤٣)، ومسلم (٨٢٢)، والترمذي (٦٠٨)، والنسائي في "الكبرى" (١٠٧٨ - ١٠٧٩) من طريق أبي وائل شقيق بن سلمة، والنسائي (١٠٨٠) من طريق مسروق بن الأجدع، كلاهما عن عبد الله بن مسعود، بهذا الإسناد. ولم يذكروا أسماء السور تفصيلاً. وهو في "مسند أحمد" (٣٩٥٨) و (٣٩٦٨)، و"صحيح ابن حبان" (١٨١٣).

(٧) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١١٣/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٢٣٧/١٠. [حديث موضوع، وقد نبّه ابن حجر على ضعف رواة هذه الأحاديث التي يوردها الثعلبي في آخر كل سورة بدون استثناء وانقطاعها عن رسول الله].

القرآن

{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ (١) عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ (٢) الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ (٣)} [النبأ : ١-٣]

التفسير:

عن أيِّ شيء يسأل بعض كفار قريش بعضاً؟ يتساءلون عن الخبر العظيم الشأن، وهو القرآن العظيم الذي ينبئ عن البعث الذي شك فيه كفار قريش وكذَّبوا به.

سبب النزول:

عن الحسن، قال: "لما بُعِث النبيّ صلى الله عليه وسلم جعلوا يتساءلون بينهم، فأنزل الله: {عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ}"(١).

قال مقاتل: "{عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ} نزلت في أبي لبابة وأصحابه، وذلك أنّ كفار مكة كانوا يجتمعون عند رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، ويَسمعون حديثه، فإذا حَدَّثهم خالفوا قوله، واستهزؤوا منه، وسخروا؛ فأنزل الله تعالى: {أَنْ إذا سَمِعْتُمْ} يا محمد {آياتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِها ويُسْتَهْزَأُ بِها فَلا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ} [النساء: ١٤٠]. فكان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُحَدِّث المؤمنين، فإذا رأى رجلًا مِن المشركين كفَّ عن الحديث حتى يَذهب، ثم أقبلوا بجماعتهم، فقالوا: يا محمد، أبخلتَ بما كنتَ تُحدِّثنا؟ لو أنك حَدّثتنا عن القرون الأولى فإنّ حديثك عجبٌ. قال: «لا، واللهِ، لا أُحدِّثكم بعد يومي هذا، وربي قد نهاني عنه». فأنزل الله تعالى: {عَمَّ يَتَساءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ العَظِيمِ}"(٢).

قوله تعالى:{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ} [النبأ : ١]، أي:" عن أيِّ شيء يسأل بعض كفار قريش بعضاً؟"(٣).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: عن أي شيء يتساءل هؤلاء المشركون بالله ورسوله من قريش يا محمد، وقيل ذلك له صلى الله عليه وسلم، وذلك أن قريشا جعلت فيما ذُكر عنها تختصم وتتجادل في الذي دعاهم إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم من الإقرار بنبوّته، والتصديق بما جاء به من عند الله، والإيمان بالبعث، فقال الله لنبيه: فيم يتساءل هؤلاء القوم ويختصمون"(٤).

قال ابن كثير:" يقول تعالى منكرًا على المشركين في تساؤلهم عن يوم القيامة إنكارًا لوقوعها :{عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ}، أي : عن أي شيء يتساءلون؟"(٥).

قال الزمخشري:" معنى هذا الاستفهام: تفخيم الشأن، كأنه قال: عن أي شأن يتساءلون. ونحوه ما في قولك: زيد ما زيد؟ جعلته لانقطاع قرينه وعدم نظيره كأنه شيء خفى عليك جنسه فأنت تسأل عن جنسه وتفحص عن جوهره، كما تقول: ما الغول وما العنقاء؟ تريد: أي شيء هو من الأشياء هذا أصله، ثم جرد للعبارة عن التفخيم، حتى وقع في كلام من لا تخفى عليه خافية، {يَتَساءَلُونَ} يسأل بعضهم بعضا. أو يتساءلون غيرهم من رسول الله صلى الله عليه وسلم والمؤمنين. نحو: يتداعونهم ويتراءونهم. والضمير لأهل مكة: كانوا يتساءلون فيما بينهم عن البعث، ويتساءلون غيرهم عنه على طريق الاستهزاء"(٦).

قال الزجاج: " أصله :«عن ما يتساءلون»، فأدْغمت النون في الميم، لأن الميم تشرك النُونَ في الغُنَّةِ في الأنف.. والمعنى: عن أي شيء يتساءلون، فاللفظ لفظ الاستفهام، والمعنى: تفخيم القصة، كم اتقول: أي: شيء زَيْدٌ"(٧).

---

(١) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٠٩٣):ص٣٣٩٤/١٠.

(٢)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٥٥٧.

(٣) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٤) تفسير الطبري: ١٤٩/٢٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨.

(٦) الكشاف: ٦٨٤/٤.

(٧) معاني القرآن: ٢٧١/٥.

وعن ابن كثير أنه قرأ: «عمه»، بهاء السكت[١].

قوله تعالى:{عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ} [النبأ : ٢]، أي:" يتساءلون عن الخبر العظيم الهام وهو أمر البعث"[٢].

قال الطبري:" ثم أخبر الله نبيه صلى الله عليه وسلم عن الذي يتساءلونه، فقال: يتساءلون عن النبأ العظيم: يعني: عن الخبر العظيم"[٣].

عن الحسن، قال: "{عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ}، يعني: الخبر العظيم"[٤].

وفي المراد بقوله تعالى:{النَّبَإِ الْعَظِيمِ} [النبأ : ٢]، أقوال:

أحدها : أريد به القرآن، قاله مجاهد[٥]،وقتادة[٦]، وبه قال ابن قتيبة[٧].

الثاني : يوم القيامة ، قاله ابن زيد[٨]، وبه قال ابن كثير[٩].

قال ابن زيد:" يوم القيامة؛ قال: قالوا هذا اليوم الذي تزعمون أنا نحيا فيه وآباؤنا، قال: فهم فيه مختلفون، لا يؤمنون به، فقال الله: بل هو نبأ عظيم أنتم عنه معرضون: يوم القيامة لا يؤمنون به"[١٠].

قال ابن كثير:" وهو النبأ العظيم، يعني : الخبر الهائل المفظع الباهر"[١١].

الثالث : أنه البعث بعد الموت ، قاله قتادة-أيضا-[١٢].

قال الزجاج: " قوله: {إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا} [النبأ : ١٧]، يدل على أنهم كانوا يَتساءلون عن البعث"[١٣].

الرابع: أنه أمر النبي-صلى الله عليه وسلم-. حكاه الزجاج[١٤].

قوله تعالى:{الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} [النبأ : ٣]، أي:" الذي اختلفوا فيه ما بين شاكٍّ في وقوعه، ومكذب منكرٍ لحصوله"[١٥].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: الذي صاروا هم فيه مختلفون فريقين: فريق به مصدّق، وفريق به مكذّب. يقول تعالى ذكره: فتساؤلهم بينهم في النبأ الذي هذه صفته"[١٦].

قال ابن كثير:" يعني : الناس فيه على قولين : مؤمن به وكافر"[١٧].

عن قتادة: {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ}، قال: مصدّق ومكذّب"[١٨].

قال قتادة:" صار الناس فيه رجلين: مصدّق، ومكذّب، فأما الموت فإنهم أقروا به كلهم لمعاينتهم إياه، واختلفوا في البعث بعد الموت"[١٩].

---

(١) انظر: الكشاف: ٦٨٤/٤.
(٢) صفوة التفاسير: ٤٨٣/٣.
(٣) تفسير الطبري: ١٤٩/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٤٩/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩٠٩٣):ص٣٣٩٤/١٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٤٩/٢٤.
(٦)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٣٤٢. وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن جرير، وابن المنذر.
(٧) انظر: غريب القرآن: ٥٠٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٤.
(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٠/٢٤.
(١٣) معاني القرآن: ٢٧١/٥.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٧١/٥.
(١٥) صفوة التفاسير: ٤٨٢/٣-٤٨٣.
(١٦) تفسير الطبري: ١٥٠/٢٤.
(١٧) تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨.
(١٨) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٤.

عن قتادة: عن النبإ {الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ} البعث بعد الموت، فصار الناس فيه فريقين: مصدّق ومكذّب، فأما الموت فقد أقرّوا به لمعاينتهم إياه، واختلفوا في البعث بعد الموت"[١].

القرآن

{كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٤) ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ (٥)} [النبأ : ٤-٥]

التفسير:

ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون، سيعلم هؤلاء المشركون عاقبة تكذيبهم، ويظهر لهم ما الله فاعل بهم يوم القيامة، ثم سيتأكد لهم ذلك، ويتأكد لهم صدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم، من القرآن والبعث.

قوله تعالى:{كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} [النبأ : ٤]، أي:" ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون، سيعلم هؤلاء المشركون عاقبة تكذيبهم، ويظهر لهم ما الله فاعل بهم يوم القيامة"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: ما الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون الذين ينكرون بعث الله إياهم أحياء بعد مماتهم، وتوعدهم جل ثناؤه على هذا القول منهم، فقال: سيعلم هؤلاء الكفار المنُكرون وعيد الله أعداءه، ما الله فاعل بهم يوم القيامة"[٣].

قال الزمخشري:" {كَلَّا}: ردع للمتسائلين هزؤا. {وسَيَعْلَمُونَ}، وعيد لهم بأنهم سوف يعلمون أنّ ما يتساءلون عنه ويضحكون منه حق، لأنه واقع لا ريب فيه. وتكرير الردع مع الوعيد تشديد في ذلك"[٤].

قال ابن كثير:" وهذا تهديدٌ شديد ووعيد أكيد"[٥].

قال المراغي:" أي: ليس الأمر كما يزعم هؤلاء المشركون الذين يذكرون البعث بعد الموت، ثم توعدهم بأنهم سيعلمون إذا ما عاينوا بأنفسهم حقيقة ما كانوا ينكرون، وتنقطع عنهم الريبة، حين يسأل كل عامل عما عمل، ويفصل بين الخلائق"[٦].

قوله تعالى:{ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} [النبأ : ٥]، أي:" سيعلمون ما يحل بهم من العذاب والنكال"[٧].

قال الطبري:" ثم أكد الوعيد بتكرير آخر، فقال: ما الأمر كما يزعمون من أن الله غير محييهم بعد مماتهم، ولا معاقبهم على كفرهم به، سيعلمون أن القول غير ما قالوا إذا لقوا الله، وأفضوا إلى ما قدّموا من سيئ أعمالهم"[٨].

قال الزمخشري:"معنى {ثُمَّ}، الإشعار بأنّ الوعيد الثاني أبلغ من الأوّل وأشد"[٩].

قال المراغي:" وفى تكرير الزجر مع الوعيد إيماء إلى غاية التهديد"[١٠].

عن الضحاك: "{كَلا سَيَعْلَمُونَ}: الكفار. {ثُمَّ كَلا سَيَعْلَمُونَ}: المؤمنون، وكذلك كان يقرأها"[١١].

عن الحسن، في قوله: "{كَلَّا سَيَعْلَمُونَ ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}، قال: وعيد بعد وعيد"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٥٠/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٣) تفسير الطبري: ١٥٠/٢٤-١٥١.
(٤) الكشاف: ٦٨٤/٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨.
(٦) تفسير المراغي: ٧/٣٠.
(٧) صفوة التفاسير: ٤٨٣/٣.
(٨) تفسير الطبري: ١٥١/٢٤.
(٩) الكشاف: ٦٨٤/٤.
(١٠) تفسير المراغي: ٧/٣٠.
(١١) أخرجه الطبري: ١٥١/٢٤.
(١٢)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

قيل:"أن قوله : {ثُمَّ كَلَّا سَيَعْلَمُونَ} [النبأ : ٥]، تكرير لما قبله من الردع والوعيد للمبالغة فيها، فكأنه قيل: لهم يوم القيامة ردع وعذاب شديدان، ثم قيل: بل لهم يومئذ عذاب أشد وأشد، وثم للتفاوت في رتبة العذاب بين الردع الأول والثاني، وقيل: إن الجملة الأولى تشير إلى ما يكون عند النزع، وملاقاة كربات الموت وشدائده وانكشاف الغطاء، والجملة الثانية تشير إلى ما يكون في القيامة من زجر ملائكة العذاب، وملاقاة شديد العقاب، وعلى هذا فـ {ثُمَّ} في مكانها من إفادة التراخي لما بين الأمرين من البعد الزماني"[١].

قرئتْ: «كلا ستعلمون» بالتاء[٢]. والذىَ عليه القراء: {كَلَّا سَيَعْلَمُونَ}، بالياء"[٣].

القرآن

{أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهَادًا (٦)} [النبأ : ٦]

التفسير:

ألم نجعل الأرض ممهدة لكم كالفراش؟

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره معدّدا على هؤلاء المشركين نِعَمه وأياديه عندهم، وإحسانه إليهم، وكفرانهم ما أنعم به عليهم، ومتوعدهم بما أعدّ لهم عند ورودهم عليه من صنوف عقابه، وأليم عذابه، فقال لهم: {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ} لكم {مِهادًا} تمتدونها وتفترشونها"[٤].

قال ابن كثير:" ثم شرع وتعالى يُبَيّن قدرته العظيمة على خلق الأشياء الغريبة والأمور العجيبة، الدالة على قدرته على ما يشاء من أمر المعاد وغيره، فقال :{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا} ؟ أي : ممهدة للخلائق ذُلُولا لهم، قارّةً ساكنة ثابتة"[٥].

عن قتادة: "{أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهَادًا}، أي: بساطا"[٦].

عن الحسن:" {الأَرْضَ مِهادًا} قال: فِراشًا"[٧].

عن سفيان، {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهادًا}، قال:" فُرِشَتْ لكم"[٨].

قال ابن قتيبة: "أي: فراشا"[٩].

قال الزجاج: أي: " إنا ذللناها لهم حتى سكنوها وساروا في مناكبها"[١٠].

قال السعدي:" أي: ممهدة مهيأة لكم ولمصالحكم، من الحروث والمساكن والسبل"[١١].

قال الزمخشري:" معناه: أنها لهم كالمهد للصبي: وهو ما يمهد له فينوّم عليه"[١٢].

قال الزمخشري:" فإن قلت: كيف اتصل به قوله: {أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهادا}؟، قلت: لما أنكروا البعث قيل لهم: ألم يخلق من يضاف إليه البعث هذه الخلائق العجيبة الدالة على كمال القدرة، فما وجه إنكار قدرته على البعث، وما هو إلا اختراع كهذه الاختراعات. أو قيل لهم: ألم يفعل هذه الأفعال المتكاثرة. والحكيم لا يفعل فعلا عبثا، وما تنكرونه من البعث والجزاء مؤدّ إلى أنه عابث في كل ما فعل"[١٣].

---

(١) التفسير الوسيط لمجمع البحوث: ١٧٤٥/١٠.

(٢)التاء: تروى عَنِ الحَسَن.

(٣) انظر: معاني القرآن للزجاج: ٢٧١/٥.

(٤) تفسير الطبري: ١٥١/٢٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨.

(٦) أخرجه الطبري: ١٥١/٢٤.

(٧)أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/ ٣٤٤. وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن جرير، وابن المنذر.

(٨)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٩) غريب القرآن: ٥٠٨.

(١٠) معاني القرآن: ٢٧١/٥.

(١١) تفسير السعدي: ٩٠٦.

(١٢) الكشاف: ٦٨٥/٤.

(١٣) الكشاف: ٦٨٥/٤.

عن قتادة:" {أَلَمْ نَجْعَلِ الأَرْضَ مِهادًا} إلى قوله: {مَعاشًا}، قال: نِعمٌ من الله يعدّها عليكم، يا بني آدم؛ لِتعمَلوا لأداء شُكرها"[١].

القرآن

{وَالْجِبَالَ أَوْتَادًا (٧)} [النبأ : ٧]

التفسير:

والجبال رواسي؛ كي لا تتحرك بكم الأرض؟

قال الطبري:" يقول: والجبال للأرض أوتادا أن تميد بكم"[٢].

قال ابن قتيبة: "أي: أوتادًا للأرض"[٣].

قال ابن كثير:" أي : جعلها لها أوتادًا أرساها بها وثبتها وقرّرها حتى سكنت ولم تضطرب بمن عليها"[٤].

قال السعدي:" تمسك الأرض لئلا تضطرب بكم وتميد"[٥].

قال سفيان:" أُوتِدَتْ بها"[٦].

قال ابن عباس:" لمّا أراد اللهُ أن يَخلُق الخَلْق أرسل الريح، فسَحَّت الماءَ حتى أبْدَتْ عن حشَفَة، وهي التي تحت الكعبة، ثم مدَّ الأرضَ حتى بلَغتْ ما شاء الله مِن الطول والعرض، وكانت هكذا تَميد -وقال بيده هكذا وهكذا-، فجعل الله الجبال رواسي أوتادًا، فكان أبو قبيس مِن أول جبل وُضِع في الأرض"[٧].

عن الحسن، قال: "إنّ الأرض أول ما خُلِقتْ خُلِقتْ من عند بيت المقدس، وُضِعتْ طينة، فقيل لها: اذهبي هكذا وهكذا وهكذا. وخُلِقتْ على صخرة، والصخرة على حوت، والحوت على الماء، فأصبحتْ وهي تميع. فقالت الملائكة: يا ربّ، مَن يُسكّن هذه؟ فأصبحت الجبال فيها أوتادًا، فقالت الملائكة: يا ربّ، أخلقتَ خَلْقًا هو أشدُّ مِن هذه؟ قال: الحديد. قالوا: فخَلَقتَ خَلْقًا هو أشد من الحديد؟ قال: النار. قالوا: فخَلَقتَ خَلْقًا هو أشد من النار؟ قال: الماء. قالوا: فخَلَقتَ خَلْقًا هو أشد من الماء؟ قال: الريح. قالوا: فخَلَقتَ خَلْقًا هو أشد من الريح؟ قال: البناء. قالوا: فخَلَقتَ خَلْقًا هو أشد من البناء؟ قال: ابن آدم"[٨].

القرآن

{وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا (٨)} [النبأ : ٨]

التفسير:

وخلقناكم أصنافا ذكرا وأنثى؟

قال مجاهد:" اثنين اثنين"[٩].

قال الطبري: أي: "ذُكرانا وإناثا، وطوالا وقصارا، أو ذوي دمامة وجمال"[١٠].

قال ابن قتيبة: "أي: أصنافًا وأضدادًا"[١١].

---

(١)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٢) تفسير الطبري: ١٥١/٢٤.

(٣) غريب القرآن: ٥٠٨.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨.

(٥) تفسير السعدي: ٩٠٦.

(٦)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

(٧)أخرجه الحاكم ٢/ ٥١٢، والواحدي في الوسيط ٤/ ٤١٢.

(٨)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٩)عزاه السيوطي إلى الفريابي، وعَبد بن حُمَيد، وابن جرير، وابن المنذر.

(١٠) تفسير الطبري: ١٥١/٢٤.

(١١) غريب القرآن: ٥٠٨.

قال الزجاج: " خلق الذكَر والأنثى، وقيل: {أزواجاً}، أي: ألواناً"[١].
قال ابن كثير:" يعني : ذكرًا وأنثى، يستمتع كل منهما بالآخر، ويحصل التناسل بذلك، كقوله :{وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً} [الروم : ٢١]"[٢].
قال السعدي:" أي: ذكورا وإناثا من جنس واحد، ليسكن كل منهما إلى الآخر، فتكون المودة والرحمة، وتنشأ عنهما الذرية، وفي ضمن هذا الامتنان، بلذة المنكح"[٣].

القرآن
{وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا (٩)} [النبأ : ٩]
التفسير:
وجعلنا نومكم راحة لأبدانكم، فيه تهدؤون وتسكنون؟
وفي تفسير الآية أقوال:
أحدها: نعاسا ، قاله السدي[٤].
الثاني: سكنا ، قاله قتادة[٥].
الثالث: سباتا أي قطعا لأعمالهم، لأن أصل السبات القطع ومنه قولهم سبت الرجل شعره إذا قطعه[٦].
قال الأنباري: "وسمي يوم السبت، لانقطاع الأعمال فيه"[٧].
الرابع: راحة ودعة ، ولذلك سمي يوم السبت سبتا لأنه يوم راحة ودعة[٨].
قال الطبري: " يقول: وجعلنا نومكم لكم راحة ودَعة، تهدءون به وتسكنون، كأنكم أموات لا تشعرون، وأنتم أحياء لم تفارقكم الأرواح، والسبت والسبات: هو السكون، ولذلك سمي السبت سبتا، لأنه يوم راحة ودعة"[٩].
قال ابن قتيبة: "أي: راحةً لأبدانكم. وأصل «السَّبْت»: التمدُّد"[١٠].
قال القشيري:" أي: راحة لكم، لتنقطعوا عن حركاتكم التي تعبتم بها في نهاركم"[١١].
قال ابن كثير:" أي : قطعا للحركة لتحصل الراحة من كثرة التردد والسعي في المعايش في عرض النهار"[١٢].
قال السعدي:" أي: راحة لكم، وقطعا لأشغالكم، التي متى تمادت بكم أضرت بأبدانكم، فجعل الله الليل والنوم يغشى الناس لتنقطع حركاتهم الضارة، وتحصل راحتهم النافعة"[١٣].
قال الزجاج: " السُّبَاتُ: أن ينْقطع عن الحركة والروحُ في بدنه، أي جعلنا نومكم راحة لكم"[١٤].

---

(١) معاني القرآن: ٢٧٢/٥.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨.
(٣) تفسير السعدي: ٩٠٦.
(٤) النكت والعيون: ١٨٣/٦.
(٥) النكت والعيون: ١٨٣/٦.
(٦) النكت والعيون: ١٨٣/٦.
(٧) النكت والعيون: ١٨٣/٦.
(٨) النكت والعيون: ١٨٣/٦.
(٩) تفسير الطبري: ١٥١/٢٤.
(١٠) غريب القرآن: ٥٠٨.
(١١) لطائف الإشارات: ٦٧٦/٣.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٠٢/٨-٣٠٣.
(١٣) تفسير السعدي: ٩٠٦.
(١٤) معاني القرآن: ٢٧٢/٥.

القرآن

{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا (١٠)} [النبأ : ١٠]

التفسير:

وجعلنا الليل لباسًا تَلْبَسكم ظلمته وتغشاكم، كما يستر الثوب لابسه؟

قال الطبري: " يقول تعالى ذكره: وجعلنا الليل لكم غشاء يتغشاكم سواده، وتغطيكم ظلمته، كما يغطي الثوب لابسه لتسكنوا فيه عن التصرّف لما كنتم تتصرّفون له نهارا، ومنه قول الشاعر(١):

فلمَّا لَبِسْنَ اللَّيْلَ أوْ حِينَ نَصَّبَتْ ... له مِنْ خَذا آذانِها وَهْوَ جَانح

يعني بقوله: «لبسن الليل»: أدخلن في سواده فاستترن به"(٢).

قال ابن كثير:" أي : يغشى الناس ظلامه وسواده، كما قال :{وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَاهَا} [الشمس : ٤]"(٣).

عن قتادة: "{وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا}، قال: سكنا"(٤). وروي عن سعيد بن جبير والسدي مثله(٥).

قال ابن قتيبة: "أي: سِترًا لكم"(٦).

قال الزجاج: " أي: تسكنون فيه وهو مشتمل عليكم"(٧).

القرآن

{وَجَعَلْنَا النَّهَارَ مَعَاشًا (١١)} [النبأ : ١١]

التفسير:

وجعلنا النهار معاشا تنتشرون فيه لمعاشكم، وتسعَون فيه لمصالحكم؟

قال ابن عباس:" تَبتغون فيه مِن فضل الله، وما قَسم لكم مِن رزقه"(٨).

قال مجاهد:" يبتغون فيه من فضل الله عز وجل"(٩).

قال الطبري:" يقول: وجعلنا النهار لكم ضياء لتنتشروا فيه لمعاشكم، وتتصرّفوا فيه لمصالح دنياكم، وابتغاء فضل الله فيه، وجعل جلّ ثناؤه النهار إذ كان سببا لتصرّف عباده لطلب المعاش فيه معاشا، كما في قول الشاعر(١):

---

(١) البيت لذي الرمة في ديوانه ص ٨٩٧، وأدب الكاتب ص ٢١٤، والخصائص ٢/ ٣٦٥، وبلا نسبة في جمهرة اللغة ص ٥٨٢، وتفسير الطبري: ١٥١/٢٤.

يصف عانة حمر، وقفت ترقب مغيب الشمس، حتى إذا غربت انطلقت مسرعة إلى مورد الماء الذي تنوى إليه. وقوله: "لبسن الليل" يعني الحمر، حين غشيهن الليل وهن مترقبات مغيب الشمس. ونصبت: رفعت وأقامت آذانها. وخذيت الأذن خذًا: استرخت من أصلها مقبلة على الخدين، وذلك يصيب الحمر في الصيف من حر الشمس والظمأ. ونصبت خذا آذانها، استعدادًا للعدو إلى الماء. وجنح الليل فهو جانح: أقبل، وهو من جنح الطائر: إذا كسر من جناحيه ثم أقبل كالواقع اللاجئ إلى موضع. وهو وصف جيد لإقبال الظلام من جانب الأفق. وأراد الطبري أن ذا الرمة أراد أن يقول: أو حين أقبل الليل، نصبت له من خذا آذانها، وهو جانح. ولا ضرورة توجب ما قال به من الحذف في هذا البيت.

(٢) تفسير الطبري: ١٥١/٢٤-١٥٢.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ١٥٢/٢٤.

(٥) انظر: النكت والعيون: ١٨٣/٦.

(٦) غريب القرآن: ٥٠٨.

(٧) معاني القرآن: ٢٧١/٥.

(٨)تفسير البغوي ٨/ ٣١٢.

(٩)تفسير مجاهد ص ٦٩٤، وأخرجه الطبري: ١٥٢/٢٤. وعزاه السيوطي إلى الفريابي، وعَبد بن حُمَيد، وابن المنذر.

وأخُو الهموم إذا الهُمُومُ تَحَضرَتْ ... جُنْحَ الظَّلام وسادُهُ لا يَرْقُدُ
فجعل الوساد هو الذي لا يرقد، والمعنى لصاحب الوساد"[٢].

قال ابن كثير:" أي : جعلناه مشرقا مُنيرًا مضيئًا، ليتمكن الناس من التصرف فيه والذهاب والمجيء للمعاش والتكسب والتجارات، وغير ذلك "[٣].

قال الزمخشري:" ولما جعل النوم موتا، جعل اليقظة معاشا، أي: حياة في قوله {وَجَعَلْنَا النَّهارَ مَعاشاً}، أي: وقت معاش تستيقظون فيه وتتقلبون في حوائجكم ومكاسبكم. وقيل: السبات الراحة لِباساً يستركم عن العيون إذا أردتم هربا من عدوّ، أو بياتا له. أو إخفاء مالا تحبون الاطلاع عليه من كثير من الأمور[٤]:
وكم لظلام اللّيل عندك من يد ... تخبّر أنّ المانويّة تكذب"[٥].

القرآن

{وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا (١٢)} [النبأ : ١٢]

التفسير:

وبنينا فوقكم سبع سموات متينة البناء محكمة الخلق، لا صدوع لها ولا فطور؟

قال الزجاج: " أي: سبعَ سمواتٍ"[٦].

قال السعدي:" أي: سبع سموات، في غاية القوة، والصلابة والشدة، وقد أمسكها الله بقدرته، وجعلها سقفا للأرض، فيها عدة منافع لهم"[٧].

قال الطبري: أي:" وسقفنا فوقكم، فجعل السقف بناء، إذ كانت العرب تسمي سقوف البيوت - وهي سماؤها - بناءً وكانت السماء للأرض سقفا، فخاطبهم بلسانهم إذ كان التنزيل بلسانهم، وقال {سَبْعًا شِدَادًا} إذ كانت وثاقا محكمة الخلق، لا صدوع فيهنّ ولا فطور، ولا يبليهنّ مرّ الليالي والأيام "[٨].

قال ابن كثير:" يعني : السموات السبع، في اتساعها وارتفاعها وإحكامها وإتقانها، وتزيينها بالكواكب الثوابت والسيارات "[٩].

---

(١)ديوانه: ١٩، وقد جاء في طبقات فحول الشعراء: ١٣١ في نسب الشاعر: سلامة بن جندل بن عبد الرحمن"، وهذه رواية ابن سلام، وغيره يقول: "ابن عبد"، فإن صحت رواية ابن سلام، فهي دليل آخر قوي على فساد دعوى الشنقيطي..

(٢) تفسير الطبري: ١٥٢/٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.

(٤)وكم لظلام الليل عندك من يد ... تخبر أن المانوية تكذب
ووقاك ردى الأعداء تسرى إليهم ... وزارك فيه ذو الدلال المحجب
لأبى الطيب. وكم خبرية للتكثير. واليد: النعمة. وتخبر: تدل مجازا مرسلا. والمانوية طائفة تنسب الخير للنور والشر للظلام، فكذبهم في البيت الأول، واستدل على ذلك، وبنى اليد في الثاني. والدلال: تمنع المحجوب مع رضاه. وتسرى: حال، والمحجب: نعت ذى الدلال، وإيضاح مسألة المانوية. أنه لم يخالف في أن الله واحد إلا الثنوية. قالوا: تجد في العالم خيرا كثيرا وشرا كثيرا، والواحد لا يكون خيرا شريرا، فلكل من الخير والشر فاعل مستقل، فالمانوية والديصانية عن الثنوية قالوا: فاعل الخير هو النور، وفاعل الشر هو الظلمة، واعتقموا أنهما جسمان قديمان حساسان سميعان بصيران. والمجوس من الثنوية أيضا قالوا: إن فاعل الخير هو: يزوان.
وفاعل الشر هو: أهرمن، يعنون به الشيطان، وكل ذلك ظاهر البطلان.

(٥) الكشاف: ٦٨٥/٤.

(٦) معاني القرآن: ٢٧١/٥.

(٧) تفسير السعدي: ٩٠٦.

(٨) تفسير الطبري: ١٥٢/٢٤.

(٩) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.

قال مقاتل:" يعني: بالسبع السموات وغلظ كل سماء مسيرة عام، وبين كل سماءين مثل ذلك، نظيرها في المؤمنين: {خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَائِقَ} [المؤمنون : ١٧]، قوله: «شدادا» قال: وهي فوقكم يا بني آدم فاحذروا، لا تخر عليكم إن عصيتم"(١).

قال السمعاني:" أي: السَّمَاوَات السَّبع.، {شَدَّاد}، أي: صلبة، وَفِي الْآثَار: أن غلظ كل سَمَاء مسيرَة خَمْسمِائَة عَام"(٢).

قال الزمخشري:" {شِداداً}: جمع شديدة، يعنى: محكمة قوية الخلق لا يؤثر فيها مرور الأزمان"(٣).

عن ابن عباس: {وَبَنَيْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شِدَادًا}، قال: " يريد: سبع سماوات"(٤).

عن مجاهد: {ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق} [المؤمنون: ١٧]، يعني: «سبع سموات»"(٥).

عن قتادة في قوله: {فسواهن سبع سماوات}، قال: بعضهن فوق بعض، بين كل سمائين مسيرة خمسمائة عام"(٦).

القرآن

{وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا (١٣)} [النبأ : ١٣]

التفسير:

وجعلنا الشمس سراجًا وقَادًا مضيئًا؟

قال الطبري:" وجعلنا الشمس وقادا مضيئا"(٧).

قال ابن قتيبة: " أي: وَقَّادًا؛ يعني: الشمسَ"(٨).

قال الزجاج:" أي: جعلنا فيها الشمس سراجاً وَقَاداً"(٩).

قال القشيري:" أي: الشمس، جعلناها سراجا وقادا مشتعل"(١٠).

قال ابن كثير:" يعني : الشمس المنيرة على جميع العالم التي يتوهج ضوؤها لأهل الأرض كلهم"(١١).

قال السعدي:" نبه بالسراج على النعمة بنورها، الذي صار كالضرورة للخلق، وبالوهاج الذي فيه الحرارة على حرارتها وما فيها من المصالح"(١٢).

عن مجاهد: "{سِرَاجًا وَهَّاجًا}، قال: يتلألأ"(١٣).

قال سفيان:" يتلألأ ضوءه"(١٤).

عن ابن عباس: "{وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَّاجًا}، يقول: مضيئا"(١٥).

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٩/٤.
(٢) تفسير السمعاني: ١٣٧/٦.
(٣) الكشاف: ٦٨٦/٤.
(٤)تفسير البغوي ٨/ ٣١٢.
(٥) تفسير مجاهد: ٤٨٥.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(٣٠٩):ص٧٥/١.
(٧) تفسير الطبري: ١٥٢/٢٤.
(٨) غريب القرآن: ٥٠٨.
(٩) معاني القرآن: ٢٧١/٥.
(١٠) لطائف الإشارات: ٦٧٦/٣.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.
(١٢) تفسير السعدي: ٩٠٦.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤.

قال ابن عباس:" يقول: سراجا منيرا"[١].
قال قتادة:" الوهاج: المنير"[٢].
قال عطاء الخراساني:" الوهج: المنير"[٣].
قال مقاتل:" يقول: جعل فيها نورا وحرا"[٤].

القرآن
{وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا (١٤) لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا (١٥) وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا (١٦)} [النبأ : ١٤-١٦]
التفسير:
وأنزلنا من السحب الممطرة ماء منصَبّا بكثرة، لنخرج به حبًا مما يقتات به الناس وحشائش مما تأكله الدَّواب، وبساتين ملتفة بعضها ببعض لتشعُّب أغصانها.
قوله تعالى:{وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا} [النبأ : ١٤]، أي:" وأنزلنا من السحب الممطرة ماء منصَبّا بكثرة"[٥].
وفي معنى «المعصرات»، أقوال:
أحدها : أن «المعصرات»: الرياح[٦]، قاله ابن عباس[٧]، ومجاهد[٨]، وعكرمة[٩]، والكلبي[١٠]، وزيد بن أسلم[١١]، وابنه عبدالرحمن[١٢].
قال ابن كثير:" ومعنى هذا القول أنها تستدر المطر من السحاب"[١٣].
عن عكرمة:" أنه كان يقرأ: «وأنزلْنا بالمُعْصِرَاتِ»، يعني: الرياح"[١٤].
قال قتادة:" هي في بعض القراءات: {وَأنزلْنا بالمُعْصِرَات}: الرياح"[١٥].
قال ابن زيد:" المعصرات: الرياح، وقرأ قول الله: {الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا ...} إلى آخر الآية"[١٦].
قال الأزهري: "سميت الرياح «مُعْصِرات»: إذا كانت ذوات أعاصير، واحدها: إعصار"[١٧].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤.
(٣)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ٩٨.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٥٩/٤.
(٥) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٦) و«من» على هذا القول قامت مقام «الباء»، كأنه قال: «وأنزلناها بالمعصرات».
قال يحيى بن سلام:" المُعْصِرات يعني بالمعصرات. وكقوله في سورة الرّعد: {يَحْفَظُونَهُ مِنْ أمْر الله} يعني بأمر الله". [التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٣٠].
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.
(١١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٣/٢٤-١٥٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٥٣/٢٤-١٥٣.
(١٧) انظر: تهذيب اللغة" ٢/ ١٥ (عصر)[بتصرف].

الثاني : أنها السحاب، قاله عكرمة-أيضا-[١]، وأبو العالية[٢]، وسفيان[٣]، والربيع[٤]، والضحاك[٥]، والحسن[٦]، وهو رواية علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٧]، وبه قال ابن قتيبة[٨]، والزجاج[٩].

قال القاسم بن سلام:" « المعصرات»: السحاب الواحد معصرة -بلغة قريش-"[١٠].

قال ابن قتيبة:" يقال: شُبِّهتْ بمَعَاصِير الجواري. والمُعْصِرُ: الجاريةُ التي دَنت من الحيض"[١١].

قال الزجاج: " المعصرات: السحائب، لأنها تعصر الماء وقيل المعصرات كما يقال: قد أجَزَّ الزرْعُ فهو مُجَزّ، إذا صار إلى أن يمطر. فقد أعْصَر"[١٢].

قال النحاس:" أولاهما أن يكون «السحاب» لقوله جلّ وعزّ: {الْمُعْصِراتِ}، ولم يقل: «بالمعصرات»"[١٣].

عن ابن مسعود قال: "يرسل الله سبحانه الرياح، فتأخذ الماء فتجريه في السحاب، فتدر كما تدرّ اللّقحة"[١٤].

وعن ابن عمرو وعن قيس بن سكن قال: قال عبد الله في قوله: "{وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجَّاجاً}، قال: بعث الله سبحانه الريح فحمل الماء من الماء فتدرّ كما تدر اللقحة، ثم يبعث الماء كأمثال العزالي فتضرب به الرياح فينزل متفرّقا"[١٥].

قال المبرّد: "المعصرات: القاطرات"[١٦].

وقال ابن كيسان: "المغيثات، من قوله: {وَفِيهِ يَعْصِرُونَ} [يوسف : ٤٩] "[١٧].

وقال المازني: "أعصرت السحابة، إذا ارتفع لها غبار شديد، وهو الإعصار"[١٨].

الثالث : أن «المعصرات»: السماوات، قاله الحسن[١٩]، وسعيد بن جبير[٢٠]، وقتادة-أيضا-[٢١]، وزيد بن أسلم[٢٢]، وأبيّ بن كعب[٢٣]، ومقاتل بن حيان[٢٤].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٤.
(٥) انظر: الكشف والبيان: ١١٤/١٠.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٤.
(٨) انظر: غريب القرآن: ٥٠٨.
(٩) انظر: معاني القرآن: ٢٧١/٥.
(١٠) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٢.
(١١) غريب القرآن: ٥٠٨.
(١٢) معاني القرآن: ٢٧١/٥.
(١٣) إعراب القرآن: ٨٠/٥.
(١٤) رواه النحاس في "إعراب القرآن": ٨٠/٥.
(١٥) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١١٤/١٠، وانظر: السنن الكبرى للبيهقي: ٣/ ٣٦٤.
(١٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٤!/١٠.
(١٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٤!/١٠.
(١٨) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ١٢٢/٢٣-١٢٣.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٤.
(٢٠) انظر: الكشف والبيان: ١١٤/١٠.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ١٥٤/٢٤.
(٢٢) انظر: الكشف والبيان: ١١٤/١٠.
(٢٣) انظر: الكشف والبيان: ١١٤/١٠.
(٢٤) انظر: الكشف والبيان: ١١٤/١٠.

عن قتادة:"{وَأَنزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ}، قال: من السموات"[1].
قال قتادة:" من السماء"[2].
قال ابن كثير:" وهذا قول غريب، والأظهر أن المراد بالمعصرات : السحاب، كما قال الله تعالى :{اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ} [الروم : ٤٨] أي : من بينه"[3].
قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب أن يقال: إن الله أخبر أنه أنزل من المعصرات - وهي التي قد تحلبت بالماء من السحاب – ماء، وإنما قلنا ذلك أولى بالصواب؛ لأن القول في ذلك على أحد الأقوال الثلاثة التي ذكرت، والرياح لا ماء فيها فينزل منها، وإنما ينزل بها، وكان يصحّ أن تكون الرياح لو كانت القراءة: «وَأنزلنا بالمُعْصِرَاتِ» فلما كانت القراءة: {مِنَ الْمُعْصِرَاتِ} علم أن المعنيّ بذلك ما وصفت. فإن ظنّ ظانّ أن الباء قد تعقب في مثل هذا الموضع من قيل ذلك، وإن كان كذلك، فالأغلب من معنى "من" غير ذلك، والتأويل على الأغلب من معنى الكلام. فإن قال: فإن السماء قد يجوز أن تكون مرادا بها. قيل: إن ذلك وإن كان كذلك، فإن الأغلب من نزول الغيث من السحاب دون غيره"[4].
وفي «الثجاج»، قولان :
أحدهما : الكثير. قاله الحسن[5]، وابن زيد[6]، وابن وهب[7].
قال الحسن: "الثجاج: الماء الكثير يُنبتُ الله به الحَبّ"[8].
قال السعدي:" أي: كثيرا جدا"[9].
قال الطبري:" ولا يُعرف في كلام العرب من صفة الكثرة «الثجّ»، وإنما الثجّ: الصب المتتابع. ومنه قول النبيّ صلى الله عليه وسلم: «أفْضَلُ الحَجِّ العَجُّ والثجّ»[10]، يعني بالثج: صبّ

---

(١) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٥٤/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.
(٤) تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.
(٥)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد والبرق والريح -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٣٢ -.
(٦) انظر: إعراب القرآن للنحاس: ٨٠/٥، والكشف والبيان: ١١٤/١٠، وتفسير ابن كثير: ٣٠٣/٨.
(٧)انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.
(٨)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب المطر والرعد والبرق والريح -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٨/ ٤٣٢ -.
(٩) تفسير السعدي: ٩٠٦.
(١٠)حديث ابن عمر: أخرجه الشافعي (١٠٩/١) ، والترمذي (٢٢٥/٥، رقم ٢٩٩٨) وقال: لا نعرفه من حديث ابن عمر إلا من حديث إبراهيم بن يزيد الخوزى المكى وقد تكلم بعض أهل الحديث فى إبراهيم بن يزيد من قبل حفظه. والبيهقى.
(٣٣٠/٤، رقم ٨٤٢٠) . وأخرجه أيضا: ابن أبى شيبة (٣٧٣/٣، رقم ١٥٠٥٦) . قال المناوى (٣١/٢) : فيه الضحاك بن عثمان، قال أبو زرعة: ليس بقوى، ووثقه ابن معين.
حديث أبى بكر: أخرجه الترمذى (١٨٩/٣، رقم ٨٢٧) وقال: غريب. وابن ماجه (٩٧٥/٢، رقم ٢٩٢٤) ، والحاكم (٦٢٠/١، رقم ١٦٥٥) وقال: صحيح الإسناد. والبيهقى (٤٢/٥، رقم ٨٧٩٨) . وأخرجه أيضا: الدارمى (٤٩/٢ رقم ١٧٩٧) ، وأبو يعلى (١٠٨/١، رقم ١١٧) ، والضياء (١٥٣/١، رقم ٦٥) . قال المناوى (٣١/٢) : فيه يعقوب بن محمد الزهرى، أورده الذهبى فى الضعفاء وقال: ضعفه أبو زرعة وغير واحد، وفيه أيضا محمد بن إسماعيل بن أبى فديك أورده فى ذيل الضعفاء وقال: ثقة مشهور. قال ابن سعد: ليس بحجة.
حديث ابن مسعود: أخرجه أبو يعلى (١٩/٩، رقم ٥٠٨٦) ، قال الهيثمى (٢٢٤/٣) : فيه رجل ضعيف.
ومن غريب الحديث: "العج": رفع الصوت بالتلبية. "الثج": سيلان دماء الهدى والأضاحى.

دماء الهدايا والبُدن بذبحها، يقال منه: ثججت دمه، فأنا أثجُّه ثجا، وقد ثجَّ الدم، فهو يثجّ ثجوجا"[١].

الثاني : المنصبّ، قاله ابن عباس[٢]، ومجاهد[٣]، وقتادة[٤]، والربيع[٥]، وبه قال مقاتل[٦]، وابن قتيبة[٧]، والزجاج[٨]، والطبري[٩]. ومنه قول عبيد بن الأبرص :

فثجّ أعلاه ثم ارتج أسفلُه ... وضاق ذَرْعاً بحمل الماء مُنْصاح

قال النحاس:" المعروف في كلام العرب يقال: ثجّ الماء ثجوجا إذا انصبّ، وثجّه فلان ثجا، إذ صبّه صبّا متتابعا"[١٠].

قال القاسم بن سلام:" «ثجاجا»، يعني: رشاشا -بلغة الأشعريين-"[١١].

قال الربيع:" مُنصبًّا"[١٢].

قال قتادة:" الثجاج: المنصب"[١٣]

وقال عكرمة:" صبًّا. أو قال: كثيرًا"[١٤].

قال قتادة:" مُتتابعًا يتلو بعضه بعضًا"[١٥].

قال ابن عباس:" ماء من السماء منصبا"[١٦].

وقال سفيان:" متتابعا"[١٧].

وقال مجاهد: "مدرارا"[١٨].

قال ابن قتيبة:" أي: سَيَّالا"[١٩].

قال الطبري:" ماء منصبا يتبع بعضه بعضا كثجّ دماء البدن، وذلك سفكها"[٢٠].

قال مقاتل:" يعني: مطرا كثيرا منصبا يتبع بعضه بعضا، وذلك أن الله- عز وجل- يرسل الرياح فتأخذ الماء من سماء الدنيا من بحر الأرزاق، ولا تقوم الساعة ما دام به قطرة ماء، فذلك قوله: {وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ} [الذاريات : ٢٢]، قال: تجيء الريح فتثير سحابا فتلحقه ثم تمطر وتخرج الريح والمطر جميعا من خلل السحاب"[٢١].

---

(١) تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.
(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٠/٤.
(٧) انظر: غريب القرآن: ٥٠٨.
(٨) انظر: معاني القرآن: ٢٧١/٥.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.
(١٠) إعراب القرآن: ٨٠/٥.
(١١) لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٢.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٤.
(١٤)عزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد.
(١٥)تفسير الثعلبي ١٠/ ١١٤، وتفسير البغوي ٨/ ٣١٣.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ١٥٥/٢٤.
(١٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٤/١٠.
(١٩) غريب القرآن: ٥٠٨.
(٢٠) تفسير الطبري: ١٥٥/٢٤.
(٢١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٠/٤.

قال الواحدي:" الثج: شدة الانصباب، يقال: مطر ثجاج، ودم ثجاج أي: صباب، و«الثجاج» -في هذه الآية-: المتدفق المنصب"[١].

قوله تعالى:{لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا} [النبأ : ١٥]، أي:" لنخرج به حبًا مما يقتات به الناس وحشائش مما تأكله الدَّواب"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: لنخرج بالماء الذي ننزله من المعصرات إلى الأرض حبا، والحب كل ما تضمنه كمام الزرع التي تحصد، وهي جمع حبة، كما الشعير جمع شعيرة، وكما التمر جمع تمرة: وأما النبات فهو الكلأ الذي يُرْعى، من الحشيش والزروع"[٣].

قال ابن كثير:" أي : لنخرجَ بهذا الماء الكثير الطيب النافع المُبَارَك {حَبًّا} يدخر للأناسي والأنعام، {وَنَبَاتًا}، أي : خضرًا يؤكل رطبا"[٤].

قال مقاتل:" يعني بـ«الحبوب»: كل شيء يزرع ويحصد من البر والشعير والسمسم ونحوها من الحبوب، قال: {ونباتا}، يعني: كل شيء ينبت في الجبال والصحارى من الشجر والكلأ فذلك النبات، وهي تنبت عاما بعام من قبل نفسها"[٥].

قال الزجاج:" كل ما حصد فهو: حَبٌّ، وكل ما أكلته الماشية من الكلأ فهو: نَبَات"[٦].

وقال عكرمة:" ما أنزل الله من السماء قطرا، إلا نبت به في البحر لؤلؤا، وفي الأرض عشبا"[٧].

قوله تعالى:{وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا} [النبأ : ١٦]، أي:" وبساتين ملتفة بعضها ببعض لتشعُّب أغصانها"[٨].

قال الطبري:" يقول: ولنخرج بذلك الغيث جنات ملتفة مجتمعة"[٩].

قال مقاتل:" يعني: وبساتين ملتفة بعضها إلى بعض من كثرة الشجر"[١٠].

قال ابن كثير:" {وَجَنَّاتٍ}، أي : بساتين وحدائقَ من ثمرات متنوعة، وألوان مختلفة، وطعوم وروائح متفاوتة، وإن كان ذهلك في بقعة واحدة من الأرض مجتمعًا ؛ ولهذا قال :{وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا} قال ابن عباس، وغيره :{أَلْفَافًا} مجتمعة. وهذه كقوله تعالى :{وَفِي الأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الأُكُلِ} الآية [الرعد : ٤]"[١١].

قال الزجاج:" أي: وبساتين ملتفة، فأعلم اللَّه - عزَّ وجلَّ - ما خلق وأنه قادِرٌ على البعث"[١٢].

قال السعدي:" أي: بساتين ملتفة، فيها من جميع أصناف الفواكه اللذيذة، فالذي أنعم عليكم بهذه النعم العظيمة، التي لا يقدر قدرها، ولا يحصى عددها، كيف تكفرون به وتكذبون ما أخبركم به من البعث والنشور؟! أم كيف تستعينون بنعمه على معاصيه وتجحدونها؟ "[١٣].

عن ابن عباس: "{وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا}، قال: مجتمعة"[١].

---

(١) التفسير البسيط للواحدي: ٢٣/١٢٣-١٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٣) تفسير الطبري: ٢٤/١٥٦.
(٤) تفسير ابن كثير: ٨/٣٠٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٥٦٠.
(٦) معاني القرآن: ٥/٢٧٢.
(٧) زاد المسير: ٤/٣٨٩.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٩) تفسير الطبري: ٢٤/١٥٦.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٤/٥٦٠.
(١١) تفسير ابن كثير: ٨/٣٠٤.
(١٢) معاني القرآن: ٥/٢٧٢.
(١٣) تفسير السعدي: ٩٠٦.

قال ابن عباس:" وجنات التفّ بعضها ببعض"[٢].
عن مجاهد، وسفيان: "{وَجَنَّاتٍ أَلْفَافًا}، قال: ملتفة"[٣].
قال قتادة:" التفّ بعضها إلى بعض"[٤].
قال ابن زيد:" هي الملتفة، بعضها فوق بعض"[٥].
فوائد الآيات: [١-١٦]:
١- مظاهر القدرة والعلم والحكمة والرحمة الإلهية في كل الآيات من قوله ألم نجعل الأرض مهادا إلى قوله وجنات ألفافا.
٢- تقرير عقيدة البعث والجزاء والنبوة والتوحيد وهي التي اختلف الناس فيها ما بين مثبت وناف، ومصدق ومكذب.
٣- سيحصل العلم الكامل بهذه المختلف فيها بين الناس عند نزع الروح ساعة الموت، ولكن لا فائدة من العلم ساعتها إذ قضي الأمر وانتهى الخلاف.

القرآن
{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا (١٧) يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا (١٨)} [النبأ : ١٧-١٨]
التفسير:
إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتًا وميعادًا محددًا للأولين والآخرين، يوم ينفخ المَلَك في «القرن» إيذانًا بالبعث فتأتون أممًا، كل أمة مع إمامهم.
قوله تعالى:{إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا} [النبأ : ١٧]، أي:" إن يوم الفصل بين الخلق، وهو يوم القيامة، كان وقتًا وميعادًا محددًا للأولين والآخرين"[٦].
قال ابن عطية:" «يَوْمَ الْفَصْلِ»: هو يوم القيامة، لأن الله تعالى يفصل فيه بين المؤمنين والكافرين، وبين الحق والباطل. و «الميقات» مفعال من الوقت، كميعاد من الوعد"[٧].
قال السمعاني:" أي: ميعادا لِلْخَلَائِقِ، وَهُوَ يَوْم الْقِيَامَة"[٨].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن يوم يفصل الله فيه بين خلقه، فيأخذ فيه من بعضهم لبعض، كان ميقاتًا لما أنفذ الله لهؤلاء المكذّبين بالبعث، ولضربائهم من الخلق"[٩].
قال الزمخشري:" كانَ مِيقاتاً كان في تقدير الله وحكمه حدّا توقت به الدنيا وتنتهي عنده، أو حدا للخلائق ينتهون إليه"[١٠].
قال ابن كثير:" يقول تعالى مخبرًا عن يوم الفصل، وهو يوم القيامة، أنه مؤقت بأجل معدود، لا يزاد عليه ولا ينقص منه، ولا يعلم وقته على التعيين إلا الله عز وجل، كما قال :{وَمَا نُؤَخِّرُهُ إِلا لأَجَلٍ مَعْدُودٍ} [هود : ١٠٤]"[١١].
قال قتادة:" وهو يوم عظَّمه الله، يفصِل الله فيه بين الأوّلين والآخرين بأعمالهم"[١٢].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٥٦/٢٤.
(٦) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٧) المحرر الوجيز: ٤٢٥/٥.
(٨) تفسير السمعاني: ١٣٨/٦.
(٩) تفسير الطبري: ١٥٧/٢٤.
(١٠) الكشاف: ٦٨٧/٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٠٤/٨.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٥٧/٢٤.

قال الراغب:" الوَقْتُ: نهاية الزمان المفروض للعمل، ولهذا لا يكاد يقال إلّا مقدّرا نحو قولهم: وَقَتُّ كذا: جعلت له وَقْتاً"[١].

قوله تعالى:{يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ} [النبأ : ١٨]، أي:" يوم ينفخ المَلَك في «القرن» إيذانًا بالبعث"[٢].

قال الطبري:" هو قَرْن يُنْفَخ فيه"[٣].

عن عبد الله بن عمرو، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: "الصور: قرن"[٤].

قال قتادة:" الصُّور: الخَلق"[٥].

وفي «الصور» قولان:

أحدهما: أنه قرن ينفخ فيه نفختان : إحداهما لفناء من كان حيًّا على الأرض ، والثانية لنشر كل مَيْتٍ.

واعتلوا لقولهم ذلك بقوله : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إِلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [سورة الزمر : ٦٨] ، وبالخبر الذي روي عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال إذ سئل عن الصور :"هو قرن يُنفخ فيه"[٦].

وقال مجاهد: "الصور كهيئة البوق"[٧].

وحكى ابن قتيبة: أن الصور: القرن، في لغة قوم من أهل اليمن، وأنشد[٨]:

نحن نطحنا غداة الجمعين ... بالضابحات في غبار النقعين

نطحا شديدا لا كنطح الصورين[٩].

وأنشد الفراء[١٠]:

لَوْلا ابْنُ جَعْدَةَ لَمْ تُفْتَحْ قُهُنْدُزُكُمْ ... وَلا خُرَاسَانَ حَتَّى يُنْفَخَ الصُّورُ

رجّحه البغوي[١١]، وقال ابن الجوزي: "وهذا اختيار الجمهور"[١٢].

والثاني: أن {الصور}، جمع:« صورة»، يقال: صورة وصور، بمنزلة سورة وسور، كسورة البناء والمراد نفخ الأرواح في صور الناس، قاله الحسن[١٣]، وقتادة[١٤]، وأبو عبيدة[١٥]، وارتضاه البخاري[١]، قال النابغة[٢]:

---

(١) المفردات في غريب القرآن: ٨٧٩.

(٢) التفسير الميسر: ٥٨٢.

(٣) تفسير الطبري: ١٥٧/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ١٥٧/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ١٥٧/٢٤.

(٦)حسن صحيح. أخرجه أبوداود ٤٧٤٢ والترمذي ٢٤٣٠ و ٣٢٤٤ والنسائي في«الكبرى» ١١٣١٢ و ١١٣٨١ و ١١٤٥٦ وأحمد ٢/ ١٦٢ و ١٩٢ والدارمي ٢/ ٣٢٥ وابن حبان ٧٣١٢ والحاكم ٢/ ٤٣٦ و ٥٠٦ و ٤/ ٥٦٠ وأبونعيم في«الحلية» ٧/ ٢٤٣ والمزي في«تهذيب الكمال» ٤/ ١٣٠ وابن المبارك في«الزهد» ١٥٩٩.

ورواه الحاكم في المستدرك ٤ : ٥٦٠ ، وقال : " حديث صحيح الإسناد ، ولم يخرجاه " ، ووافقه الذهبي. وحسنه الترمذي كلهم من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص، و "القرن " ، البوق يتخذ من القرون ، ينفخ فيه.

(٧) انظر: تفسير البغوي:١٥٧/٣، وزاد المسير:٤٥/٢.

(٨)الرجز في«غريب القرآن» : ٢٦ بدوننسبة.

(٩) انظر: غريب القرآن:٢٦.

(١٠)لم أعرف قائله، والبيت بلا نسبة في معاني القرآن للفراء:٣٤٠/١، وتفسير الطبري: ٤٦٣/١١، نسب قريش : ٣٤٥ ، المعرب للجواليقي : ٢٦٧ اللسان "صور".

(١١)انظر: تفسير البغوي:١٥٧/٣.

(١٢) زاد المسير:٤٥/٢.

(١٣) انظر: تفسير البغوي:١٥٧/٣.

(١٤) انظر: زاد المسير:٤٥/٢.

(١٥) انظر: مجاز القرآن:١٩٦/١.

ألم تر أنّ الله أعطاك سورة ... ترى كلّ ملك دونها يتذبذب

قال ابن قتيبة:" السورة في هذا البيت سورة المجد. وهي مستعارة من سورة البناء"[٣].

وقال العجّاج[٤]:

فربّ ذى سرادق محجور ... سرت إليه في أعالي السّور

ومنها: سورة المجد أعاليه، وقال جرير[٥]:

لمّا أتى خبر الزّبير تواضعت ... سور المدينة والجبال الخشّع

وكذلك قرأ الحسن، ومعاذ القارئ، وأبو مجلز، وأبو المتوكل :«في الصور» بفتح الواو[٦].

قال ثعلب: "الأجود أن يكون {الصور}: القرن، لأنه قال عز وجل: {ونفخ في الصور فصعق من في السماوات ومن في الأرض}، ثم قال: {ثم نفخ فيه أخرى}، ولو كان الصور، كان: ثم نفخ فيها، أو فيهن، وهذا يدل على أنه واحد، وظاهر القرآن يشهد أنه ينفخ في الصور مرتين"[٧].

وقد روى أهل التفسير عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال: «الصور قرن ينفخ فيه ثلاث نفخات: الأولى: نفخة الفزع. والثانية: نفخة الصعق. والثالثة: نفخة القيام لرب العالمين»[٨].

---

(١) انظر: الجامع الصحيح:١٩٥/٥.

(٢)ديوانه: ١٧، واللسان: ٦/ ٥٣،ومجاز القرآن: ٤،وتفسيرالطبري: ١/ ١٠٥،وتفسيرالقرطبي: ١/ ٦٥ والإتقان: ١/ ٨٩.

(٣) غريب القرآن:٣٤.

(٤)في ديوانه:رقم ١٥،وفى الكتاب لسيبويه: ٢/ ٢٤٥ واللسان، التاج"سور".

(٥)ديوانه ٣٤٥ والنقائض ٩٦٩ والكتاب ١/ ١٩، ٢٥- والكامل للمبرد ٣١٢ والطبري ١/ ١٤٥ واللسان والتاج "سور"، والخزانة ٢/ ١٦٦.

(٦) انظر: زاد المسير:٤٥/٢.

(٧) زاد المسير:٤٥/٢.

(٨)هو بعض حديث الصور المطول. أخرجه الطبراني في «الطوال» ٣٦، وأبو الشيخ في «العظمة» ٣٨٨ و ٣٨٩ و ٣٩٠، والبيهقي في «البعث» ٦٦٨ و ٦٦٩، والطبري ٢/ ٣٣٠ و ٣٣١ و ١٧/ ١١٠ و ٢٤/ ٣٠ و ٦١ و ٣٠/ ٢٦ و ٣١ و ٣٢ وإسحاق بن راهويه كما في «المطالب العالية» ٢٩٩١ من طرق عن إسماعيل بن رافع، وهو واه، فرواه تارة عن يزيد بن أبي زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة وتارة عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب عن أبي هريرة وتارة عن محمد بن يزيد ابن أبي زيادة عن رجل من الأنصار عن محمد بن كعب عن أبي هريرة، وتارة عن محمد بن كعب القرظي عن رجل من الأنصار عن أبي هريرة. وأيا كان فمداره على إسماعيل بن رافع، ولم يتابعه على هذا الحديث بطوله أحد، وهو واه. جاء في الميزان ٨٧٢: ضعفة أحمد ويحيى وجماعة، وقال الدارقطني وغيره: متروك، وقال ابن عدي: أحاديثه كلها فيها نظر اهـ. باختصار. وقد اضطرب فيه كما سبق. وقد نص الحفاظ على وهن هذا الحديث بطوله فقال الحافظ في «المطالب العالية» ٢٩٩١: فيه ضعف ا. هـ. وقال البوصيري، في ١/ ٢١: تابعيه مجهول. وجاء في الفتح ١١/ ٣٦٨- ٣٦٩ عقب حديث ٦٥١٨ ما ملخصه: وأخرجه عبد بن حميد وأبي يعلى في «الكبير» وعلي بن معبد في «الطاعة والمعصية» ومداره على إسماعيل بن رافع، واضطرب في سنده مع ضعفه، وأخرجه إسماعيل بن أبي زياد الشامي أحد الضعفاء في «تفسيره» عن محمد بن عجلان عن محمد القرظي واعترض مغلطاي على عبد الحق في تضعيفه الحديث بإسماعيل بن رافع، وخفي عليه أن الشامي أضعف منه، ولعله سرقه من إسماعيل فلزقه بابن عجلان وقد قال الدارقطني: يضع الحديث. وقد قال الحافظ ابن كثير: جمعه إسماعيل بن رافع من عدة آثار فساقه كله مساقا واحدا ا. هـ. وقد صحح الحديث من طريق إسماعيل بن رافع القاضي أبو بكر بن العربي في «سراجه» وتبعه القرطبي في «التذكرة» وقول عبد الحق في تضعيفه أولى، وضعفه قبله البيهقي اهـ كلام الحافظ، وتكلم عليه أيضا ابن كثير رحمه الله في «البداية والنهاية» ٢/ ٢٢٣ و ٢٢٤.

وخلاصة القول: أنه حديث ضعيف بهذا التمام، وبعض ألفاظه في الصحيحين وغيرهما وبعضه في الكتاب المعتبرة وبعضه الآخر منكر لا يتابع عليه انظر «تفسير ابن كثير» ٢/ ١٩٠.

قال ابن عباس: " يعني: بالصور : النفخة الأولى[١] ، ألم تسمع أنه يقول : {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى يعني الثانية فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ} [سورة الزمر : ٦٨]"[٢].

قال ابن عطية:" «الصور» : القرن الذي ينفخ فيه لبعث الناس. هذا قول الجمهور، ويحتمل هذا الموضع أن يكون «الصور» فيه جمع: صورة، أي يوم يرد الله فيه الأرواح إلى الأبدان، هذا قول بعضهم في الصُّورِ وجوزه أبو حاتم، والأول أشهر وبه تظاهرت الآثار، وهو ظاهر كتاب الله تعالى في قوله ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرى [الزمر: ٦٨]"[٣].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندنا ، ما تظاهرت به الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، أنه قال : «إن إسرافيلَ قد التقم الصور وحنى جبهته ، ينتظر متى يؤمر فينفخ»[٤]، وأنه قال : «الصور قرن ينفخ فيه»[٥]"[٦].

قوله تعالى:{فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا} [النبأ : ١٨]، أي:" فتأتون أممًا، كل أمة مع إمامهم"[٧].

قال الطبري:" يقول: فيجيئون زمرا زمرا، وجماعة جماعة.. لأن كلّ أمة أرسل الله إليها رسولا تأتي مع الذي أرسل إليها كما قال: {يَوْمَ نَدْعُو كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَامِهِم}"[٨].

قال الزمخشري:" من القبور إلى الموقف أمما كل أمّة مع إمامهم. وقيل: جماعات مختلفة"[٩].

قال الزجاج:" أي: تأتي كل أمة مع إمَامِهِم"[١٠].

عن مجاهد، قوله: "{أَفْوَاجًا}، قال: زُمرًا زُمرًا"[١١].

قال مقاتل:" يعني: زمرا زمرا، وفرقا فرقا، وأمما أمما"[١٢].

قال ابن عطية:" «الأفواج» : الجماعات يتلو بعضها بعضا، واحدها فوج"[١٣].

عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "ما بين النفختين أربعون" قالوا : أربعون يومًا ؟ قال : "أبيتُ". قالوا : أربعون شهرًا ؟ قال : "أبيت". قالوا : أربعون سنة ؟ قال : "أبيت". قال : "ثم يُنزلُ الله من السماء ماء فينبتُونَ كما ينبتُ البقلُ، ليس من الإنسان شيءٌ إلا يَبلَى، إلا عظمًا واحدا، وهو عَجْبُ الذنَب، ومنه يُرَكَّبُ الخَلْقُ يومَ القيامة" [١٤].

عن البراء بن عازب قال: "كان معاذ بن جبل جالسا قريبا من رسول الله صلى الله عليه وسلم في منزل أبي أيوب الأنصاري فقال معاذ: يا رسول الله أرأيت قول الله تعالى: {يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أفواجاً}، فقال: «معاذ سألت عن عظيم من الأمر، ثم أرسل عينيه ثم قال: تحشرون عشرة أصناف من أمتي أشتاتا قد ميّزهم الله تعالى من جماعة المسلمين وبدّل صورهم فبعضهم على صور القردة وبعضهم على صورة الخنازير وبعضهم منكبّين أرجلهم فوق

---

(١) يعني: نفخة الصعق.
(٢) أخرجه الطبري(١٣٤٣٣):٤٦٤/١١
(٣) المحرر الوجيز: ٤٢٥/٥.
(٤)رواه الترمذي في باب " ما جاء في الصور " ، وفي أول تفسير سورة الزمر وذكره ابن كثير في تفسيره ٣ : ٣٣٧ ، ثم قال : " رواه مسلم في صحيحه " ، ولم أستطع أن أعرف مكانه في صحيح مسلم.
(٥) سبقق تخريجه انظر: القول الأول.
(٦) تفسير الطبري:٤٦٣/١١.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٨) تفسير الطبري: ١٥٧/٢٤.
(٩) الكشاف: ٦٨٧/٤.
(١٠) معاني القرآن: ٢٧٢/٥.
(١١) أخرجه الطبري: ١٥٨/٢٤.
(١٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦١/٤.
(١٣) المحرر الوجيز: ٤٢٥/٥.
(١٤)صحيح البخاري برقم (٤٩٣٥).

ووجوههم أسفل يسحبون عليها، وبعضهم عمي يتردّدون، وبعضهم صُمٌّ بُكْمٌ ... لا يَعْقِلُونَ، وبعضهم يمضغون ألسنتهم وهي مدلّاة على صدورهم يسيل القيح من أفواههم يقذّرهم أهل الجمع، وبعضهم مقطعة أيديهم وأرجلهم، وبعضهم مصلّبين على جذوع من نار، وبعضهم أشدّ نتنا من الجيف، وبعضهم يلبسون جبابا سابغة من قطران لازقة بجلودهم، فأما الذين على صورة القردة فالقتّات من الناس- يعني النّمام- وأما الذين على صورة الخنازير فأهل السحت، والمنكسين على وجوههم فأكلة الربا، والعمي من يجور في الحكم، والصمّ والبكم المعجبون بأعمالهم، والذين يمضغون ألسنتهم فالعلماء والقصاص الذين خالف قولهم أعمالهم، والمقطّعة أيديهم وأرجلهم الذين يؤذون الجيران، والمصلّبين على جذوع من نار فالسعاة بالناس إلى السلطان، والذين هم أشد نتنا من الجيف فالذين يتمتعون بالشهوات واللذات ومنعوا حق الله سبحانه من أموالهم، والذين يلبسون الجباب فأهل الكبر والفخر والخيلاء»[1].

القرآن

{وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا (١٩)} [النبأ : ١٩]

التفسير:

وفُتحت السماء، فكانت ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة.

قوله تعالى:{وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ} [النبأ : ١٩]، أي:" وتشققت السماء من كل جانب"[2].

قال الطبري: يقول:" وشققت السماء فصدّعت"[3].

قال مقاتل:" يعني: وفرجت السماء، يعني: وفتقت السماء فتقطعت"[4].

قال الزجاج:" أي: تشققت كما قال عزَّ وجلَّ: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ}، {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ}"[5].

قال السمعاني:" أي: جعلت طرقا"[6].

قوله تعالى:{فَكَانَتْ أَبْوَابًا} [النبأ : ١٩]، أي:" فكانت ذات أبواب كثيرة لنزول الملائكة"[7].

قال ابن كثير:" أي : طرقا ومسالك لنزول الملائكة"[8].

قال مقاتل:" يعني خللا خللا فشبهها الله بالغيم إذا انكشف بعد المطر، ثم تهيج به الريح الشمال الباردة فينقطع فيصير كالأبواب"[9].

قال الطبري: يقول:" فكانت طُرقا، وكانت من قبل شدادا لا فطور فيها ولا صدوع. وقيل: معنى ذلك: وفُتحت السماء فكانت قِطعا كقطع الخشب المشقّقة لأبواب الدور والمساكن، قالوا: ومعنى الكلام: وفُتحت السماء فكانت قِطعا كالأبواب"[10].

قال ابن عطية:" قيل: معناه: تنفطر وتتشقق حتى يكون فيها فتوح كالأبواب في الجدارات"[11].

---

(١) رواه الثعلبي في الكشف والبيان: ١١٥/١٠، .وانظر: الدر المنثور: ٣٩٣/٨، وعزاه إلى ابن مردويه.
(٢) صفوة التفاسير: ٤٨٤/٣.
(٣) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٤.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦١/٤.
(٥) معاني القرآن: ٢٧٣/٥.
(٦) تفسير السمعاني: ١٣٨/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦١/٤.
(١٠) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٤.
(١١) المحرر الوجيز: ٤٢٥/٥.

قال الثعلبي:" قيل: شقت حتى جعلت كالأبواب قطعا، وقيل: تنحلّ وتتناثر حتى تصير فيها أبواب وطرق وقيل: إنّ لكل عبد بابين في السماء: باب لعمله وباب لرزقه، فإذا قامت القيامة انفتحت الأبواب"(١).

عن ابن جريج في قوله: {وَانْشَقَّتِ السَّمَاءُ} [الحاقة : ١٦]، قال: ذلك قوله: {وَفُتِحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا} [النبأ : ١٩]"(٢).

القرآن

{وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا (٢٠)} [النبأ : ٢٠]

التفسير:

ونسفت الجبال بعد ثبوتها، فكانت كالسراب.

قوله تعالى:{وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ} [النبأ : ٢٠]، أي:" ونسفت الجبال بعد ثبوتها"(٣).

قال الطبري: " يقول: ونُسفت الجبال فاجتثت من أصولها"(٤).

قال مقاتل:" يعني: وانقلعت الجبال من أماكنها، فطارت بين السماء والأرض من خشية الله"(٥).

عن مجاهد :"{وَإِذَا الْجِبَالُ سُيِّرَتْ}، قال: ذهبت"(٦).

قوله تعالى:{فَكَانَتْ سَرَابًا} [النبأ : ٢٠]، أي:" فكانت كالسراب"(٧).

قال الطبري: " فصيرت هباء منبثا، لعين الناظر، كالسراب الذي يظنّ من يراه من بُعد ماء، وهو في الحقيقة هباء"(٨).

قال الزمخشري:" يعنى: أنها تصير شيئا كلا شيء، لتفرّق أجزائها وانبثات جواهرها"(٩).

قال ابن كثير:" أي : يخيل إلى الناظر أنها شيء، وليست بشيء، بعد هذا تَذهب بالكلية، فلا عين ولا أثر، كما قال :{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا} [طه : ١٠٥ - ١٠٧] وقال :{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف : ٤٧]"(١٠).

قال القاسمي:" أي: رفعت من أماكنها في الهواء. وذلك إنما يكون بعد تفتيتها وجعلها أجزاء متصاعدة كالهباء. وفي الآية تشبيه بليغ. والجامع أن كلا منهما يرى على شكل شيء، وليس به. فالسراب يرى كأنه بحر وليس كذلك. والجبال إذا فتتت وارتفعت في الهواء، ترى كأنها جبال وليست بجبال. بل غبار غليظ متراكم، يرى من بعيد كأنه جبل"(١١).

قال مقاتل:" يعني: مثل السراب الذي يكون بالقاع يحسبه الظمآن ماء، فإذا أتاه لم يجده شيئا، فذلك قوله: {تَحْسَبُهَا جَامِدَةً} [النمل : ٨٨] ،يعنى: من بعيد يحسبها جبلا قائما، فإذا انتهى إليه ومسه لم يجده شيئا، فتصير الجبال أول مرة كالمهل، ثم تصير الثانية كالعهن المنفوش، ثم تذهب فتصير لا شيء فتراها تحسبها جبالا، فإذا مسستها لم تجدها شيئا، فذلك قوله: {وَسُيِّرَتِ

---

(١) الكشف والبيان: ١١٥/١٠.
(٢) الدر المنثور: ٨/ ٢٦٩ـ وعزاه إلى ابن جرير وابن المنذرعن.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٤) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٤.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦١/٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٦٤٠/٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٨) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٤.
(٩) الكشاف: ٦٨٨/٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(١١) محاسن التأويل: ٣٩١/٩.

الْجِبَالُ} [النبأ : ٢٠]، يعني: انقطعت الجبال من خشية الله- عز وجل- يوم القيامة {فَكَانَتْ سَرَابًا} [النبأ : ٢٠]، فما حالك يا بن آدم؟"[١].

عن عامر الشعبي، وعطاء بن أبي رباح، وعكرمة، قالوا:" السّراب كهيئة الآل"[٢].

القرآن

{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا (٢١) لِلطَّاغِينَ مَآبًا (٢٢) لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا (٢٣) لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا (٢٤) إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا (٢٥) جَزَاءً وِفَاقًا (٢٦)} [النبأ : ٢١-٢٦]

التفسير:

إن جهنم كانت يومئذ ترصد أهل الكفر الذين أُعِدَّت لهم، للكافرين مرجعًا، ماكثين فيها دهورًا متعاقبة لا تنقطع، لا يَطْعَمون فيها ما يُبْرد حرَّ السعير عنهم، ولا شرابًا يرويهم، إلا ماءً حارًا، وصديد أهل النار، يجازَون بذلك جزاء عادلا موافقًا لأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا.

قوله تعالى:{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا} [النبأ : ٢١]، أي:" إن جهنم كانت يومئذ ترصد أهل الكفر الذين أُعِدَّت لهم"[٣].

قال الطبري: " إن جهنم كانت ذات رَصْد لأهلها الذين كانوا يكذّبون في الدنيا بها وبالمعاد إلى الله في الآخرة، ولغيرهم من المصدّقين بها. ومعنى الكلام: إن جهنم كانت ذات ارتقاب ترقب من يجتازها وترصُدهم"[٤].

قال الزجاج:" أي: يَرْصُدُ أهلَ الكفر ومن حق عليه العذاب. تكاد تميز من الغيظ، فلا يجاوزها من حقت عليه كلمة العذاب"[٥].

قال ابن كثير:" أي: مرصدة مُعَدّة، {لِلطَّاغِينَ}، وهم: المَرَدة العصاة المخالفون للرسل"[٦].

قال الثعلبي:" طريقا وممرا فلا سبيل إلى الجنة حتى تقطع النار"[٧].

قال الزمخشري:" المرصاد: الحدّ الذي يكون فيه الرصد. والمعنى: أن جهنم هي حدّ الطاغين الذي يرصدون فيه للعذاب وهي مآبهم. أو هي مرصاد لأهل الجنة ترصدهم الملائكة الذين يستقبلونهم عندها، لأن مجازهم عليها، وهي مآب للطاغين"[٨].

عن قتادة، قوله: "{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}: يُعْلِمُنا أنه لا سبيل إلى الجنة حتى يَقطع النار"[٩].

عن سفيان :"{إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}، قال: عليها ثلاث قناطر"[١٠].

روي أن الحسن تلا هذه الآية: {إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا}، وقال:" ألا إنّ على الباب الرّصَد، فمن جاء بجواز جاز، ومن لم يجئ بجواز احتبس"[١١].

قال الحسن:" لا يدخل الجنة أحد حتى يجتاز النار"[١٢].

قوله تعالى:{لِلطَّاغِينَ مَآبًا} [النبأ : ٢٢]، أي:" للكافرين مرجعًا"[١].

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦١/٤-٥٦٢.
(٢)أخرجه آدم بن أبي إياس -كما في تفسير مجاهد ص ٦٩٥ -.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٤) تفسير الطبري: ١٥٨/٢٤.
(٥) معاني القرآن: ٢٧٣/٥.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(٧) الكشف والبيان: ١١٥/١٠.
(٨) الكشاف: ٦٨٨/٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن جهنم للذين طَغَوا في الدنيا، فتجاوزوا حدود الله استكبارا على ربهم كانت منزلا ومرجعا يرجعون إليه، ومصيرا يصيرون إليه يسكنونه"[٢].

قال ابن كثير:" أي : مرجعا ومنقلبا ومصيرا ونزلا "[٣].

عن قتادة: "{لِلطَّاغِينَ مَآبًا}، أي: منزلا ومأوى"[٤].

قال سفيان:" مرجعا ومنزلا"[٥].

قال الزجاج:" معنى {مَآبًا}: إليها يرجعون"[٦].

قال مقاتل:" يعنى للمشركين مرجعا إليها. نزلت في الوليد بن المغيرة"[٧].

قوله تعالى:{لَابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا} [النبأ : ٢٣]، أي:" ماكثين فيها دهورًا متعاقبة لا تنقطع"[٨].

قال الطبري: يقول: " إن هؤلاء الطاغين في الدنيا لابثون في جهنم، فماكثون فيها أحقابا"[٩].

قال ابن كثير:" أي : ماكثين فيها أحقابا، وهي جمع «حقُب»، وهو : المدة من الزمان"[١٠].

واختلفوا في مدة «الحقب»، على أقوال:

أحدها : ثمانون سنة، قاله ابن عباس[١١]، وأبو هريرة[١٢]، وعبد الله بن عَمرو[١٣]، وهلال الهَجريّ[١٤]، وسعيد بن جبير[١٥]، وعَمرو بن ميمون[١٦]، والحسن[١٧]، وقتادة[١٨]، والربيع بن أنس[١٩]، والضحاك[٢٠].

قال أبو هريرة:" الحُقب: ثمانون سنة، والسنة: ستون وثلاث مئة يوم، واليوم: ألف سنة"[٢١].

عن سالم بن أبي الجعد، قال: "قال عليّ بن أبي طالب -رضي الله عنه- لهلال الهَجريّ: ما تجدون الحُقْب في كتاب الله المنزل؟ قال: نجد ثمانين سنة كل سنة اثنا عشر شهرا، كل شهر ثلاثون يوما، كل يوم ألف سنة"[٢٢].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٢) تفسير الطبري: ١٥٩/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(٤) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٥٩/٢٤.
(٦) معاني القرآن: ٢٧٣/٥.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٢/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٩) تفسير الطبري: ١٥٩/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٤-١٦٢.
(١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(١٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٤.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٢٠) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(٢١) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٤-١٦٢.
(٢٢) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٤.

عن ابن عباس، قال: "الحُقْب: ثمانون سنة"[١].

قال سعيد بن جبير:" الحقب: ثمانون سنة، السنة: ثلاث مئة وستون يوما، اليوم: سنة أو ألف سنة. -الطبري يشكّ-"[٢].

قال قتادة:" بلغنا أن الحقب ثمانون سنة من سني الآخرة"[٣].

عن قتادة، قال الله: "{لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}، وهو ما لا انقطاع له، كلما مضى حُقْب جاء حُقْب بعده. وذُكر لنا أن الحُقْب ثمانون سنة"[٤].

قال الربيع بن انس:" لا يعلم عدّة هذه الأحقاب إلا الله، ولكن الحُقْب الواحد: ثمانون سنة، والسنة: ثلاث مئة وستون يوما، كل يوم من ذلك ألف سنة"[٥].

الثاني : أربعون سنة، قاله ابن عمر[٦]، وعبدالله بن عمرو[٧].

روي عن طارق بن عبد الرحمن: "دعاني شيخ بين الصفا والمروة فإذا عنده كتاب عبد الله بن عمرو{لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً}، أن الحقب أربعون سنة كلّ يوم منها ألف سنة"[٨].

الثالث : سبعون سنة ، قاله الحسن[٩]، والسدي[١٠].

قال السّدي :"{لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا} سبعمائة حُقب، كل حقب سبعون سنة، كل سنة ثلاثمائة وستون يومًا، كل يوم كألف سنة مما تعدون"[١١].

الرابع : أن الحقب: بضع وثمانون سنة. رواه ابن عمر مرفوعا[١٢].

عن ابن عمر، عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "والله لا يخرج من النار أحد حتى يمكث فيها أحقابا". قال : والحُقْب : بضع وثمانون سنة، والسنة ثلاثمائة وستون يوما مما تعدون"[١٣].

الخامس : أنه ألف شهر ، رواه أبو أمامة مرفوعاً[١٤].

قال ابن أبي حاتم :"وبسند ضعيف عن أبي أمامة أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: {لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}، قال: الحقب: ألف شهر، والشهر ثلاثون يوما، والسنة اثنا عشر شهر، والشهر ثلاثمائة وستون يوما، كل يوم منها ألف سنة مما تعدون، فالحقب ثمانون ألف سنة"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٨٦/٦.
(٧) انظر: الكشف والبيان: ١١٦/١٠، وتفسير ابن كثير:٣٠٥/٨، وقال: "رواه ابن أبي حاتم".
(٨) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٦/١٠.
(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٨٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٣٠٥/٨.
(١١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٠٦/٨.
(١٢) انظر: مسند البزار برقم (٢٢٤٩) "كشف الأستار.
(١٣)أخرجه البزار ١٢/ ٢٤٠ (٥٩٨٠)، وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات ١/ ٤٢٨ (٤٧٧)، والثعلبي ١٠/ ١١٦، من طريق سليمان بن مسلم، عن سليمان التيمي، عن نافع، عن ابن عمر به.
ذكره ابن الجوزي في الموضوعات ٣/ ٢٦٧. وقال الهيثمي في المجمع ١٠/ ٣٩٥ (١٨٦٣٢): «فيه سليمان بن مسلم الخشّاب، وهو ضعيف جدًّا». وقال السيوطي في اللآلئ المصنوعة ٢/ ٣٨٦: «قال ابن عدي: هذا حديث منكر جدًّا. وسليمان شبه المجهول، وروى عن التيميّ ما ليس من حديثه بحديثه، وقال الحافظ أبو الحسن الهيثمي وأبو الفضل بن حجر في الزوائد: هذا الحديث موضوع في نقدي». وأورده الألباني في الضعيفة ١١/ ٦٣٩.
(١٤)مسند البزار برقم (٢٢٤٩) "كشف الأستار" ورواه الديلمي في مسند الفردوس برقم (٧٠٢٩) من طريق زياد بن أبي زيد، عن سليمان بن مسلم به نحوه، وقال الهيثمي في المجمع (٣٩٥/١٠) : "فيه سليمان بن مسلم الخشاب، وهو ضعيف جدًا".

السادس : ثلاثمائة سنة، قاله بشير بن كعب[٢]، وأبيّ بن كعب[٣].

قال بشير بن كعب:" بلغني أن الحُقب ثلاث مئة سنة، كلّ سنة ثلاث مئة وستون يوما، كل يوم ألف سنة"[٤].

السابع : سبعون ألف سنة ، قاله الحسن[٥].

قال الحسن:" أما الأحقاب، فلا يَدري أحد ما هي، وأما «الحُقْب الواحد»: فسبعون ألف سنة، كلّ يوم كألف سنة"[٦].

عن سالم، قال: "سمعت الحسن يُسْأل عن قول الله: {لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}، قال: أما الأحقاب فليس لها عدّة إلا الخلود في النار؛ ولكن ذكروا أن الحُقْب الواحد سبعون ألف سنة، كلّ يوم من تلك الأيام السبعين ألفا كألف سنة مما تَعُدّون"[٧].

الثامن : أن الحقب الواحد: سبع عشرة ألف سنة. قاله مقاتل بن حيان[٨].

التاسع : أي: أحقابا لا انقطاع لها. وهذا قول قتادة[٩]، وبه قال قطرب[١٠]، والنحاس[١١].

قال الماوردي:" يعني: كلما مضى حقب جاء حقب، وكذلك إلى الأبد"[١٢].

قال قطرب: أي:" دهر طويل غير محدود"[١٣].

وحكي الثعلبي عن آخرين: أنه" اسم للزمان والدّهر وليس له حد"[١٤].

عن قتادة، قال الله: "{لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}، وهو ما لا انقطاع له، كلما مضى حُقْب جاء حُقْب بعده.."[١٥].

وروى أبو الضحى عن ابن مسعود قال: "لا يعلم عدد الأحقاب إلّا الله عزّ وجل"[١٦].

قال مقاتل:" يعني: الأزمنة والأحقاب لا يدري عددها، ولا يعلم منتهاها إلا الله- عز وجل- "[١٧].

قال النحاس:" فمن أحسن ما قيل فيها أن قتادة قال: «لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً لا انقطاع لها»، فعلى هذا التقدير يكون الجمع وحقبة حقب، وأحقاب جمع الجمع كما قال[١٨]:

وكنّا كندماني جذيمة حقبة ... من الدّهر حتّى قيل لن يتصدّعا"[١].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم(١٩٠٩٩):ص٣٣٩٥/١٠. قال ابن كثير:٣٠٦/٨:" وهذا حديثٌ منكر جدًا، والقاسم هو والراوي عنه وهو جعفر بن الزبير كلاهما متروك".

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦١/٢٤. بشير بن كعب بن أبي الحميري، أبو أيوب العدوي". ثقة معروف، روى عن أبي الدرداء، وأبي ذر، وأبي هريرة. و"بشير" مصغر.

(٣) انظر: الكشف والبيان: ١١٦/١٠.

(٤) أخرجه الطبري: ١٦١/٢٤.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ١١٦/١٠. وقال:" وأن الآية منسوخة: {فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً}، يعني: أن العدد قد ارتفع والخلود قد حصل". وهذا قول فيه نظر. وسوف يأتي الرد عليه.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٦٢/٢٤.

(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٨٦/٦.

(١١) انظر: إعراب القرآن: ٨٢/٥.

(١٢) النكت والعيون: ١٨٦/٦.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٨٦/٦.

(١٤) الكشف والبيان: ١١٦/١٠.

(١٥) أخرجه الطبري: ١٦٢/٢٤.

(١٦) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٦/١٠.

(١٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٢/٤.

(١٨)الشاهد لمتمم بن نويرة في ديوانه ١١١، وتاج العروس (حبر) و (صدع) ، وديوان المفضليات ٥٣٥، والكامل (١٢٣٧).

قال الحسن: "إنّ الله سبحانه لم يذكر شيئا إلّا وجعل له مدّة ينقطع إليها ولم يجعل لأهل النار مدّة بل قال: {لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً}، فو الله ما هو إلّا أنه إذا مضى حقب دخل آخر ثم آخر ثم آخر كذلك إلى أبد الآبدين فليس للأحقاب عدة إلّا الخلود في النار، ولكن قد ذكروا أن الحقب الواحد سبعون ألف سنة كل يوم منها ألف سنة ممّا نعده"[٢].

وفي تعليق لبثهم بالأحقاب قولان [٣]:

أحدهما : أن هذا لا يدل على غاية، لأنه كلما مضى حقب تبعه حقب، وليس ذلك بحد لخلودهم في النار، ولو أنه قال: لابِثِينَ فِيها عشرة أحقاب أو خمسة دل على غاية، هذا قول ابن قتيبة[٤]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[٥].

قال ابن الجوزي:" وبيانه أن زمان أهل الجنة والنار يُتَصَوَّرُ دخوله تحت العدد، وإن لم يكن له غاية. كقوله: بكرة وعشيا، مثل هذا أنّ كلمات الله تعالى داخلة تحت العدد وإن لم تكن لها نهاية"[٦].

قال ابن قتيبة: " يقال: الْحُقْبُ: ثمانون سنة. وليس هذا مما يدلُّ على غايةٍ، كما يظن بعض الناس[٧]. وإنما يدُلُّ على الغاية التوقيتُ: خمسة أحقاب أو عشرة. وأراد: أنهم يَلْبَثُون فيها أحقابًا، كلَّما مضى حُقْبٌ تَبِعه حقبٌ آخرُ"[٨].

قال الزمخشري:" حقبا بعد حقب، كلما مضى حقب تبعه آخر إلى غير نهاية، ولا يكاد يستعمل الحقب والحقبة إلا حيث يراد تتابع الأزمنة وتواليها، والاشتقاق يشهد لذلك. ألا ترى إلى حقيبة الراكب، والحقب الذي وراء التصدير[٩]"[١٠].

الثاني : أن المعنى: أنهم يلبثون فيها أحقاباً لا يَذُوقُونَ في الأحقاب بَرْداً وَلا شَراباً فأما خلودهم في النار فدائم، وبيانه أن الأحقاب حَدٌّ لعذابهم بالحميم والغَسّاق، فإذا انقضت الأحقاب عُذِّبوا بغير ذلك من العذاب. وهذا قول الطبري[١١]، والزجاج[١٢].

قال الطبري:" يحتمل أن يكون معنى ذلك: لابثين فيها أحقابا في هذا النوع من العذاب هو أنهم: {لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا إلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا}، فإذا انقضت تلك الأحقاب، صار لهم من العذاب أنواع غير ذلك، كما قال جلّ ثناؤه في كتابه: (وَإِنَّ لِلطَّاغِينَ لَشَرَّ مَآبٍ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ الْمِهَادُ هَذَا فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ وَغَسَّاقٌ وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ) وهذا القول عندي أشبه بمعنى الآية"[١٣].

قال الزجاج:" «الأحقاب» واحدها: حُقْب، و«الحقب»: ثمانون سنة، كل سنة اثنا عشر شهراً، وكل شهر ثلاثون يوماً، وكل يوم مقداره ألف سنة من سني الدنيا، والمعنى: أنهم يلبثون

---

(١) إعراب القرآن: ٨٢/٥.
(٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٦/١٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٣/٢٤، والنكت والعيون: ١٨٦/٦.
(٤) انظر: غريب القرآن: ٥٠٩.
(٥) انظر: زاد المسير: ٣٨٩/٤.
(٦) زاد المسير: ٣٨٩/٤.
(٧)كابن زيد ومقاتل بن حيان، وقد زعما: أن هذه الآية منسوخة بآية (فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا) : ٣٠ وقد رد عليهما الطبري والقرطبي والفخر ٨/ ٣٢٩-٣٣٠. كما سيأتي.
(٨) غريب القرآن: ٥٠٩.
(٩)في الصحاح «التصدير» : الحزام، وهو في صدر البعير، والحقب عند الثيل. وفيه «الثيل» : وعاء قضيب البعير.
(١٠) الكشاف: ٦٨٨/٤-٦٨٩.
(١١) تفسير الطبري: ١٦٣/٢٤.
(١٢) انظر: معاني القرآن: ٢٧٣/٥.
(١٣) تفسير الطبري: ١٦٣/٢٤.

أحقاباً لاَ يَذُوقُون في الأحقاب برداً ولا شراباً، وهم خالدون في النار أبداً كما قال عزَّ وجلَّ: {خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا}"[1].

قال الشيخ ناصر العقل:" وهذا الذي قاله الزجاج شاذ، خلاف ما عليه الأولون والآخرون، وهو خلاف ما دل عليه القرآن، فإن هذا يقتضي أنهم يبقون بعد الأحقاب فيها، ولكن لا يذوقون البرد والشراب حينئذٍ، وهذا باطل قطعاً، ثم إذا ذاقوا البرد والشراب فهذا نعيم، فكيف يكونون معذبين فيها بعد ذلك؟"[2].

وروي عن عمرو بن أبي سَلَمة، قال: "سألت أبا معاذ الخراساني، عن قول الله: {لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}؟ فأخبرنا عن مقاتل بن حَيان، قال: منسوخة، نسختها: {فَلَنْ نزيدَكُمْ إلا عَذَابًا}"[3].

قال الطبري: "ولا معنى لهذا القول؛ لأن قوله: {لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا} خبر، والأخبار لا يكون فيها نسخ، وإنما النسخ يكون في الأمر والنهي"[4].

وروي عن خالد بن معدان في قوله: {لابِثِينَ فِيهَا أَحْقَابًا}، وقوله: {إلا مَا شَاءَ رَبُّكَ}، إنهما في أهل التوحيد من أهل القبلة"[5].

قال ابن عطية:" ومن الناس من ظن لذكر الأحقاب أن مدة العذاب تنحصر وتتم فطلبوا التأويل لذلك، فقال مقاتل بن حيان: «الحقب سبعة عشر ألف سنة، وهي منسوخة بقوله تعالى: {فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذاباً} [النبأ: ٣٠]»، وقد ذكرنا فساد هذا القول، وقال آخرون الموصوفون باللبث أَحْقاباً عصاة المؤمنين، وهذا أيضا ضعيف ما بعده في السورة يدل عليه، وقال آخرون: إنما المعنى: {لابِثِينَ فِيها أَحْقاباً} غير ذائقين بردا ولا شرابا، فهذه الحال يلبثون أحقابا ثم يبقى العذاب سرمدا وهم يشربون أشربة جهنم"[6].

وقرئ: «لَبِثِينَ»، بغير ألف[7].

قوله تعالى:{لَّا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلَا شَرَابًا} [النبأ : ٢٤]، أي:" لا يَطْعَمون فيها ما يُبْرد حرَّ السعير عنهم، ولا شرابًا يرويهم"[8].

قال الطبري: " يقول: لا يطعمون فيها بردا يبرد حرّ السعير عنهم، إلا الغساق، ولا شرابا يرويهم من شدّة العطش الذي بهم، إلا الحميم"[9].

قال ابن كثير:" أي : لا يجدون في جَهنَّم بردًا لقلوبهم، ولا شرابا طيبا يتغذون به"[10].

قال أبو العالية:" استثنى من البرد الحميم ومن الشراب الغساق"[11].

وروي الطبري بسنده عن الربيع: "{لا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدًا وَلا شَرَابًا إلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا}، فاستثنى من الشراب الحميم، ومن البَرْد: الغَسَّاق"[12].

وفي «البرد»، خمسة أقوال:

أحدها : أنه برد الماء، وبرد الهواء ، اختاره النحاس[13]، وحكاه الماوردي عن الأكثرين[14].

---

(١) معاني القرآن: ٢٧٣/٥.
(٢) شرح الطحاوية لناصر العقل. [دروس صوتية: ٧/٩٢].
(٣) أخرجه الطبري: ١٦٣/٢٤.
(٤) تفسير الطبري: ١٦٣/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٦٣/٢٤.
(٦) المحرر الوجيز: ٤٢٦/٥.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٥٩/٢٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٩) تفسير الطبري: ١٦٣/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٨.
(١١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٨.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٤.
(١٣) انظر: إعراب القرآن: ٨٣/٥.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٦.

قال ابن عطية:" قال جمهور الناس: «البرد» في الآية: مسر الهواء البارد وهو القر، أي: لا يمسهم منه ما يستلذ ويكسر غرب الحر"[١].

الثاني : أنه برد الشراب، رواه أبو صالح عن ابن عباس[٢]، ومنه قول حسان بن ثابت[٣]:

يَسْقُونَ مَنْ وَرَدَ البَرِيصَ عَلَيْهِمُ ... بَرَدَى يُصَفَّقُ بالرَّحِيقِ السَّلْسَلِ

ومنه قول الآخر[٤]:

أماني من سعدى حسان كأنما ... سقتني بها سعدى على ظمأ بردا

قال ابن عباس:" لا يذقون فيها برد الشراب ولا الشراب"[٥].

الثالث : أنه الرَّوْح والراحة، قاله قتادة[٦]، والحسن[٧]، وعطاء[٨].

قال الحسن وعطاء: "{لا يَذُوقُونَ فِيها بَرْداً}، أي: روّحا وراحة[٩].

قال الزمخشري: أي: " وروحا ينفس عنهم حرّ النار"[١٠].

وقال عبدالقاهر الجرجاني:" برد العفو والعافية"[١١].

الرابع : أنه النوم، قاله ابن عباس-في رواية عطاء عنه-[١٢]، ومجاهد[١٣]، والسدي[١٤]، وأبو معاذ النحوي[١٥]، والفضل بن خالد المروزي[١٦]، والكسائي[١٧]، وابن قتيبة[١٨]، وأبو عبيدة[١٩].

وأنشد الأخير قول الكندي[٢٠]:

بَرَدَتْ مَراشِفُها علىَّ فَصَدَّني ... عنها وعن تَقْبيلِها البَرْدُ

يعني: النوم .

ومنه قول الشاعر[٢١]:

---

(١) المحرر الوجيز: ٤٣٧/٥.

(٢) رواه عنه الفراء في معاني القرآن: ٢٢٨/٣.

(٣)ورد البيت في: ديوانه: ١٨٠ دار صادر، "لسان العرب" ١٠/ ٢٠٢: مادة: (صفق)، معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٣٠٠ برواية: «بردًا»، وتفسير الطبري: ٢١٥/٢٤، النكت والعيون" ٦/ ٢٣٠، "المحرر الوجيز" ٥/ ٤٥٣، "التفسير الكبير" ٣١/ ١٠٠، "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٢٦٣، "روح المعاني" ٣٠/ ٧٥.

معنى البيت: البريص: نهر بدمشق. وقوله بردى: أراد ماء بردى، وهو نهر في دمشق، ويروى بردًا أي ثلجًا أي باردًا، يصفق: يمزج، الرحيق: الخمر. السلسل: اللينة السهلة الدخول في الحلق. شرح ديوان حسان: وضعة عبد الرحمن البرقوقي: ٣٦٢.

(٤) بلا نسبة في المحرر الوجيز: ٤٢٧/٥.

(٥) رواه عنه الفراء في معاني القرآن: ٢٢٨/٣.

(٦) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٦.

(٧) انظر: الكشف والبيان: ١١٧/١٠، وزاد المسير: ٣٩٠/٤.

(٨) انظر: الكشف والبيان: ١١٧/١٠، وزاد المسير: ٣٩٠/٤.

(٩)نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٧/١٠.

(١٠) الكشاف: ٦٨٩/٤.

(١١) درج الدرر: ١٦٩٢/٤.

(١٢) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ١٣١/٢٣.

(١٣) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٦، وزاد المسير: ٣٩٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٨٠/١٩.

(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٦، وزاد المسير: ٣٩٠/٤، وتفسير القرطبي: ١٨٠/١٩.

(١٥) انظر: الكشف والبيان: ١١٧/١٠، والبحر المحيط في التفسير: ٤٢٦/٥، وتفسير القرطبي: ١٨٠/١٩.

(١٦) انظر: الكشف والبيان: ١١٧/١٠، والبحر المحيط في التفسير: ٤٢٦/٥، وتفسير القرطبي: ١٨٠/١٩.

(١٧) انظر: الكشف والبيان: ١١٧/١٠، وتفسير القرطبي :١٨٠/١٩.

(١٨) انظر: غريب القرآن: ٥٠٩.

(١٩) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٢/٢.

(٢٠)الشاهد بلا نسبة في جمهرة اللغة: ٢٩٥، والاشتقاق: ص ٤٧٨ والأزمنة والأمكنة: ٢/ ١٥، وهو في ديوان امرئ القيس: ٢٣١.

(٢١)البيت للعرجي في ديوانه ١٠٩، وشواهد الكشاف ٣٤. وغير منسوب في تفسير القرطبي ١٩/ ١٧٨، والبحر ٨/ ٤١٤. ويروى: "فإن"، "فلو"، "ولو"، "أحرمت" وانظر الطبري، والفخر ٨/ ٣٣٠.

وإن شِئْتِ حَرَّمْتُ النِّسَاءَ سِوَاكُمُ ... وإن شِئتِ لمْ أطْعَمْ نُقَاخًا ولا بَرْدَا

قال الثعلبي:" والعرب تقول: منع البرد البرد، يعني أذهب البرد النوم"[١].

قال الفراء: "وإن النوم ليبرد صاحبه. وإن العطشان لينام فيبرد بالنوم"[٢].

وضعّفه النحاس، قائلا:" البرد ليس باسم من أسماء «النوم»، وإنما يحتال فيه فيقال للنوم: برد، لأنه يهدي العطش، والواجب أن يحمل تفسير كتاب الله جلّ وعزّ على الظاهر والمعروف من المعاني إلّا أن يقع دليل على غير ذلك"[٣].

الخامس: لَا يَذُوقُونَ فِيهَا بَرْدَ رِيح وَلاَ ظِلٍّ وَلاَ نَوْم. ذكره الزجاج[٤].

قال الماوردي:" والشراب -ها هنا- : العذاب . ويحتمل أن يريد بالشراب الري ، لأن الشراب يروي وهم فيها عطاش أبداً"[٥].

قوله تعالى:{إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا} [النبأ : ٢٥]، أي:" إلا ماءً حارًا، وصديد أهل النار"[٦].

وفي «الحميم»، أربعة أقوال:

أحدها : أنه الحارّ الذي يحرق ، قاله ابن عباس[٧].

قال الطبري:" لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا إلا حميمًا قد أغلي حتى انتهى حرّه، فهو كالمُهْل يَشْوِي الوجوه، ولا بردًا إلا غَسَّاقًا"[٨].

قال ابن كثير:" فأما الحميم : فهو الحار الذي قد انتهى حره وحُموه "[٩].

قال أبو عبيدة: " {حَمِيماً}: ماء"[١٠].

قال ابن قتيبة:" هو الماء الحار"[١١].

قال الزجاج:" هو في غاية الحرارة"[١٢].

الثاني : دموع أعينهم في النار تجتمع في خنادق النار فيُسقونه ، قاله ابن زيد[١٣].

الثالث : أنه نوع من الشراب لأهل النار ، قاله السدي[١٤].

الرابع : يعنى. بـ«الحميم»: الصفر المذاب الذي قد انتهى حره. قاله مقاتل[١٥].

وأما «الغسّاق»، ففيه خمسة أقوال:

أحدها: أنه القيح الغليظ ، قاله ابن عمر[١٦].

عن عبد الله بن عمرو أنه قال: "أتدرون أيّ شيء الغسَّاق؟ " قالوا: الله أعلم، قال: "هو القيح الغليظ، لو أن قطرة منه تهراق بالمغرب لأنتن أهل المشرق، ولو تهراق بالمشرق، لأنتن أهل المغرب"[١٧].

---

(١) الكشف والبيان: ١١٧/١٠.
(٢) معاني القرآن: ٢٢٨/٣.
(٣) إعراب القرآن: ٨٣/٥.
(٤) انظر: معاني القرآن: ٢٧٣/٥.
(٥) النكت والعيون: ١٨٧/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٠٠):ص٣٣٩٥/١٠.
(٨) تفسير الطبري: ١٦٤/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٨.
(١٠) مجاز القرآن: ٢٨٢/٢.
(١١) غريب القرآن: ٥١٠.
(١٢) غريب القرآن: ٢٧٣/٥.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٨٧/٦.
(١٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٣/٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٦٦/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ١٦٦/٢٤.

الثاني : أنه الزمهرير البارد الذي يحرق من برده، قاله ابن عباس[١]، ومجاهد[٢]، وأبو العالية[٣]، والربيع بن أنس[٤]، ومقاتل[٥].

وقال مجاهد:" الذي لا يستطيعون أن يذوقوه من برده"[٦].

قال مجاهد:" الغساق: الذي لا يستطاع من برده"[٧].

قال أبو العالية والربيع:" الغساق، الزمهرير"[٨].

قال مقاتل:" وهو الزمهرير الذي انتهى برده"[٩].

الثالث : أنه صديد أهل النار، قاله عطية بن سعد[١٠]، وأبو رزين[١١]، وإبراهيم[١٢]، وابن زيد[١٣]، وبه قال ابن قتيبة[١٤].

قال عطية بن سعد:" هو الذي يَسيل من جلودهم"[١٥].

قال عكرمة:" ما يخرج من أبصارهم من القيح والدم"[١٦].

قال أبو رزين وإبراهيم:" ما يَسِيل من صديدهم"[١٧].

قال إبراهيم:" ما يسيل من صديدهم من البرد"[١٨].

قال إبراهيم:" الغساق: ما يقطر من جلودهم، وما يسيل من نتنهم"[١٩].

عن إبراهيم وأبي رَزِين: {إلا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا}، قالا غُسالة أهل النار: لفظ ابن بشار؛ وأما ابن المثنى فقال في حديثه: ما يسيل من صديدهم"[٢٠].

قال ابن زيد:" الغساق: الصديد الذي يخرج من جلودهم، ما تصهرهم النار في حياض يجتمع فيها فيسقونه"[٢١].

قال أبو عبيدة: " وهو ما همى، أي سال ويقال: قد غسقت من العين ومن الجرح ويقال: عينه تغسق، أي: تسيل"[٢٢].

الرابع : أنه المنتن باللغة الطحاوية ، قاله عبد الله بن بُرَيدة[٢٣].

الخامس: أنه واد في جهنم. قاله شهر بن حوشب[١].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٠٠):ص٣٣٩٥/١٠

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٥) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٣/٤.

(٦) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٣/٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٦٤/٢٤.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٦٤/٢٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٦٤/٢٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢٤.

(١٤) انظر: غريب القرآن: ٥١٠.

(١٥) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٤.

(١٨) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٤.

(١٩) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٢٠) أخرجه الطبري: ١٦٤/٢٤.

(٢١) أخرجه الطبري: ١٦٥/٢٤.

(٢٢) مجاز القرآن: ٢٨٢/٢.

(٢٣) انظر: تفسير الطبري: ١٦٥/٢٤-١٦٦.

قال شهر بن حوشب: "الغسّاق: واد في النار فيه ثلاثمائة وثلاثون شعبا في كل شعب ثلاثمائة وثلاثون بيتا في كل بيت أربع زوايا في كلّ زاوية شجاع كأعظم ما خلقه الله سبحانه من خلقه في رأس كل شجاع سم"[٢].

قال النحاس:" وهذه الأقوال ليست بمتناقضة لأنه يكون ما يسيل من جلودهم منتنا شديد البرد"[٣].

قال ابن كثير:" الغَسَّاق : هو ما اجتمع من صديد أهل النار وعرقهم ودموعهم وجروحهم، فهو بارد لا يستطاع من برده، ولا يواجه من نتنه"[٤].

قال الطبري:" «الغساق» -عندي-: هو الفعال، من قولهم: غَسَقَت عين فلان: إذا سالت دموعها، وغَسَق الجرح: إذا سال صديده، ومنه قول الله: {وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ} يعني بالغاسق: الليل إذا لَبِسَ الأشياء وغطاها، وإنما أريد بذلك هجومه على الأشياء، هجوم السيل السائل. فإذا كان الغسَّاق هو ما وصفت من الشيء السائل، فالواجب أن يقال: الذي وعد الله هؤلاء القوم، وأخبر أنهم يذوقونه في الآخرة من الشراب هو السائل من الزمهرير في جهنم، الجامع مع شدّة برده النتن.. فإن قال قائل: فإنك قد قلت: إن الغَساق: هو الزمهرير، والزمهرير، هو غاية البرد، فكيف يكون الزمهرير سائلا؟ قيل: إن البرد الذي لا يُستطاع ولا يُطاق يكون في صفة السائل من أجساد القوم من القيح والصديد"[٥].

عن أبي سعيد الخدريّ، عن النبيّ صلى الله عليه وسلم، قال: "لَوْ أنَّ دَلْوًا مِنْ غَسَّاقٍ يُهْرَاقُ إلى الدُّنْيا لأنْتَن أهْلَ الدُّنْيا"[٦].

قَرَأ حَفْص عَن عَاصِم والمفضل عَن عَاصِم: {وغساقا} مُشَدّدَة، وروى أَبُو بكر عَنهُ {وغساقا} خَفِيفَة، وَقَرَأ حَمْزَة والكسائي: {وغساقا} مشددا، وَقَرَأ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو وَابْن عَامر {وغساقا} خَفِيفَة[٧].

قوله تعالى:{جَزَاءً وِفَاقًا} [النبأ : ٢٦]، أي:" يجازَون بذلك جزاء عادلا موافقًا لأعمالهم التي كانوا يعملونها في الدنيا"[٨].

قال ابن عباس:" وافق أعمالهم"[٩].

قال مجاهد:" وافق الجزاء العمل"[١٠].

قال ابن قتيبة:" أي: وفاقًا لأعمالهم"[١١].

قال الزجاج:" أي: جُوزُوا وفق أعمالهم"[١٢].

قال أبو عبيدة: " أي: ثوابا وفقا، هذا وفق هذا. أي: مثله"[١٣].

قال مقاتل:" كما أنه ليس في الأعمال أخبث من الشرك بالله- عز وجل- وكذلك ليس من العذاب شيء أخبث من النار، فوافقت النار الشرك"[١٤].

---

(١) انظر: الكشف والبيان: ١١٦/١٠.
(٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ١١٦/١٠.
(٣) إعراب القرآن: ٨٤/٥.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٨.
(٥) تفسير الطبري: ١٦٦/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٦٦/٢٤.
(٧) انظر: السبعة في القراءات: ٦٦٨-٦٦٩.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٠١):ص٣٣٩٥/١٠.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٠٢):ص٣٣٩٥/١٠.
(١١) غريب القرآن: ٥١٠.
(١٢) غريب القرآن: ٢٧٤/٥.
(١٣) مجاز القرآن: ٢٨٢/٢.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٣/٤.

القرآن

{إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا (٢٧) وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا (٢٨) وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا (٢٩) فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا (٣٠)} [النبأ : ٢٧-٣٠]

التفسير:

إنهم كانوا لا يخافون يوم الحساب فلم يعملوا له، وكذَّبوا بما جاءتهم به الرسل تكذيبا، وكلَّ شيء علمناه وكتبناه في اللوح المحفوظ، فذوقوا -أيها الكافرون- جزاء أعمالكم، فلن نزيدكم إلا عذابًا فوق عذابكم.

قوله تعالى:{إِنَّهُمْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ حِسَابًا} [النبأ : ٢٧]، أي:" إنهم كانوا لا يخافون يوم الحساب فلم يعملوا له"(١).

قال مجاهد:" لا يخافونه"(٢). وفي لفظ: "لا يبالون فيصدقون بالبعث"(٣).

قال قتادة:" أي: لا يخافون حسابا"(٤).

قال ابن قتيبة:" أي: لا يخافون"(٥).

قال ابن كثير:" أي : لم يكونوا يعتقدون أن ثم دارًا يجازون فيها ويحاسبون"(٦).

قال الطبري: يقول:" إن هؤلاء الكفار كانوا في الدنيا لا يخافون محاسبة الله إياهم في الآخرة على نعمه عليهم، وإحسانه إليهم، وسوء شكرهم له على ذلك"(٧).

قال مقاتل:" يعني: أنهم كانوا لا يخافون من العذاب أن يحاسبوا بأعمالهم الخبيثة إذا عملوها"(٨).

قال السعدي:" أي: لا يؤمنون بالبعث، ولا أن الله يجازي الخلق بالخير والشر، فلذلك أهملوا العمل للآخرة"(٩).

قال ابن زيد:" لا يؤمنون بالبعث ولا بالحساب، وكيف يرجو الحساب من لا يوقن أنه يحيا، ولا يوقن بالبعث، وقرأ قول الله: {بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الأَوَّلُونَ قَالُوا أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ... } إلى قوله: {أساطِيرُ الأوَّلِينَ}. وقرأ: {هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ ... } إلى قوله: {جَدِيدٍ}، فقال بعضهم لبعض: ماله {أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَمْ بِهِ جِنَّةٌ}، الرجل مجنون حين يخبرنا بهذا"(١٠).

قوله تعالى:{وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا كِذَّابًا} [النبأ : ٢٨]، أي:" وكذَّبوا بما جاءتهم به الرسل تكذيبا"(١١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكذّب هؤلاء الكفار بحُججِنا وأدلتنا تكذيبا. وقيل: {كِذَّابًا}، ولم يقل تكذيبا تصديرا على فعله"(١٢).

قال السعدي:" أي: كذبوا بها تكذيبا واضحا صريحا وجاءتهم البينات فعاندوها"(١٣).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٠٢):ص٣٣٩٥/١٠.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٤، ١٦٧، وابن أبي حاتم(١٩١٠٢):ص٣٣٩٥/١٠.
(٤) أخرجه الطبري: ١٦٨/٢٤.
(٥) غريب القرآن: ٥١٠.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٨.
(٧) تفسير الطبري: ١٦٧/٢٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٣/٤.
(٩) تفسير السعدي: ٩٠٦.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٦٨/٢٤.
(١١) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(١٢) تفسير الطبري: ١٦٨/٢٤.
(١٣) تفسير السعدي: ٩٠٦.

قال ابن كثير:" أي : وكانوا يكذبون بحجج الله ودلائله على خلقه التي أنزلها على رسله، فيقابلونها بالتكذيب والمعاندة"[١].

قوله تعالى:{وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا} [النبأ : ٢٩]، أي:" وكلَّ شيء علمناه وكتبناه في اللوح المحفوظ"[٢].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وكلّ شيء أحصيناه فكتبناه كتابا، كتبنا عدده ومبلغه وقدره، فلا يعزُب عنا علم شيء منه"[٣].

قال السمعاني:" هُوَ مثل قَوْله تَعَالَى: {وكل شَيْء أحصيناه فِي إِمَام مُبين}، أي: بَيناهُ فِي اللَّوْح المَحْفُوظ"[٤].

قال ابن كثير:" أي : وقد عَلِمنا أعمالَ العباد كلهم، وكتبناهم عليهم، وسنجزيهم على ذلك، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشر"[٥].

قال السعدي:" {وَكُلَّ شَيْءٍ} من قليل وكثير، وخير وشر {أَحْصَيْنَاهُ كِتَابًا} أي: كتبناه في اللوح المحفوظ، فلا يخشى المجرمون أنا عذبناهم بذنوب لم يعملوها، ولا يحسبوا أنه يضيع من أعمالهم شيء، أو ينسى منها مثقال ذرة، كما قال تعالى: {وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً إِلا أَحْصَاهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا}"[٦].

قوله تعالى:{فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إِلَّا عَذَابًا} [النبأ : ٣٠]، أي:" فذوقوا -أيها الكافرون- جزاء أعمالكم، فلن نزيدكم إلا عذابًا فوق عذابكم"[٧].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: يقال لهؤلاء الكفار في جهنم إذا شربوا الحميم والغَسَّاق: ذوقوا أيها القوم من عذاب الله الذي كنتم به في الدنيا تكذّبون، فلن نزيدكم إلا عذابًا على العذاب الذي أنتم فيه، لا تخفيفا منه، ولا ترفُّها"[٨].

قال ابن كثير:" أي : يقال لأهل النار : ذوقوا ما أنتم فيه، فلن نزيدكم إلا عذابًا من جنسهِ، {وَآخَرُ مِنْ شَكْلِهِ أَزْوَاجٌ} [ص : ٥٨]"[٩].

قال الزمخشري:" هي آية في غاية الشدّة، وناهيك بـ«لن نزيدكم»، وبدلالته على أن ترك الزيادة كالمحال"[١٠].

قال السعدي:" وكل وقت وحين يزداد عذابهم، وهذه الآية أشد الآيات في شدة عذاب أهل النار أجارنا الله منها"[١١].

عن عبد الله بن عمرو، قال: "لم تنزل على أهل النار آية أشد من هذه: {فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إلا عَذَابًا}، قال: فهم في مزيد من العذاب أبدا"[١٢].

قال قتادة:" ذُكر لنا أن عبد الله بن عمرو كان يقول: ما نزلت على أهل النار آية أشدّ منها: {فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إلا عَذَابًا}، فهم في مزيد من الله أبدا"[١٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٨.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٣) تفسير الطبري: ١٦٩/٢٤.
(٤) تفسير السمعاني: ١٤٠/٦.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٨.
(٦) تفسير السعدي: ٩٠٦.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٢.
(٨) تفسير الطبري: ١٦٩/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٠٧/٨.
(١٠) الكشاف: ٦٩٠/٤.
(١١) تفسير السعدي: ٩٠٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٦٩/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٦٩/٢٤.

قال قتادة:" ما زال أهل النار يَأملون الخروج لقول الله: {لابِثِينَ فِيها أحْقابًا} حتى نزلت: {فَذُوقُوا فَلَنْ نَزِيدَكُمْ إلّا عَذابًا} فهم في مزيد أبدًا"[1].

عن الحسين بن واقد، قال: "سمعت علي بن الحسين، يقول: أشد آية على أهل النار {فذوقوا فلن نزيدكم إلا عذابا}"[2].

عن الحسن بن دينار، قال: "سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار؟ فقال: قول الله: {فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إلا عَذَابًا}"[3].

عن الحسن، قال : سألت أبا برزة الأسلمي عن أشد آية في كتاب الله على أهل النار. قال : سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم قرأ :{فَذُوقُوا فَلَنْ نزيدَكُمْ إلا عَذَابًا} فقال : "هلك القوم بمعاصيهم الله عَزّ وجل"[4].

فوائد الآيات: [١٧-٣٠]:

١- التنديد بالطغيان وبيان جزاء الظالمين.

٢- التنديد بالتكذيب بالبعث والمكذبين به.

٣- أعمال العباد مؤمنهم وكافرهم كلها محصاة عليها ويجزون بها.

٤- تقرير عقيدة البعث والجزاء بذكر آثارها.

٥- أن النار دار العذاب التي أعدها الله تعالى أصلا للكافرين.

٦-أبدية العذاب في الدار الآخرة وعدم إمكان نهايته، فأما أن النار تخمد وينقطع عذابها فهذا - على القول الصحيح- لا يكون، بل الله تعالى يقول: {كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا} [النساء:٥٦] ، وقال الله تعالى: {لابثين فيها أحقابا} [النبأ:٢٣] ، يقول العلماء: كلما انقضى حقب ابتدأ حقب، إلى غير نهاية، فالقول الصحيح أنها دائمة ومستمرة[5].

القرآن

{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا (٣١) حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا (٣٢) وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا (٣٣) وَكَأْسًا دِهَاقًا (٣٤) لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا (٣٥)} [النبأ : ٣١-٣٥]

التفسير:

إن للذين يخافون ربهم ويعملون صالحًا، فوزًا بدخولهم الجنة. إن لهم بساتين عظيمة وأعنابًا، ولهم زوجات حديثات السن، نواهد مستويات في سن واحدة، ولهم كأس مملوءة خمرًا. لا يسمعون في هذه الجنة باطلا من القول، ولا يكذب بعضهم بعضًا.

قوله تعالى:{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا} [النبأ : ٣١]، أي:" إن للذين يخافون ربهم ويعملون صالحًا، فوزًا بدخولهم الجنة"[6].

وفي قوله تعالى:{إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا} [النبأ : ٣١]، وجهان من التفسير:

أحدهما : متنزها ، قاله ابن عباس[7]، والضحاك[1]، وبه قال ابن كثير[2].

---

(١)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب صفة النار -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ٤٢٥ - ٤٢٦ (١٢٠) -.

(٢)أخرجه الواحدي مطولًا في أسباب النزول ص ١٠٦.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٠٣):ص٣٣٩٥/١٠.

(٤) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير":٣٠٧/٨، وقال ابن كثير:" جسرُ بن فَرقد : ضعيف الحديث بالكلية ". والحديث رواه البيهقي في البعث برقم (٦٣٥) من طريق محمد بن غالب، عن مسلم بن إبراهيم، عن جسر بن فرقد به، فذكره موقوفا، ورواه ابن مردويه في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (١٤٥/٤) من طريق جعفر بن جسر بن فرقد، عن أبيه، عن الحسن به، ورواه الثعلبي في تفسيره كما في تخريج الكشاف للزيلعي (١٤٥/٤) من طريق مهدى بن ميمون، عن الحسن بن دينار، عن الحسن، عن أبي برزة مرفوعًا بنحوه.

(٥) انظر: شرح الطحاوية لابن جبرين: [دروس صوتية: ٣/٦٧].

(٦) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤. إسناده ضعيف، وانظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٠٤):ص٣٣٩٥/١٠.

عن ابن عباس، قوله: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا}، يقول: مُنْتَزَهًا"[٣].

قال ابن كثير:" الأظهر هاهنا قولُ بن عباس؛ لأنه قال بعده :{حَدَائِقَ}"[٤].

الثاني : فازوا بأن نجوا من النار بالجنة، ومن العذاب بالرحمة ، قاله قتادة[٥]، ومجاهد[٦]، وبه قال الطبري[٧].

قال الماوردي:" وتحقيق هذا التأويل أنه الخلاص من الهلاك، ولذلك قيل للفلاة -إذا قل ماؤها- مفازة، تفاؤلاً بالخلاص منها"[٨].

قال الطبري:" يقول: إن للمتقين مَنجَى من النار إلى الجنة، ومخلصا منها لهم إليها، وظفرا بما طلبوا"[٩].

قال النحاس:" المفاز: الظفر بما يحبّه الإنسان"[١٠].

قال السجستاني:" أي: ظفرا بما يريدون. ويقال: فاز بالأمر، إذا ظفر به"[١١].

قال مجاهد:" فازوا بأن نَجَوا من النار"[١٢].

قال قتادة:" إي والله مفازا من النار إلى الجنة، ومن عذاب الله إلى رحمته"[١٣].

قوله تعالى:{حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا} [النبأ : ٣٢]، أي:" إن لهم بساتين عظيمة وأعنابًا"[١٤].

قال الطبري:" الحدائق: جمع حديقة، وهي البساتين من النخل والأعناب والأشجار المُحَوَّط عليها الحيطان المحدقة بها، لإحداق الحيطان بها تسمى الحديقة حديقة، فإن لم تكن الحيطان بها محدقة، لم يَقُل لها حديقة، وإحداقها بها: اشتمالها عليها، {وأعْنابًا}، يعني: وكرومَ أعناب، واستغنى بذكر الأعناب عن ذكر الكروم"[١٥].

قال ابن كثير:" {حَدَائِقَ}: هي البساتين من النخيل وغيرها"[١٦].

قال ابن عباس: "الحدائق الشجر الملتفّ"[١٧].

وقال الضحاك: الذي عليه الحيطان"[١٨].

قال النحاس:" وكذلك هو في اللغة: وقد حدق بالقوم. كما قال[١٩]:

وقد حدقت بي المنيّة"[١].

---

(١) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.

(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.

(٣) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٤. إسناده ضعيف، وهذا الحديث نقله ابن كثير في التفسير ٨/ ٣٠٩، والسيوطي في الدر المنثور ١/ ١١، والشوكاني في تفسيره الذي سماه فتح القدير ١/ ١٠، ورواه ابن أبي حاتم (١٩١٠٤):ص٣٣٩٥/١٠.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٦٩/٢٤.

(٨) النكت والعيون: ١٨٨/٦.

(٩) تفسير الطبري: ١٦٩/٢٤.

(١٠) إعراب القرآن: ٨٥/٥.

(١١) غريب القرآن: ٤١٢.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٤.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(١٥) تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.

(١٦) تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.

(١٧) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٨٥/٥.

(١٨) نقلا عن: إعراب القرآن للنحاس: ٨٥/٥.

(١٩)الشاهد مقطع من بيت للأخطل التغلبي في ديوانه ٨٣، واللسان (حدق) ، وتمامه:
«المنعمون بنو حرب وقد حدقت ... بي المنيّة واستبطأت أنصاري».

قال الزمخشري: " «الحديقة»: البستان عليه حائط، من :الإحداق، وهو الإحاطة. وقيل ذات، لأن المعنى: جماعة حدائق ذات بهجة، كما يقال: النساء ذهبت. والبهجة: الحسن، لأن الناظر يبتهج به"[٢].

قوله تعالى:{وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا} [النبأ : ٣٣]، أي:" ولهم زوجات حديثات السن، نواهد مستويات في سن واحدة"[٣].

في "الكواعب"، قولان:

أحدهما : النواهد، قاله ابن عباس[٤]، وقتادة[٥]، وابن جُرَيج[٦]، وابن زيد[٧]، وبه قال الطبري[٨].

قال ابن زيد:" الكواعب: التي قد نهدت وكَعَبَ ثديها"[٩].

قال ابن كثير:" يعنون أن ثُدُيَّهن نواهد لم يتدلين لأنهن أبكار"[١٠].

قال عبدالقاهر الجرجاني:" جمع كاعب، وهي الجارية التي نهد ثديها كالرمانة"[١١].

الثاني : العذارى ، قاله الضحاك[١٢]، ومنه قول قيس بن عاصم[١٣]:

وكم مِنْ حَصانٍ قد حَوَيْنا كَريمةٍ ... ومِنْ كاعبٍ لم تَدْرما البؤسُ مُعْصِرِ

وفي «الأتراب»، أقوال :

أحدها : مُسْتَوِيَات، في سنّ واحدة، قاله ابن عباس[١٤]، والحسن[١٥]، ومجاهد[١٦]، وقتادة[١٧]، ومحمد بن كعب[١٨]، والسدي[١٩]، وابن زيد[٢٠]، وبه قال أبو عبيدة[٢١]، والزجاج[٢٢]، وابن قتيبة[٢٣]، والطبري[٢٤].

عن أمّ سلمة، قالت: "قلت يا رسول الله، أخبرني عن قوله: {عُرُبًا أَتْرَابًا}، قال: «عُرُبا مُتَعَشِّقاتٍ مُتَحَبِّباتٍ، أترَابا على مِيلادٍ وَاحِدٍ»"[٢٥].

---

(١) إعراب القرآن: ٨٥/٥.
(٢)الكشاف: ٣/ ٣٧٦.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٨٨/٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧١/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٧١/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.
(١١) درج الدرر: ١٦٩٢/٤.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٨٨/٦، وتفسير القرطبي: ١٨٣/١٩، واللباب: ١١٣/٢٠.
(١٣) انظر: الكشف والبيان: ١١٨/١٠، والنكت والعيون: ١٨٨/٦، وتفسير القرطبي: ١٨٣/١٩، والبحر المحيط: ٣٨٢/١٠، والدر المصون: ٦٦١/١٠، واللباب: ١١٣/٢٠.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧١/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٢٢٩):ص١١٦/٢، وتفسير ابن أبي حاتم كما في تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٢١.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧١/٢٤.
(٢١) انظر: مجاز القرآن: ١٨٥/٢.
(٢٢) انظر: معاني القرآن: ٣٣٨/٤.
(٢٣) غريب القرآن: ٣٨١، و ٤٤٩.
(٢٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧٠/٢٤.
(٢٥) أخرجه الطبري: ١٢٤/٢٣.

قال الزجاج:" أي: أسنانهن وَاحِدة، وهن في غاية الشباب والحُسْن"[١].
قال القشيري:" «أترابٌ» : لدات مستويات في الحسن والجمال والشكل"[٢].
قال ابن عباس:" يعني: النساء المستويات"[٣].
قال ابن عباس:" في سن واحد ثلاثا وثلاثين سنة"[٤].
قال قتادة:" يقول: لسن واحدة"[٥].
قال قتادة:" يعني: بذلك النساء أترابا لسنٍّ واحدة"[٦].
قال سهل:" مستويات على ميلاد واحد"[٧].
قال ابن قتيبة:" أي: شيئًا واحدًا وسنًّا واحدًا"[٨].
قال مقاتل:" يعنى: مستويات على ميلاد واحد بنات ثلاثة وثلاثين سنة"[٩].
قال ابن زيد:" أترابا: مستويات، فلانة تربة فلانة، قال: الأتراب: اللِّدات"[١٠].
عن مجاهد: "{وَكَوَاعِبَ أتْرَابًا}، لِدَّات"[١١].
قال الزمخشري:" وإنما جعلن على سنّ واحدة، لأن التحاب بين الأقران أثبت. وقيل: هنّ أتراب لأزواجهن، أسنانهنّ كأسنانهم"[١٢].
قال أبو السعود:" فإن التحاب بين الأقران أرسخ أو بعضهن لبعض، لا عجوز فيهن ولا صبية، واشتقاقه من «التراب»، فإنه يمسهم في وقت واحد"[١٣].
قال المراغي:" متساوون في السن حتى لا تحصل الغيرة بينهن"[١٤].
الثاني : أن «الأتراب»: الأمثال. قاله ابن عباس[١٥]، ومجاهد[١٦].
الثالث : الأقران. وهذا مروي عن ابن عباس-أيضا-[١٧]، وعطية[١٨].
الرابع : أتراب في الأخلاق المتواخيات بينهن، ليس بينهن تباغض ولا تحاسد، قاله مجاهد-أيضا-[١٩]، والسدي[٢٠].
قال ابن كثير:" يعني : لا كما كن ضرائر في الدنيا ضرائر متعاديات"[٢١].
عن أبي عبد الرحمن القاسم بن أبي القاسم الدمشقي ، عن أبي أمامة : أنه سمعه يحدث عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : "إن قُمُص أهل الجنة لتبدو من رضوان الله، وإن

---

(١) معاني القرآن: ٣٣٨/٤.
(٢) لطائف الإشارات: ٢٦٠/٣.
(٣) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٤.
(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(١٨٧٨٨):ص٣٣٣٢/١٠.
(٥) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٧٠/٢٤-١٧١.
(٧) تفسير التستري: ١٨٥.
(٨) غريب القرآن: ٤٤٩.
(٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٦٥٠/٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٤.
(١٢) الكشاف: ١٠٠/٤.
(١٣) تفسير أبي السعود: ٢٣١/٧.
(١٤) تفسير المراغي: ١٢٩/٢٣.
(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٨٣٦٧):ص٣٢٤٦/١٠، والدر المنثور: ٧/ ١٩٨- ٢٠٠.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٢٤/٢٣، وتفسير مجاهد: ٥٧٦، وتفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ١٨٨/٦.
(١٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.
(١٩) انظر: تفسير السمعاني: ٤٤٩/٤.
(٢٠) انظر: النكت والعيون: ٤٥٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.
(٢١) تفسير ابن كثير: ٥٣٤/٧.

السحابة لتمر بهم فتناديهم : يا أهل الجنة، ماذا تريدون أن أمطركم ؟ حتى إنها لتمطرهم الكواعب الأتراب"[١].

عن علي، رضي الله عنه، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "إن في الجنة لمجتمعًا للحور العين، يرفعن أصواتًا لم تسمع الخلائق بمثلها، يقلن نحن الخالدات فلا نبيد، ونحن الناعمات فلا نبأس، ونحن الراضيات فلا نسخط، طوبى لمن كان لنا وكُنَّا له"[٢].

عن أنس أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "إن الحور العين ليغنين في الجنة، يقلن: نحن خَيِّرات حِسان، خُبِّئنا لأزواج كرام"[٣].

قوله تعالى:{وَكَأْسًا دِهَاقًا} [النبأ : ٣٤]، أي:" ولهم كأس مملوءة خمرًا"[٤].

وفي قوله تعالى:{وَكَأْسًا دِهَاقًا} [النبأ : ٣٤]، وجوه:

أحدها : مملوءة ، قاله ابن عباس[٥]، ومجاهد[٦]، وقتادة[٧]، وابن زيد[٨]، ومنه قول الشاعر[٩]:

أَتَانَا عَامِرٌ يَبْغِي قِرَانَا ... فَأَتْرَعْنَا لَهُ كَأْسًا دِهَاقَا

عن أبي صالح، عن ابن عباس، قوله: "{كَأْسًا دِهَاقًا}، قال: ملأى"[١٠].

عن عليّ، عن ابن عباس، قوله: "{وَكَأْسًا دِهَاقًا}، يقول: ممتلئا"[١١].

عن مسلم بن نَسْطاس، قال: قال ابن عباس لغلامه: اسقني دهاقا، قال: فجاء بها الغلام ملأى، فقال ابن عباس: هذا الدِّهاق"[١٢].

عن قتادة: "{وَكَأْسًا دِهَاقًا}، قال: مُتْرَعة مَلأى"[١٣].

قال قتادة:" الدهاق: المَلأى المُتْرَعة"[١٤].

قال قتادة:" الدهاق: الممتلئة"[١٥].

قال ابن زيد:" الدِّهاق المملوءة"[١٦].

قال النحاس أي: ممتلئة. مشتقّ من دهقه إذا تابع عليه الشدّة"[١٧].

الثاني : متتابعة يتبع بعضها بعضاً ، قاله أبو هريرة[١]، سعيد بن جبير[٢]، ومجاهد[٣].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٠٨/٨، ورواه أبو نعيم في تاريخ أصبهان (١٩٥/١) من طريق عبد الرحمن بن عبد الله بن سعد، عن أبي سفيان - عبد الرحمن بن عبد رب بن تيم اليشكرى به.

(٢)سنن الترمذي برقم (٢٥٦٤)، قال :"هذا حديث غريب".

(٣)ذكره الحافظ بن حجر في المطالب العالية (٤٠٢/٤) وعزاه لأبي يعلى، ونقل المحقق قول البصيري : "ورواه أبو يعلى وفيه راو لم يسم". ورواه ابن أبي الدنيا في صفة الجنة برقم (٢٥٤) : حدثنا أبو خيثمة، حدثنا إسماعيل بن عمر، حدثنا ابن أبي ذئب عن ابن عبد الله بن رافع عن بعض ولد أنس بن مالك، عن أنس بن مالك به.

(٤) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧١/٢٤.

(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٤.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٤.

(٩) انظر: مسائل نافع بن الازرق((٨٨) د هـ ق [دهاقا]) ص١١٨، وفيه« يرجو قرانا»، والنكت والعيون: ١٨٩/٦، وتفسير القرطبي: ١٨٣/١٩، والبحر المحيط: ٣٨٢/١٠، والدر المصون: ٦٦٢/١٠، واللباب: ١١٣/٢٠، والإتقان: ٨٦/٢: .

(١٠) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٤.

(١٧) إعراب القرآن: ٨٥/٥.

عن أبي هريرة، في قوله: "{كَأْسًا دِهَاقًا}، قال: دمادم"[٤]. وهي كلمة فارسية بمعنى: متتابعة[٥].

قال سعيد بن جبير:" دهاقًا: المتتابعة"[٦].

عن مجاهد: "{وَكَأْسًا دِهَاقًا}، قال: المتتابعة"[٧].

عن عمرو بن دينار، قال: "سمعت ابن عباس يُسأل عن {كأْسًا دِهاقًا}، قال: دراكا، قال يونس: قال ابن وهب: الذي يَتْبع بعضُه بعضا"[٨].

عن الكلبيّ عن أبي صالح: "أنّ العباس بن عبد المطّلب يقول: كنّا في جاهليّتنا، نقول: اسقنا دِهَاقا، نقول: متتابعات"[٩].

وفي رواية عن ابن عباس: "{وَكَأْسًا دِهَاقًا}، قال: الملأى المتتابعة"[١٠].

قال الطبري:" يقول: وكأسا ملأى متتابعة على شاربيها بكثرة وامتلاء، وأصله من الدَّهْق: وهو متابعة الضغط على الإنسان بشدّة وعنف، وكذلك الكأس الدهاق: متابعتها على شاربيها بكثرة وامتلاء"[١١].

الثالث : صافية، رواه عمر بن عطاء عن عكرمة[١٢]، قال الشاعر[١٣]:

لأنْتِ إلى الفُؤادِ أحَبُّ قُرْباً ... مِنَ الصَّادي إلى كَأسِ الدِّهاق

قوله تعالى:{لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا كِذَّابًا} [النبأ : ٣٥]، أي:" لا يسمعون في هذه الجنة باطلا من القول، ولا يكذب بعضهم بعضًا"[١٤].

وفي «اللغو» -ها هنا- أربعة أقوال :

أحدها: الباطل من القول، قاله ابن عباس[١٥]، وقتادة[١٦]، وبه قال الطبري[١٧]، والزجاج[١٨].

قال قتادة:"إنما كان اللغو والباطل في الدنيا"[١٩].

الثاني : الحلف عند شربها، قاله السدي[٢٠]، ومقاتل[٢١].

---

(١) انظر: الطبري: ١٧١/٢٤، وانظر: صفة الجنة لأبن أبي الدنيا(١٣٢):ص١١٧، والدر المنثور: ٣٩٩/٨، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٤-١٧٣.

(٤) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٤، وانظر: صفة الجنة لأبن أبي الدنيا(١٣٢):ص١١٧، والدر المنثور: ٣٩٩/٨، وزاد نسبته إلى عبد بن حميد.

(٥) انظر: الدر المنثور: ٣٩٩/٨. . وقد ورد في« معجم اللغة العربية المعاصرة(دمدم):ص٧٦/١»: دُمادِمُ [جمع]: دُمَدِم: شيء أحمر يشبه القَطِران يسيل من شجر السَّلَم والسَّمُر.

(٦) أخرجه الطبري: ١٧٢/٢٤.

(٧) أخرجه الطبري: ١٧٣/٢٤.

(٨) أخرجه الطبري: ١٧١/٢٤.

(٩) نقلا عن: درج الدرر: ١٦٩٢/٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ١٧٣/٢٤.

(١١) تفسير الطبري: ١٧١/٢٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٢/٢٤.

(١٣) البيت بلا نسبة في: النكت والعيون: ١٨٩/٦، وتفسير القرطبي: ١٨٣/١٩، والبحر المحيط: ٣٨٢/١٠، واللباب: ١١٣/٢٠.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(١٥) انظر: : تفسير الطبري: ٤٧٤/٢٢، والنكت والعيون: ١٨٩/٦.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٢٤.

(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٢٤.

(١٨) انظر: معاني القرآن: ٦٣/٥.

(١٩) أخرجه الطبري: ٤٧٥/٢٢.

(٢٠) انظر: النكت والعيون: ١٨٩/٦.

(٢١) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٦/٤، ٥٦٥.

قال مقاتل:" يعني: لا حلف في شربهم"[١].
الثالث : الشتم ، قاله مجاهد[٢]، وابن زيد[٣].
عن مجاهد، قوله: " {لَا لَغْوٌ فِيهَا} [الطور : ٢٣]، قال: لا يستبون"[٤].
قال ابن زيد:" لا سباب ولا تخاصم فيها"[٥].
الرابع : المعصية ، قاله الحسن[٦].
قال الماتريدي:" أي: لا يسمعون فيها ما يحق أن يلغى، بل يسمعون فيها كل خير، والذي يحق أن يلغى ما ذكروا من الحلف والباطل والكذب؛ فلا يسمعون شيئا من ذلك كما يسمع من أهلها في الدنيا إذا شربوها"[٧].
قال ابن كثير:" أي : لا يتكلمون عنها بكلام لاغ، أي : هَذَيَان"[٨].
قال ابن كثير:" أي : ليس فيها كلام لاغٍ عَارٍ عن الفائدة"[٩].
قال ابن عطاء: "أي: لغو يكون في مجلس محلّه جنة عدن، والساقي فيه الملائكة، وشربهم على ذكر الله، وريحانهم تحية من عند الله مباركة طيبة، والقوم أضياف الله"[١٠].
وفي قوله تعالى: {كِذَّابًا} [النبأ : ٣٥]، ثلاثة أقوال :
أحدها: لا يكذب بعضهم بعضاً ، قاله سعيد بن جبير[١١]، وبه قال الطبري[١٢].
قال مقاتل:" يقول: ولا يكذبون على شرابهم كما يكذب أهل الدنيا إذا شربوا"[١٣].
قال ابن كثير:"ليس فيها إثم كذب، بل هي دار السلام، وكل ما فيها سالم من النقص"[١٤].
قال الفراء:" وقد قرأ عَلِيٌّ: {لَغْوًا وَلَا كِذَابًا}، بالتخفيفِ، اللهُ أعلمُ: لا يَتَكَاذَبون"[١٥].
قال الماتريدي:" {كِذَّابًا}: إن قرئ بالتخفيف فهو من الكذب؛ أي: لا يكذبون. وإن قرئ بالتشديد فهو من التكذيب؛ أي: لا يكذب بعضهم بعضا، فكان معناه: ذلك الشراب لا يعمل فيهم هذا العمل؛ حتى يحملهم على الكذب والتكذيب؛ كما يوجد في شراب أهل الدنيا"[١٦].
الثاني : أنه الخصومة ، قاله الحسن[١٧].
الثالث : أنه المأثم ، قاله قتادة[١٨].

القرآن

---

(١) تفسير مقاتل بن سليمان: ١٤٦/٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٤٧٤/٢٢، والنكت والعيون: ١٨٩/٦.
(٣) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٩/٩.
(٤) أخرجه الطبري: ٤٧٤/٢٢.
(٥) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٩/٩.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٨٩/٦.
(٧) تأويلات أهل السنة: ٣٩٨/١٠.
(٨) تفسير ابن كثير: ٤٣٤/٧.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٠٨/٨.
(١٠) حكاه عنه الثعلبي في الكشف والبيان: ١٢٩/٩.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٨٩/٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٢٤.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٥/٤.
(١٤) تفسير ابن كثير: ٣٠٨/٨.
(١٥) كتاب فيه لغات القرآن: ١٥١.
(١٦) تأويلات أهل السنة: ٣٩٨/١٠-٣٩٩.
(١٧) انظر: النكت والعيون: ١٨٩/٦.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٧٣/٢٤.

{جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا (٣٦) رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا (٣٧) يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا (٣٨) ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا (٣٩)} [النبأ : ٣٦-٤٠]

التفسير:

لهم كل ذلك جزاء ومنَّة من الله وعطاءً كثيرًا كافيًا لهم، ربِّ السموات والأرض وما بينهما، رحمنِ الدنيا والآخرة، لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه، يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفِّين، لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن في الشفاعة، وقال حقًا وسدادًا. ذلك اليوم الحق الذي لا ريب في وقوعه، فمن شاء النجاة مِن أهواله فليتخذ إلى ربه مرجعًا بالعمل الصالح.

قوله تعالى:{جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا} [النبأ : ٣٦]، أي:" لهم كل ذلك جزاء ومنَّة من الله وعطاءً كثيرًا كافيًا لهم"(١).

قال ابن كثير:" أي : هذا الذي ذكرناه جازاهم الله به وأعطاهموه، بفضله ومَنِّه وإحسانه ورحمته ؛ {عَطَاءً حِسَابًا}، أي : كافيًا وافرًا شاملا كثيرًا ؛ تقول العرب : "أعطاني فأحسبني" أي : كفاني. ومنه "حسبي الله"، أي : الله كافيّ"(٢).

قال مقاتل:" {جَزَاءً}، يعني: ثوابا {مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا}، يعني: يحاسب المسيئين فيجازيهم بالنار، ويحاسب المؤمنين فيجازيهم بالجنة، فأعطى هؤلاء وهؤلاء جزاءهم ولم يظلم هؤلاء المعذبين، شيئا"(٣).

قال الطبري: أي:" أعطى الله هؤلاء المتقين ما وصف في هذه الآيات ثوابًا من ربك بأعمالهم، على طاعتهم إياه في الدنيا، تفضلا من الله عليهم بذلك الجزاء، وذلك أنه جزاهم بالواحد عشرا في بعض وفي بعض بالواحد سبع مِئَةٍ، فهذه الزيادة وإن كانت جزاء، فعطاء من الله "(٤).

قال يحيى بن سلام:" يعني: الجَنَّة ثوابا من الله وعطية منه لأعمالهم التي عملوا في الدُّنيا احتسابا"(٥).

قال ابن قتيبة:" أي: كثيرًا. يقال: أعطيتُ فلانًا عطاءً حِسابًا؛ وأحْسَبْتُ فلانًا، أي أكثرتُ له. قال الشاعر(٦):

ونُقْفِي وَلِيدَ الحَيِّ إنْ كان جائعًا ... ونُحْسِبُه إن كان ليس بجائع

ونرى أصلَ هذا: أن يُعطيَه حتى يقولَ: حسبي"(٧).

وقال ابن قتيبة-المشكل":" الحساب: الكثير، قال الله تعالى: {جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِساباً (٣٦)} [النبأ: ٣٦] ، أي كثيرا. ويقال: أحسبت فلانا. أي أعطيته ما يحسبه، أي يكفيه. ومنه قول الهذليّ(٨):

حساب ورجل كالجراد يسوم

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.

(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٥/٤.

(٤) تفسير الطبري: ١٧٤/٢٤.

(٥)لتصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ١٤٥.

(٦)البيت غير منسوب في الفخر والقرطبي والشوكاني. ونسب في اللسان ٣٠٢/٢ لامرأة من بني قشير. ويروى: "ونعطي".

(٧) غريب القرآن: ٥١٠.

(٨)يروى البيت بتمامه:

فلم ينتبه حتى أحاط بظهره ... حساب وسرب كالجراد يسوم

والبيت من الطويل، وهو لساعدة بن جؤية الهذلي في شرح أشعار الهذليين ص ١١٦٠، ولسان العرب (حسب) ، وتاج العروس (حسب) ، وأساس البلاغة (حسب) ، وديوان الهذليين ١/ ٢٢٩.

والحساب: الجزاء، قال الله تعالى: {ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ (٢٦)} [الغاشية: ٢٦] ، أي: جزاءهم، وقال تعالى: {إِنْ حِسَابُهُمْ إِلَّا عَلَى رَبِّي لَوْ تَشْعُرُونَ (١١٣)} [الشعراء: ١١٣] ، لأن الجزاء يكون بالحساب"[١].

قال أبو عبيدة:" {عَطاءً حِسابا}، أي: جزاء ويجيء: حسابا كافيا، يقال: أعطاني ما أحسبني، أي: كفاني"[٢].

عن قتادة: "{عَطاءً حِسَابًا}، قال: عطاء كثيرا"[٣].

قال مجاهد:" عطاء منه حسابًا لما عملوا"[٤]. وفي لفظ:" عطاء من الله حسابًا بأعمالهم"[٥].

قال قتادة:" أي عطاء كثيرا، فجزاهم بالعمل اليسير الخير الجسيم، الذي لا انقطاع له"[٦].

عن ابن وهب، قال: "سمعت ابن زيد يقول في قول الله: {جَزَاءً مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا}، فقرأ: {إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا حَدَائِقَ وَأَعْنَابًا وَكَوَاعِبَ أَتْرَابًا ... } إلى {عَطَاءً حِسَابًا}، قال: فهذه جزاء بأعمالهم عطاء الذي أعطاهم عملوا له واحدة، فجزاهم عشرا، وقرأ قول الله: {مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا}، وقرأ قول الله: {مَثَلُ الَّذِينَ يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنْبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِي كُلِّ سُنْبُلَةٍ مِائَةُ حَبَّةٍ وَاللَّهُ يُضَاعِفُ لِمَنْ يَشَاءُ}، قال: يزيد من يشاء، كان هذا كله عطاء، ولم يكن أعمالا يحسبه لهم، فجزاهم به حتى كأنهم عملوا له، قال: ولم يعملوا إنما عملوا عشرا، فأعطاهم مئة، وعملوا مئة، فأعطاهم ألفا، هذا كله عطاء، والعمل الأوّل، ثم حَسَب ذلك حتى كأنهم عملوا فجزاهم كما جزاهم بالذي عملوا"[٧].

قوله تعالى:{رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الرَّحْمَنِ} [النبأ : ٣٧]، أي:" أي هذا الجزاء صادرٌ من الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء"[٨].

قال المراغي:" أي: إنه سبحانه المالك لشئونهما، المدبر لأمورهما[٩].

قال ابن كثير:" وأنه الرحمن الذي شملت رحمته كل شيء"[١٠].

قال أهل العلم:" ولا شك أن في ذكر ربوبيته تعالى لجميع الخلق، ورحمته الواسعة إشعارًا بمقدار الجزاء المذكور"[١١].

قَرَأَ ابْن كثير وَنَافِع وَأَبُو عَمْرو :{رب السَّمَاوَات وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا الرَّحْمَن} بالرَّفْع، وَقَرَأَ عَاصِم وَابْن عَامر: «رب السموت وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا الرَّحْمَن»، خفضا جَمِيعًا، وَقَرَأَ الْمفضل عَن عَاصِم «رب السموت وَالْأَرْض وَمَا بَينهمَا الرَّحْمَن»، رفعا، وَقَرَأَ حَمْزَة والكسائي: «رب السموت وَالْأَرْض ومابينهما» خفضا، {الرَّحْمَن} رفعا[١٢].

قوله تعالى:{ لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا} [النبأ : ٣٧]، أي:" لا يملكون أن يسألوه إلا فيما أذن لهم فيه"[١٣].

---

(١) تأويل مشكل القرآن: ٢٧٦.
(٢) مجاز القرآن: ٢٨٣/٢.
(٣) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ١٧٤/٢٤.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٨٥/٣.
(٩) تفسير المراغي: ١٨/٣٠.
(١٠) .
(١١) التفسير الوسيط، مجمع البحوث: ١٧٥٨/١٠.
(١٢) انظر: السبعة في القراءات: ٦٦٩.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٨٣.

قال الطبري: " لا يقدر أحد من خلقه خطابه يوم القيامة"[١].

قال المراغي:" ولا يملك أحد من أهلهما مخاطبته تعالى بالشفاعة إلا بإذنه[٢].

قال الصابوني:" أي: لا يقدر أحدٌ أن يخاطبه في دفع بلاء، أو رفع عذاب في ذلك اليوم، هيبةً وجلالاً"[٣].

عن مجاهد، وقتادة: "{لا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا}، قال: كلاما"[٤].

قال ابن زيد:" لا يملكون أن يخاطبوا الله، والمخاطِب: المخاصم الذي يخاصم صاحبه"[٥].

قال القشيري:" وكيف تكون للمكوّن المخلوق الفقير المسكين مكنة أن يملك منه خطابا؟ أو يتنفّس بدونه نفسا؟ كلّا.. بل هو الله الواحد الجبّار"[٦].

قوله تعالى:{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا} [النبأ : ٣٨]، أي:" يوم يقوم جبريل عليه السلام والملائكة مصطفّين"[٧].

عن الشعبيّ، في قوله: {يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ وَالْمَلَائِكَةُ صَفًّا لا يَتَكَلَّمُونَ إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ}، قال: هما سِمَاطان لربّ العالمين يوم القيامة؛ سِماط من الروح، وسِماط من الملائكة"[٨].

وفي رواية ابن أبي حاتم:" هما سماطا رب العالمين يوم القيامة، سماط من الروح وسماط من الملائكة. - والإنس والملائكة والشياطين عشر الروح، ولقد قبض النبي صلى الله عليه وسلم وما يعلم الروح"[٩].

وفي قوله تعالى:{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ} [النبأ : ٣٨]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنه مَلَك من أعظم الملائكة خَلْقًا. قاله ابن مسعود[١٠]، وابن عباس[١١].

قال ابن عباس:" هو ملك أعظم الملائكة خَلْقًا"[١٢].

قال مقاتل:" هو الملك الذي قال الله- عز وجل- عنه: {وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ} [الإسراء : ٨٥]، وجهه وجه آدم- عليه السلام- ونصفه من نار، ونصفه من ثلج، فيسبح بحمد ربه ويقول رب كما ألفت بين هذه النار وهذا الثلج، تذيب هذه النار هذا الثلج، ولا يطفئ هذا الثلج هذه النار. فكذلك ألف بين عبادك المؤمنين، فاختصه الله- تعالى- من بين الخلق من عظمه"[١٣].

قال ابن مسعود:" الرُّوح: ملك في السماء الرابعة، هو أعظم من السموات ومن الجبال ومن الملائكة يسبح الله كلّ يوم اثني عشر ألف تسبيحة، يخلق الله من كلّ تسبيحة مَلَكا من الملائكة، يجيء يوم القيامة صفًّا وحده"[١٤].

عن عبد الله بن عباس : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : "إن لله ملكا لو قيل له : التقم السماوات السبع والأرضين بلقمة واحدة، لفعل، تسبيحه : سبحانك حيث كنت"[١].

---

(١) تفسير الطبري: ١٧٥/٢٤.
(٢) تفسير المراغي: ١٨/٣٠.
(٣) صفوة التفاسير: ٤٨٥/٣.
(٤) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٤.
(٦) لطائف الإشارات: ٦٧٩/٣.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(٨) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٤.
(٩) تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٠٧):ص٣٣٩٦/١٠.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧٥/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤-١٧٦، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٠٨):ص٣٣٩٦/١٠
(١٢) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٤-١٧٦.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٥/٤-٥٦٦.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٧٥/٢٤. قال ابن كثير: ٣١٠/٨:" وهذا قول غريب جدًا".

الثاني: أن «الروح»: جبريل -عليه السلام-. قاله الضحاك[٢]، وسعيد بن جبير[٣]، والشعبي[٤].

قال ابن كثير:" ويستشهد لهذا القول بقوله :{نزلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ} [الشعراء : ١٩٣، ١٩٤]"[٥].

الثالث : أن «الروح» : أشرف الملائكة، وأقرب إلى الرب عز وجل، وصاحب الوحي. قاله مقاتل بن حيان[٦].

قال الزمخشري:" الروح: أعظم خلقا من الملائكة وأشرف منهم وأقرب من رب العالمين"[٧].

الرابع : أنهم حفظة على الملائكة ، قاله ابن أبي نجيح[٨].

الخامس : أنهم خَلق من خلق الله، على صُور بني آدم، وليسوا بملائكة ولا ببشر، وهم يأكلون ويشربون. قاله ابن عباس[٩]، ومجاهد[١٠]، وأبو صالح[١١]، والأعمش[١٢].

قال الزجاج:" {الرُّوحُ}: خلق كالإنس، وليس هو إنس"[١٣].

قال مجاهد:" {الرُّوحُ}: خلق كخلق آدم"[١٤].

عن مسلم، عن مجاهد، قال: "{الرُّوحُ}: خلق لهم أيد وأرجل، -وأراه قال: ورءوس يأكلون الطعام، ليسوا ملائكة-"[١٥].

قال أبو صالح:" يشبهون الناس وليسوا بالناس"[١٦]. وفي لفظ:" الروح: خلق كالناس، وليسوا بالناس"[١٧].

قال الأعمش:" الروح خلق من خلق الله يضعفون على الملائكة أضعافًا، لهم أيد وأرجل"[١٨].

وروى ابن مجاهد عن ابن عباس قال: "الروح خلق من الله وصورهم على صور بني آدم وما ينزل من السماء ملك إلّا ومعه واحد من الروح"[١٩].

السادس : أنهم بنو آدم. وهذا قول الحسن[٢٠]، وقتادة[١].

---

(١)المعجم الكبير (٩٥/١١)، والمعجم الأوسط برقم (٦٦) "مجمع البحرين"، وقال في الأوسط : "لم يروه عن الأوزاعى إلا بشر، تفرد به وهب"، ووهب لم أر من ترجم له.
قال ابن كثير: ٣١٠/٨:" هذا حديث غريب جدًا، وفي رفعه نظر، وقد يكون موقوفًا على ابن عباس، ويكون مما تلقاه من الإسرائيليات، والله أعلم".
(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٦/٢٤.
(٣) انظر: انظر: النكت والعيون: ١٩٠/٦، وزاد المسير: ٣٩٢/٤، وتفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧٦/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٩٠/٦، وزاد المسير: ٣٩٢/٤، وتفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.
(٧) الكشاف: ٦٩١/٤.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٠/٦.
(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٣) معاني القرآن: ٢٧٥/٥.
(١٤) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ١٧٦/٢٤.
(١٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٠/١٠.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ١٧٧/٢٤، وإعراب القرآن للنحاس: ٨٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.

قال ابن كثير:" الأشبه - والله أعلم - أنهم بنو آدم"[٢].

عن معمر، عن الحسن، في قوله: "{يَوْمَ يَقُومُ الرُّوحُ}، قال: الروح: بنو آدم. وقال قتادة: هذا مما كان يكتمه ابن عباس"[٣].

السابع : أنها أرواح بني آدم، وذلك حين تقوم أرواح الناس مع الملائكة فيما بين النفختين قبل أن تردّ الأرواح إلى الأجساد. رواه العوفي عن ابن عباس[٤].

الثامن : أنه القرآن. قاله زيد بن أسلم[٥].

قال ابن زيد:" كان أبي يقول: الروح: القرآن، وقرأ: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ}"[٦].

التاسع : أنه جند من جند الله تعالى، وليسوا بملائكة، رواه ابن عباس عن رسول الله صلّى الله عليه وسلم[٧].

قال الطبري:" الصواب من القول أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر أنّ خَلْقَه لا يملكون منه خطابا، يوم يقوم الرُّوح، والرُّوح خَلْق من خَلْقِه، وجائز أن يكون بعض هذه الأشياء التي ذكرت، والله أعلم أيّ ذلك هو، ولا خبر بشيء من ذلك أنه المعنيّ به دون غيره يجب التسليم له، ولا حجة تدلّ عليه، وغير ضائر الجهل به"[٨].

قال النحاس:" لا دليل نعلمه يدلّ على أصحّ هذه الأقوال يكون قاطعا من توقيف من الرسول أو دلالة بينة، وهو شيء لا يضرّ الجهل به، ولو قال قائل: هذه الأشياء التي ذكرها العلماء ليست بمتناقضة ويجوز أن يكون هذا كلها لها لما عنّف"[٩].

قوله تعالى: {لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ : ٣٨]، أي:" لا يشفعون إلا لمن أذن له الرحمن في الشفاعة، وقال حقًا وسدادًا"[١٠].

وفي تفسير قوله تعالى {لَا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ} [النبأ : ٣٨] ، وجهان:

أحدهما : لا يشفعون إلا من أذن له الرحمن في الشفاعة ، قاله الحسن[١١].

الثاني : لا يتكلمون في شيء إلا من أذن له الرحمن بشهادة أن لا إله إلا الله ، قاله ابن عباس[١٢].

عن ابن عباس، في قوله: "{إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا}، يقول: إلا من أذن له الربّ بشهادة أن لا إله إلا الله، وهي منتهى الصواب"[١٣].

قال الزمخشري:" الضمير في {لا يَمْلِكُونَ}، لأهل السماوات والأرض، أي: ليس في أيديهم مما يخاطب به الله ويأمر به في أمر الثواب والعقاب خطاب واحد يتصرفون فيه تصرف

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٧٧/٢٤، وإعراب القرآن للنحاس: ٨٦/٥، وتفسير ابن كثير: ٣٠٩/٨.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣١٠/٨.
(٣) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٧٧/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٧/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٧٧/٢٤.
(٧)باطل، أخرجه أبو الشيخ في «العظمة» ٤١٢ من حديث ابن عباس، وذكره ابن الجوزي في "زاد المسير": ٣٩١/٤، وفي إسناده مجاهيل والمتن منكر، ولو صح لما اختلف المفسرون في معنى الروح في هذه الآية.
(٨) تفسير الطبري: ١٧٧/١٤.
(٩) إعراب القرآن: ٨٦/٥-٨٧.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٩٠/٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٨/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢٤.

الملاك، فيزيدون فيه أو ينقصون منه. أو لا يملكون أن يخاطبوه بشيء من نقص العذاب أو زيادة في الثواب، إلا أن يهب لهم ذلك ويأذن لهم فيه"[١].

وقال مقاتل:" لا يتكلمون من الخوف أربعين عاما"[٢].

وفي قوله تعالى {وَقَالَ صَوَابًا} [النبأ : ٣٨] ، ثلاثة وجوه:

أحدها : يعني : حقا في الدنيا وعمل به، قاله مجاهد[٣]، ونحوه عن الضحاك[٤].

الثاني : يعني: شهادة: لا إله إلا الله ، قاله عكرمة[٥]، وأبو صالح[٦]، ويحيي بن سلام[٧]، ومقاتل[٨].

قال النحاس:" وقال صوابا في الدنيا، أي قال: لا إله إلا الله"[٩].

قال مقاتل:" لأن العرب قالوا إن القيامة باطل"[١٠].

الثالث : أن الملائكة تقول يوم القيامة : لا تُدخل الجنة إلا بالرحمة ، ولا النار إلا بالعمل ، وهو قول الحسن[١١]، وعكرمة-أيضا-[١٢].

روي عن عكرمة، أنه "قرأ هذه الآية: {إِلا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَقَالَ صَوَابًا}، قال: يُمرّ بأناس من أهل النار على ملائكة، فيقولون: أين تذهبون بهؤلاء؟ فيقال: إلى النار، فيقولون: بما كَسَبت أيديهم، وما ظلمهم الله، ويمرّ بأناس من أهل الجنة على ملائكة، فيقال: أين تذهبون بهؤلاء؟ فيقولون: إلى الجنة، فيقولون: برحمة الله دخلتم الجنة، قال: فيُؤْذَن لهم في الكلام، أو نحو ذلك"[١٣].

قال الطبري:" الصواب من القول في ذلك: أن يقال: إن الله تعالى ذكره أخبر عن خلقه أنهم لا يتكلمون يوم يقوم الروح والملائكة صفا، إلا من أذن له منهم في الكلام الرحمن، وقال صوابا، فالواجب أن يقال كما أخبر إذ لم يخبرنا في كتابه، ولا على لسان رسوله، أنه عَنَى بذلك نوعا من أنواع الصواب، والظاهر محتمل جميعه"[١٤].

قوله تعالى:{ذَلِكَ الْيَوْمُ الْحَقُّ} [النبأ : ٣٩]، أي:" ذلك اليوم الحق الذي لا ريب في وقوعه"[١٥].

قال الطبري:" يعني: يوم القيامة، وهو يوم يقوم الروح والملائكة صفا {الْحَقُّ}، يقول: إنه حقّ كائن لا شكّ فيه"[١٦].

قال السمعاني:" وَمعنى «الْحق» -هَاهُنَا-: أنه كَائِن لَا محَالة"[١٧].

---

(١) الكشاف: ٦٩١/٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٦/٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٧٨/٢٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٩٠/٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٧٨/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٧٨/٢٤.
(٧) انظر: تفسير يحيى بن سلام: ٢٨١/١.
(٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٦/٤.
(٩) إعراب القرآن: ٨٧/٥.
(١٠) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٦/٤.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٩٠/٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٧٨/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٧٨/٢٤.
(١٤) تفسير الطبري: ١٧٨/٢٤-١٧٩.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١٦) تفسير الطبري: ١٧٩/٢٤.
(١٧) تفسير السمعاني: ١٤٢/٦-١٤٣.

قوله تعالى:{فَمَنْ شَاءَ اتَّخَذَ إِلَى رَبِّهِ مَآبًا} [النبأ : ٣٩]، أي:" فمن شاء النجاة مِن أهواله فليتخذ إلى ربه مرجعًا بالعمل الصالح"(١).

قال الطبري:" يقول: فمن شاء من عباده اتخذ بالتصديق بهذا اليوم الحقّ، والاستعداد له، والعمل بما فيه النجاة له من أهواله {مآبًا}، يعني: مرجعا، وهو مَفْعَلٌ من قولهم: آب فلان من سفره، كما قال عبيد بن الأبرص(٢):

وكُل ذِي غَيْبَةٍ يَئُوب ... وغائِبُ المَوْتِ لا يَئُوبُ"(٣).

عن قتادة: "{إِلَى رَبِّهِ مَآبًا}، قال: سبيلا"(٤).

قال سفيان:" يقول: مرجعا منزلا"(٥).

قال قتادة:" اتخذوا إلى الله مآبًا بطاعته، وما يقرّبهم إليه"(٦).

قال مقاتل:" يعني: منزلة، يعني: الأعمال الصالحة"(٧).

قال النحاس:" أي: نجاء مآب، أي: عملا صالحا في الدنيا"(٨).

قال السمعاني:" أي: منقلبا حسنا بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَة"(٩).

القرآن

{إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا (٤٠)} [النبأ : ٤٠]

التفسير:

إنَّا حذَّرناكم عذاب يوم الآخرة القريب الذي يرى فيه كل امرئ ما عمل من خير أو اكتسب من إثم، ويقول الكافر من هول الحساب: يا ليتني كنت ترابًا فلم أُبعث.

قوله تعالى:{إِنَّا أَنْذَرْنَاكُمْ عَذَابًا قَرِيبًا} [النبأ : ٤٠]، أي:" إنَّا حذَّرناكم عذاب يوم الآخرة القريب"(١٠).

قال الطبري:" يقول: إنا حذّرناكم أيها الناس عذابًا قد دنا منكم وقرُب"(١١).

قال ابن الجوزي:" هو عذاب الآخرة، وكل آت قريب"(١٢).

قال ابن كثير:" يعني : يوم القيامة لتأكد وقوعه صار قريبا، لأن كل ما هو آت آت"(١٣).

وقال مقاتل:" يعني: في الدنيا القتل ببدر، وهلاك الأمم الخالية، وإنما قال قريبا لأنها أقرب من الآخرة"(١٤).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(٢) ديوانه:٧، طبعة ليدن سنة ١٩١٣. من قصيدته التي مطلعها: "أقفر من أهله ملحوب". يقول: كل غائب تنتظر أوبته، إلا من مات فلا أوبة له إلى الدنيا. والبيت شاهد على أن الأواب الرجاع، الذي يرجع إلى التوبة والطاعة، من آب يئوب إذا رجع (انظر اللسان: أوب).

(٣) تفسير الطبري: ١٧٩/٢٤.

(٤) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ١٧٩/٢٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٦/٤.

(٨) إعراب القرآن: ٨٧/٥.

(٩) تفسير السمعاني: ١٤٣/٦.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(١١) تفسير الطبري: ١٧٩/٢٤.

(١٢) زاد المسير: ٣٩٢/٤.

(١٣) تفسير ابن كثير: ٣١٠/٨.

(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٦/٤.

قوله تعالى:{يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} [النبأ : ٤٠]، أي:" يوم يرى كل إنسان ما قدَّم من خير أو شر مثبتاً في صحيفته"[١].

قال الطبري:" يقول: "وذلك العذاب {يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ} المؤمن {مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ} من خير اكتسبه في الدنيا، أو شرّ سَلَفَهُ، فيرجو ثواب الله على صالح أعماله، ويخاف عقابه على سيئها"[٢].

قال ابن الجوزي:" أي: يرى عمله مثبَتاً في صحيفته خيراً كان أو شرّا"[٣].

قال ابن كثير:" أي : يعرض عليه جميع أعماله، خيرها وشرها، قديمها وحديثها، كقوله :{وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا} [الكهف : ٤٩]، وكقوله :{يُنَبَّأُ الإِنْسَانُ يَوْمَئِذٍ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ} [القيامة : ١٣]"[٤].

عن الحسن: "{يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ}، قال: المرء المؤمن"[٥].

عن الحسن :"{يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ}، قال: المرء المؤمن يحذَر الصغيرة، ويخاف الكبيرة"[٦].

وقال مقاتل يعني: الإنسان الخاطئ يرى عمله أسود مثل الجبل "[٧].

قوله تعالى:{وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ : ٤٠]، أي:" ويقول الكافر من هول الحساب: يا ليتني كنت ترابًا فلم أُبعث"[٨].

عن قتادة، قوله: "{يَوْمَ يَنْظُرُ الْمَرْءُ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَالَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}، وهو الهالك المفرط العاجز، وما يمنعه أن يقول ذلك وقد راج عليه عَوْرَاتُ عمله، وقد استَقبل الرحمن وهو عليه غضبان، فتمنى الموت يومئذ، ولم يكن في الدنيا شيء أكرهَ عنده من الموت"[٩].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَيَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ : ٤٠]، وجوه:

أحدها : أي: يودون أنهم لم يبعثوا، وأنهم كانوا والأرض سواء، كما قال: {يَا لَيْتَنِي لَمْ أُوتَ كِتَابِيَهْ} [الحاقة : ٢٥]. حكاه الزجاج[١٠].

الثاني : أي : يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا ترابا، ولم يكن خُلِقَ، ولا خرج إلى الوجود. وذلك حين عاين عذاب الله، ونظر إلى أعماله الفاسدة قد سُطِّرت عليه بأيدي الملائكة السَّفَرة الكرام البَرَرة. ذكره ابن كثير[١١].

الثالث : أنه إذا قُضِيَ بين الناس، وأمر بأهل النار إلى النار قيل لمؤمني الجنّ ولسائر الأمم سوى ولد آدم: عُودُوا ترابًا، فإذا نظر الكفار إليهم قد عادوا ترابًا، قال الكافر: يا ليتني يا ليتني كنت ترابًا. وهذا قول أبو الزناد عبد الله بن ذكوان[١٢]، وبه قال ليث بن أبي سليم[١٣].

عن ليث بن أبي سليم، قال: "مؤمنو الجن يعودون ترابًا"[١٤].

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٨٥/٣.
(٢) تفسير الطبري: ١٧٩/٢٤.
(٣) زاد المسير: ٣٩٢/٤.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣١٠/٨.
(٥) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٤.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٦٦/٤.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(٩) أخرجه الطبري: ١٨١/٢٤.
(١٠) معاني القرآن: ٢٧٦/٥.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣١٠/٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨١/٢٤، والكشف والبيان: ١٢٠/١٠.
(١٣) الدر المنثور: ٤٠٢/٨، وعزاه إلى عَبد بن حُمَيد، وانظر: الكشف والبيان: ١٢٠/١٠.
(١٤)أخرجه عبد بن حميد كما في "الدر المنثور" ٤٠٢/٨، وذكره البغوي في "معالم التنزيل" ٨/ ٣١٩،

عن ليث بن أبي سليم، قال: "ثواب الجن أن يُجاروا مِن النار، ثم يُقال لهم: كونوا ترابًا"[١].

وقال عمر بن عبد العزيز: "إن مؤمنين الجن حول الجنّة في ريض ورحاب وليسوا فيها"[٢].

الرابع : أن الكافر –هاهنا-: إبليس وذلك أنه عاب آدم بأنه خلق من تراب وافتخر بأنه خلق من النار، فإذا عاين يوم القيامة ما فيه آدم وبنوه المؤمنون من الثواب والراحة والرحمة ورأى ما هو وذويه فيه من الشدّة والعذاب تمنّى أنه بمكان آدم فيقول حينئذ: {يَٰلَيْتَنِي كُنتُ تُرَاباً}. حكاه أبو القاسم بن جبير[٣].

الخامس : أن الكافر يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا، فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لا يجور، حتى إنه ليقتص للشاة الجمَّاء من القرناء. فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها : كوني ترابا، فتصير ترابا. فعند ذلك يقول الكافر :{يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}، أي : كنت حيوانا فأرجع إلى التراب، وقد ورد معنى هذا في حديث الصّور المشهور[٤]، وورد فيه آثار عن أبي هريرة،[١] وعبد الله بن عمرو[٢]، وسفيان[٣]، وبه الفراء[٤]، والطبري[٥].

والقرطبي في "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ١٨٧.

(١) الدر المنثور: ٤٠٢/٨، وعزاه إلى ابن أبي الدنيا.

(٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢١/١٠.

(٣) انظر: الكشف والبيان: ١٢١/١٠.

(٤) حديث الصور الطويل، أورده ابن كثير في "النهاية": (١٧٢/١-١٧٦) ، وعزاه للحافظ أبو يعلى الموصلي في مسنده، وقال: (رواه جماعة من الأئمة في كتبهم كابن جرير في تفسيره، والطبراني في المطولات وغيرها، والحافظ البيهقي في كتاب البعث والنشور، والحافظ أبي موسى المديني في المطولات أيضاً من طرق متعددة عن إسماعيل بن رافع قاص المدينة، وقد تكلم فيه بسببه، وفي بعض سياقاته نكارة واختلاف).

قال ابن كثير:« وقد روينا حديث الصور بطوله من طريق الحافظ أبي القاسم الطبراني في كتابه المطولات قال: حدثنا أحمد بن الحسن المصري الأيلي حدثنا أبو عاصم النبيل حدثنا إسماعيل بن رافع عن محمد بن زياد عن محمد بن كعب القرظي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو في طائفة من أصحابه فقال: "إن الله تعالى لما فرغ من خلق السماوات والأرض خلق الصور, فأعطاه إسرافيل فهو واضعه على فيه شاخصا بصره في العرش ينتظر متى يؤمر" قلت: يا رسول الله وما الصور قال: "القرن" قلت: كيف هو قال: "عظيم, والذي بعثني بالحق إن عظم دارة فيه كعرض السماوات والأرض, ينفخ فيه ثلاث نفخات النفخة الأولى نفخة الفزع والثانية نفخة القيام لرب العالمين, يأمر الله تعالى إسرافيل بالنفخة الأولى فيقول انفخ فينفخ نفخة الفزع فيفزع أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله, ويأمره فيطيلها ويديمها ولا يفتر وهو كقول الله تعالى: {وما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة ما لها من فواق} [يس: ٤٩] فيسير الله الجبال فتمر مر السحاب فتكون سرابا ثم ترتج الأرض بأهلها رجا فتكون كالسفينة المرمية في البحر, تضربها الأمواج تكفأ بأهلها كالقنديل المعلق في العرش ترجرجه الرياح, وهو الذي يقول: {يوم ترجف الراجفة تتبعها الرادفة قلوب يومئذ واجفة} [النازعات: ٦] فيميد الناس على ظهرها وتذهل المراضع وتضع الحوامل وتشيب الولدان وتطير الشياطين هاربة من الفزع حتى تأتي الأقطار, فتأتيها الملائكة فتضرب وجوهها فترجع, ويولي الناس مدبرين ما لهم من أمر الله من عاصم ينادي بعضهم بعضا, وهو الذي يقول الله تعالى {يوم التناد} فبينما هم على ذلك إذ تصدعت الأرض من قطر إلى قطر, فرأوا أمرا عظيما لم يروا مثله, وأخذهم لذلك من الكرب والهول ما الله به عليم ثم نظروا إلى السماء فإذا هي كالمهل, ثم انشقت السماء فانتثرت نجومها وانخسفت شمسها وقمرها" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "الأموات لا يعلمون بشيء من ذلك" قال أبو هريرة: يا رسول الله, من استثنى الله عز وجل حين يقول: {ففزع من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله} [النمل: ٨٧] قال: "أولئك الشهداء وإنما يصل الفزع إلى الأحياء وهم أحياء عند ربهم يرزقون, وقاهم الله فزع ذلك اليوم وآمنهم منه, وهو عذاب الله يبعثه على شرار خلقه" قال: "وهو الذي يقول الله عز وجل {يا أيها الناس اتقوا ربكم إن زلزلة الساعة شيء عظيم يوم ترونها تذهل كل مرضعة عما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى ولكن عذاب الله شديد} [الحج: ١ ٢] فيقومون في ذلك العذاب ما شاء الله تعالى إلا أنه يطول, ثم يأمر الله إسرافيل بنفخة الصعق, فينفخ نفخة الصعق فيصعق أهل السماوات والأرض إلا من شاء الله, فإذا هم قد خمدوا جاء ملك الموت إلى الجبار عز وجل فيقول يا رب قد مات أهل السماوات والأرض إلا من شئت فيقول الله تعالى وهو أعلم بمن بقي فمن بقي فيقول يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة العرش وبقي

جبريل وميكائيل وبقيت أنا فيقول الله عز وجل ليمت جبريل وميكائيل, فينطق الله تعالى العرش فيقول يا رب يموت جبريل وميكائيل فيقول اسكت فإني كتبت الموت على كل من كان تحت عرشي فيموتان ثم يأتي ملك الموت إلى الجبار فيقول يا رب قد مات جبريل وميكائيل فيقول الله عز وجل وهو أعلم بمن بقي فمن بقي فيقول بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت حملة عرشك وبقيت أنا فيقول الله تعالى لتمت حملة العرش فتموت ويأمر الله تعالى العرش فيقبض الصور من إسرافيل, ثم يأتي ملك الموت فيقول يا رب قد مات حملة عرشك فيقول الله وهو أعلم بمن بقي فمن بقي فيقول يا رب بقيت أنت الحي الذي لا تموت وبقيت أنا فيقول الله تعالى أنت خلق من خلقي خلقتك لما رأيت فمت, فيموت فإذا لم يبق إلا الله الواحد القهار الأحد الصمد الذي لم يلد ولم يولد كان آخرا كما كان أولا, طوى السماوات والأرض طي السجل للكتب ثم دحاهما ثم يلقفهما ثلاث مرات ثم يقول أنا الجبار أنا الجبار أنا الجبار -ثلاثا- ثم هتف بصوته لمن الملك اليوم -ثلاث مرات- فلا يجيبه أحد ثم يقول لنفسه لله الواحد القهار يقول الله تعالى {يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات} [إبراهيم: ٤٨] فيبسطهما ويسطحهما ثم يمدهما مد الأديم العكاظي لا ترى فيهما عوجا ولا أمتا, ثم يزجر الله الخلق زجرة واحدة فإذا هم في هذه الأرض المبدلة مثل ما كانوا فيها من الأولى من كان في بطنها كان في بطنها ومن كان على ظهرها كان على ظهرها ثم ينزل الله تعالى عليهم ماء من تحت العرش ثم يأمر الله السماء أن تمطر, فتمطر أربعين يوما حتى يكون الماء فوقهم اثني عشر ذراعا, ثم يأمر الله الأجساد أن تنبت فتنبت كنبات الطراثيث أو كنبات البقل حتى إذا تكاملت أجسادهم فكانت كما كانت, قال الله عز وجل ليحي حملة عرشي فيحيون ويأمر الله إسرافيل فيأخذ الصور فيضعه على فيه ثم يقول ليحي جبريل وميكائيل, فيحييان ثم يدعو الله بالأرواح فيؤتى بها, تتوهج أرواح المؤمنين نورا وأرواح الكافرين ظلمة, فيقبضها جميعا ثم يلقيها في الصور, ثم يأمر الله إسرافيل أن ينفخ نفخة البعث فينفخ نفخة البعث فتخرج الأرواح كأنها النحل, قد ملأت ما بين السماء والأرض فيقول وعزتي وجلالي ليرجعن كل روح إلى جسده فتدخل الأرواح في الأرض إلى الأجساد فتدخل في الخياشيم ثم تمشي في الأجساد كما يمشي السم في اللديغ, ثم تنشق الأرض عنهم وأنا أول من تنشق الأرض عنه, فتخرجون سراعا إلى ربكم تنسلون {مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر} [القمر: ٨] حفاة عرة غرلا, فتقفون موقفا واحدا مقداره سبعون عاما لا ينظر إليكم ولا يقضى بينكم, فتبكون حتى تنقطع الدموع ثم تدمعون دما وتعرقون حتى يلجمكم العرق أو يبلغ الأذقان وتقولون من يشفع لنا إلى ربنا فيقضي بيننا فتقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا, فيأتون آدم فيطلبون ذلك إليه فيأبى ويقول ما أنا بصاحب ذلك, فيستقرئون الأنبياء نبيا نبيا كلما جاءوا نبيا أبى عليهم" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "حتى يأتوني, فأنطلق إلى الفحص فأخر ساجدا" قال أبو هريرة يا رسول الله وما الفحص قال "قدام العرش, حتى يبعث الله إلي ملكا فيأخذ بعضدي ويرفعني فيقول لي يا محمد فأقول نعم يا رب فيقول عز وجل ما شأنك وهو أعلم فأقول يا رب وعدتني الشفاعة, فشفعني في خلقك فاقض بينهم قال الله قد شفعتك, أنا آتيكم أقضي بينكم" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "فأرجع فأقف مع الناس, فبينما نحن وقوف إذ سمعنا من السماء حسا شديدا فهالنا, فينزل أهل السماء الدنيا بمثلي من في الأرض من الجن والإنس, حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم وقلنا لهم أفيكم ربنا قالوا لا وهو آت ثم ينزل أهل السماء الثانية بمثلي من نزل من الملائكة وبمثلي من فيها من الجن والإنس, حتى إذا دنوا من الأرض أشرقت الأرض بنورهم وأخذوا مصافهم, وقلنا لهم أفيكم ربنا فيقولون لا وهو آت ثم ينزلون على قدر ذلك من التضعيف حتى ينزل الجبار عز وجل في ظلل من الغمام والملائكة فيحمل عرشه يومئذ ثمانية وهم اليوم أربعة, أقدامهم في تخوم الأرض السفلى والأرض والسماوات إلى حجزهم والعرش على مناكبهم, لهم زجل في تسبيحهم يقولون سبحان ذي العزة والجبروت, سبحان ذي الملك والملكوت, سبحان الحي الذي لا يموت, سبحان الذي يميت الخلائق ولا يموت, سبوح قدوس قدوس قدوس, سبحان ربنا الأعلى رب الملائكة والروح, سبحان ربنا الأعلى الذي يميت الخلائق ولا يموت, فيضع الله كرسيه حيث يشاء من أرضه ثم يهتف بصوته فيقول يا معشر الجن والإنس, إني قد أنصت لكم منذ خلقتكم إلى يومكم هذا أسمع قولكم وأبصر أعمالكم, فأنصتوا إلي فإنما هي أعمالكم وصحفكم تقرأ عليكم, فمن وجد خيرا فليحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ثم يأمر الله جهنم فيخرج منها عنق ساطع مظلم ثم يقول {ألم أعهد إليكم يا بني آدم أن لا تعبدوا الشيطان إنه لكم عدو مبين وأن اعبدوني هذا صراط مستقيم ولقد أضل منكم جبلا كثيرا أفلم تكونوا تعقلون هذه جهنم التي كنتم توعدون} [يس: ٦٠-٦٣] أو {بها تكذبون} شك أبو عاصم {وامتازوا اليوم أيها المجرمون} [يس: ٥٩] فيميز الله الناس وتجثو الأمم, يقول الله تعالى {وترى كل أمة جاثية كل أمة تدعى إلى كتابها اليوم تجزون ما كنتم تعملون} [الجاثية: ٢٨] فيقضي الله عز وجل بين خلقه إلا الثقلين الجن والإنس فيقضي بين الوحوش والبهائم حتى إنه ليقضي للجماء من ذات القرن فإذا فرغ من ذلك فلم تبق تبعة عند واحدة للأخرى قال الله لها كوني ترابا, فعند ذلك يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا ثم يقضي الله تعالى بين العباد, فكان أول ما يقضي فيه الدماء ويأتي كل قتيل في سبيل الله ويأمر الله عز وجل كل من قتل فيحمل رأسه تشخب أوداجه فيقول يا رب فيم قتلني هذا فيقول وهو

أعلم فيم قتلتهم فيقول قتلتهم لتكون العزة لك فيقول الله له صدقت فيجعل الله وجهه مثل نور الشمس ثم تمر به الملائكة إلى الجنة ثم يأتي كل من قتل على غير ذلك يحمل رأسه وتشخب أوداجه فيقول يا رب قتلني هذا فيقول تعالى وهو أعلم لم قتلتهم فيقول يا رب قتلتهم لتكون العزة لي فيقول تعست ثم لا تبقى نفس قتلها إلا قتل بها ولا مظلمة ظلمها إلا أخذ بها وكان في مشيئة الله إن شاء عذبه وإن شاء رحمه ثم يقضي الله تعالى بين من بقي من خلقه حتى لا تبقى مظلمة لأحد عند أحد إلا أخذها الله للمظلوم من الظالم حتى إنه ليكلف شائب اللبن بالماء ثم يبيعه أن يخلص اللبن من الماء فإذا فرغ الله تعالى من ذلك نادى مناد يسمع الخلائق ألا ليلحق كل قوم بآلهتهم وما كانوا يعبدون من دون الله, فلا يبقى أحد عبد من دون الله إلا مثلت له آلهته بين يديه, ويجعل يومئذ ملك من الملائكة على صورة عزير ويجعل ملك من الملائكة على صورة عيسى ابن مريم ثم يتبع هذا اليهود وهذا النصارى, ثم قادتهم آلهتهم إلى النار وهو الذي يقول {لو كان هؤلاء آلهة ما وردوها وكل فيها خالدون} [الأنبياء: ٩٩] فإذا لم يبق إلا المؤمنون فيهم المنافقون جاءهم الله فيما شاء من هيئته فقال: يا أيها الناس فالحقوا بآلهتكم وما كنتم تعبدون فيقولون والله والله ما لنا إله إلا الله وما كنا نعبد غيره, فيكشف لهم عن ساقه ويتجلى لهم من عظمته ما يعرفون أنه ربهم, فيخرون للأذقان سجدا على وجوههم ويخر كل منافق على قفاه, ويجعل الله عز وجل أصلابهم كصياصي البقر ثم يأذن الله لهم فيرفعون ويضرب الله الصراط بين ظهراني جهنم كحد الشفرة أو كحد السيف عليه كلاليب وخطاطيف وحسك كحسك السعدان دونه جسر دحض مزلة, فيمرون كطرف العين أو كلمح البرق أو كمر الريح أو كجياد الخيل أو كجياد الركاب أو كجياد الرجال فناج سالم وناج مخدوش ومكدوس على وجهه في جهنم".

فإذا أفضى أهل الجنة إلى الجنة قالوا من يشفع لنا إلى ربنا فندخل الجنة فيقولون من أحق بذلك من أبيكم آدم عليه السلام خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه وكلمه قبلا فيأتون آدم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ولكن عليكم بنوح فإنه أول رسل الله فيؤتى نوح فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بإبراهيم فإن الله تخيره خليلا فيؤتى إبراهيم فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول ما أنا بصاحب ذلك ويقول عليكم بموسى فإن الله قربه نجيا وكلمه وأنزل عليه التوراة فيؤتى موسى فيطلب ذلك إليه فيذكر ذنبا ويقول لست بصاحب ذلك ولكن عليكم بروح الله وكلمته عيسى ابن مريم فيؤتى عيسى ابن مريم فيطلب ذلك إليه فيقول ما أنا بصاحبكم ولكن عليكم بمحمد قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فيأتوني ولي عند ربي ثلاث شفاعات وعدنيهن, فأنطلق فآتي الجنة فآخذ بحلقة الباب فأستفتح فيفتح لي فأحيا ويرحب بي فإذا دخلت الجنة فنظرت إلى ربي خررت له ساجدا فيأذن الله لي من تحميده وتمجيده بشيء ما أذن به لأحد من خلقه ثم يقول ارفع رأسك يا محمد, واشفع تشفع, وسل تعط, فإذا رفعت رأسي يقول الله تعالى وهو أعلم ما شأنك فأقول يا رب وعدتني الشفاعة فشفعني في أهل الجنة فيدخلون الجنة, فيقول الله قد شفعتك وقد أذنت لهم في دخول الجنة وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول والذي نفسي بيده ما أنتم في الدنيا بأعرف بأزواجكم ومساكنكم من أهل الجنة بأزواجهم ومساكنهم فيدخل كل رجل منهم على اثنتين وسبعين زوجة سبعين مما ينشئ الله عز وجل وثنتين آدميتين من ولد آدم لهما فضل على من أنشأ الله لعبادتهما الله تعالى في الدنيا فيدخل على الأولى في غرفة من ياقوتة على سرير مكلل باللؤلؤ عليها سبعون زوجا من سندس وإستبرق, ثم إنه يضع يده بين كتفيها ثم ينظر إلى يده من صدرها ومن وراء ثيابها وجلدها ولحمها وإنه لينظر إلى مخ ساقها كما ينظر أحدكم إلى السلك في قصبة الياقوت, كبدها له مرآة وكبده لها مرآة فبينا هو عندها لا يملها ولا تمله ما يأتيها من مرة إلا وجدها عذراء ما يفتر ذكره وما تشتكي قبلها, فبينا هو كذلك إذ نودي إنا قد عرفنا أنك لا تمل ولا تمل, إلا أنه لا مني ولا منية إلا أن لك أزواجا غيرها, فيخرج فيأتيهن واحدة واحدة كلما أتى واحدة قالت له والله ما أرى في الجنة شيئا أحسن منك ولا في الجنة شيئا أحب إلي منك. وإذا وقع أهل النار في النار وقع فيها خلق من خلق ربك أوبقتهم أعمالهم, فمنهم من تأخذ النار قدميه ولا تجاوز ذلك, ومنهم من تأخذه إلى أنصاف ساقيه ومنهم من تأخذه إلى ركبتيه ومنهم من تأخذه إلى حقويه ومنهم من تأخذ جسده كله إلا وجهه حرم الله صورته عليها" قال رسول الله صلى الله عليه وسلم فأقول "يا رب شفعني فيمن وقع في النار من أمتي فيقول أخرجوا من عرفتم فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد ثم يأذن الله تعالى في الشفاعة فلا يبقى نبي ولا شهيد إلا شفع فيقول الله تعالى أخرجوا من وجدتم في قلبه زنة دينار إيمانا فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد, ثم يشفع الله تعالى فيقول أخرجوا من وجدتم في قلبه إيمانا ثلثي دينار, ثم يقول ثلث دينار ثم يقول ربع دينار ثم يقول قيراط ثم يقول حبة من خردل فيخرج أولئك حتى لا يبقى منهم أحد وحتى لا يبقى في النار من عمل لله خيرا قط ولا يبقى أحد له شفاعة إلا شفع, حتى إن إبليس يتطاول مما يرى من رحمة الله تعالى رجاء أن يشفع له ثم يقول بقيت وأنا أرحم الراحمين فيدخل يده في جهنم فيخرج منها ما لا يحصيه غيره كأنهم حمم فيلقون على نهر يقال له الحيوان فينبتون كما تنبت الحبة في حميل السيل, فما يلي الشمس منها أخيضر وما يلي الظل منها أصيفر, فينبتون كنبات الطراثيث حتى يكونوا أمثال الذر, مكتوب في رقابهم الجهنميون عتقاء الرحمن, يعرفهم أهل الجنة بذلك الكتاب,

قال الفراء:" وإنما تمنوا ذلك لأن الوحوش وسائر الدواب يوم القيامة يقال لها: كوني ترابا"[٦].

قال الطبري:" ويقول الكافر يومئذ تمنيا لما يلقى من عذاب الله الذي أعدّه لأصحابه الكافرين به، يا ليتني كنت ترابًا كالبهائم التي جُعِلت ترابًا"[٧].

قال الكلبي: " يقول الله عز وجل للبهائم والوحش والطير والسباع: كن ترابا فتسوى بها الأرض، فعند ذلك يتمنى الكافرون لو كانوا ترابا يمشي عليهم أهل الجمع، بيانه قوله عز وجل: {يقول الكافر يا ليتني كنت ترابا}"[٨].

قال سفيان:" إذا قيل للبهائم: كونوا ترابًا، قال الكافر: يا ليتني كنت ترابًا"[٩].

قال الماوردي:" وهذه من الأماني الكاذبة، كما قال الشاعر[١٠]:

ألا يا ليتني والمْرءُ مَيْتُ ... وما يُغْني من الحدثانِ لَيْت "[١١].

عن ابن وهب قال: وحدثني الليث [بن سعد] قال: "يقال إذا فرغ الله من الحكم، والطير والبهائم واقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء، قال لهم: كونوا ترابا، فعند ذلك: {يَقُولُ الْكَافِرُ يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}"[١٢].

قال مجاهد: "يقاد يوم القيامة للمنقورة وللمنطوحة من الناطحة"[١٣].

قال عكرمة: "بلغني أنّ السباع والوحوش والبهائم إذا رأين يوم القيامة بني آدم وما هم فيه من الغمّ والحزن قلن: الحمد لله الذي لم يجعلنا مثلكم فلا جنّة نرجو ولا نارا نخاف"[١].

ما عملوا خيرا لله قط فيمكثون في الجنة ما شاء الله وذلك الكتاب في رقابهم ثم يقولون ربنا امح عنا هذا الكتاب, فيمحوه الله عز وجل عنهم"»

والحديث رواه ابن جرير مختصرا ومطولا ٢/ ٣٣٠ ٣٣١ و٣٠/ ١٨٦-١٨٨ وفي ١٧/ ١٠٠ ١١١ وفي ٢٤/ ٣٠ والطبراني في المطولات نهاية المعجم الكبير ٢٥/ ٢٢٦ وغيرهم, كما ذكر ابن كثير فيما يأتي وإسناده ضعيف لمداره على إسماعيل بن رافع المدني وهو ضعيف, ومع اختلاف أسانيده عند الجميع إلا أنه لا يخلو من علة أخرى غير ما ذكرنا قال أبو موسى المديني الحديث وإن كان فيه نكارة وفي إسناده من تكلم فيه, فعامة ما يروى مفرقا في أسانيد ثابتة وانظر كلام ابن كثير الآتي:

قال ابن كثير:" ثم ذكره بطوله ثم قال هذا حديث مشهور وهو غريب جدا ولبعضه شواهد في الأحاديث المتفرقة, وفي بعض ألفاظه نكارة, تفرد به إسماعيل بن رافع قاضي أهل المدينة وقد اختلف فيه فمنهم من وثقه ومنهم من ضعفه, ونص على نكارة حديثه غير واحد من الأئمة كأحمد بن حنبل وأبي حاتم الرازي وعمرو بن علي الفلاس, ومنهم من قال فيه هو متروك وقال ابن عدي أحاديثه كلها فيها نظر إلا أنه يكتب حديثه في جملة الضعفاء قال رحمه الله تعالى قلت وقد اختلف عليه في إسناد هذا الحديث على وجوه كثيرة قد أفردتها في جزء على حدة, وأما سياقه فغريب جدا ويقال إنه جمعه من أحاديث كثيرة وجعله سياقا واحدا فأنكر عليه بسبب ذلك وسمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول إنه رأى للوليد بن مسلم مصنفا قد جمعه كالشواهد لبعض مفردات هذا الحديث, فالله أعلم. [تفسير ابن كثير ٢/ ١٥٤]. انتهى كلامه رحمه الله تعالى.

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٨١/٢٤.

(٤) انظر: معاني القرآن: ١/ ٢٧٠.

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٨٠/٢٤.

(٦)معاني القرآن: ١/ ٢٧٠.

(٧) تفسير الطبري: ١٨٠/٢٤.

(٨) نقلا عن: تفسير الثعلبي: ١/ ٣١٠ - ٣١١.

(٩) أخرجه الطبري: ١٨١/٢٤.

(١٠) بلا نسبة في: النكت والعيون: ١٩١/٦، وورد عجز البيت بلا نسبة في تفسير الراغب الأصفهاني: ٣٢٩/٤.

(١١) النكت والعيون: ١٩١/٦.

(١٢) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(٣٢٧):ص١٥٨/٢.

(١٣) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٠/١٠.

عن أبي هريرة، قال: " إن الله يحشر الخلق كلهم، كل دابة وطائر وإنسان، يقول للبهائم والطير: كونوا ترابًا، فعند ذلك يقول الكافر: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}"[٢].

عن أبي هريرة في قوله تعالى {إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ} [الأنعام: ٣٨] , قال: «يحشر الله الخلق كلهم يوم القيامة البهائم , والدواب , والطير, وكل شيء , فيبلغ من عدل الله يومئذ أن الله يأخذ للجماء من القرناء» قال: " ثم يقول: كوني ترابا " قال:" فلذلك يقول الكافر: {يَا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا} [النبأ: ٤٠]"[٣].

قال أبو هريرة :" ما من دابة في الأرض، ولا طائر يطير بجناحيه إلا سيحشر يوم القيامة، ثم يقتص لبعضها من بعض حتى يقتص للجماء من ذات القرن. ثم يقول لها: كوني ترابا. فعند ذلك يقول الكافر: {لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا}. وإن شئتم فاقرءوا: {وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ} [الأنعام : ٣٨] "[٤].

عن محمد بن كعب القُرظيِّ، عن رجل من الأنصار، عن أبي هريرة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "يَقْضِي اللهُ بَينَ خَلْقِهِ الجِنِّ والإنْسِ والبَهائم، وإنَّه لَيَقِيدُ يَوْمَئِذٍ الجَمَّاءَ مِنَ القَرْناءِ، حتى إذَا لَمْ يَبْقَ تَبِعَةٌ عِنْدَ وَاحِدَةٍ لأخْرَى، قالَ اللهُ: كُونُوا تُرَابًا، فَعِنْدَ ذلكَ يَقُولُ الكافِرُ: يا لَيْتَنِي كُنْتُ تُرَابًا"[٥].

عن عبد الله بن عمرو، قال: " إذا كان يوم القيامة، مُدّ الأديم، وحُشِر الدوابّ والبهائم والوحش، ثم يحصل القصاص بين الدوابّ، يقتصّ للشاة الجمَّاء من الشاة القرناء نطحتها، فإذا فرغ من القصاص بين الدوابّ، قال لها: كوني ترابا، قال: فعند ذلك يقول الكافر: يا ليتني كنت ترابًا"[٦].

وقال أبو هريرة: "فيقول التراب للكافر: لا ولا كرامة لك من جعلك مثلي"[٧].

فوائد الآيات: [٣١-٤٠]:

١- بيان كرامة المتقين وفضل التقوى.

٢- وصف جميل لنعيم الجنة.

٣- ذم الكذب واللغو وأهلهما.

٤- بيان شدة الموقف وصعوبة المقام فيه.

٥- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٦- الترغيب في العمل الصالح واجتناب العمل السيء الفاسد.

«آخر تفسير سورة (النبأ)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٠/١٠.

(٢) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٤، وعبدالرزاق في "التفسير"(٣٤٧٣):ص٣٨٦/٣.

(٣) تفسير عبدالرزاق(٧٨٦):ص٤٦/٢.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم(٧٢٦٢):ص١٢٨٦/٤.

(٥) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٤-١٨١.

(٦) أخرجه الطبري: ١٨٠/٢٤.

(٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢١/١٠. وذكر النقاش فِي تَفْسِيره عَن الْحسن بن وَاقد-كما في تفسير السمعاني: ١٤٣/٦-: قال:" إن الْكَافِر يَقُول: يَا لَيْتَنِي كنت خنزيرا فأصير تُرَابا، فَيَقُول التُّرَاب لَهُ: لَا وَلَا كَرَامَة لَك - يَعْنِي لَا يكون مثلي". قال السمعاني:" وَحكى مثل هَذَا عَن السّديّ أَيْضا".

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «النازعات»

«سورة النازعات» هي السورة التاسعة والسبعون بحسب الرسم القرآني، نزلت بعد سورة «النبأ»، آياتها ست وأربعون في عد الكوفة، وخمس عند الباقين. وكلماتها مائة وتسع وسبعون. وحروفها سبعمائة وثلاث وخمسون. المختلف فيها اثنتان: {وَلِأَنْعَامِكُمْ} [النازعات : ٣٣]، {طَغَى} [النازعات : ٣٧]. فواصل آياتها: «هم»، على الميم آية واحدة: وَلِأَنْعَامِكُمْ} [النازعات : ٣٣][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة النازعات»:**

سميت في المصاحف وأكثر التفاسير «سورة النازعات» بإضافة سورة إلى النازعات بدون واو، وجعل لفظ «النازعات» علما عليها لأنه لم يذكر في غيرها. وعنونت في كتاب التفسير في «صحيح البخاري»[٢]، وفي كثير من كتب المفسرين بسورة «والنازعات» بإثبات الواو على حكاية أول ألفاظها[٣].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة الساهرة»:**

ذكر سعد الله الشهير بسعدي[٤] والخفاجي[٥]: إنها تسمى «سورة الساهرة»، وورد هذا الاسم عند السخاوي في "جمال القراء"[٦] –أيضا- والشوكاني في تفسيره[٧]، والألوسي في تفسيره[٨]،والقاسمي في تفسيره[٩]، وهذه التسمية لوقوع لفظ «الساهرة» في أثنائها، قال تعالى: {فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النازعات : ١٤]،وهذا اللفظ لم يقع في غيرها من السور.

- **الاسم الثاني: «سورة الطامة»:**

وذكر سعدي والخفاجي-أيضا-: إنها تسمى: «سورة الطامة»، وسماه بذلك السخاوي[١٠]، والألوسي في تفسيره[١١]، والقاسمي في تفسيره[١٢]، ووجه تسميتها بذلك لوقوع لفظ «الطامة» فيها، ولم يقع في غيرها، قال تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} [النازعات : ٣٤].

- **الاسم الثالث: «سورة المدبرات»:**

قال ابن عاشور:" "ورأيت في مصحف مكتوب بخط تونسي عنون اسمها «سورة فالمدبرات» وهو غريب، لوقوع لفظ المدبرات فيها ولم يقع في غيرها"[١٣].

وهذه الأسماء الثلاثة اجتهاد المفسرين ولم تثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم-، في خبر صحيح، كما لم يرد عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- أثر في تسميتها.

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٩/١.
(٢) انظر: صحيح البخاري: ٣٨٩/٦.
(٣) انظر: التحرير والتنوير: ٥٩/٣٠.
(٤) نقلا عن: التحرير والتنوير:٥٩/٣٠.
(٥) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسِيرِ البَيضَاوِي: ٣١١/٨، و التحرير والتنوير: ٥٩/٣٠.
(٦) انظر: جمال القراء: ٩٢.
(٧) انظر: فتح القدير: ٤٤٩/٥.
(٨) انظر: روح المعاني: ٢٢٣/١٥.
(٩) انظر: محاسن التأويل: ٣٩٥/٩.
(١٠) انظر: جمال القراء: ٩٢.
(١١) انظر: روح المعاني: ٢٢٣/١٥.
(١٢) انظر: محاسن التأويل: ٣٩٥/٩.
(١٣) التحرير والتنوير: ٥٩/٣٠.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: "نزلت «سورة النازعات»، بمكة"[١]. وروي عن عبد الله بن الزبير مثله[٢].

قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع من المتأولين"[٣].

قال ابن الجوزي:" مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ووجه اتصالها بما قبلها أنه هناك أنذر بالعذاب يوم القيامة- وهنا أقسم على أن البعث حق لا ريب فيه[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تتمثل مقاصد سورة النازعات الإجمالية في بيان أواخر أمر الإنسان بالإقسام على بعث الأنام، ووقوع القيام يوم الزحام وزلل الأقدام، بعد البيان التام فيما مضى من هذه السور العظام، تنبيها على أنه وصل الأمر في الظهور إلى مقام ليس بعده مقام، وصور ذلك بنزع الأرواح بأيدي الملائكة الكرام، ثم أمر فرعون اللعين وموسى عليه السلام، واسمها «النازعات» واضح في ذلك المرام، إذا تؤمل القسم وجوابه المعلوم للأئمة الأعلام، وكذا «الساهرة» و«الطامة» إذا تؤمل السياق، وحصل التدبير في تقرير الوفاق.

يمكن تفصيل مقاصد سورة النازعات بحسب ترتيبها على النحو التالي:

١- تبدأ سورة النازعات في مطلع مخيف، يرهب به الله تعالى الكافرين ويصور الأهوال التي ستحدث يوم القيامة، ويصف شدة تلك الأهوال التي سيعاني منها المجرمون والكافرون، قال تعالى: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧) قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)} [النازعات : ٦ - ٩].

٢- تعرض آيات سورة النازعات النهاية المخزية والمؤسفة التي ستلحق بالكافرين عندما تعرض إحدى الجوانب من قصة موسى -عليه السلام- وفرعون، قال تعالى: {هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩) فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢)} [النازعات : ١٥ - ٢٢] ، وقد بينت الآيات كيف جعل الله منهم عظة وعبرة لكل العالمين.

٣- ومن مقاصد سورة النازعات تصوير هذا الكون الهائل بما فيه من مخلوقات أبدع الله تعالى صنعها، وجعلها دلائل على قدرته، وعلامات على عظيم خلقه، قال تعالى: {أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠)} [النازعات : ٢٧ - ٣٠].

٤- تتناول الآيات بعد ذلك الحديث عن مجيء يوم القيامة العظيم الذي سيجزى فيه كل إنسان بما عمل، قال تعالى: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩) وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)} [النازعات : ٣٧ - ٤١].

٥- وفي النهاية تشير إلى ميعاد الساعة التي كان المشركون يلحون في السؤال عن موعدها، قال تعالى: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات :

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٤٠٣/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي.

(٢) انظر: الدر المنثور: ٤٠٣/٨، وعزاه ابن مردويه.

(٣) المحرر الوجيز: ٤٣٠/٥.

(٤) زاد المسير: ٣٩٣/٤.

(٥) انظر: تفسير المراغي: ٣/٣٠.

٤٦] ، فيؤكد الله أن علمها عند الله وحده وعندما يأتي موعدها سيذهل الكافرون بقدومها على حين غرة.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: القسم بنفخة الصور، وكيفية البعث والنشور، وإرسال موسى إلى فرعون، والمنة بخلق السماء والأرض، وتحقيق هول القيامة، وبيان حال من آثر الدنيا، والخبر من حال أهل الخوف، واستعجال الكافرين بالقيامة، وتعجبهم منها في حال البعث في قوله: {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا } [النازعات : ٤٦] إلى آخرها"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

السورة محكمة ليس فيها ناسخ ولا منسوخ[٢].

- **فضائل السورة:**

- عن ابن عباس، قال: إذا عسر على المرأة ولدها، فيكتب هاتين الآيتين والكلمات في صحفة ثم تغسل فتسقى منها: «بِسْمِ اللَّهِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَلِيمُ الْكَرِيمُ، سُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ» {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات: ٤٦]، {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ، بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ} [الأحقاف: ٣٥]"[٣].
- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: « من قرأ سورة النازعات كان حبسه في القبر وفي يوم القيامة حتى يدخل الجنة قدر صلاة مكتوبة»[٤].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٩/١.

(٢) انظر: الناسخ والمنسوخ لهبة الله: ١٩٣، وبصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٤٩٩/١.

(٣) مصنف ابن أبي شيبة(٢٣٥٠٨):ص٣٩/٥، وعمل اليوم والليلة لابن السني(٦١٩):ص٥٧٦. باختلاف في الألفاظ.

(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ٦٢/١٣، وانظر: فضائل القرآن للمستغفري(١٢٤٦):ص٧٨٨/٢.[موضوع]

القرآن

{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢) وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤) فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا (٥) يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧)} [النازعات : ١-٧]

التفسير:

أقسم الله تعالى بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعا شديدا، والملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين بنشاط ورفق، والملائكة التي تَسْبَح في نزولها من السماء وصعودها إليها، فالملائكة التي تسبق وتسارع إلى تنفيذ أمر الله، فالملائكة المنفذات أمر ربها فيما أوكل إليها تدبيره من شؤون الكون -ولا يجوز للمخلوق أن يقسم بغير خالقه، فإن فعل فقد أشرك- لتُبعثَنَّ الخلائق وتُحَاسَب، يوم تضطرب الأرض بالنفخة الأولى نفخة الإماتة، تتبعها نفخة أخرى للإحياء.

قوله تعالى:{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} [النازعات : ١]، أي:" أُقسمُ بالملائكة التي تنزع أرواح الكفار نزعاً بالغاً أقصى الغاية في الشدة والعسر"[١].

أقسم ربنا جلّ جلاله بـ«النازعات»، واختلف أهل التفسير فيها على أقوال:

أحدها : أنها الملائكة تَنْزِعُ أرْواح الكفَّار، قاله علي بن أبي طالب[٢]، وابن مسعود[٣]، وابن عباس[٤]، وسعيد بن جبير[٥]، والربيع بن أنس[٦].

قال علي-رضي الله عنه-:"هي الملائكة تنزع أرواح الكافر والكفرة"[٧].

قال ابن مسعود:" الملائكة الذين يلون أنفس الكفار"[٨].

قال ابن مسعود: "يريد أنفس الكفّار ينزعها ملك الموت من أجسادهم من تحت كلّ شعرة ومن تحت الأظافير وأصول القدمين ثم يفرّقها ويردّدها في جسده بعد ما تنزع حتى إذا كادت تخرج ردّها في جسده فهذا عمله بالكفار"[٩].

قال ابن عباس:" هي أنفس الكفار، تنزع ثم تنشط ثم تغرق في النار"[١٠].

قال سعيد:" نزعت أرواحهم، ثم غرقت، ثم قذف بها في النار"[١١].

عن الربيع بن أنس في قوله :"{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)} [النازعات : ١ - ٢]، قال: هاتان الآيتان للكفار، عند نزع النفس تنشط نشطا عنيفا مثل سفود في صوف فكان خروجه شديدا، {وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)} [النازعات : ٣ - ٤]، قال: هاتان للمؤمنين"[١٢].

قال مقاتل:" فهو ملك الموت وحده، ينزع روح الكافر حتى إذا بلغ ترقوته غرقه في حلقه، فيعذبه في حياته قبل أن يميته، ثم ينشطها من حلقه كما ينشط السفود الكثير الشعث من الصوف فينشط روح الكافر من قدمه إلى حلقه مثل الصوف المبلول"[١٣].

وروى عطية عن ابن عباس، قوله: "{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا}، قال: تنزع الأنفس"[١]، أي: أنفس بني آدم. وهو قول ابن مسعود-في إحدى الروايات-[٢]، وبه قال مسروق[٣].

---

(١) صفوة التفاسير: ٤٨٨/٣.
(٢) انظر: الكشف والبيان: ١٢٢/١٠، وزاد المسير: ٣٩٣/٤.
(٣) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٥):ص٣٣٩٧/١٠.
(٤) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٠):ص٣٣٩٧/١٠.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.
(٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٣):ص٣٣٩٧/١٠.
(٧) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٢/١٠.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٥):ص٣٣٩٧/١٠.
(٩) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٢/١٠.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٠):ص٣٣٩٧/١٠.
(١١) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٤.
(١٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٣):ص٣٣٩٧/١٠.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٣/٤.

روي عن عبد الله، ومسروق:"{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا}، قال: الملائكة"[٤].

وروي أبو صالح، عن ابن عباس، في {النازعات}، قال: حين تنزع نفسه"[٥].

قال ابن كثير: قال ابن مسعود وابن عباس، ومسروق، وسعيد بن جبير، وأبو صالح، وأبو الضحى، والسُّدي :{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا} الملائكة، يعنون حين تنزع أرواح بني آدم، فمنهم من تأخذ روحه بعُنف فَتُغرق في نزعها، ومنهم من تأخذ روحه بسهولة وكأنما حَلَّته من نشاط، وهو قوله :{وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا} قاله ابن عباس"[٦].

الثاني : أنه الموت ينزع النفوس ، قاله مجاهد[٧].

الثالث : أنها النفس حين تُنْزَعُ، قاله السدي[٨].

قال السدي:" النفس حين تَغرق في الصدر"[٩].

قيل: "يرى الكافر نفسه في وقت النزع كأنه يغرق"[١٠].

الرابع : أنها النجوم تَنْزع من أُفُق إلى أُفُق تطلع ثم تغيب، قاله الحسن[١١]، وقتادة[١٢]، وأبو عبيدة[١٣]، والأخفش[١٤]، وابن كيسان[١٥].

الخامس : أنها القِسِيّ تَنْزع بالسَّهم، قاله عطاء[١٦]، وعكرمة[١٧].

السادس : هي الوحش تنزع من الكلأ وتنفر ، حكاه يحيى بن سلام[١٨].

السابع: أنها الغزاة، الرماة، حكاه الثّعلبيّ[١٩].

قال الثعلبي:" والنازعات إغراقا كما يغرق النازع في القوس إذا بلغ بها غاية المد الذي عند النصل الملفوف عليه، ويقال لقشرة البيضة الداخلة غرقي، وأراد بالإغراق المبالغة في النزع وهو سابغ في جميع وجوه تأويلها"[٢٠].

قال ابن كثير:" والصحيح [القول] الأول، وعليه الأكثرون"[٢١].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله تعالى ذكره أقسم بالنازعات غرقا، ولم يخصص نازعة دون نازعة، فكلّ نازعة غرقا، فداخلة في قسمه، ملكا

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤، وزاد المسير: ٣٩٣/٤.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤، وزاد المسير: ٣٩٣/٤. روي مسلم عن مسروق:" أنه كان يقول في {النازعات}: هي الملائكة".

(٤) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٤.

(٥) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٤.

(٦) تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.

(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ١٨٥/٢٤، وابن أبي حاتم(١٩١١٤):ص٣٣٩٧/١٠.

(١٠) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٢/١٠.

(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(١٣) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٤/٢.

(١٤) انظر: الكشف والبيان: ١٢٢/١٠، وزاد المسير: ٣٩٣/٤.

(١٥) انظر: الكشف والبيان: ١٢٢/١٠، وزاد المسير: ٣٩٣/٤.

(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٨٥/٢٤.

(١٧) انظر: الكشف والبيان: ١٢٢/١٠، وزاد المسير: ٣٩٣/٤.

(١٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٢/٦.

(١٩) انظر: الكشف والبيان: ١٢٢/١٠، وزاد المسير: ٣٩٣/٤.

(٢٠) الكشف والبيان: ١٢٢/١٠.

(٢١) تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.

كان أو موتا، أو نجما، أو قوسا، أو غير ذلك. والمعنى: والنازعات إغراقا كما يغرق النازع في القوس"[١].

قوله تعالى:{وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا} [النازعات : ٢]، أي:" وأُقسمُ بالملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين بنشاط ورفق"[٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا} [النازعات : ٢]، وجوه:

أحدها : أنها الملائكة تنشط أرواح المؤمنين بسرعة كنشط العقال من البعير إذا حُلّ عنه، قاله ابن عباس-في إحدى الروايات-[٣].

قال الثعلبي:" وذلك أنه ليس من مؤمن يحضره الموت إلّا عرضت عليه الجنّة قبل أن يموت فيرى فيها أشباها من أهله وأزواجه من الحور العين فهم يدعونه إليها، فنفسه إليهم نشيطة أن تخرج فتأتيهم"[٤].

وقال علي ابن أبي طالب: "هي الملائكة تنشط أرواح الكفار ما بين الجلد والأظفار حتى تخرجها من أجوافها بالكرب والغمّ"[٥]. وبه قال مقاتل[٦].

وقال مقاتل:" فهو ملك الموت فيخرج نفسه من حلقه ومعها العروق كالغريق من الماء"[٧].

الثاني : النجوم التي تنشط من مطالعها إلى مغاربها، قاله قتادة[٨]، وهو اختيار أبي عبيدة[٩].

قال أبو عبيدة:" يقال: حمار ناشط من بلد إلى بلد، والهموم تنشط بصاحبها، وانشد قول هميام بن قحافة[١٠]:

أمْسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ المَناشِطا ... الشَّامَ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسِطا"[١١].

قال الثعلبي:" ويقال لبقر الوحش نواشط، لأنها تذهب من موضع إلى موضع"[١٢].

الثالث : هو الموت- يعني شدائده-، ينشط نفس الإنسان، قاله مجاهد[١٣]، وابن عباس[١٤]، والسدي[١٥].

---

(١) تفسير الطبري: ١٨٦/٢٤.

(٢) التفسير الميسر: ٥٨٣. [بتصرف]

(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٨٧/٢٤.

(٤) الكشف والبيان: ١٢٣/١٠.

(٥) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٣/١٠.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٣/٤.

(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٣/٤.

(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨٧/٢٤.

(٩) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٤/٢. وذكر الماوردي: ١٩٣/٦ في تفسير:{والناشِطات نَشْطاً} قولا غريبا عن أبي عبيدة، قال:" هي الوحش تنشط من بلد إلى بلد، كما أن الهموم تنشط الإنسان من بلد إلى بلد". والصواب عن أبي عبيدة ما ثبتناه في الأعلى، وإنما الماوردي نقل المثال الذي ذكره أبو عبيدة وجعله قولا مستقلا في تفسير الآية. والله أعلم.

(١٠) «همیان بن قحافة»: هو أحد بنى عوافة بن سعد بن زيد مناة بن تميم وقيل أحد بنى عامر بن عبيد بن الحارث راجز إسلامي، عاش بالدولة الأموية. انظر ترجمته في: المؤتلف والمختلف في أسماء الشعراء" للآمدي: ١٩٧، والسمط: ص ٥٧٢. والبيت في: "تهذيب اللغة" ١١/ ٣١٤ مادة: (نشط)، "لسان العرب" مادة: (نشط)، وتفسير الطبري:١٨٨/٢٤، والنكت والعيون: ٦/ ١٩٣، وزاد المسير: ٨/ ١٧٠، وتفسير القرطبي: ١٩/ ١٩٠، وروح المعاني: ٣٠/ ٢٤٠.

(١١) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٤/٢. [بتصرف]

(١٢) الكشف والبيان: ١٢٣/١٠، وانظر: زاد المسير: ٣٩٤/٤.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٨٧/٢٤.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٨٧/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١١١):ص٣٣٩٧/١٠.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٨٧/٢٤.

قال السدي:" نشطها حين تُنشط من القدمين"[١]. وفي لفظ:" الملائكة حين تنشط الروح من الأصابع والقدمين"[٢].

الرابع : هي النفس حيث نشطت بالموت ، قاله السدي[٣].

الخامس : هي الأوهاق[٤]، قاله عطاء[٥].

قال الواحدي:" وعلى هذا هي من النشط الذي هو الجذب"[٦].

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالناشطات نشطا، وهي التي تنشط من موضع إلى موضع، فتذهب إليه، ولم يخصص الله بذلك شيئا دون شيء، بل عم القسم بجميع الناشطات والملائكة تنشط من موضع إلى موضع، وكذلك الموت، وكذلك النجوم والأوهاق وبقر الوحش أيضا تَنْشُط، كما قال الطِّرمَّاح[٧]:

وَهَلْ بِحَلِيفِ الخَيْلِ مِمَّنْ عَهِدْتُه ... بِهِ غَيْرُ أَحْدانَ النَّوَاشِطِ رُوع

يعني بالنواشط: بقر الوحش، لأنها تنشط من بلدة إلى بلدة، كما قال رؤبة بن العجَّاج[٨]:

تَنَشَّطَتْهُ كُلُّ مِغْلاةِ الْوَهْق

والهموم تنشط صاحبها، كما قال هِيمان بن قحافة[٩]:

أَمْسَتْ هُمُومِي تَنْشِطُ المَناشِطا ... الشَّامَ بِي طَوْرًا وَطَوْرًا وَاسِطا

فكل ناشط فداخل فيما أقسم به إلا أن تقوم حجة يجب التسليم لها بأن المعنيّ بالقسم من ذلك بعض دون بعض"[١٠].

قوله تعالى:{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا} [النازعات : ٣]، أي:" وأُقسمُ بالملائكة التي تَسْبَح في نزولها من السماء وصعودها إليها"[١١].

وفي قوله تعالى:{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا} [النازعات : ٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : أنها الملائكة. قاله ابن مسعود[١٢]، وعلي[١٣]، ومجاهد[١٤]، وسعيد بن جُبَير[١٥]، وأبو صالح[١٦].

وحكي الماوردي عن ابن مسعود والحسن، قالا: "هي الملائكة سبحوا إلى طاعة الله من بني آدم"[١٧].

---

(١) أخرجه الطبري: ١٨٧/٢٤.

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٤):ص٣٣٩٧/١٠.

(٣) انظر: النكت والعيون: ١٩٣/٦.

(٤)الأوهاق: جمع وَهَق، وقد يسكن، وهو حبل كالطَّوَل تُشَدُّ به الإبل والخيل لئلا تَنِدّ. وأوهق الدابة أي طرح في عنقها الوهق.[النهاية في غريب الحديث والأثر: ٥/ ٢٣٣].

وقال الليث: الوَهَق: الحبل المُغار يُرمى في أنشوطة، فيؤخذ به الدابة، والإنسان. [تهذيب اللغة: ٦/ ٣٤٤ مادة: (وهق)].

(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٨٨/٢٤.

(٦) التفسير البسيط: ١٦٢/٢٣.

(٧) البيت له في: الكشف والبيان: ١٢٣/١٠، والمحيط في اللغة مادة «روع».

(٨)اللسان التاج "نشط" دون عزو وجاء في الشرح يقول: تناولته وأسرعت رجع يديها في سيرها والمغلاة: البعيد الخطو, والوهق: المباراة في السير وهو في الديوان "١٠٤".

(٩) سبق تخريجه عند شرح القول الثاني، والبيت من شواهد أبي عبيدة في مجاز القرآن٢٨٤/٢.

(١٠) تفسير الطبري: ١٨٨/٢٤.

(١١) التفسير الميسر: ٥٨٣. [بتصرف]

(١٢) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٥):ص٣٣٩٧/١٠.

(١٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.

(١٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.

(١٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.

(١٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.

(١٧) انظر: النكت والعيون: ١٩٣/٦.

وحكي ابن الجوزي عن علي-رضي الله عنه-:" أنها الملائكة تسبح بأرواح المؤمنين"[١].

قال ابن السائب: "يقبضون أرواح المؤمنين كالذي يسبح في الماء. فأحياناً ينغمس، وأحياناً يرتفع، يسلُّونها سلاً رفيقاً، ثم يَدَعُونها حتى تستريح"[٢].

قال مقاتل:" هو- ملك الموت- وحده...تقبض روح المؤمن كالسابح في الماء لا يهوله الماء"[٣].

الثاني : أنها النجوم تسبح في فلكها ، قاله قتادة[٤]، وأبو عبيدة[٥].

قال أبو عبيدة:" هي أيضا النجوم : {وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ} [الأنبياء : ٣٣][٦].

الثالث : أنها النفس حين تسبح في الجوف تتردد عن الموت. قاله السدي[٧].

الرابع : أنه الموت يسبح في نفوس ابن آدم، قاله مجاهد[٨].

روي الطبري بسنده من طريق ابن حميد عن مجاهد: "{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا}، قال: الموت، هكذا وجدته في كتابي"[٩].

الخامس: أنهم الملائكة ينزلون من السماء مسرعين، كما يقال للفرس الجواد: سابح: إذا أسرع في جريه[١٠]، ومر يتمطى[١١]، جعل نزولها من السماء كالسباحة. قاله مجاهد[١٢]، وأبو صالح[١٣]، والفراء[١٤].

روي الطبري بسنده عن مجاهد:"{وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا}، قال: «الملائكة»، وهكذا وجدت هذا أيضا في كتابي، فإن يكن ما ذكرنا عن ابن حميد صحيحا[١٥]، فإن مجاهدا كان يرى أن نزول الملائكة من السماء سبَّاحة، كما يقال للفرس الجواد: إنه لسابح إذا مرّ يُسرعُ" [١٦].

الخامس : أنها السفن تسبح في الماء ، قاله عطاء[١٧].

السادس : أنها الخيل ، حكاه ابن شجرة[١٨]، كما قال عنترة[١٩]:

والخيلُ تَعْلَمُ حينَ تَض ... بَحُ في حياضِ الموتِ ضَبْحا

---

(١) انظر: زاد المسير: ٣٩٤/٤.
(٢) نقلا عن: زاد المسير: ٣٩٤/٤.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٣/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.
(٥) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٤/٢.
(٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٤/٢.
(٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٤):ص٣٣٩٧/١٠.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.
(١٠)يقال: إنه لسابح، إذا مر يسرع.
(١١)يتمطى: يجد في السير.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.
(١٣) انظر: زاد المسير: ٣٩٤/٤.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٣٠/٣.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٣/٦.
(١٩)نُسب إلى عنترة في الصحاح واللسان (ضبح) ، النكت والعيون: ١٩٣/٦.
وروايته في شواهد الكشاف: (٣٦٤) دون عزو.
والخيل تكدح حين ...
إلخ وجزء منه في فتح القدير: (٥/ ٤٦٩)، وليس في ديوانه ولا ملحقاته.

قال الطبري:" والصواب من القول في ذلك عندي أن يقال: إن الله جلّ ثناؤه أقسم بالسابحات سبحا من خلقه، ولم يخصص من ذلك بعضا دون بعض، فذلك كل سابح، لما وصفنا قبل في النازعات"[١].

قوله تعالى:{فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا} [النازعات : ٤]، أي:" فالملائكة التي تسبق وتسارع إلى تنفيذ أمر الله"[٢].

واختلف أهل التفسير في قوله تعالى:{فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا} [النازعات : ٤]، على أقوال:

القول الأول : أنها الملائكة. ثم في معنى الكلام ثلاثة أقوال:

أحدها: أنها تسبق الشياطين بالوحي إلى الأنبياء، إذ كانت الشياطين تسترق السمع. قاله عليّ -عليه السلام-[٣]، ومسروق[٤]، وهو اختيار الفراء[٥].

والثاني: أنها تسبق بأرواح المؤمنين إلى الجنة، قاله مجاهد-في إحدى الروايات-[٦]، وأبو روق[٧]، ونحوه عن الربيع[٨]، ومقاتل[٩].

عن الربيع بن أنس في قوله :"{وَالنَّازِعَاتِ غَرْقًا (١) وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطًا (٢)} [النازعات : ١ - ٢]، قال: هاتان الآيتان للكفار، عند نزع النفس تنشط نشطا عنيفا مثل سفود في صوف فكان خروجه شديدا، {وَالسَّابِحَاتِ سَبْحًا (٣) فَالسَّابِقَاتِ سَبْقًا (٤)} [النازعات : ٣ - ٤]، قال: هاتان للمؤمنين"[١٠].

قال مقاتل:" تستبق الملائكة أرواح المؤمنين في حريرة بيضاء من حرير الجنة. يسبقون بها ملائكة الرحمة، ووجوههم مثل الشمس عليهم تاج من نور ضاحكين مستبشرين طيبين"[١١].

والثالث: سبقت بني آدم إلى الإيمان والتصديق، قاله الحسن[١٢].

القول الثاني : أنها أنفس المؤمنين تسبق الملائكة شوقاً إلى لقاء الله، فيقبضونها وقد عاينت السرور. قاله ابن مسعود[١٣].

الثالث : أنه الموت يسبق إلى النفوس ، قاله مجاهد-أيضا-[١٤].

الرابع : أنها النجوم يسبق بعضها بعضاً في السير، قاله قتادة[١٥].

الخامس : أنها الخيل السابقة في سبيل الله، قاله عطاء[١٦].

قال الطبري:" القول عندنا في هذه مثل القول في سائر الأحرف الماضية"[١٧].

قوله تعالى:{فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} [النازعات : ٥]، أي:" فالملائكة المنفذات أمر ربها فيما أوكل إليها تدبيره من شؤون الكون"[١٨].

---

(١) تفسير الطبري: ١٨٩/٢٤.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(٣) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٦، وزاد المسير: ٣٩٤/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٦.
(٥) انظر: معاني القرآن: ٢٣٠/٣.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤.
(٧) انظر: زاد المسير: ٣٩٤/٤.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٣):ص٣٣٩٧/١٠.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٣/٤.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٣):ص٣٣٩٧/١٠.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٣/٤.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٦، وزاد المسير: ٣٩٤/٤، وتفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١٣) انظر: زاد المسير: ٣٩٤/٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤، وتفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١٧) تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤.
(١٨) التفسير الميسر: ٥٨٣.

وفي تفسير قوله تعالى:{فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} [النازعات : ٥]، وجهان:
أحدهما : أنها الملائكة، قاله علي-رضي الله عنه-[١]، ومجاهد[٢]، وعطاء[٣]، وأبو صالح[٤]، والحسن[٥]، وقتادة[٦]، والربيع بن أنس[٧]، والسدي[٨]، وبه قال الطبري[٩]، وهو قول الجمهور[١٠]، فعلى هذا في تدبيرها بالأمر وجهان:
أحدهما : تدبير ما أمرت به وأرسلت فيه. وهو معنى قول علي-رضي الله عنه[١١]، والحسن[١٢]، وعطاء[١٣]، وبه قال الفراء[١٤].

قال الحسن:" تدبر الأمر من السماء إلى الأرض"[١٥].

قال عطاء: "وُكِّلتْ بأمور عَرَّفهم الله العمل بها"[١٦].

قال علي-رضي الله عنه-:"الملائكة يدبرون ذكر الرحمن وأمره"[١٧].

قال الفراء:" هي الملائكة أيضا، تنزل بالحلال والحرام فذلك تدبيرها، وهو إلى الله جل وعز، ولكن لما نزلت به سميت بذلك، كما قال عز وجل: {نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ} [الشعراء : ١٩٣]، وكما قال: {فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ} [البقرة : ٩٧]، يعني: جبريل عليه السلام نزله على قلب محمد صلى الله عليهما وسلم، والله الذي أنزله"[١٨].

الثاني : تدبير ما وكلت فيه من أمر الدنيا كالرياح والأمطار والقطر والنبات وقبض الأرواح. وهو معنى قول ابن سابط[١٩].

قال عبد الرحمن بن سابط: "يدبر أمر الدنيا أربعة، جبريل وميكائيل وملك الموت وإسرافيل، فأما جبريل فموكل بالرياح والجنود، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والنبات، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح، وأما إسرافيل فهو ينزل عليهم بالأمر"[٢٠].

قال مقاتل:" فهم الملائكة منهم الخزان الذين يكونون مع الرياح، ومع المطر، ومع الكواكب، ومع الشمس والقمر، ومع الإنس والجن، فكذلك هم، ويقال جبريل، وميكائيل، وملك الموت- عليهم السلام- الذين يدبرون أمر الله- تعالى- في عباده وبلاده، وبأمره"[٢١].

---

(١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٦):ص٣٣٩٧/١٠، وتفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(٤) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤. قال ابن كثير:٣١٣/٨:" ولم يقطع ابن جرير بالمراد في شيء من ذلك، إلا أنه حكى في {فَالْمُدَبِّرَاتِ أَمْرًا} أنها الملائكة، ولا أثبت ولا نفى".
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٦. وحكاه عن الجمهور.
(١١) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٦):ص٣٣٩٧/١٠.
(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١٣) انظر: زاد المسير: ٣٩٤/٤.
(١٤) انظر: معاني القرآن: ٢٣٠/٣.
(١٥) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣١٢/٨.
(١٦) نقلا عن: زاد المسير: ٣٩٤/٤.
(١٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٦):ص٣٣٩٧/١٠.
(١٨) معاني القرآن: ٢٣٠/٣-٢٣١.
(١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٧):ص٣٣٩٧/١٠-٣٣٩٨.
(٢٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٧):ص٣٣٩٧/١٠-٣٣٩٨.
(٢١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٤/٤.

الثاني : هي الكواكب السبعة ، حكاه خالد بن معدان عن معاذ بن جبل[١]؛ وعلى هذا في تدبيرها للأمر وجهان[٢]:
أحدهما : تدبير طلوعها وأفولها .
الثاني : تدبير ما قضاه الله فيها من تقلب الأحوال.
ومن أول السورة إلى هذا الموضع قسم أقسم الله به ، وفيه وجهان[٣]:
أحدهما : أن ذكرها بخالقها .
الثاني : أنه أقسم بها وإن كانت مخلوقة لا يجوز لمخلوق أن يقسم بها ، لأن لله تعالى أن يقسم بما شاء من خلقه .
وجواب ما عقد له القسم ثلاثة أقوال[٤]:
أحدها : أنه مضمر محذوف وتقديره: لتُبْعَثُن ثم لَتحاسبُن، فاستغنى بفحوى الكلام وفهم السامع عن إظهاره ، قاله الفراء[٥].
الثاني : أنه مظهر، وهو قوله تعالى : {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى} [النازعات : ٢٦]، قاله مقاتل[٦].
الثالث : هو قوله تعالى : {يومَ ترْجفُ الراجفةُ(٦) تَتْبعُها الرادِفةُ} [النازعات : ٦-٧]. حكاه الطبري[٧].
قوله تعالى:{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧)} [النازعات : ٦-٧]، أي:" لتُبعثَنَّ الخلائق وتُحَاسَب يوم تضطرب الأرض بالنفخة الأولى نفخة الإماتة، تتبعها نفخة أخرى للإحياء"[٨].
وفي قوله تعالى:{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ (٧)} [النازعات : ٦-٧]، وجوه من التفسير:
أحدها : أن الراجفة: القيامة ، والرادفة: البعث، قاله ابن عباس[٩].
قال ابن عباس:" يقول: تتبع الآخرة الأولى، والراجفة: النفخة الأولى، والرادفة: النفخة الآخرة"[١٠].
الثاني : أن الراجفة النفخة الأولى تميت الأحياء، والرادفة : النفخة الثانية تحيي الموتى ، قاله الحسن[١١]، وقتادة[١٢]، والضحاك[١٣].
قال ابن الجوزي:" «الراجفة» صيحة عظيمة فيها تردُّدٌ واضطراب كالرعد إذا تمحض، و«ترجف» بمعنى: تتحرَّك حركة شديدةً، {تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}، وهي: النفخة الثانية ردفت الأولى، أي: جاءت بعدها"[١٤].
قال أبو عبيدة:" كل شيء بعد شيء يردفه فهو الرادفة الصيحة الثانية"[١].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٦.
(٢) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٦.
(٣) انظر: النكت والعيون: ١٩٤/٦.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤، والنكت والعيون: ١٩٤/٦.
(٥) انظر: معاني القرآن: ١٣١/٣.
(٦) نقلا عن: النكت والعيون: ١٩٤/٦، وزاد المسير: ٣٩٤/٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤، والنكت والعيون: ١٩٤/٦.
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤-١٩١.
(١٠) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٩١/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩١/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤.
(١٤) زاد المسير: ٣٩٥/٤.

عن الضحاك: "قوله: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ}: النفخة الأولى، [تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ] : النفخة الأخرى"(٢).

قال الحسن:" هما النفختان: أما الأولى فتميت الأحياء، وأما الثانية فتُحيي الموتى، ثم تلا الحسن: {وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الأَرْضِ إلا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ}"(٣).

قال قتادة:" هما الصيحتان، أما الأولى فتُميت كل شيء بإذن الله، وأما الأخرى فتُحيي كل شيء بإذن الله، إن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " بَيْنَهُما أَرْبَعُونَ" قال أصحابه: والله ما زادنا على ذلك. وذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم كان يقول: " يُبْعَثُ فِي تِلْكَ الأَرْبَعِينَ مَطَرٌ يُقال لَهُ الْحَيَاةُ، حتى تَطِيبَ الأَرْضُ وتَهْتَزَّ، وتَنْبُتَ أَجْسادُ النَّاسِ نَباتَ البَقْلِ، ثُمَّ تُنْفَخُ الثَّانِيَةُ، فإِذَا هُمْ قِيامٌ يَنْظُرُونَ"(٤).

عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، وذكر الصور، فقال أبو هريرة: يا رسول الله، وما الصور؟ قال: " قَرْنٌ". قال: فكيف هو؟ قال: " قَرْنٌ عَظِيمٌ يُنْفَخُ فِيهِ ثَلاثُ نَفَخاتٍ: الأولى نَفْخَةُ الفَزَع، والثَّانِيَةُ نَفْخَةُ الصَّعْق، والثَّالِثَةُ نَفْخَةُ القِيام، فَيَفْزَعُ أَهْلُ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ إلا مَنْ شاء الله، ويأمر الله فيدِيمُها، ويطوّلها، ولا يفتر، وهي التي تقول: ما ينظر هؤلاء إلا صيحة واحدة مالها من فَوَاق فيسير الله الجبال، فتكون سَرابًا، وتُرَجّ الأرضُ بأهلها رجًّا، وهي التي يقول: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ}"(٥).

عن الطفيل بن أبيّ، عن أبيه، قال: قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: {يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ تَتْبَعُهَا الرَّادِفَةُ}، فقال: " جاءت الراجفة تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه"(٦).

قال مقاتل:" هي النفخة الأولى وإنما سميت الراجفة لأنها تميت الخلق كلهم، كقوله: {فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ} [الأعراف : ٧٨] ، يعني: الموت، من فوق سبع سموات من عند العرش فيموت الخلق كلهم. {تتبعها الرادفة}، وهي: النفخة الثانية أردفت النفخة الأولى بينهما أربعون سنة، أسمعت الخلائق وهي عند صخرة بيت المقدس، وذلك أنه ينزل إسرافيل، وترتفع أروح الكفار من تحت الأرض السفلى إلى واد يقال له برهوت وهو بحضرموت وهو كأشر واد في الأرض، وتنزل أرواح المؤمنين من فوق سبع سموات إلى واد يقال له الجابية وهو بالشام، وهو خير واد في الأرض فيأخذ هؤلاء وهؤلاء جميعها إسرافيل فيجعلهم في القرن وهو الصور فينفخ فيه، فيقول أيتها العظام البالية، وأيتها العروق المنقطعة، وأيتها اللحوم المتمزقة، اخرجوا من قبوركم لتجازوا بأعمالكم"(٧).

الثالث : أن الراجفة: الزلزلة التي ترجف الأرض والجبال، والرادفة: إذا دكّتا دكة واحدة ، قاله مجاهد(٨).

عن مجاهد : "{يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ}، قال: ترجف الأرض والجبال، وهي الزلزلة وقوله: {الرَّادِفَةُ}، قال: هو قوله: {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} {فَدُكَّتَا دَكَّةً وَاحِدَةً}"(٩).

الرابع: أن الراجفة: ترجف الأرض، والرادفة: الساعة. قاله ابن زيد(١٠).

---

(١) مجاز القرآن: ٢٨٤/٢.
(٢) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٩١/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٤.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٤/٤-٥٧٥.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ١٩٢/٢٤.
(١٠) انظر" تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤.

قال الطبري:" يوم ترجف الأرض والجبال للنفخة الأولى، تتبعها الأخرى بعدها، هي النفخة الثانية التي ردفت الأولى لبعث يوم القيامة"[١].

الخامس : أن الراجفة: أشراط الساعة والرادفة : قيامها. أفاده الماوردي[٢].

القرآن

{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ (٨) أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ (٩)} [النازعات : ٨-٩]

التفسير:

قلوب الكفار يومئذ مضطربة من شدة الخوف، أبصار أصحابها ذليلة من هول ما ترى.

قوله تعالى:{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ} [النازعات : ٨]، أي:" قلوب الكفار يومئذ مضطربة من شدة الخوف"[٣].

وفي قوله تعالى:{قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ} [النازعات : ٨]، وجهان:

أحدهما : خائفة ، قاله ابن عباس[٤]، وقتادة[٥]، وابن زيد[٦].

قال الطبري:" قلوب خَلْقٍ من خلقه يومئذ، خائفة من عظيم الهول النازل"[٧].

قال ابن الجوزي:" أي: شديدة الاضطراب لما عاينت من أهوال يوم القيامة"[٨].

الثاني : طائرة عن أماكنها، قاله الضحاك[٩].

قوله تعالى:{أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ} [النازعات : ٩]، أي:" أبصار أصحابها ذليلة من هول ما ترى"[١٠].

قال الطبري:" يقول: أبصار أصحابها ذليلة مما قد علاها من الكآبة والحزن من الخوف والرعب الذي قد نزل بهم من عظيم هول ذلك اليوم"[١١].

عن قتادة: "{أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ}، يقول: ذليلة"[١٢].

قال ابن زيد:" خاشعة للذلّ الذي قد نزل بها"[١٣].

قال مقاتل:" مما ترى من العجائب ومما ترى من أمر الآخرة"[١٤].

قال ابن الجوزي:" أي: ذليلةٌ لمعاينة النار"[١٥].

قال ابن كثير:" أي : أبصار أصحابها. وإنما أضيف إليها ؛ للملابسة، أي : ذليلة حقيرة ؛ مما عاينت من الأهوال"[١٦].

قال عطاء: وهذه أبصار من لم يمت على الإسلام"[١٧]. قال ابن الجوزي:" ويدل على هذا أنه ذَكَرَ منكري البعث، فقال عزّ وجلّ: {يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحافِرَةِ}"[١٨].

---

(١) تفسير الطبري: ١٩٠/٢٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤.
(٧) تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤.
(٨) زاد المسير: ٣٩٥/٤.
(٩) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١١) تفسير الطبري: ١٩٢/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٩٣/٢٤.
(١٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٥/٤.
(١٥) زاد المسير: ٣٩٥/٤.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.
(١٧) نقلا عن: زاد المسير: ٣٩٥/٤.
(١٨) زاد المسير: ٣٩٥/٤.

القرآن

{يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ (١٠) أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً (١١) قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ (١٢)} [النازعات : ١٠-١٢]

التفسير:

يقول هؤلاء المكذبون بالبعث: أنُرَدُّ بعد موتنا إلى ما كنا عليه أحياء في الأرض؟ أنردُّ وقد صرنا عظامًا بالية؟ قالوا: رجعتنا تلك ستكون إذًا خائبة كاذبة.

قوله تعالى:{يَقُولُونَ أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ} [النازعات : ١٠]، أي:" يقول هؤلاء المكذبون بالبعث: أنُرَدُّ بعد موتنا إلى ما كنا عليه أحياء في الأرض؟"[١].

قال الطبري:" يقول هؤلاء المكذّبون بالبعث من مشركي قريش إذا قيل لهم: إنكم مبعوثون من بعد الموت: أئنا لمردودون إلى حالنا الأولى قبل الممات، فراجعون أحياء كما كنا قبل هلاكنا، وقبل مماتنا، وهو من قولهم: رجع فلان على حافرته: إذا رجع من حيث جاء"[٢].

قرأ ابن عامر وأهل الكوفة: «أإنا» بهمزتين مخففتين على الاستفهام، وقرأ الباقون بتخفيف الأولى وتليين الثانية، وفصل بينهما بألف[٣].

واختلف في تفسير قوله تعالى {الْحَافِرَةِ} [النازعات : ١٠]، على وجوه:

أحدها : أن الحافرة: الحياة بعد الموت ، قاله ابن عباس[٤]، وسعيد بن جبير[٥]، وعكرمة[٦]، وقتادة[٧]، وأبو مالك[٨]، والسدي[٩]، ومحمد بن كعب[١٠]، وعطية[١١].

قال ابن عباس:" يقول: أئنا لنحيا بعد موتنا، ونبعث من مكاننا هذا"[١٢].

قال مقاتل:" يقولون: أإنا لراجعون على أقدامنا إلى الحياة بعد الموت، وهذا قول كفار مكة"[١٣].

الثاني : أنها الأرض المحفورة التي حُفرت فيها قبورهم، قاله مجاهد[١٤]، وابن عيسى[١٥].

عن مجاهد: {الْحَافِرَةِ}، قال: الأرض: نبعث خلقا جديدا، قال: البعث"[١٦].

قال الفراء:" وقال بعضهم: الحافرة الأرض التي تحفر فيها قبورهم فسماها: الحافرة. والمعنى: المحفورة. كما قيل: ماء دافق، يريد: مدفوق"[١٧].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(٢) تفسير الطبري: ١٩٣/٢٤-١٩٤.
(٣) انظر: زاد المسير: ٣٩٥/٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٤.
(٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.
(٧) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.
(٨) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٤.
(١١) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.
(١٢) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٤.
(١٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٥/٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٤-١٩٥.
(١٥) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٤-١٩٥.
(١٧) معاني القرآن: ٢٣٢/٣.

قال ابن كثير:" يعني : مشركي قريش ومن قال بقولهم في إنكار المعاد، يستبعدون وقوعَ البعث بعد المصير إلى الحافرة، وهي القبور، قاله مجاهد. وبعد تمزق أجسادهم وتفتت عظامهم ونخورها "[١].

الثالث : أنها النار ، قاله ابن زيد[٢].

عن ابن وهب، قال: "سمعت ابن زيد يقول في قول الله: {أَئِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ} قال: الحافرة: النار، وقرأ قول الله: {تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ}، قال: ما أكثر أسماءها، هي النار، وهي الجحيم، وهي سَقَرُ، وهي جهنم، وهي الهاوية، وهي الحافرة، وهي لَظَى، وهي الحُطَمة"[٣].

الرابع : أنها الرجوع إلى الحالة الأولى تَكذيباً بالبعث، من قولهم: رجع فلان على قومه، إذا رجع من حيث جاء ، قاله قتادة[٤]، ذكره الفراء[٥]، وبه قال أبي عبيدة[٦]، قال الشاعر[٧]:

أحافرةً على صَلَعٍ وشَيْبِ ... معَاذَ اللهِ مِنْ سَفَهٍ وعَارِ

قال قتادة:" أئنا لمبعوثون خلقا جديدا"[٨].

قال قتادة:" أي مردودون خَلقا جديدا"[٩].

قال أبو عبيدة: أي:" من حيث جئنا، كما قال: رجع فلان في حافرته من حيث جاء وعلى حافرته من حيث جاء"[١٠].

قال الفراء:" يقال: إلى أمرنا الأول إلى الحياة، والعرب تقول: أتيت فلانا ثم رجعت على حافرتي، أي رجعت إلى حيث جئت. ومن ذلك قول العرب: النقد عند الحافرة[١١]. معناه: إذا قال: قد بعتك رجعت عليه بالثمن، وهما في المعنى واحد. وبعضهم: النقد عند الحافر. قال: وسألت عنه بعض العرب، فقال: النقد عند الحافر، يريد: عند حافر الفرس، وكأن هذا المثل جرى في الخيل"[١٢].

قوله تعالى:{أَإِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً} [النازعات : ١١]، أي:" أنردُّ وقد صرنا عظامًا بالية؟"[١٣].

وفي قوله تعالى:{عِظَامًا نَخِرَةً} [النازعات : ١١]، وجوه:

أحدها : النخرة: الفانية البالية، قاله ابن عباس[١٤]، ومجاهد[١٥]، وقتادة[١]، والسدي[٢].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.

(٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٥/٢٤.

(٣) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢٤.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٤/٢٤.

(٥) انظر: معاني القرآن: ٢٣٢/٣.

(٦) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٤/٢.

(٧)ورد البيت غير منسوب في "إصلاح المنطق" لابن السكيت: ٢٩٥.
وانظر مادة: (حفر) في "تهذيب اللغة" ٥/ ١٨، "الصحاح" ٢/ ٦٣٥، "لسان العرب" ٢/ ٢٠٥، وفي "جامع البيان" ٣٠/ ٣٣، "الكشف والبيان" ج ١٣: ٣٦/ أ، "النكت والعيون" ٦/ ١٩٥ برواية: معاذ الله من جهل وطيش، "زاد المسير" ٨/ ١٧٣، "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ١٩٥.

(٨) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٤.

(٩) أخرجه الطبري: ١٩٤/٢٤.

(١٠) مجاز القرآن: ٢٨٤/٢.

(١١)قيل: كانوا لنفاسة الفرس عندهم، ونفاستهم بها- لا يبيعونها إلا، بالنقد، فقالوا: النقد عند الحافر، أي عند بيع ذات الحافر، ومن قال: عند الحافرة ... فاعلة من الحفر لأن الفرس بشدة دوسها تحفر الأرض (انظر اللسان مادة حفر، والأمثال للميدانى: ٢: ٢٦٤).

(١٢) معاني القرآن: ٢٣٢/٣.

(١٣) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٥/٢٤.

(١٥) انظر: تفسير مجاهد: ٧٠٢، وتفسير الطبري: ١٩٥/٢٤.

عن قتادة: "{أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا}: تكذيبا بالبعث. {نَاخِرَةً}: بالية"[٣].
عن مجاهد: "{عِظَامًا نَخِرَةً}، قال: يعني: عظاما مرفوتة"[٤].
قال أبو عبيدة: " ناخرة ونخرة: سواء، عظم نخر بال"[٥].
قال الفراء:" "وقد فرق بعض المفسرين بينهما، فقال: «النخرة»: البالية، و«الناخرة»: العظم المجوف الذي تمر فيه الريح فينخر"[٦].
الثاني : عفنة ، قاله ابن شجرة[٧].
الثالث : خالية مجوفة تدخلها الرياح فتنخر، أي: تصوّت، قاله مجاهد-أيضا-[٨]، وعطاء[٩]، والكلبي[١٠].
قرأ الجمهور من أهل المدينة ومكة والشام والبصرة «نخرة» واختارها أبو عبيد لأن الآثار التي تذكر فيها العظام ... وقرأ أبو عمرو وابنه عبد الله وابن عباس وابن مسعود وابن الزبير وحمزة والكسائي وأبو بكر «ناخرة» بألف واختارها الفراء[١١]، والطبري[١٢]، ومن قرأ «ناخرة»، فإن الناخرة البالية ، و«النخرة» التي تنخر الريح فيها[١٣].
عن ابن عباس:" أنه قرأ: «ناخرة»"[١٤].
عن مجاهد، قال: سمعت ابن الزبير، يقول على المنبر: ما بال صبيان يقرءون:«نخرة»، وإنما هي «ناخرة»"[١٥].
قوله تعالى:{قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ} [النازعات : ١٢]، أي:" قالوا: رجعتنا تلك ستكون إذًا خائبة كاذبة"[١٦].
قال الطبري:" قالوا: تلك: يعنون تلك الرجعة أحياء بعد الممات، إذًا: يعنون الآن، كرّة: يعنون رجعة، خاسرة: يعنون غابنة"[١٧].
وفي تفسير قوله تعالى:{قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ} [النازعات : ١٢]، وجهان:
أحدهما : باطلة لا يجيء منها شيء ، كالخسران ، وليست كاسبة ، قاله يحيى بن سلام[١٨].
الثاني : قالت قريش : لئن أحيانا الله بعد أن نموت لنخسرنّ، قاله قتادة[١٩]، وابن زيد[٢٠]، ومحمد بن كعب[١]، ومقاتل[٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٥/٢٤.
(٢) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.
(٣) أخرجه الطبري: ١٩٥/٢٤.
(٤) تفسير مجاهد: ٧٠٢، وأخرجه الطبري: ١٩٥/٢٤، [باختصار]. فتاتا، ما تناثر من كلّ شيء. وقيل: الرفات: الشيء المتكسر.[انظر: الغريبين ٣/ ٧٢٩، والخازن ٣/ ١٣٢، واللباب ١٢/ ٣٠٤، والكليات ٤٦٥]
(٥) مجاز القرآن: ٢٨٤/٢.
(٦) معاني القرآن: ٢٣٢/٣.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.
(٨) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٨):ص٣٣٩٨/١٠.
(٩) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٩٥/٦.
(١١) انظر: معاني القرآن: ٢٣١/٣.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٥/٢٤.
(١٣) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٣٢/٣.
(١٤) أخرجه الفراء في "معاني القرآن": ٢٣١/٣.
(١٥) أخرجه الفراء في "معاني القرآن": ٢٣١/٣.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١٧) تفسير الطبري: ١٩٥/٢٤-١٩٦.
(١٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٦/٦.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢٤.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢٤.

عن قتادة: "{إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ}، أي: رجعة خاسرة"[٣].

قال ابن جريج:" لَئِن خُلقنا خَلْقًا جديدًا لنَرْجِعنّ إلى الخُسران"[٤].

قال ابن زيد:" وأيّ كرّة أخسر منها، أُحيوا ثم صاروا إلى النار، فكانت كرّة سوء"[٥].

عن محمد بن كعب القُرَظيّ، في قوله: {أَإِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الحافِرَةِ أَإِذا كُنّا عِظامًا نَخِرَةً}، قال: "لما نزلت هذه الآية، قال كفار قريش: لئن حَيينا بعد الموت لنَخْسَرن. فنزلت: {تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خاسِرَةٌ}"[٦].

القرآن

{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ (١٣) فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ (١٤)} [النازعات : ١٣-١٤]

التفسير:

فإنما هي نفخة واحدة، فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها.

قوله تعالى:{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} [النازعات : ١٣]، أي:" فإنما هي نفخة واحدة"[٧].

قال ابن كثير:" أي : فإنما هو أمر من الله لا مثنوية فيه ولا تأكيد، فإذا الناس قيام ينظرون، وهو أن يأمر تعالى إسرافيلَ فينفخ في الصور نفخَة البعث، فإذا الأولون والآخرون قيامٌ بين يَدَي الربّ عز وجل ينظرون، كما قال :{يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلا قَلِيلا} [الإسراء : ٥٢] وقال تعالى :{وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [القمر : ٥٠] وقال تعالى :{وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ} [النحل : ٧٧]"[٨].

وفي قوله تعالى:{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ} [النازعات : ١٣]، وجهان:

أحدهما : فإنما هي صيحة واحدة، ونَفخة تنفخ في الصور، وذلك هو الزجرة. وهذا قول مجاهد[٩]، وابن زيد"[١٠]، والربيع بن أنس[١١]، وأبي مالك[١٢]، ومقاتل[١٣]، وبه قال الطبري[١٤]. الطبري[١٤].

عن مجاهد: "{زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ}، قال: صيحة"[١٥].

قال ابن زيد:" الزجرة: النفخة في الصور"[١٦].

قال مقاتل:"يقول: فإنما هي صيحة واحدة من إسرافيل- عليه السلام- فيسمعونها وهم في بطن الأرض أمواتا لا يثنيها[١٧].

---

(١)أخرجه سعيد بن منصور ٨/ ٥٢٥ (٢٣٨٧). وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر، وانظر: النكت والعيون: ١٩٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.

(٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٥/٤.

(٣) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٤.

(٤)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٥) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٤.

(٦)أخرجه سعيد بن منصور ٨/ ٥٢٥ (٢٣٨٧). وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن المنذر، وانظر: النكت والعيون: ١٩٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٣١٣/٨.

(٧) التفسير الميسر: ٥٨٣.

(٨) تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.

(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢٤.

(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢٤.

(١١) انظر: النكت والعيون: ١٩٦/٦، وتفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.

(١٢) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.

(١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٥/٤-٥٧٦.

(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ١٩٦/٢٤.

(١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٥/٤-٥٧٦.

وقال أبو مالك، والربيع بن أنس : "زجرة واحدة : هي النفخة الآخرة"[١].
الثاني : أن الزجرة: الغضب ، وهو غضب واحد ، قاله الحسن[٢].
وقال إبراهيم التيمي : "أشد ما يكون الرب غَضَبًا على خلقه يوم يبعثهم"[٣].
قوله تعالى:{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النازعات : ١٤]، أي:" فإذا هم أحياء على وجه الأرض بعد أن كانوا في بطنها"[٤].
واختلف في تفسير قوله تعالى:{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} [النازعات : ١٤]، على وجوه:
أحدها : أنّ «السّاهرة»: وجه الأرض ، قاله ابن عباس[٥]، وأبو صالح[٦]، والحسن[٧]، وسعيد بن جبير[٨]، وعكرمة[٩]، ومجاهد[١٠]، وقتادة[١١]، والضحاك[١٢]، وابن زيد[١٣]، وسهد[١٤] بن سعد الساعدي[١٥]، وبه قال الفراء[١٦]، وأبو عبيدة[١٧]، والطبري[١٨]، وحكاه ابن الجوزي عن اللغويين[١٩]، والعرب تسمي وجه الأرض ساهرة لأن فيها نوم الحيوان وسهره، قال أمية بن أبي الصلت[٢٠]:

وفِيها لَحْمُ ساهِرَةٍ وبَحْرٍ ... وَمَا فاهُوا بِهِ لَهُمُ مُقِيمُ

ومنه قول أخي نهم يوم ذي قار لفرسه[٢١]:

أَقْدِمْ "مِحاجُ" إنها الأساورَه ... وَلا يَهُولَنَّكَ رجْلٌ نادِرَهْ
فإنَّمَا قَصْرُكَ تُرْبُ السَّاهِرَهْ ... ثُمَّ تَعُودُ بَعْدَها فِي الْحَافِرَهْ
مِنْ بَعْدِ ما كُنْتَ عِظاما ناخِرَهْ

قال الفراء:" "{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}: وهو وجه الأرض، كأنها سميت بهذا الاسم، لأن فيها الحيوان: نومهم، وسهرهم"[٢٢].

---

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.
(٢) انظر: النكت والعيون: ١٩٦/٦.
(٣) نقلا عن : تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٧/٢٤، ومعاني القرآن للفراء: ٢٣٢/٣.
(٦) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ١٩٧/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ١٩٨/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢٤.
(١٤)في المطبوع: سهد. وهو تصحيف كما سيأتي.
(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١١٩):ص٣٣٩٨/١٠.
(١٦) انظر: معاني القرآن: ٢٣٢/٣.
(١٧) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٥/٢.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ١٩٦/٢٤-١٩٧.
(١٩) انظر: زاد المسير: ٣٩٥/٤.
(٢٠) ديوانه: ٦٨. وورد منسوبا له في "معاني القرآن"، للفراء ١/ ١٢١، و"اللسان": ١/ ٢٩ (أثم)، ٦/ ٣٤٩٢ (فوه)، و"المقاصد النحوية" ٢/ ٣٤٦، و"شرح التصريح" ١/ ٢٤١، و"الدرر اللوامع" ٢/ ١٩٩.
وورد غير منسوب في: "اللسان" ٤/ ٢١٣٢ (سهر)، ٦/ ٣٤٩٢ (فوه)، و"شرح شذور الذهب" (١٢٣)، و"شرح ابن عقيل" ٢/ ١٥، و"منهج السالك" للأشموني ٢/ ١١.و(الساهرة): الأرض. و (مقيم): ثابت. انظر: "اللسان" ٤/ ٢١٣٢ (سهر).
(٢١)ديوانه: ٨٩، والمخصص ٧: ١٥٤. الطريف والطارف: المال المستحدث، خلاف التليد والتالد: وهو العتيق الذي ولد عندك.
(٢٢) معاني القرآن: ٢٣٢/٣.

عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله: "{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}، قال: على الأرض، قال: فذكر شعرا قاله أُمية بن أبي الصلت، فقال[1]:
عِنْدَنا صَيْدُ بَحْرٍ وصَيْدُ ساهِرَةٍ"[2].
عن ابن عباس : "{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}، يعني: الأرض"[3].
عن سعيد بن جُبير: "{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}، قال: بالأرض"[4].
قال الحسن:" فإذا هم على وجه الأرض"[5].
قال ابن زيد:" الساهرة: ظهر الأرض فوق ظهرها"[6].
قال أبو عبيدة:" الفلاة ووجه الأرض"[7].
قال عكرمة:" الساهرة: الأرض، أما سمعت: لهم صيد بحر، وصيد ساهرة"[8].
قال سهل[9] بن سعد الساعدي: "أرض بيضاء عفراء كالخبزة من النقي"[10].
وقال الربيع بن أنس :"{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ} ويقول الله عز وجل :{يَوْمَ تُبَدَّلُ الأَرْضُ غَيْرَ الأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ} [إبراهيم : ٤٨]، ويقول :{وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لا تَرَى فِيهَا عِوَجًا وَلا أَمْتًا} [طه : ١٠٥، ١٠٦]. وقال :{وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الأَرْضَ بَارِزَةً} [الكهف : ٤٧] : وبرزت الأرض التي عليها الجبال، وهي لا تعد من هذه الأرض، وهي أرض لم يعمل عليها خطيئة، ولم يَهرَاق عليها دم"[11].
قال مقاتل:" يقول بالأرض الأخرى، واسمها: الساهرة، يعني: الأرض الجديدة التي تبسط على هذه الأرض، فيسلها الله- عز وجل- من تحتها كما يسل الثوب الخلق البالي"[12].
عن مجاهد: "{بِالسَّاهِرَةِ}، قال: المكان المستوي"[13].
قال مجاهد : "كانوا بأسفلها فأخرجوا إلى أعلاها"[14].
قال قتادة:" لما تباعد البعث في أعين القوم قال الله: {فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}، يقول: فإذا هم بأعلى الأرض بعد ما كانوا في جوفها"[15].
قال قتادة:" فإذا هم يخرجون من قبورهم فوق الأرض والأرض، الساهرة، قال: فإذا هم يخرجون"[16].
الثاني : أنه اسم مكان من الأرض في البيت المقدس، وهو الصقع الذي بين جبل أريحا وجبل حسّان ، يمده الله تعالى كيف يشاء، قاله عثمان بن أبي العاتكة[1].

---

(١) سبق تخريجه.
(٢) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٤.
(٧) مجاز القرآن: ٢٨٥/٢.
(٨) أخرجه الطبري: ١٩٧/٢٤.
(٩) في المطبوع: سهد. وهو تصحيف. فإن سهل بن سعد بن مالك الساعدي الأنصاري "، له ولأبيه صحبة، روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعن أبي بن كعب، وعاصم بن عدي، وعمرو بن عبسة، ومروان بن الحكم، وهو دونه.
(١٠) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١١٩):ص٣٣٩٨/١٠.
(١١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.
(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦/٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٤.
(١٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.
(١٥) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ١٩٨/٢٤.

عن عثمان بن أبي العاتكة، قوله: "{فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}، قال: بالصُّقْع الذي بين جبل حسان وجبل أريحاء، يمدّه الله كيف يشاء"[٢].

الثالث: أنه أرض الشام. قاله سفيان[٣].

عن سفيان: "{فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ}، قال: أرض بالشام"[٤].

الرابع : أنها جبل إلى جنب بيت المقدس، قاله وهب بن منبه[٥].

الخامس : أنه جهنم ، رواه سعيد بن أبي عروبة عن قتادة[٦].

السادس : أنها عرضة القيام لأنها أول مواقف الجزاء ، وهم في سهر لا نوم فيه. أفاده الماوردي[٧].

قال ابن كثير:" وهذه أقوال كلها غريبة، والصحيح أنها الأرض وجهها الأعلى"[٨].

فوائد الآيات: [١-١٤]:

١-بيان أن الله تعالى يقسم بما يشاء من مخلوقاته بخلاف العبد لا يجوز له أن يقسم بغير ربه تعالى.

٢-بيان أنروح المؤمن تنزع عند الموت نزعًا سريعا لا يجد من الألم ما يجده الكافر.

٣-تقرير عقيدة البعث والجزاء بالإقسام عليها وذكر كيفية وقوعها.

القرآن

{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى (١٥) إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى (١٦) اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى (١٧) فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى (١٨) وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى (١٩)} [النازعات : ١٥ - ١٩]

التفسير:

فقال له: اذهب إلى فرعون، إنه قد أفرط في العصيان، فقل له: أتودُّ أن تطهِّر نفسك من النقائص وتحليها بالإيمان، وأُرشدك إلى طاعة ربك، فتخشاه وتتقيه؟

قوله تعالى:{هَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى} [النازعات : ١٥]، أي:" هل أتاك -أيها الرسول- خبر موسى؟"[٩].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: هل أتاك يا محمد حديث موسى بن عمران"[١٠].

قال يحيى:" أي: قد أتاك حديث موسى"[١١].

قال القشيري:" سؤال في صيغة الاستفهام والمراد منه التقرير والإثبات. وأجرى- تعالى- سنته فى كتابه أن يذكر قصة موسى عليه السلام فى أكثر المواقع التي يذكر فيها حديث نبينا صلى الله عليه وسلم، فيعقبه بذكر موسى عليه السلام"[١٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ١٩٩/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢٤.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٩٧/٦.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣١٤/٨.
(٩) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(١٠) تفسير الطبري: ١٩٩/٢٤.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٢٥٣/١.
(١٢) لطائف الإشارات:٤٤٧/٢.

قال الواحدي:" هذا استفهام تقرير بمعنى الخبر، أي: وقد أتاك، ونحو هذا قال ابن عباس: يريد وقد أتاك حديث موسى"[١].

قال ابن كثير:" أي : هل سمعت بخبره ؟"[٢].

قوله تعالى:{إِذْ نَادَاهُ رَبُّهُ بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [النازعات : ١٦]، أي:" حين ناداه ربه بالوادي المطهَّر المبارك «طوى»"[٣].

قال الطبري: يقول:" وهل سمعت خبره حين ناجاه ربه بالواد المقدّس [طُوًى]"[٤].

قال ابن كثير:" أي : كلمه نداء"[٥].

وفي تفسير قوله تعالى:{بِالْوَادِ الْمُقَدَّسِ طُوًى} [النازعات : ١٦]، قولان:

أحدهما : أنه واد بأيلة. وهو قول مبشر بن عبيد [٦].

الثاني : أنه واد بفلسطين. قاله الحسن[٧].

وفي «المقدَّس»، تفسيران:

أحدهما : المبارك ، قاله ابن عباس[٨]، ومجاهد[٩]، ويحيى بن سلام[١٠].

قال مجاهد: قُدِّس بُورك مرّتين"[١١].

الثاني : المطهر، قاله الحسن[١٢]، ومقاتل[١٣]، وبه قال الطبري[١٤]، وابن كثير[١٥].

عن عكرمة:" {بالواد المقدس}، قال: الطاهر"[١٦].

قال الطبري:" يعني بالمقدّس: المطهر المبارك"[١٧].

وفي تفسير قوله تعالى:{طُوًى} [النازعات : ١٦]، خمسة أقوال:

أحدها : أنه أسم الوادي المقدس، قاله ابن عباس[١٨]، والحسن-في رواية-[١٩]، ومجاهد-في رواية-[٢٠]، وقتادة[٢١]، وعكرمة[٢٢]، وابن زيد[٢٣].

قال ابن كثير:" {طُوًى} وهو اسم الوادي على الصحيح"[٢٤].

---

(١) التفسير الوسيط:٢٠١/٣.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٣.
(٤) تفسير الطبري: ١٩٩/٢٤.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.
(٦) انظر: النكت والعيون: ١٩٧/٦.
(٧) انظر: النكت والعيون: ١٩٧/٦.
(٨) انظر: النكت والعيون: ١٩٧/٦.
(٩) انظر: تفسير الطبري:٢٨٠/١٨.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ١٩٧/٦.
(١١) أخرجه الطبري:٢٨٠/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٢٧٩/١٨، وتفسير يحيى بن سلام:٢٥٤/١.
(١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان:٣/-٢٢-٢٣.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ١٩٩/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.
(١٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٩٥):ص٢٤١٧/٧.
(١٧) تفسير الطبري: ١٩٩/٢٤.
(١٨) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨، وتفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٩٤):ص٢٤١٧/٧.
(١٩) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٩٦):ص٢٤١٧/٧.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨، و٢٠٠/٢٤.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٠/٢٤.
(٢٢) انظر: النكت والعيون: ١٩٧/٦.
(٢٣) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨، و٢٠٠/٢٤.
(٢٤) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.

قال قتادة:" كنا نحدّث أنه قدّس مرّتين، واسم الوادي: طُوًى"[١].

قال ابن زيد:" ذاك الوادي هو طوى، حيث كان موسى، وحيث كان إليه من الله ما كان، قال: وهو نحو الطور"[٢].

الثاني : لأنه مر بالوادي فطواه ، قاله ابن عباس-أيضا-[٣].

قال ابن عباس:" يعني: الأرض المقدسة، وذلك أنه مر بواديها ليلا فطوي يقال: طويت وادي كذا وكذا، والطاوي من الليل، وارتفع إلى أعلى الوادي: وذلك نبي الله موسى عليه السلام"[٤].

الثالث : لأنه طوي بالبركة مرتين. قاله الحسن-في رواية أخرى-[٥]، ومجاهد-في رواية أخرى-[٦]، وقتادة-في رواية أخرى-[٧].

قال الحسن:" واد بفلسطين قدس مرتين"[٨].

قال مجاهد: قُدِّس بُورك مرّتين"[٩].

الرابع : سمي طوى لأن الله تعالى ناداه مرتين . و«طوى» -في كلامهم- بمعنى: مرتين ، لأن الثانية إذا أعقبتها الأولى صارت كالمطوية عليها، حكاه الطبري[١٠].

الخامس : يعني: طِإ الوادي بقدمك، قاله ابن عباس-في رواية-[١١]، وبه قال سعيد بن جبير[١٢]، ومجاهد-في رواية-[١٣]، وعكرمة[١٤]، و ابن أبي نجيح[١٥].

قال مجاهد:" طأ الأرض بقدمك"[١٦].

قال سعيد:" طأ الأرض حافيا، كما تدخل الكعبة حافيا، يقول: من بركة الواد"[١٧].

قال ابن أبي نجيح:" طأ الأرض حافيا كما تدخل الكعبة حافيا، يقول: من بركة: الوادي"[١٨].

قال عكرمة:" كي تمس راحة قدميك الأرض الطيبة"[١٩].

قال الحسن: "كانتا-يعني: نعلي موسى من بقر-، ولكن إنما أراد الله أن يباشر بقدميه بركة الأرض، وكان قد قدس مرتين"[٢٠].

قال ابن جُرَيْج: وقيل لمجاهد: زعموا أن نعليه كانتا من جلد حمار أو ميتة، قال: لا ولكنه أمر أن يباشر بقدميه بركة الأرض"[١].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٠/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري:٢٨١/١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري:٢٨٠/١٨.
(٤) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٧):ص٢٤١٨/٧.
(٥) انظر: تفسير ابن ابي حاتم(١٣٣٩٦):ص٢٤١٧/٧.
(٦) انظر: تفسير الطبري:٢٨٠/١٨.
(٧) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٣٣٩٦):ص٢٤١٧/٧.
(٩) أخرجه الطبري:٢٨٠/١٨.
(١٠) انظر: تفسير الطبري:٢٨٠/١٨-٢٨١.
(١١) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨.
(١٢) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨-٢٨٢، وتفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٩٨):ص٢٤١٨/٧.
(١٣) انظر: تفسير الطبري:٢٨٢/١٨، و ٢٠٠/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري:٢٨١/١٨.
(١٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٣٣٩٨):ص٢٤١٨/٧.
(١٦) أخرجه الطبري: ٢٠٠/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري:٢٨٢/١٨.
(١٨) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٨):ص٢٤١٨/٧.
(١٩) اخرجه ابن ابي حاتم(١٣٣٩٣):ص٢٤١٧/٧.
(٢٠) أخرجه الطبري:٢٧٩/١٨.

قال وهب:" خرج موسى نحوها، يعني نحو النار، فإذا هي في شجر من العليق، وبعض أهل الكتاب يقول في عوسجة، فلما دنا استأخرت عنه، فلما رأى استئخارها رجع عنها، وأوجس في نفسه منها خيفة; فلما أراد الرجعة، دنت منه ثم كلم من الشجرة، فلما سمع الصوت استأنس، وقال الله تبارك وتعالى :{يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالْوَادِي الْمُقَدَّسِ طُوًى}، فخلعها فألفاها"[٢].

قوله تعالى:{اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} [النازعات : ١٧]، أي:" فقال له: اذهب إلى فرعون، إنه قد أفرط في العصيان"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: نادى موسى ربُّه: أن اذهب إلى فرعون {إِنَّهُ} عتا وتجاوز حدّه في العدوان، والتكبر على ربه"[٤].

قال ابن كثير:" أي : تجبر وتمرد وعتا"[٥].

قال يحيى:" يعني: إنه كفر"[٦].

قال الواحدي: أي:" جاوز القدر في العصيان، وذلك أنه خرج في معصيته إلي فتجاوز به معاصي الناس"[٧].

عن مجاهد:" {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى}، قال: عصى"[٨].

وقال عطاء: "عصى على بني إسرائيل"[٩].

وقال الكلبي: علا، وتكبر، وكفر بالله"[١٠].

قال الماتريدي:" الطغيان: هو المجاوزة عن الحدود التي جعلت، كان فرعون قد تعدى، وجاوز الحد في كل شيء، حتى أدعى لنفسه الربوبية، حيث قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات : ٢٤]"[١١].

واختلف في كلمة: «فِرْعَوْنَ»، على وجهين [١٢]:

أحدهما: أنه اسم ذلك الملك بعينه.

والثاني: أنه لقب، يطلق على كل ملك من ملوك العمالقة[١٣]، مثل كسرى للفرس وقيصر للروم والنجاشي للحبشة، وأن اسم «فرعون» موسى: قابوس في قول أهل الكتاب.

وقيل أن اسمه: "الوليد بن مصعب بن الريان"[١٤]، ويكنى أبا مرة وهو من بني عمليق بن لاوذ بن إرم بن سام بن نوح عليه السلام[١٥].

---

(١) اخرجه الطبري:٢٧٩/١٨.

(٢)أخرجه الطبري:٢٧٨/١٨ .

(٣) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(٤) تفسير الطبري: ٢٠٠/٢٤.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.

(٦) تفسير يحيى بن سلام:٢٥٧/١.

(٧)التفسير الوسيط:٢٠٥/٣ .

(٨)أخرجه الفريابي -كما في فتح الباري ٨/ ٦٩٠ - . وعزاه السيوطي إلى عَبد بن حُمَيد، وابن جرير، وابن المنذر ، وانظر: التفسير البسيط للواحدي: ١٨٥/٢٣.

(٩) التفسير البسيط للواحدي: ١٨٦/٢٣.

(١٠) التفسير البسيط للواحدي: ١٨٦/٢٣.

(١١) تأويلات أهل السنة:٢٧٧/٧.

(١٢) انظر: تفسير القرطبي: ٣٨٣/١-٣٨٤.

(١٣) قال بعض أهل اللغة: "فرعون بلغة القبط، وهو التمساح، ويقال: تفرعن الرجل إذا تشبه بفرعون في سوء أفعاله".[التفسير البسيط: ٤٩٤/٢، وانظر: الصحاح(فرعن):٢١٧٧/٦، والكشاف: ٢٧٩/١].

(١٤) قاله ابن إسحاق، انظر: تفسير الطبري(٨٨٨):ص٣٨/٢، وتفسير الثعلبي:١٩١/١.

(١٥) انظر: تفسير القرطبي: ٣٨٣/١، والقول لوهب.

قال محمد بن إسحاق:" لم يكن منهم فرعون أعتى على الله، ولا أعظم قولا، ولا أطول عمرا في ملكه منه، وكان اسمه فيما ذكر لي: الوليد بن مصعب"[١].

وقال السهيلي : "وكل من ولى القبط ومصر فهو فرعون وكان فارسيا من أهل اصطخر[٢]".

عن الحسن، قال: "كان فرعون علجا من همذان"[٣].

قال المسعودي:"لا يعرف لفرعون تفسير بالعربية"[٤].

وقال ابن سيده: "وعندي أن «فرعون» هذا العلم أعجمي؛ ولذلك لم يصرف"[٥].

وقال الجوهري: "«فرعون»: لقب الوليد بن مصعب ملك مصر وكل عات فرعون والعتاة الفراعنة وقد تفرعن وهو ذو فرعنة أي دهاء ونكر"[٦].

و«الفرعنة»: "الكِبْر والتجبُّر، والفرعنة مصدر فرعون، ويقال: فرعون أيضًا"[٧]، وفي الحديث "أخذنا فرعون هذه الأمة"[٨]، و«فرعون» في موضع خفض إلا أنه لا ينصرف لعجمته[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٥):ص٢٩٤٤/٩.

(٢) انظر: تفسير القرطبي: ٣٨٤/١.

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٦٦٩٦):ص٢٩٤٤/٩.

(٤) نقلا عن: تفسير الطبري: ٣٩٠/١، وفتح القدير الجامع: ١٨٨/١.

(٥) انظر: تفسير القرطبي: ١: ٣٨٤.

(٦) انظر: مختار الصحاح: مادة(فرعن)، وانظر المعنى في : صحاح العربية والمحيط في اللغة، وتهذيب اللغة: مادة(فرعن).

(٧)انظر: فتح القدير: ١٨٨/١.

(٨) جاء في مسند احمد: دَثَّنَا أَسْوَدُ بْنُ عَامِرٍ، حَدَّثَنَا شَرِيكٌ، عَنْ أَبِي إِسْحَاقَ، عَنْ أَبِي عُبَيْدَةَ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: أَتَيْتُ أَبَا جَهْلٍ وَقَدْ جُرِحَ، وَقُطِعَتْ رِجْلُهُ . قَالَ: فَجَعَلْتُ أَضْرِبُهُ بِسَيْفِي، فَلَا يَعْمَلُ فِيهِ شَيْئًا (١) - قِيلَ لِشَرِيكٍ: فِي الْحَدِيثِ: وَكَانَ يَدُبُّ بِسَيْفِهِ ؟ قَالَ: نَعَمْ -، قَالَ: فَلَمْ أَزَلْ حَتَّى أَخَذْتُ سَيْفَهُ، فَضَرَبْتُهُ بِهِ، حَتَّى قَتَلْتُهُ . قَالَ: ثُمَّ أَتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْتُ: قَدْ قُتِلَ أَبُو جَهْلٍ - وَرُبَّمَا قَالَ شَرِيكٌ: قَدْ قَتَلْتُ أَبَا جَهْلٍ -،قَالَ: " أَنْتَ رَأَيْتَهُ ؟ " قُلْتُ: نَعَمْ . قَالَ: " آللَّهِ " مَرَّتَيْنِ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ (١) . قَالَ: " فَادْهَبْ حَتَّى أَنْظُرَ إِلَيْهِ " . فَذَهَبَ، فَأَتَاهُ، وَقَدْ غَيَّرَتِ الشَّمْسُ مِنْهُ شَيْئًا، فَأَمَرَ بِهِ وَبِأَصْحَابِهِ، فَسُحِبُوا حَتَّى أُلْقُوا فِي الْقَلِيبِ، قَالَ: وَأُتْبِعَ أَهْلُ الْقَلِيبِ لَعْنَةً . وَقَالَ: " كَانَ هَذَا فِرْعَوْنَ هَذِهِ الْأُمَّةِ" . إسناده ضعيف لانقطاعه، أبو عبيدة -وهو ابن عبد الله بن مسعود- لم يسمع من أبيه، ولضعف شريك، وهو ابن عبد الله النخعي، وبقية رجاله ثقات رجال الشيخين. أبو إسحاق: هو عمرو بن عبد الله السبيعي.

وأخرجه الطبراني في "الكبير" (٨٤٦٨) و (٨٤٦٩) ، والبيهقي في "السنن" ٦٢/٩ من طرق عن شريك، بهذا الإسناد.

وأخرجه أبو داود (٢٧٠٩) ، وأبو يعلى (٥٢٦٣) ، والطبراني في "الكبير" (٨٤٧٠) و (٨٤٧١) ، والبيهقي في "الدلائل" ٨٧/٣، ٨٨ من طرق عن أبي إسحاق، به.

وأخرجه الطيالسي (٣٢٨) ، والطبراني في "الكبير" (٨٤٧٥) ، والبيهقي في "السنن" ٩٢/٩ من طريق الجراح بن مليح والد وكيع، والطبراني (٨٤٧٤) من طريق زيد بن أبي أنيسة، والبزار (١٧٧٥) "زوائد" من طريق أبي الأحوص، ثلاثتهم عن أبي إسحاق، عن عمرو بن ميمون، عن ابن مسعود. قال البيهقي: كذا قال: عن عمرو بن ميمون، والمحفوظ: عن أبي إسحاق، عن أبي عبيدة، عن أبيه. وقال الدارقطني قطني في "العلل" ٢٩٥/٥: وأبو عبيدة أصح.

وأخرجه البزار (١٧٧٤) "زوائد"، والطبراني في "الكبير" (٨٤٧٦) من طريق أبي بكر الهذلي، عن أبي المليح، عن عبد الرحمن بن عبد الله، عن ابن مسعود. قال البزار: لا نعلم روى أبو المليح عن عبد الرحمن، عن أبيه إلا هذا.

وأورده الهيثمي في "المجمع" ٧٨/٦-٧٩، وقال: رواه كله أحمد، والبزار باختصار، وهو من رواية أبي عبيدة، عن أبيه، ولم يسمع منه، وبقية رجال أحمد رجال الصحيح.

وقال أيضاً: رواه الطبراني والبزار، وفيه أبو بكر الهذلي، وهو ضعيف. وقد أخرج البخاري (٣٩٦١) من حديث ابن مسعود أنه أتى أبا جهل وبه رمق يوم بدر، فقال أبو جهل: هلْ أعْمد مِن رجل قتلتموه. وأخرج أيضاً (٣٩٦٢) و (٣٩٦٣) من حديث أنس أنه انطلق ابن مسعود فوجد أبا جهل قد ضربه ابنا عفراء حتى برد. قال:

وقال الطبري، في "تاريخ الأمم والملوك" في سياق حديثه عن نسب موسى بن عمران عليه السلام وأخباره: "وأما ابن إسحاق فإنه قال فيما حدثنا ابن حميد قال: حدثنا سلمة، عن ابن إسحاق قال: قبض الله يوسف، وهلك الملك الذي كان معه الريان بن الوليد، وتوارث الفراعنة من العماليق ملك مصر، فنشر الله بها بني إسرائيل، وقبر يوسف حين قبض كما ذكر لي في صندوق من مرمر في ناحية من النيل في جوف الماء، فلم يزل بنو إسرائيل تحت أيدي الفراعنة وهم على بقايا دينهم مما كان يوسف ويعقوب وإسحاق وإبراهيم شرعوا فيهم من الإسلام، متمسكين به، حتى كان فرعون موسى الذي بعثه الله إليه، ولم يكن منهم فرعون أعتى منه على الله ولا أعظم قولًا ولا أطول عمرًا في ملكه منه، وكان اسمه - فيما ذكروا لي - الوليد بن مصعب، ولم يكن من الفراعنة فرعون أشد غلظة، ولا أقسى قلبًا، ولا أسوأ ملكًا لبني إسرائيل منه، يعذبهم فيجعلهم خدمًا وخولًا، وصنَّفهم في أعماله؛ فصِنف يبنون، وصنف يحرثون، وصنف يزرعون له، فهم في أعماله، ومن لم يكن منهم في صنعة له من عمله فعليه الجزية، فسامَهم كما قال الله } :سُوءَ الْعَذَابِ }]البقرة: ٤٩[. وفيهم مع ذلك بقايا من أمر دينهم لا يريدون فراقه، وقد استنكح منهم امرأة يقال لها: آسية بنت مزاحمٍ، من خيار النساء المعدودات، فعمر فيهم وهم تحت يديه عمرًا طويلًا يسومهم سوء العذاب، فلما أراد الله أن يفرج عنهم وبلغ موسى عليه السلام الأشد، أُعطِيَ الرسالة"[٢].

قال ابن عاشور: "و«فرعون»: علم جنس لملك مصر في القديم، أي: قبل أن يملكها اليونان، وهو اسم من لغة القبط، قيل: أصله في القبطية فاراه، ولعل الهاء فيه مبدلة عن العين، فإن رع اسم الشمس، فمعنى فاراه نور الشمس؛ لأنهم كانوا يعبدون الشمس، فجعلوا ملك مصر بمنزلة نور الشمس؛ لأنه يصلح الناس، نقل هذا الاسم عنهم في كتب اليهود، وانتقل عنهم إلى العربية، ولعله مما أدخله الإسلام، وهذا الاسم نظير كسرى لملك ملوك الفرس القدماء، وقيصر لملك الروم، ونمروذ لملك كنعان، والنجاشي لملك الحبشة، وتُبَّع لملك ملوك اليمن، وخان لملك الترك، واسم فرعون الذي أرسل موسى إليه: منفطاح الثاني، أحد ملوك العائلة التاسعة عشرة من العائلات التي ملكت مصر، على ترتيب المؤرخين من الإفرنج، وذلك في سنة ١٤٩١ قبل ميلاد المسيح"[٣].

فيمكن القول: أن كلمة «فرعون» ربما قد أصبحت تستخدم استخدامًا شائعًا في العصور الحديثة كلقب للحاكم في مصر القديمة لأسباب ترجع إلى الميول العقائدية ومحاولات التفسير التوراتية من زاوية واحدة، على أن التحقيق اللغوي للفظة يظل بعيدًا كل البعد عن حقيقة تلقب الحكام المصريين بهذا اللقب.

قوله تعالى:{فَقُلْ هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى} [النازعات : ١٨]، أي:" فقل له: أتودُّ أن تطهِّر نفسك من النقائص وتحليها بالإيمان"[٤].

قال الطبري:" يقول: فقل له: هل لك إلى أن تتطهَّر من دنس الكفر، وتؤمِن بربك؟"[٥].

أأنت أبو جهل؟ قال: وهل فوق رجل قتله قومه. أو قال: قتلتموه. وقد تقدمت قصة مقتل أبي جهل من حديث عبد الرحمن بن عوف برقم (١٦٧٣) وانظر الأحاديث الآتية بالأرقام (٣٨٢٥) و (٣٨٥٦) و (٤٠٠٨) و (٤٢٤٦) و (٤٢٤٧).

(١) انظر: تفسير القرطبي: ٣٨٣-٣٨٤.

(٢)تاريخ الأمم والملوك، أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، اعتنى به: أبو صهيب الكرمي، بيت الأفكار الدولية، (دون رقم الطبعة وتاريخها مجلد واحد ضخم)، ص١٣٠.

(٣) التحرير والتنوير: ٣٥/٩ و٢٤٧/١١.

(٤) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(٥) تفسير الطبري: ٢٠٠/٢٤-٢٠١.

قال ابن كثير:" أي : قل له هل لك أن تجيب إلى طريقة ومسلك تَزكَّى به، أي : تسلم وتطيع"[١].

قال مقاتل:" يقول: هل لك أن تصلح ما قد أفسدت، يقول: وأدعوك لتوحيد الله"[٢].

عن ابن وهب، قال: "قال ابن زيد في قوله: {هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى}، قال: إلى أن تُسلم. قال: والتزكي في القرآن كله: الإسلام، وقرأ قول الله: {وَذَلِكَ جَزَاءُ مَنْ تَزَكَّى}، قال: من أسلم، وقرأ: {وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}، قال: يسلم، وقرأ: {وَمَا عَلَيْكَ أَلا يَزَّكَّى}، ألا يسلم"[٣].

عن عن عكرمة: قول موسى لفرعون: {هَلْ لَكَ إِلَى أَنْ تَزَكَّى}، هل لك إلى أن تقول: لا إله إلا الله"[٤].

قال ابن عباس:" إلى أن تقول: لا إله إلا الله"[٥].

قال ابن جريج:" إلى أن تُخلِص[٦].

قوله تعالى:{وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النازعات : ١٩]، أي:" وأُرشدك إلى طاعة ربك، فتخشاه وتتقيه؟"[٧].

قال مقاتل: :{وَأَهْدِيَكَ} " إلى عظمته"[٨].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه موسى: قل لفرعون: هل لك إلى أن أرشدك إلى ما يرضي ربك، وذلك الدين القيم، فتخشى عقابه بأداء ما ألزمك من فرائضه، واجتناب ما نهاك عنه من معاصيه"[٩].

قال ابن كثير:" أي : أدلك إلى عبادة ربك، فيصير قلبك خاضعا له مطيعا خاشيا بعدما كان قاسيا خبيثا بعيدا من الخير"[١٠].

قال السمعاني:" أي: إذا أصبت الْهِدَايَة حسنت مِنْك"[١١].

قال القشيري: "أقرّر لك بالآيات صحّة ما أقول، وأعرفك صحة الدين.. فهل لك ذلك؟ فلم يقبل، ويقال: أظهر له كل هذا التلطّف ولكنه في خفيّ سرّه وواجب مكره به أنه صرف قلبه عن إرادة هذه الأشياء، وإيثار مراده على مراد ربّه، وألقى في قلبه الامتناع، وترك قبول النّصح.. وأيّ قلب يسمع هذا الخطاب فلا ينقطع لعذوبة هذا اللفظ؟ وأيّ كبد تعرف هذا فلا تتشقّق لصعوبة هذا المكر؟"[١٢].

عن صخر بن جويرية, قال: لما بعث الله موسى إلى فرعون , قال: {اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى} [النازعات: ١٧] إلى قوله تعالى: {وَأَهْدِيَكَ إِلَى رَبِّكَ فَتَخْشَى} [النازعات: ١٩] ولن يفعل, فقال موسى: «يا رب وكيف أذهب إليه وقد علمت أنه لن يفعل, فأوحى الله إليه أن امض لما أمرت به, فإن في السماء اثني عشر ألف ملك يطلبون علم القدر, فلم يبلغوه ولم يدركوه»[١٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦/٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠١/٢٤.
(٥)أخرجه البيهقي في الأسماء والصفات (٢٠٥).
(٦)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٦/٤.
(٩) تفسير الطبري: ٢٠١/٢٤.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.
(١١) تفسير السمعاني: ١٤٩/٦.
(١٢) لطائف الإشارات: ٦٨٤/٣.
(١٣) أخرجه عبدالرزاق في التفسير(٣٤٨٥):ص٣٨٩/٣.

القرآن

{فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى (٢٠) فَكَذَّبَ وَعَصَى (٢١) ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى (٢٢)} [النازعات : ٢٠-٢٢]

التفسير:

فأرى موسى فرعونَ العلامة العظمى: العصا واليد، فكذب فرعون نبيَّ الله موسى عليه السلام، وعصى ربه عزَّ وجلَّ، ثم ولَّى معرضًا عن الإيمان مجتهدًا في معارضة موسى.

قوله تعالى:{فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى} [النازعات : ٢٠]، أي:" فأرى موسى فرعونَ العلامة العظمى: العصا واليد"(١).

قال الطبري:" فأرى موسى فرعون الآية الكبرى، يعني الدلالة الكبرى، على أنه لله رسول أرسله إليه، فكانت تلك الآية يد موسى إذ أخرجها بيضاء للناظرين، وعصاه إذ تحوّلت ثعبانا مبينا"(٢).

قال ابن كثير:" يعني : فأظهر له موسى مع هذه الدعوة الحق حجة قوية، ودليلا واضحا على صدق ما جاءه به من عند الله"(٣).

عن الحسن: "{فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى}، قال: يده وعصاه"(٤).

عن مجاهد، وقتادة :"{فَأَرَاهُ الآيَةَ الْكُبْرَى}، قال: عصاه ويده"(٥).

قال قتادة:" رأى يد موسى وعصاه، وهما آيتان"(٦).

قال ابن زيد:" العصا والحية"(٧).

وقال مقاتل:" يعني: اليد كانت أكبر وأعجب أمرا من العصا"(٨).

قال ابن أبي زمنين:" كانت اليد أكبر من العصا"(٩).

قال الحسن:" أخرجها كأنها مصباح فعلم موسي أنه قد لقي ربه، ولهذا قال تعالى: {لنريك من آياتنا الكبرى}"(١٠).

وقال يحيى: يعني: " العصا واليد"(١١).

قال الزمخشري:" أرادهما جميعا، إلا أنه جعلهما واحدة، لأن الثانية كأنها من جملة الأولى لكونها تابعة لها"(١٢).

قوله تعالى:{فَكَذَّبَ وَعَصَى} [النازعات : ٢١]، أي:" فكذب فرعون نبيَّ الله موسى عليه السلام، وعصى ربه عزَّ وجلَّ"(١٣).

قال الطبري:" يقول: فكذّب فرعون موسى فيما أتاه من الآيات المعجزة، وعصاه فيما أمره به من طاعته ربه، وخَشيته إياه"(١٤).

قال الزمخشري:" {فَكَذَّبَ} بموسى والآية الكبرى، وسماهما ساحرا وسحرا، {وَعَصَى} الله تعالى بعد ما علم صحة الأمر، وأنّ الطاعة قد وجبت عليه"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠١/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان:٢٥/٣.
(٩) تفسير ابن أبي زمنين:١١٣/٣.
(١٠) أخرجه ابن ابي حاتم(١٣٤٢١):ص٢٤٢١/٧.
(١١) تفسير يحيى بن سلام:٢٦٧/١.
(١٢) الكشاف: ٦٩٦/٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٠١/٢٤.

قال ابن كثير:" أي : فكذب بالحق وخالف ما أمره به من الطاعة. وحاصلُه أنه كَفَر قلبُه فلم ينفعل لموسى بباطنه ولا بظاهره، وعلمُهُ بأن ما جاء به أنه حق لا يلزم منه أنه مؤمن به ؛ لأن المعرفة علمُ القلب، والإيمان عمله، وهو الانقياد للحق والخضوع له"[٢].

قال القشيري: " فقال فرعون: حتى أشاور هامان[٣]، فشاوره، فقال له هامان: أبعد ما كنت ربّا تكون مربوبا؟! وبعد ما كنت ملكا تكون مملوكا؟ فكذّب فرعون عند ذلك، وعصى"[٤].

قوله تعالى:{ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى} [النازعات : ٢٢]، أي:" ثم ولّى معرضًا عن الإيمان مجتهدًا في معارضة موسى"[٥].

قال الطبري:" يقول: ثم ولّى مُعرضا عما دعاه إليه موسى من طاعته ربه، وخشيته وتوحيده. يعمل في معصية الله، وفيما يُسخطه عليه"[٦].

قال الثعلبي:" تولى وأعرض عن الإيمان"[٧].

قال السمعاني:" أي: أعرض وجعل يسعى في إبطال أمر موسى"[٨].

قال ابن كثير:" أي : في مقابلة الحق بالباطل، وهو جَمعُهُ السحرة ليقابلوا ما جاء به موسى، عليه السلام، من المعجزة الباهرة"[٩].

عن مجاهد: "{ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى}، قال: يعمل بالفساد"[١٠].

قال الربيع بن أنس:" أدبَر عن الحق، وسعى يَجمع[١١].

قال ابن جريج:" ليس بالشدّ، يَعمل بالفساد والمعاصي"[١٢].

وقال الزمخشري:" أي: لما رأى الثعبان أدبر مرعوبا، يسعى: يسرع في مشيته.. أو تولى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته"[١٣].

قال الحسن:" كان رجلا طياشا خفيفا"[١٤].

قال مالك بن أنس: "وإنما السعي في كتاب الله العمل والفعل، {يا أَيُّها الَّذِينَ آمَنُوا إذا نُودِيَ لِلصَّلاةِ مِن يَوْمِ الجُمُعَةِ فاسْعَوْا إلى ذِكْرِ اللَّهِ وذَرُوا البَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ} [الجمعة: ٩]، يقول الله -تبارك وتعالى-: {وإذا تَوَلّى سَعى فِي الأرْضِ} [البقرة: ٢٠٥]، وقال تعالى: {وأمّا مَن جاءَكَ يَسْعى وهُوَ يَخْشى} [عبس: ٨ - ٩]، وقال: {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعى}، وقال: {إنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى} [الليل: ٤]. قال مالك: فليس السعي الذي ذكر الله في كتابه بالسعي على الأقدام، ولا الاشتداد، وإنما عَنى: العمل، والفعل"[١٥].

---

(١) الكشاف: ٦٩٦/٤.

(٢) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.

(٣) قال المحقق:" يقصد القشيري من بعيد إلى شيئين: أو لهما أن فساد الملوك قد يكون بسبب وزرائهم وحاشيتهم.. ولعلنا نذكر ما قلناه في المدخل عن أن أشد المحنة التي ألمت بالقشيري كانت بسبب الكندري وزير السلطان طغرل.

وثانيهما أن الصحبة السيئة قد تؤدى إلى هلاك الصاحب والمصحوب، وفي هذا تحذير لأرباب الطريق (راجع باب الصحبة في الرسالة ص ١٤٥)".

(٤) لطائف الإشارات: ٦٨٤/٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(٦) تفسير الطبري: ٢٠١/٢٤.

(٧) الكشف والبيان: ١٢٧/١٠.

(٨) تفسير السمعاني: ١٥٠/٦.

(٩) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٤.

(١١)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٢)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٣) الكشاف: ٦٩٦/٤.

(١٤) نقلا عن: الكشاف: ٦٩٦/٤.

(١٥)موطأ مالك (ت: د. بشار عواد) ١/ ١٦٣ (٢٨٦).

القرآن

{فَحَشَرَ فَنَادَى (٢٣) فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى (٢٤) فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى (٢٥) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى (٢٦)} [النازعات : ٢٣-٢٦]

التفسير:

فجمع أهل مملكته وناداهم، فقال: أنا ربكم الذي لا ربَّ فوقه، فانتقم الله منه بالعذاب في الدنيا والآخرة، وجعله عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين. إن في فرعون وما نزل به من العذاب لموعظةً لمن يتعظ وينزجر.

قوله تعالى:{فَحَشَرَ فَنَادَى} [النازعات : ٢٣]، أي:" فجمع أهل مملكته وناداهم"[١].

قال الطبري:" يقول: فجمع قومه وأتباعه، فنادى فيهم"[٢].

قال ابن كثير:" أي : في قومه"[٣].

قال الثعلبي:" فجمع السحرة وقومه فَنادى"[٤].

قال الزمخشري:" فجمع السحرة، كقوله: {فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ فِي الْمَدائِنِ حاشِرِينَ}. {فَنادى} في المقام الذي اجتمعوا فيه معه. أو أمر مناديا فنادى في الناس بذلك. وقيل قام فيهم خطيبا فقال تلك العظيمة"[٥].

قال السمعاني:" الحشر: هو الجمع من كل جهة"[٦].

قوله تعالى:{فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات : ٢٤]، أي:" فقال: أنا ربكم الذي لا ربَّ فوقه"[٧].

قال الطبري:" {فَقالَ} لهم: {أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى} الذي كلّ ربّ دوني، وكذب الأحمق "[٨].

قال الثعلبي:" يقول ليس ربّ فوقي، وقيل: أراد أن الأصنام أرباب وأنا ربّها وربكم، وقيل: أراد القادة والسادة"[٩].

قال ابن زيد:" صرخ وحشر قومه، فنادى فيهم، فلما اجتمعوا قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الأعْلَى فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأولَى}"[١٠].

عن السُّدِّيّ، قال: "قال موسى: يا فرعون، هل لك في أنْ أُعطيك شبابك لا تَهرَم، ومُلكك لا يُنزَع منك، وتُرَدّ إليك لذة المناكح والمشارب والمركوب، وإذا مِتّ دخَلتَ الجنة، وتؤمن بي. فوقعتْ في نفسه هذه الكلمات، وهي الليِّنات. قال: كما أنتَ حتى يأتي هامان. فلمّا جاء هامان أخبره، فعجَّزه هامان، وقال: تصير تَعبُد بعد إذ كنتَ ربًّا تُعبد؟! فذلك حين خَرج عليهم، فقال لقومه وجَمْعهم: {أنا رَبُّكُمُ الأعْلى}"[١١].

قوله تعالى:{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} [النازعات : ٢٥]، أي:" فانتقم الله منه بالعذاب في الدنيا والآخرة، وجعله عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين"[١٢].

وفي تفسير قوله تعالى:{فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الْآخِرَةِ وَالْأُولَى} [النازعات : ٢٥]، وجوه:

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٢) تفسير الطبري: ٢٠١/٢٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.
(٤) الكشف والبيان: ١٢٧/١٠.
(٥) الكشاف: ٦٩٦/٤.
(٦) تفسير السمعاني: ١٥٠/٦.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠١/٢٤.
(٩) الكشف والبيان: ١٢٧/١٠.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠٢/٢٤.
(١١)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨٤.

أحدها : أي: عقوبة الدنيا والآخرة. قاله الحسن[١]، وقتادة[٢]، وبه قال ابن كثير[٣].
قال قتادة : "عذبه الله في الدنيا بالغرق وفي الآخرة بالنار"[٤].
الثاني : عذاب أول عُمره وآخره ، قاله مجاهد[٥].
وفي لفظ عن مجاهد:" أول أعماله وآخرها"[٦]. وفي رواية:" عمله للآخرة والأولى"[٧].
وقال الكلبي:" نكال الآخرة من المعصية والأولى"[٨].
الثالث : الأولى عصيانه ربه وكفره به، والآخرة قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}. قاله أبو رزين[٩].
قال أبو رزين:" الأولى تكذيبه وعصيانه، والآخرة قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}، ثم قرأ: {فَكَذَّبَ وَعَصَى ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى فَحَشَرَ فَنَادَى فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}، فهي الكلمة الآخرة"[١٠].
الرابع : الأولى قوله :{مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص : ٣٨]، والآخرة قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى} [النازعات : ٢٤]، قاله ابن عباس[١١]، ومجاهد[١٢]، والضحاك[١٣]، وعكرمة[١٤]، والشعبي[١٥]، وخيثمة الجعفي[١٦].
قال الطبري:" فعاقبه الله عقوبة الآخرة من كلمتيه، وهي قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}، والأولى قوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}"[١٧].
قال ابن عباس:" أما الأولى فحين قال: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}، وأما الآخرة فحين قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}"[١٨].
قال مجاهد:" هو قوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}، وقوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}، وكان بينهما أربعون سنة"[١٩].
قال مجاهد:" كان بين قول فرعون: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}، وبين قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}، أربعون سنة"[٢٠].
قال مجاهد:" مكث فرعون في قومه بعد ما قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}، أربعين سنة"[٢١].
قال خيثمة الجعفي: كان بين كلمتي فرعون أربعون سنة، قوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}، وقوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}"[٢٢].

---

(١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٤.
(٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.
(٤) نقلا عن: النكت والعيون: ١٩٨/٦.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢٠٥/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ١٩٨/٦.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٤/٢٤.
(١٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(١٧) تفسير الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٤.
(٢٠) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٤.
(٢١) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٤.
(٢٢) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٤.

قال الضحاك:" أما الأولى فحين قال فرعون: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}، وأما الآخرة فحين قال: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}، فأخذه الله بكلمتيه كلتيهما، فأغرقه في اليم"[1].

عن أبي كُرَيب، قال: "سمعت أبا بكر، وسُئل عن هذا فقال: كان بينهما أربعون سنة، بين قوله: {مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي}، وقوله: {أَنَا رَبُّكُمُ الأَعْلَى}، قال: هما كلمتاه، {فَأَخَذَهُ اللَّهُ نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى}، قيل له: مَن ذكره؟ قال: أبو حصين، فقيل له: عن أبي الضُّحَى، عن ابن عباس؟ قال: نعم"[2].

عن محمد بن كعب القرظي، قال: "لَمّا قال فرعون لقومه: {ما عَلِمْتُ لَكُمْ مِن إِلَهٍ غَيْرِي} [القصص: ٣٨]؛ نشر جبريلُ أجنحة العذاب غضبًا لله - عز وجل -، فأوحى الله - عز وجل - إليه: أن يا جبريل، إنما يعجِّل بالعقوبة مَن يخاف الفَوْت. قال: فأمهله - عز وجل - بعد هذه المقالة أربعين عامًا، حتى قال: {أنا ربكم الأعلى}، فذلك قوله - عز وجل -: {فأخذه الله نكال الآخرة والأولى}: قوله الأول، وقوله الآخر، ثم أغرقه الله - عز وجل - وجنوده"[3].

الرابع : عذاب الأولى: الإمهال ، والآخرة في النار، من قوله تعالى : {النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ} [غافر : ٤٦]الآية ، قاله الربيع[4].

قال ابن كثير:" أي : انتقم الله منه انتقاما جعله به عبرة ونكالا لأمثاله من المتمردين في الدنيا، {وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ} [هود : ٩٩]، كما قال تعالى :{وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ} [القصص : ٤١]. هذا هو الصحيح في معنى الآية، أن المراد بقوله :{نَكَالَ الآخِرَةِ وَالأُولَى}، أي : الدنيا والآخرة، وقيل : المراد بذلك كلمتاه الأولى والثانية. وقيل : كفره وعصيانه. والصحيح الذي لا شك فيه الأول "[5].

قوله تعالى:{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى} [النازعات : ٢٦]، أي:" إن في فرعون وما نزل به من العذاب لموعظةً لمن يتعظ وينزجر"[6].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: إن في العقوبة التي عاقب الله بها فرعون في عاجل الدنيا، وفي أخذه إياه نكال الآخرة والأولى، عظة ومعتبرا لمن يخاف الله ويخشى عقابه"[7].

قال ابن كثير:" أي : لمن يتعظ وينزجر"[8].

قال الحسن البصري: "{إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لِمَن يَخْشَى} لِمَن يَخشى أن يُفعل به ما فُعل بفرعون وقومه فيُؤمن"[9].

فوائد الآيات: [١٥-٢٦]:

١- تسلية الداعي إلى الله تعالى وحمله على الصبر في دعوته حتى ينتهي بها على غايتها.

٢- إثبات مناجاة موسى لربه تعالى وأنه كلمه ربه كفاحاً بلا واسطة.

٣- تقرير أن لا تزكية للنفس البشرية إلا بالإسلام أي بالعمل بشرائعه.

٤- لا تحصل الخشية من الله للعبد إلا بعد معرفة الله تعالى إنما يخشى الله من عباده العلماء.

٥- وجود المعجزات لا يستلزم الإيمان فقد رأى فرعون أعظم الآيات كالعصا واليد وما آمن.

٦- التنديد والوعيد الشديد لمن يدعي الربوبية والألوهية فيأمر الناس بعبادته.

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٤/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٣/٢٤.

(٣)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب العقوبات- موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٤/ ٤٩٥ (٢٤٤).

(٤) انظر: النكت والعيون: ١٩٨/٦.

(٥) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.

(٦) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(٧) تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٤.

(٨) تفسير ابن كثير: ٣١٥/٨.

(٩)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٩٠ -.

القرآن

{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ بَنَاهَا (٢٧) رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا (٢٨) وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا (٢٩) وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا (٣٠) أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا (٣١) وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا (٣٢) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٣)} [النازعات : ٢٧-٣٣]

التفسير:

أَبَعْثُكم -أيها الناس- بعد الموت أشد في تقديركم أم خلق السماء؟ رفعها فوقكم كالبناء، وأعلى سقفها في الهواء لا تفاوت فيها ولا فطور، وأظلم ليلها بغروب شمسها، وأبرز نهارها بشروقها. والأرض بعد خلق السماء بسطها، وأودع فيها منافعها، وفجَّر فيها عيون الماء، وأنبت فيها ما يُرعى من النباتات، وأثبت فيها الجبال أوتادًا لها. خلق سبحانه كل هذه النعم منفعة لكم ولأنعامكم.

إن إعادة خلقكم يوم القيامة أهون على الله من خلق هذه الأشياء، وكله على الله هين يسير.

قوله تعالى:{أَأَنْتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ السَّمَاءُ} [النازعات : ٢٧]، أي:" أَبَعْثُكم -أيها الناس- بعد الموت أشد في تقديركم أم خلق السماء؟"[١].

قال الزمخشري:" الخطاب لمنكري البعث"[٢].

قل الفراء:" يعني: أهل مكة"[٣].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره للمكذّبين بالبعث من قريش، القائلين: {أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا نَخِرَةً قَالُوا تِلْكَ إِذًا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ} أأنتم أيها الناس أشد خلقا، أم السماء بناها ربكم، فإن من بنى السماء فرفعها سقفا، هَيِّن عليه خلقكم وخلق أمثالكم، وإحياؤكم بعد مماتكم وليس خلقكم بعد مماتكم بأشدّ من خلق السماء"[٤].

قال مقاتل:" يقول: أنتم أشد قوة من السماء؟ لأنه قال: {إِذَا السَّمَاءُ انْفَطَرَتْ} [الانفطار : ١]، {إِذَا السَّمَاءُ انْشَقَّتْ} [الانشقاق : ١]، يقول فما حالكم أنتم، يا بني آدم، وأنتم أضعف من السماء؟"[٥].

قال ابن كثير:" يعني : بل السماءُ أشدّ خلقًا منكم، كما قال تعالى :{لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ} [غافر : ٥٧]، وقال :{أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَى وَهُوَ الْخَلاقُ الْعَلِيمُ (١)} [يس : ٨١]"[٦].

قوله تعالى:{بَنَاهَا} [النازعات : ٢٧]، أي:" رفعها فوقكم كالبناء"[٧].

قال الطبري: يعني: " رفعها فجعلها للأرض سقفا"[٨].

قوله تعالى:{رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا} [النازعات : ٢٨]، أي:" وأعلى سقفها في الهواء لا تفاوت فيها ولا فطور"[٩].

قال الطبري: " فسوّى السماء، فلا شيء أرفع من شيء، ولا شيء أخفض من شيء، ولكن جميعها مستوي الارتفاع والامتداد"[١٠].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٢) الكشاف: ٦٩٦/٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٣٣/٣.
(٤) تفسير الطبري: ٢٠٥/٢٤-٢٠٦.
(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٧/٤-٥٧٨.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣١٦/٨.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠٦/٢٤.
(٩) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٠٦/٢٤.

قال الزمخشري:" أي: جعل مقدار ذهابها في سمت العلو مديدا رفيعا مسيرة خمسمائة عام، {فَسَوَّاها} فعدلها مستوية ملساء، ليس فيها تفاوت ولا فطور. أو فتممها بما علم أنها تتم به وأصلحها، من قولك: سوى فلان أمر فلان "[1].

قال مقاتل: "{سَمْكَهَا}، يعنى: طولها مسيرة خمسمائة عام، {فَسَوَّاهَا}: ليس فيها خلل"[2].

قال ابن كثير:" أي: جعلها عالية البناء، بعيدة الفناء، مستوية الأرجاء، مكللة بالكواكب في الليلة الظلماء "[3].

عن ابن عباس: "{رَفَعَ سَمْكَهَا}، يقول: بُنيانها"[4].

قال قتادة:" يقول: رفع بناءها فسوّاها"[5].

قال مجاهد:" رفع بناءها بغير عمد"[6].

قوله تعالى:{وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا} [النازعات : ٢٩]، أي:" وأظلم ليلها بغروب شمسها"[7].

قال الطبري: " أظلم ليل السماء، فأضاف الليل إلى السماء، لأن الليل غروب الشمس، وغروبها وطلوعها فيها، فأضيف إليها لمَّا كان فيها، كما قيل: نجوم الليل، إذ كان فيه الطلوع والغروب"[8].

قل الفراء:" أظلم ليلها"[9].

قال ابن قتيبة:" أي: جعله مظلمًا"[10].

قال أبو عبيدة:" أظلم وكل أغطش لا يبصر"[11].

عن مجاهد، وقتادة:"{وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا}، قال: أظلم"[12].

عن ابن عباس، وقتادة، والضحاك، وعكرمة:" {وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا}، يقول: أظلم ليلها"[13].

قال ابن زيد:" الظُّلمة"[14].

قوله تعالى:{وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا} [النازعات : ٢٩]، أي:" وأبرز نهارها بشروقها"[15].

قال الطبري:" يقول: وأخرج ضياءها، يعني: أبرز نهارها فأظهره، ونوّر ضحاها"[16].

قل الفراء:" ضوئها ونهارها"[17].

قال أبو عبيدة:" ضوئها بالنهار"[18].

عن الضحاك:"{وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا}، قال: نهارها"[19].

قال ابن زيد:" ضوء النهار"[1].

---

(١) الكشاف: ٦٩٦/٤.
(٢) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٨/٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣١٦/٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٨) تفسير الطبري: ٢٠٦/٢٤.
(٩) معاني القرآن: ٢٣٣/٣.
(١٠) غريب القرآن: ٥١٣.
(١١) مجاز القرآن: ٢٨٥/٢.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٤.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٠٦/٢٤.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٦) تفسير الطبري: ٢٠٧/٢٤.
(١٧) معاني القرآن: ٢٣٣/٣.
(١٨) مجاز القرآن: ٢٨٥/٢.
(١٩) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٤.

عن مجاهد: "{وَأَخْرَجَ ضُحَاهَا}: نوّرها"[٢].

قال قتادة:" يقول: نوّر ضياءها"[٣].

قوله تعالى:{وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} [النازعات : ٣٠]، أي:" والأرض بعد خلق السماء بسطها ومهَّدها لسكنى أهلها"[٤].

اختلف في قوله «بَعْد»، على وجهين :

أحدهما : مع وتقدير الكلام : والأرض مع ذلك دحاها، لأنها مخلوقة قبل السماء، كما قال جلّ وعزّ: {عُتُلٍّ بَعْدَ ذَلِكَ زَنِيمٍ} [القلم: ١٣]. قاله مجاهد[٥]، والسدي[٦].

عن مجاهد، والسدي: "{وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}، قال: مع ذلك دحاها"[٧].

قال مجاهد:" والأَرْضَ عِنْدَ ذَلكَ دَحاها"[٨].

عن مجاهد , قال: «خلق الله الأرض قبل السماء , فثار من الأرض دخان , ثم خلق السماء بعد» وأما قوله تعالى: {وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا} [النازعات: ٣٠] فيقول: مع ذلك دحاها , «ومع» , «وبعد» في كلام العرب سواء , قال ابن عباس: وأما قوله تعالى: {وَكَانَ اللَّهُ} [النساء: ١٧]، فإن الله كان لم يزل كذلك , وهو كذلك عزيز حكيم قدير , لم يزل كذلك , فما اختلف عليك من القرآن فهو شبه ما ذكرت لك , فإن الله لم ينزل شيئا إلا وقد أصاب به الذي أراد , ولكن الناس لا يعلمون"[٩].

الثاني : أن «بعد» مستعملة على حقيقتها، لأنه خلق الأرض قبل السماء ثم دحاها بعد السماء، قاله عبدالله بن عمرو[١٠]، وابن عباس-أيضا-[١١]، وعكرمة[١٢]، وبه قال النحاس[١٣]، والطبري[١٤].

قال النحاس:" هذا القول أولى أن يكون الشيء على بابه"[١٥].

قال ابن كثير:" الأرض خلقت قبل السماء، ولكن إنما دُحيت بعد خلق السماء، بمعنى أنه أخرج ما كان فيها بالقوة إلى الفعل"[١٦].

قال ابن عباس:" وذلك أن الله خَلق الأرض بأقواتها من غير أن يدحوها قبل السماء، ثم استوى إلى السماء فسوّاهنّ سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك"[١٧].

قال ابن عباس:" يعني: أن الله خلق السموات والأرض، فلما فرغ من السموات قبل أن يخلق أقوات الأرض فيها بعد خلق السماء، وأرسى الجبال، يعني بذلك: دحْوَها الأقوات، ولم

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٤-٢٠٨.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٠٧/٢٤.
(٤) صفوة التفاسير: ٤٩٠/٣.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٩/٢٤.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٩/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٠٩/٢٤.
(٩) تفسير عبدالرزاق(٥٨٩):ص٤٥٩/١.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٨/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٨/٢٤.
(١٢) انظر: النكت والعيون: ١٩٩/٦.
(١٣) انظر: إعراب القرآن: ٩٢/٥.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٩/٢٤-٢١٠.
(١٥) إعراب القرآن: ٩٢/٥.
(١٦) تفسير ابن كثير: ٣١٦/٨.
(١٧) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٤.

تكن تصلح أقوات الأرض ونباتها إلا بالليل والنهار، فذلك قوله: {وَالأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}، ألم تسمع أنه قال: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا}"[١].

قال ابن عباس:" وضع البيت على الماء على أربعة أركان قبل أن يخلق الدنيا بألفي عام، ثم دُحيت الأرض من تحت البيت"[٢].

قال النحاس:" فمن أصحّ ما قيل في هذا وأحسنه ما رواه ابن أبي طلحة عن ابن عباس قال: خلق الله جلّ وعزّ الأرض قبل السماء فقدّر فيها أقواتها، ولم يدحها، ثم خلق السماء ثم دحا الأرض بعدها"[٣].

قال الطبري:" القول الذي ذكرناه عن ابن عباس من أن الله تعالى خلق الأرض، وقدّر فيها أقواتها، ولم يدحها، ثم استوى إلى السماء، فسوّاهن سبع سموات، ثم دحا الأرض بعد ذلك، فأخرج منها ماءها ومرعاها، وأرسى جبالها، أشبه بما دلّ عليه ظاهر التنزيل، لأنه جلّ ثناؤه قال: {وَالأرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}، والمعروف من معنى «بَعْد» أنه خلاف معنى «قَبْل»، وليس في دحوِّ الله الأرض بعد تسويته السماوات السبع، وإغطاشه ليلها، وإخراجه ضحاها، ما يوجب أن تكون الأرض خُلقت بعد خلق السموات لأن الدحوّ إنما هو البسط في كلام العرب، والمدّ يقال منه: دحا يدحو دَحْوا، ودَحيْتُ أدْحي دَحْيا، لغتان؛ ومنه قول أُميَّة بن أبي الصلت[٤]:

دَارٌ دَحاها ثُمَّ أعْمَرَنا بِها ... وَأقامَ بالأخْرَى الَّتِي هي أمجدُ

وقول أوس بن حجر في نعت غيث[٥]:

يَنْفِي الحصَى عن جديد الأرْضِ مُبْتَرِكٌ ... كأنَّه فاحِصٌ أو لاعِبٌ داحِي"[٦].

قال ابن قتيبة:" دلّت هذه الآية على أنه خلق السماء قبل الأرض"[٧].

وفي قوله تعالى: {دَحَاهَا} [النازعات : ٣٠]، أربعة وجوه :

أحدها : بسطها، قاله ابن عباس[٨]، وقتادة[٩]، وسفيان[١٠]، والسدي[١١]. وأبو عبيدة[١٢]، وابن قتيبة[١٣]، قال أمية بن أبي الصلت[١٤]:

وبَثَّ الخَلْقَ فِيهَا إذْ دَحاهَا ... فَهُمْ قُطَّانُهَا حتَّى التَّنَادِي

قال النحاس:" معنى الدّحو في اللغة البسط، يقال: دحوت أدحو ودحيت أدحي ومن الثاني سمي: دحية"[١٥].

قال مقاتل:" يقول: بعد بناء السماء، بسطها من تحت الكعبة مسيرة خمسمائة عام"[١٦].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٤.
(٣) إعراب القرآن: ٩٢/٥.
(٤)ديوانه: ٢٩.
(٥) البيت له في المحكم والمحيط الأعظم، واللسان«دحو»، وتاج العروس«برك»، وهو بلا نسبة في جمهرة اللغة«دحو»، ومقاييس اللغة«برك».
(٦) تفسير الطبري: ٢٠٩/٢٤-٢١٠.
(٧) تأويل مشكل القرآن: ٤٧.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٨/٢٤.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢١٠/٢٤.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢١٠/٢٤.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢١٠/٢٤.
(١٢) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٥/٢.
(١٣) انظر: غريب القرآن: ٥١٣.
(١٤) البيت له في النكت والعيون: ١٩٩/٦، وتفسير السمعاني: ١٥١/٦، وتفسير القرطبي: ٢٠٤/١٩، والبحر المحيط في التفسير: ٣٩٤/١٠، واللباب: ٦٧٩/١٠.
(١٥) إعراب القرآن: ٩٢/٥.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٨/٤.

قال عبدالله بن عمرو:" خلق الله البيت قبل الأرض بألفي سنة، ومنه دُحيت الأرض"[١].
وروي عن ابن عباس نحوه[٢].
الثاني : حرثها وشقها، قاله ابن زيد[٣].
عن ابن زيد:" {دَحَاها}، قال: حرثها شقَّها، وقال: {أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا}، وقرأ: {ثُمَّ شَقَقْنَا الأَرْضَ شَقًّا ... }، حتى بلغ: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}، وقال حين شقَّها أنْبتَ هذا منها، وقرأ: {وَالأَرْضِ ذَاتِ الصَّدْعِ}"[٤].
الثالث : أي: أودع فيها منافعها: أن أخرج منها الماء والمرعى، وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام. وهذا قول ابن عباس[٥].
عن ابن عباس :{دَحَاهَا} وَدَحْيها أن أخرج منها الماء والمرعى، وشقق فيها الأنهار، وجعل فيها الجبال والرمال والسبل والآكام، فذلك قوله :{وَالأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا}"[٦].
الرابع : سوّاها، ومنه قول زيد بن عمرو [٧]:
وأسْلَمْتُ وجهي لمن أسْلمتْ ... له الأرضُ تحمل صَخْراً ثِقالا
دحاها فلما استَوتْ شدّها ... بأيْدٍ وأرْسَى عليها الجبالا
قوله تعالى:{أَخْرَجَ مِنْهَا مَاءَهَا وَمَرْعَاهَا} [النازعات : ٣١]، أي:" أخرج من الأرض عيون الماء المتفجرة، وأجرى فيها الأنهار، وأنبت فيها الكلأ والمرعى مما يأكله الناس والأنعام"[٨].
قال الطبري:" يقول: فجَّر فيها الأنهار وأنبت نَباتها"[٩].
قال السمعاني:" أي: أخرج من الأرض الماء لحياة النفوس، والمرعى للأنعام"[١٠].
عن الضحاك: "{وَمَرْعَاهَا}: ما خلق الله فيها من النبات، و{مَاءَهَا}: ما فجر فيها من الأنهار"[١١].
قال القتيبي: "أنظر كيف دلّ بشيئين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتا ومتاعا للأنعام من العشب والشجر والحبّ والتمر والعصف والحطب واللباس والنار والملح، لأنّ النار من العيدان والملح من الماء"[١٢].
قوله تعالى:{وَالْجِبَالَ أَرْسَاهَا} [النازعات : ٣٢]، أي:" وأثبت فيها الجبال أوتادًا لها"[١٣].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٠٨/٢٤.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١٠/٢٤.
(٤) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٠٨/٢٤.
(٦) رواه ابن أبي حاتم، كما في تفسير ابن كثير: ٣١٦/٨، وانظر: تفسير الطبري: ٢٠٨/٢٤.
(٧) البيتان ذكرهما الثعلبي في "الكشف والبيان" ٢٥٩/١، و٦٩/٤، وانظر: في "الروض الأنف" ١/ ٢٦٦، و"الأغاني" ٣/ ١٧، و"تفسير الرازي" ٤/ ٤، والبيت الثاني في "تأويل مشكل القرآن" ٤٨٠، و"الدر المصون" ٢/ ٧٣، وينظر: "وضح البرهان في مشكلات القرآن" محمد الغزنوي ١/ ١٦٢، وقد ورد البيت الثاني في بعض المصادر: نفسي، بدل وجهي، وماءً، بدل عذبًا
هو: زيد بن عمرو بن نفيل العَدَوي، ابنُ عَمِّ عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- كان يعادي عبادة الأوثان، ولا يأكل مما ذبح عليها، آمن بالنبي - صلى الله عليه وسلم - قبل بعثته، قال فيه - صلى الله عليه وسلم -: "إنه يبعث أمة وحده" توفي قبل البعثة بخمس سنين. ينظر: "جمهرة أنساب العرب" ص ١٠٥، و"الإصابة" ١/ ٥٦٩.
(٨) صفوة التفاسير: ٤٩٠/٣.
(٩) تفسير الطبري: ٢١٠/٢٤.
(١٠) تفسير السمعاني: ١٥٢/٦.
(١١) أخرجه الطبري: ٢١٠/٢٤.
(١٢) نقلا عن: الكشف والبيان: ١٢٨/١٠.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٨٤.

قال الطبري:" يقول: والجبال أثبتها فيها، وفي الكلام متروك استغني بدلالة الكلام عليه من ذكره، وهو فيها، وذلك أن معنى الكلام: والجبال أرساها فيها"[١].

قال قتادة:" أي: أثبتها لا تَمِيد بأهلها"[٢].

قال ابن كثير:" أي : قررها وأثبتها وأكَّدها في أماكنها، وهو الحكيم العليم، الرءوف بخلقه الرحيم"[٣].

قال علي-رضي الله عنه-:" لما خلق الله الأرض قمصت وقالت: تخلق عليّ آدم وذرّيته يلقون عليّ نتْنهم، ويعملون عليّ بالخطايا، فأرساها الله، فمنها ما ترون، ومنها ما لا ترون، فكان أوَّل قرار الأرض كلحم الجزور إذا نُحِر يحتلج لحمها"[٤].

عن أنس بن مالك، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "لما خلق الله الأرض جعلت تَمِيد، فخلق الجبال فألقاها عليها، فاستقرت فتعجبت الملائكةُ من خلق الجبال فقالت : يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الجبال ؟ قال نعم، الحديد. قالت : يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الحديد ؟ قال : نعم، النار. قالت : يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من النار ؟ قال : نعم، الماء. قالت : يا رب، فهل من خلقك شيء أشد من الماء ؟ قال : نعم، الريح. قالت : يا رب فهل من خلقك شيء أشد من الريح ؟ قال : نعم، ابن آدم، يتصدق بيمينه يخفيها من شماله"[٥].

قوله تعالى:{مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} [النازعات : ٣٣]، أي:" سبحانه كل هذه النعم منفعة لكم ولأنعامكم"[٦].

عن ابن عباس:" {مَتَاعًا لَكُمْ}، قال: منفعة"[٧].

قال الطبري:" أنه خلق هذه الأشياء، وأخرج من الأرض ماءها ومرعاها منفعة لنا ومتاعا إلى حين"[٨].

قال الزمخشري:" فعل ذلك تمتيعا لكم {وَلِأَنْعامِكُمْ}، لأن منفعة ذلك التمهيد واصلة إليهم وإلى أنعامهم"[٩].

قال ابن كثير:" أي : دحا الأرض فأنبع عيونها، وأظهر مكنونها، وأجرى أنهارها، وأنبت زروعها وأشجارها وثمارها، وثبت جبالها، لتستقر بأهلها ويقر قرارها، كل ذلك متاعا لخلقه ولما يحتاجون إليه من الأنعام التي يأكلونها ويركبونها مدة احتياجهم إليها في هذه الدار إلى أن ينتهي الأمد، وينقضي الأجل"[١٠].

فوائد الآيات: [٢٧-٣٣]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء.

٢- بيان إفضال الله تعالى على الإنسان وإنعامه عليه.

٣- مشروعية الاستدلال بالكبير على الصغير وبالكثير على القليل وهو مما يعلم بداهة وبالضرورة إلا أن الغفلة أكبر صارف وأقوى حايل فلا بد من إزالتها أولا.

القرآن

---

(١) تفسير الطبري: ٢١١/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٤.

(٣) تفسير ابن كثير: ٣١٦/٨.

(٤) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٤. قال ابن كثير:٣١٧/٨:" غريب".

(٥)المسند (١٢٤/٣)، ورواه الترمذي في السنن برقم (٣٣٦٩) عن محمد بن بشار، عن يزيد بن هارون به، وقال الترمذي : "هذا حديث غريب لا نعرفه مرفوعا إلا من هذا الوجه".

(٦) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(٧)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٨) تفسير الطبري: ٢١١/٢٤.

(٩) الكشاف: ٦٩٧/٤.

(١٠) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٨.

{فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى (٣٤) يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى (٣٥) وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى (٣٦)} [النازعات : ٣٤-٣٦]

التفسير:

فإذا جاءت القيامة الكبرى والشدة العظمى وهي النفخة الثانية، عندئذ يُعْرَض على الإنسان كل عمله من خير وشر، فيتذكره ويعترف به، وأُظهرت جهنم لكل مُبْصِر تُرى عِيانًا.

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} [النازعات : ٣٤]، أي:" فإذا جاءت القيامة الكبرى والشدة العظمى وهي النفخة الثانية"(١).

قال الطبري:" فإذا جاءت التي تطم على كلّ هائلة من الأمور، فتغمر ما سواها بعظيم هولها"(٢).

قال السعدي:" أي: إذا جاءت القيامة الكبرى، والشدة العظمى، التي يهون عندها كل شدة، فحينئذ يذهل الوالد عن ولده، والصاحب عن صاحبه وكل محب عن حبيبه"(٣).

قال النحاس:" العرب إذا عظّمت الشيء وصفته بالطامة"(٤).

وفي تفسير قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى} [النازعات : ٣٤]، أقوال:

أحدها : أنها النفخة الآخرة، قاله ابن عباس-في رواية الضحاك عنه-(٥)، وهو قول الحسن(٦)، ومقاتل(٧).

قال مقاتل:" هي النفخة الآخرة من بيت المقدس، فذلك الطامة الكبرى، وهي يوم القيامة"(٨).

قال زجاج:" إذا جاءت الصيحة التي تَطُم كلَّ شيء، الصيْحة التي يقع معها البعث والحساب والعقاب والعذاب والرحمة"(٩).

الثاني : أنها الساعة طمت كل داهية، والساعة أدهى وأمّر ، قاله الربيع(١٠).

الثالث : أنه اسم من أسماء القيامة، يسمى: الطامة، قاله ابن عباس-أيضا-(١١)، والضحاك(١٢).

قال ابن عباس:" من أسماء يوم القيامة عظمه الله، وحذّره عباده"(١٣).

قال السجستاني:" يعني: القيامة، والطامة: الداهية، لأنها تطم على كل شيء، أي تعلوه وتغطيه"(١٤).

قال الثعلبي:" أي: القيامة سميت بذلك لأنها تطم على كلّ هائلة من الأمور فتغمر ما سواها بعظم هولها أي يغلب، والطامة عند العرب الناهية التي لا تستطاع، وإنّما أخرت من قولهم طمّ الفرس طميمها إذا استفرغ جهده الجري"(١٥).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٢) تفسير الطبري: ٢١١/٢٤.
(٣) تفسير السعدي: ٩١٠.
(٤) إعراب القرآن: ٩٢/٥.
(٥) انظر: التفسير البسيط للواحدي: ١٩٧/٢٣، وتفسير القرطبي: ٢٠٦/١٩.
(٦) انظر: النكت والعيون: ٢٠٠/٦.
(٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٨/٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٧٨/٤.
(٩) معاني القرآن: ٢٨١/٥.
(١٠) انظر: النكت والعيون: ٢٠٠/٦.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢١١/٢٤.
(١٢) انظر: تفسيرالقطربي: ٢٠٦/١٩.
(١٣) أخرجه الطبري: ٢١١/٢٤.
(١٤) غريب القرآن: ٣٢٠/١.
(١٥) الكشف والبيان: ١٢٨/١٠.

قال ابن كثير:" سميت بذلك لأنها تَطُم على كل أمر هائل مفظع، كما قال تعالى :{وَالسَّاعَةُ أَدْهَى وَأَمَرُّ} [القمر : ٤٦]"[١].

الرابع : أنها الطامة الكبرى إذا سيق أهل الجنة إلى الجنة ، وأهل النار إلى النار ، قاله الحسن[٢]، والقاسم بن الوليد[٣]، وهو معنى قول مجاهد[٤].

الخامس : أنها الطامة الكبرى حين يقال لأهل النار: قوموا إلى النار. قاله عمرو بن قيس الكندي[٥].

عن عمرو بن قيس الكندي: {فَإِذَا جَاءَتِ الطَّامَّةُ الْكُبْرَى}، قال: " إذا قيل: اذهبوا به إلى النار"[٦].

وقال سفيان: "هي الساعة التي يسلم فيها أهل النار إلى الزبانية"[٧].

قال الواحدي:" والطامة: الحادثة التي تطم على ما سواها"[٨].

قال الراغب:" الطَّمُّ: البحرُ المَطْمُومُ، يقال له: الطَّمُّ والرَّمُّ، وطَمَّ على كذا، وسمِّيَت القيامةُ طَامَّةً لذلك"[٩].

قال المبرد: «الطامة» -عند العرب-: الداهية التي لا تستطاع، أخذت -فيما أحسب- من قولهم: طمَّ الفرسُ طميمًا إذا استفرغ جهده في الجري، و"طم الماء" إذا ملأ النهر كله"[١٠].

قال الليث: الطَّمُّ: طَمُّ البئر بالتراب، وهو الكَبْس، وطم السيل الرَّكِيَّة[١١]: إذا دفنها حتى يسوِّيَها، ويقال للشيء الذي يكثر حتى يعلو: قد طم، ومن ثم قيل: فوق كل طامَّة طامَّة"[١٢].

قوله تعالى:{يَوْمَ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ مَا سَعَى} [النازعات : ٣٥]، أي:" عندئذ يُعْرَض على الإنسان كل عمله من خير وشر، فيتذكره ويعترف به"[١٣].

قال الطبري:" يقول: إذا جاءت الطامة يوم يتذكر الإنسان ما عمل في الدنيا من خير وشر، وذلك سعيه"[١٤].

قال ابن كثير:" أي : حينئذ يتذكرُ ابنُ آدم جميع عمله خيره وشره، كما قال :{يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى} [الفجر : ٢٣]"[١٥].

قوله تعالى:{وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ لِمَنْ يَرَى} [النازعات : ٣٦]، أي:" وأُظهرت جهنم لكل مُبْصِر تُرى عِيانًا"[١٦].

قال الطبري:" يقول: وأظْهرت الجحيم، وهي نار الله لمن يراها، يقول: لأبصار الناظرين"[١٧].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٨.
(٢) رواه عنه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٢٨/١٠.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢١١/٢٤، ومصنف ابن أبي شيبة(٣٥٤١٨):ص٢١١/٧.
(٤) النكت والعيون: ٢٠٠/٦.
(٥) انظر: مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٢٥٢):ص١٩٣/٧.
(٦) مصنف ابن أبي شيبة(٣٥٢٥٢):ص١٩٣/٧.
(٧) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٠٦/١٩.
(٨) التفسير البسيط: ١٩٨/٢٣.
(٩) المفردات في غريب القرآن: ٥٢٣.
(١٠) نقلا عن: التفسير البسيط للواحدي: ١٩٧/٢٣-١٩٨.
(١١)الرَّكِيَّة: البئر، والجمع: ركايا. "المصباح المنير" ١/ ٢٨٢ مادة: (ركا).
(١٢) انظر: تهذيب اللغة: ١٣/ ٣٠٦ مادة: (طم).
(١٣) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٤) تفسير الطبري: ٢١١/٢٤.
(١٥) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٨.
(١٦) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٧) تفسير الطبري: ٢١١/٢٤.

قال ابن كثير:" أي : أظهرت للناظرين فرآها الناس عيانا"[١].

القرآن

{فَأَمَّا مَنْ طَغَى (٣٧) وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا (٣٨) فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى (٣٩)} [النازعات : ٣٧-٣٨]

التفسير:

فأمَّا مَن تمرد على أمر الله، وفضل الحياة الدنيا على الآخرة، فإن مصيره إلى النار.

سبب النزول:

قال الكلبي: "نزلت في النضر وأبيه الحرث"[٢].

قال مقاتل: "نزلت هذه الآية في النضر بن الحارث بن علقمة ابن كلدة، وفي حبيب بن عبد ياليل، وأمية بن خلف الجمحي، عتبة وعتيبة ابني أبي لهب، فهؤلاء كفار ومنهم مصعب «وأبو الدوم ابنا عمير، وذلك أنهم وجدوا جزورا في البرية، ضلت من الأعراب فنحروها، وجعلوا يقتسمونها بينهم «فأصاب مصعب وأبو الدوم سهمين، ثم إن مصعب ذكر مقامه بين يدي رب العالمين، فخاف أن يحاسبه الله- تعالى- يوم القيامة، فقال: إن سهمي وسهم أخي هو لكم، فقال له عند ذلك أمية بن خلف: ولم؟ قال: إني أخاف أن يحاسبني الله به. فقال له أمية بن خلف: هاته وأنا أحمل عنك هذا الوزر عند إلهك في الآخرة وفشت تلك المقالة في قريش في أمر مصعب، فأنزل- الله تعالى-: {فَأَمَّا مَنْ طَغَى..}"[٣].

قوله تعالى:{فَأَمَّا مَنْ طَغَى} [النازعات : ٣٧]، أي:" فأمَّا مَن تمرد على أمر الله"[٤].

قال الطبري:" فأما من عتا على ربه، وعصاه واستكبر عن عبادته"[٥].

عن مجاهد، قوله: "{طَغَى}، قال: عصى"[٦].

قال مقاتل:" الثابت على الشرك"[٧].

قال ابن كثير:" أي : تَمَرّد وعتا"[٨].

قال سهل:" أي: جحد حقوق الله وكفر نعمته"[٩].

قال ابن عطية:" «طَغى» معناه: تجاوز الحدود التي ينبغي للإنسان أن يقف عندها"[١٠].

روي عن يحيى بن أبي كثير، قال: "من اتخذ من طعام واحد ثلاثة ألوان فقد طغى"[١١].

وروى جويبر عن الضحاك قال: قال حذيفة: "أخوف ما أخاف على هذه الأمة أن يؤثروا ما يرون على ما يعلمون"[١٢].

ويروى أنه وجد في الكتب: "إن الله جل ثناؤه قال" لا يؤثر عبد لي دنياه على آخرته، إلا بثثت عليه همومه وضيعته، ثم لا أبالي في أيها هلك"[١٣].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٨.
(٢) التفسير البسيط: ٢٠٠/٢٣.
(٣) تفسير مقال بن سليمان: ٥٨٠/٤-٥٨١.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٥) تفسير الطبري: ٢١٢/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢١٢/٢٤.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٠/٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٨.
(٩) تفسير التستري: ١٨٦.
(١٠) المحرر الوجيز: ٤٣٥/٥.
(١١) تفسير القرطبي: ٢٠٧/١٩.
(١٢) تفسير القرطبي: ٢٠٧/١٩.
(١٣) تفسير القرطبي: ٢٠٧/١٩.

قوله تعالى:{وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} [النازعات : ٣٨]، أي:" وفضل الحياة الدنيا على الآخرة"[١].

قال ابن جريج:" لِمَن ينظر"[٢].

قال الطبري:" يقول: وآثر متاع الحياة الدنيا على كرامة الآخرة، وما أعدّ الله فيها لأوليائه، فعمل للدنيا، وسعى لها، وترك العمل للآخرة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : قدمها على أمر دينه وأخراه"[٤].

قال مقاتل:" ولم يخف الله ولا حسابه فأكل الحرام"[٥].

قال البيضاوي:" فانهمك فيها ولم يستعد للآخرة بالعبادة وتهذيب النفس"[٦].

قال سهل: وَآثَرَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} " اتباعاً في طلب الشهوات ومتابعة المراد، ثم قال: ما طلعت شمس ولا غربت على أحد إلا وهو جاهل، إلا من يؤثر الله تعالى على نفسه وروحه ودنياه وآخرته. قيل: ما علامة بغض الدنيا؟ قال: أن تهون عليه المصائب، حتى نفسه وولده، كما قال مسلم بن يسار[٧] حين مات ولده: يا بني، شغلني الحزن لك عن الحزن عليك، اللهم إني قد جعلت ثوابك لي عليه له»[٨]، والثاني يهون عليه نعيم الدنيا ولو روحه، والثالث لا يكون شيء أقرب إليه من الله عزَّ وجلَّ، كقول عامر بن عبد القيس: «ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله أقرب إليه مني»[٩]"[١٠].

قال وهب بن منبه: "قال الله لموسى: انطلق برسالتي فإنك بسمعي وعيني، وإن معك أيدي ونصري، وإني قد ألبستك جنة من سلطاني لتستكمل بها القوة في أمري، فأنت جند عظيم من جندي بعثتك إلى خلق ضعيف من خلقي بطر نعمتي، وأمن مكري، وغرته الدنيا عني حتى جحد حقي، وأنكر ربوبيتي وزعم أنه لا يعرفني، فإني أقسم بعزتي لولا القدر الذي وضعت بيني وبين خلقي لبطشت به بطشة جبار يغضب لغضبه السموات والأرض والجبال والبحار، فإن أمرت السماء حصبته، وإن أمرت الأرض ابتلعته، وإن أمرت الجبال دمرته، وإن أمرت البحار غرقته. ولكنه هان علي وسقط من عيني ووسعه حلمي واستغنيت بما عندي وحقي إني أنا الغني لا غني غيري، فبلغه رسالتي، وادعه إلى عبادتي، وتوحيدي وإخلاصي وذكره أيامي، وحذره نقمتي وبأسي، وأخبره أنه لا يقوم شيء لغضبي، وقل له فيما بين ذلك قولا لينا لعله يتذكر أو يخشى، وأخبره أني إلى العفو والمغفرة أسرع مني إلى الغضب والعقوبة، ولا يروعنك ما ألبسته من لباس الدنيا، فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرف ولا يتنفس إلا بإذني، وقل له أجب ربك فإنه واسع المغفرة وقد أمهلك أربعمائة سنة في كلها أنت مبارزه بالمحاربة، تسبه وتتمثل به، وتصد عباده عن سبيله، وهو يمطر عليك السماء، وينبت لك الأرض لم تسقم ولم تهرم ولم تفتقر ولم تغلب، ولو شاء الله أن يعجل لك العقوبة لفعل، ولكنه ذو أناة وحلم عظيم. وجاهده بنفسك وأخيك وأنتما تحتسبان بجهاده، فإني لو شئت أن آتيه بجنود لا قبل له بها لفعلت، ولكن ليعلم هذا

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٤.

(٢)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٣) تفسير الطبري: ٢١٢/٢٤.

(٤) تفسير ابن كثير: ٣١٧/٨.

(٥) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٠/٤.

(٦) تفسير البيضاوي: ٢٨٥/٥.

(٧)مسلم بن يسار الأموي بالولاء (... - ١٠٨ هـ) : فقيه، ناسك، من رجال الحديث. أصله من مكة. سكن البصرة، فكان مفتيها، وتوفي فيها. (الحلية ٢/ ٢٩٠).

(٨)نسب هذا القول إلى عمر بن ذر لما دفن ابنه ذر بن عمر، انظر قوله في الحلية ٥/ ١٠٨- ١٠٩ وتهذيب الكمال ٢١/ ٣٣٨.

(٩)نوادر الأصول ٤/ ٧٤، وفيه (منه) مكان (إليه مني) ، وفيه أيضا أن محمد بن واسع قال: (ما نظرت إلى شيء إلا رأيت الله فيه).

(١٠) تفسير التستري: ١٨٦.

العبد الضعيف الذي قد أعجبته نفسه وجموعه أن الفئة القليلة، ولا قليل مني، تغلب الفئة الكثيرة بإذني، ولا تعجبنكما زينته ولا ما متع به، ولا تمدا إلى ذلك أعينكما فإنها زهرة الحياة الدنيا وزينة المترفين، ولو شئت أن أزينكما من الدنيا بزينة ليعلم فرعون حين ينظر إليها أن مقدرته تعجز عن مثل ما أوتيتما فعلت، ولكني أرغب بكما عن ذلك وأزويه عنكما، وكذلك أفعل بأوليائي وقديما ما جرت عادتي في ذلك، فإني لأذودهم عن نعيمها وزخارفها كما يذود الراعي الشفيق إبله عن مبارك العناء، وما ذاك لهوانهم علي ولكن ليستكملوا نصيبهم في دار كرامتي سالما موفرا لم تكلمه الدنيا، واعلم أنه لا يتزين لي العباد بزينة هي أبلغ فيما عندي من الزهد في الدنيا، فإنها زينة المتقين عليهم منها لباس يعرفون به من السكينة والخشوع، وسيماهم في وجوههم من أثر السجود، أولئك أوليائي حقا حقا، فإذا لقيتهم فاخفض لهم جناحك وذلل قلبك ولسانك. واعلم أنه من أهان لي وليا أو أخافه فقد بارزني بالمحاربة وبادأني وعرض لي نفسه ودعاني إليها، وأنا أسرع شيء إلى نصرة أوليائي، أفيظن الذي يحاربني أن يقوم لي، أم يظن الذي يعاديني أن يعجزني، أم يظن الذي يبارزني أن يسبقني أو يفوتني، وكيف وأنا الثائر لهم في الدنيا والآخرة لا أكل نصرتهم إلى غيري"[١].

قوله تعالى:{فَإِنَّ الْجَحِيمَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات : ٣٩]، أي:" فإن مصيره إلى النار"[٢].

قال الطبري:" يقول: فإن نار الله التي اسمها الجحيم، هي منزله ومأواه، ومصيره الذي يصير إليه يوم القيامة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : فإن مصيرَه إلى الجحيم وإن مطعمه من الزقوم، ومشربه من الحميم"[٤].

قال ابن عطية:" «الْمَأْوى» والمسكن حيث يأوي المرء ويلازم"[٥].

عن أبي مالك:"{الجحيم}، قال: ما عظم من النار"[٦].

قال ابن عباس: "يكشف عنها فيراها تتلظى كل ذي بصر"[٧].

وقرأ عكرمة وغيره:" لمن ترى"، بالتاء، أي: لمن تراه الجحيم، أو لمن تراه أنت يا محمد[٨].

القرآن

{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى (٤١)} [النازعات : ٤٠-٤١]

التفسير:

وأمَّا مَنْ خاف القيام بين يدي الله للحساب، ونهى النفس عن الأهواء الفاسدة، فإن الجنة هي مسكنه.

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ} [النازعات : ٤٠]، أي:" وأمَّا مَنْ خاف القيام بين يدي الله للحساب"[٩].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٥/٢٤٨-٢٤٩.
(٢) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٣) تفسير الطبري: ٢٤/٢١٢.
(٤) تفسير ابن كثير: ٨/٣١٧.
(٥) المحرر الوجيز: ٥/٤٣٥.
(٦) أخرجه ابن أبي حاتم(١٠٠٥٣):ص٦/١٨٩٤.
(٧) تفسير القرطبي: ١٩/٢٠٧.
(٨) تفسير القرطبي: ١٩/٢٠٧.
(٩) التفسير الميسر: ٥٨٤.

قال الطبري:" يقول: وأما من خاف مسألة الله إياه عند وقوفه يوم القيامة بين يديه، فاتقاه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه"[١].

قال النحاس:" أي: مقام الحساب على معاصيه"[٢].

قال السمعاني:" أي: قيامه عند ربه للحساب"[٣].

قال البيضاوي:" مقامه بين يدي ربه لعلمه بالمبدأ والمعاد"[٤].

قال ابن كثير:" أي : خاف القيام بين يدي الله عز وجل، وخاف حُكْمَ الله فيه، ونهى نفسه عن هواها، ورَدها إلى طاعة مولاها {فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى}، أي : منقلبه ومصيره ومرجعه إلى الجنة الفيحاء"[٥].

قال ابن عباس:" يقول: خاف ثم اتقى، والخائف: من ركب طاعة الله، وترك معصيته"[٦].

قال مجاهد:" هو الرجل يهم بالذنب، فيذكر مقام ربه فينزع"[٧].

قال مجاهد:" الرجل يهمّ بالذنب فيذكر مقامه بين يدي الله فيتركه.."[٨].

قال مجاهد:" هو الرجل يهمّ بمعصية الله تعالى، ثم يتركها مخافة الله"[٩].

قال إبراهيم:" إذا أراد أن يذنب أمسك مخافة الله"[١٠].

قال قتادة:" إن لله مقاما قد خافه المؤمنون"[١١].

قال قتادة:" إن المؤمنين خافوا ذاكم المقام فعملوا له، ودانوا له، وتعبَّدوا بالليل والنهار"[١٢].

قال مقاتل: نزلت في " مصعب- قتل يوم أحد - وأبا الدوم ابني عمير بن هشام بن عبد مناف بن عبد الدار بن قصي"[١٣].

قال الزمخشري:" {مَقَامَ رَبِّهِ}: موقفه الذي يقف فيه العباد للحساب يوم القيامة: {يَوْمَ يَقُومُ النَّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِينَ}، ونحوه: {لِمَنْ خافَ مَقامِي}، ويجوز أن يراد بمقام ربه: أن الله قائم عليه، أي: حافظ مهيمن من قوله تعالى: {أَفَمَنْ هُوَ قائِمٌ عَلى كُلِّ نَفْسٍ بِما كَسَبَتْ}، فهو يراقب ذلك فلا يجسر على معصيته. وقيل: هو مقحم كما تقول: أخاف جانب فلان، وفعلت هذا لمكانك "[١٤]، "وقيل: الآيتان نزلتا في أبى عزير بن عمير ومصعب بن عمير، وقد قتل مصعب أخاه أبا عزير يوم أحد، ووقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه حتى نفذت المشاقص[١٥] في جوفه"[١٦].

---

(١) تفسير الطبري: ٢١٢/٢٤.
(٢) إعراب القرآن: ٩٢/٥.
(٣) تفسير السمعاني: ١٥٣/٦.
(٤) تفسير البيضاوي: ٢٨٥/٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣١٨/٨.
(٦) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(٧) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(٨) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(٩) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(١٠) أخرجه الطبري: ٥٦/٢٣.
(١١) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.
(١٢) أخرجه الطبري: ٥٧/٢٣.
(١٣) تفسير مقال بن سليمان: ٥٨٠/٤.
(١٤) الكشاف: ٤٥١/٤-٤٥٢.
(١٥)جمع مشقص: وهو السهم الطويل العريض. أفاده الصحاح.
(١٦) الكشاف: ٦٩٨/٤.

قوله تعالى:{وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى} [النازعات : ٤٠]، أي:" ونهى النفس عن الأهواء الفاسدة"[١].

قال الطبري:" يقول: ونهى نفسه عن هواها فيما يكرهه الله، ولا يرضاه منها، فزجرها عن ذلك، وخالف هواها إلى ما أمره به ربه"[٢].

قال السمعاني:" أي: عما هواه ويشتهيه على خلاف الشرع"[٣].

قال مقاتل:" يقول: قدر على معصيته فانتهى عنها مخافة حساب ذلك اليوم"[٤].

قال الزمخشري:" {وَنَهَى النَّفْسَ} الأمارة بالسوء {عَنِ الْهَوى} المردي وهو اتباع الشهوات وزجرها عنه وضبطها بالصبر والتوطين على إيثار الخير"[٥].

قال البيضاوي:" لعلمه بأنه مرد"[٦].

قال النحاس:" الْهَوى: هو الميل إلى ما لا يحسن"[٧].

قال ابن عطية:" الْهَوى: هو شهوات النفس وما جرى مجراها، وأكثر استعماله إنما هو في غير المحمود"[٨].

وقال بعض الحكماء: "إذا أردت الصواب فانظر هواك فخالفه"[٩].

وقال الفضيل: "أفضل الأعمال خلاف الهوى"[١٠].

قال الراغب:" النهي: الزّجر عن الشيء، فإنه لم يعن أن يقول لنفسه: لا تفعل كذا، بل أراد قمعها عن شهوتها ودفعها عمّا نزعت إليه وهمّت به، وكذا النهي عن المنكر يكون تارة باليد، وتارة باللّسان، وتارة بالقلب"[١١].

قال سهل:" لا يسلم من الهوى إلا نبي وبعض الصديقين ليس كلهم، وإنما يسلم من الهوى من ألزم نفسه الأدب، وليس يصفو الأدب إلا للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وبعض الصديقين، وكذلك الأخلاق. وخرج ابن السماك[١٢] يوماً إلى أصحابه وقد اجتمعوا إليه فقال لهم: قد كثرت عظاتي لكم، تريدون دوائي لكم، قالوا: نعم. قال: خالفوا أهواءكم"[١٣].

قوله تعالى:{فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى} [النازعات : ٤١]، أي:" فإن الجنة هي مسكنه"[١٤].

قال الطبري:" يقول: فإن الجنة هي مأواه ومنزله يوم القيامة"[١٥].

قال السعدي:" {فَإِنَّ الْجَنَّةَ} المشتملة على كل خير وسرور ونعيم {هِيَ الْمَأْوَى} لمن هذا وصفه"[١٦].

قال البيضاوي:" ليس له سواها مأوى"[١٧].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٢) تفسير الطبري: ٢١٢/٢٤.
(٣) تفسير السمعاني: ١٥٣/٦.
(٤) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٠/٤.
(٥) الكشاف: ٦٩٨/٤.
(٦) تفسير البيضاوي: ٢٨٥/٥.
(٧) إعراب القرآن: ٩٢/٥.
(٨) المحرر الوجيز: ٤٣٥/٥.
(٩) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٤٣٥/٥.
(١٠) نقلا عن: المحرر الوجيز: ٤٣٥/٥.
(١١) المفردات في غريب القرآن: ٨٢٦.
(١٢)محمد بن صبيح بن السماك (... - ١٨٣ هـ) : الواعظ، الكوفي. كان في زمن هارون الرشيد. روى عنه الأعمش، وروى عنه الإمام أحمد. (الحلية ٨/ ٢٠٣ وسير أعلام النبلاء ٨/ ٣٢٨).
(١٣) تفسير التستري: ١٨٦.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١٥) تفسير الطبري: ٢١٢/٢٤.
(١٦) تفسير السعدي: ٩١٠.
(١٧) تفسير البيضاوي: ٢٨٥/٥.

القرآن

{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا (٤٢) فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا (٤٣) إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا (٤٤) إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا (٤٥) كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا (٤٦)}

[النازعات : ٤٢-٤٦]

التفسير:

يسألك المشركون أيها الرسول -استخفافاً- عن وقت حلول الساعة التي تتوعدهم بها. لستَ في شيء مِن علمها، بل مرد ذلك إلى الله عز وجل، وإنما شأنك في أمر الساعة أن تحذر منها مَن يخافها. كأنهم يوم يرون قيام الساعة لم يلبثوا في الحياة الدنيا؛ لهول الساعة إلا ما بين الظهر إلى غروب الشمس، أو ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار.

قوله تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا} [النازعات : ٤٢]، أي:" يسألك المشركون أيها الرسول -استخفافاً- عن وقت حلول الساعة التي تتوعدهم بها"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: يسألك يا محمد هؤلاء المكذّبون بالبعث عن الساعة التي تبعث فيها الموتى من قبورهم متى قيامها وظهورها"[٢].

قال الزجاج:" معناه: متى وقوعها وقيامها"[٣].

قال الثعلبي: أي:" متى ظهورها وثبوتها"[٤].

قال ابن قتيبة:" أي: متى تأتي فتستقرَّ؟ لأن الأشراط تتقدمُها"[٥].

قال الزمخشري:" متى إرساؤها، أي: إقامتها، أرادوا: متى يقيمها الله ويثبتها ويكوّنها؟ وقيل أيان منتهاها ومستقرّها، كما أنّ مرسى السفينة مستقرّها، حيث تنتهي إليه"[٦].

عن ابن عباس، والربيع:{أَيَّانَ مُرْسَاهَا}: "متى زمانها"[٧].

قال قتادة والسدي: "{مُرْسَاهَا}: قيامها"[٨].

قال الفراء:" يقول القائل: إنما الإرساء للسفينة والجبال، وما أشبههن، فكيف وصفت الساعة بالإرساء؟ قلت: هي بمنزلة السفينة إذا كانت جارية فرست، ورسوها قيامها، وليس قيامها كقيام القائم على رجله ونحوه، إنما هو كقولك: قد قام العدل، وقام الحق، أي: ظهر وثبت"[٩].

قوله تعالى:{فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا} [النازعات : ٤٣]، أي:" لستَ في شيء مِن علمها"[١٠].

عن مجاهد، قوله: "{فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا}، قال: من ذكر الساعة"[١١].

قال السعدي:" أي: ما الفائدة لك ولهم في ذكرها ومعرفة وقت مجيئها؟ فليس تحت ذلك نتيجة، ولهذا لما كان علم العباد للساعة ليس لهم فيه مصلحة دينية ولا دنيوية، بل المصلحة في خفائه عليهم، طوى علم ذلك عن جميع الخلق، واستأثر بعلمه"[١٢].

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٢) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٨١/٥.
(٤) الكشف والبيان: ١٢٩/١٠.
(٥) غريب القرآن: ٥١٣.
(٦) الكشاف ٦٩٨/٤-٦٩٩.
(٧) النكت والعيون: ٢٠٠/٦.
(٨) التفسير البسيط للواحدي: ٤٩٦/٩.
(٩) معاني القرآن: ٢٣٤/٣.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(١١) تفسير مجاهد: ٧٠٤، وأخرجه الطبري: ٢١٣/٢٤.
(١٢) تفسير السعدي: ٩١٠.

عن عائشة، قالت: لم يزل النبيّ صلى الله عليه وسلم يسأل عن الساعة، حتى أنزل الله عزّ وجل: {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا}"[١].

عن طارق بن شهاب، قال: "كان النبيّ صلى الله عليه وسلم لا يزال يذكر شأن الساعة حتى نزلت: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ... } إلى {مَنْ يخْشاهَا}"[٢].

وفي قوله تعالى:{فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا} [النازعات : ٤٣]، وجوه من التفسير:

أحدها : فيم هذا السؤال، فإن إرسالك وأنت خاتم الأنبياء وآخر الرسل وعلامة من علاماتها، فكفاهم بذلك دليلا على دنوّها ومشارفتها ووجوب الاستعداد لها، ولا معنى لسؤالهم عنها. أفاده الزمخشري[٣].

الثاني: فيم يسألك المشركون يا محمد عنها ولست ممن يعلمها، وهو معنى قول ابن عباس[٤].

قال الزمخشري:" في أي شيء أنت من أن تذكر وقتها لهم وتعلمهم به، يعنى: ما أنت من ذكرها لهم وتبيين وقتها في شيء"[٥].

قال ابن عطية:" نزلت بسبب أن قريشا كانت تلح في البعث عن وقت الساعة التي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يخبرهم بها ويتوعدهم بها ويكثر من ذلك"[٦].

الثالث : فيم أنت من أن تسأل عنها ولم أخبرك بها متى تجيء. قاله عطاء[٧]، والكلبي[٨].

قال القشيري:" من أين لك علمها ولم نعلمك ذلك"[٩].

الرابع: فيم تسأل يا محمد عنها وليس لك السؤال، وهذا معنى قول عائشة-رضي الله عنها-[١٠]، وعروة بن الزبير[١١].

قال الطبري:" يقول: في أيّ شيء أنت من ذكر الساعة والبحث عن شأنها"[١٢].

قال المراغي:" أي: ما هذه الذكرى الدائمة لها، وما هذا الاهتمام الذي جعلك لا تألو جهدا في السؤال عنها؟.. وتلخيص المعنى- لا تشغل نفسك بهذا الأمر، ولا تكلفها عناء البحث عنه، واستكناه أسراره، ومعرفة ما حجبه الله عن خلقه من شأنه "[١٣].

قال الزمخشري:" فهو على هذا تعجب من كثرة ذكره لها، كأنه قيل: في أى شغل واهتمام أنت من ذكرها والسؤال عنها. والمعنى: أنهم يسألونك عنها، فلحرصك على جوابهم لا تزال تذكرها وتسأل عنها"[١٤].

عن عروة بن الزبير , قال: " لم يزل النبي صلى الله عليه وسلم , يسأل عن الساعة حتى نزلت: {فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا} [النازعات: ٤٣] فانتهى عن المسألة عنها"[١٥].

قال ابن قتيبة:" أي: ليس عِلْمُ ذلك عندك"[١٦].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢١٣/٢٤.
(٣) انظر: الكشاف: ٦٩٩/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٠٠/٦.
(٥) الكشاف: ٦٩٩/٤.
(٦) المحرر الوجيز: ٤٣٥/٥.
(٧) انظر: التفسير البسيط: ٢٠٣/٢٢.
(٨) نقلا عن: تفسير ابن أبي زمنين: ٩٢/٥.
(٩) لطائف الإشارات: ٦٨٦/٣.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢١٣/٢٤.
(١١) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٤٨٩):ص٣٩٠/٣.
(١٢) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٤.
(١٣) تفسير المراغي: ٣٦/٣٠.
(١٤) الكشاف: ٦٩٩/٤.
(١٥) تفسير عبدالرزاق(٣٤٨٩):ص٣٩٠/٣.
(١٦) غريب القرآن: ٥١٣.

قال النحاس: أي: ليس إليك ذكرها لأنك لم تعرف وقتها"[١].

قال السمعاني:" أي: مالك ومعرفة وقت قيام الساعة؟ .. وهو مثل قول القائل لغيره: مالك وهذا الأمر؟ وفيه زجر إياه عن السؤال"[٢].

قال الشافعي:" فحجب عن نبيه - صلى الله عليه وسلم – علم الساعة، وكان من جاور ملائكة اللَّه المقربين وأنبياءه المصطفين من عباد اللَّه"[٣].

قوله تعالى:{إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا} [النازعات : ٤٤]، أي:" بل مرد ذلك إلى الله عز وجل"[٤].

أخرج ابن المنذر عن ابن جرير في قوله: "{إلى ربك منتهاها}، قال: علمها"[٥].

قال ابن عباس: "يريد: علم ذلك عندي[٦].

قال الطبري:" يقول: إلى ربك منتهى علمها، أي إليه ينتهي علم الساعة، لا يعلم وقت قيامها غيره"[٧].

قال مقاتل:" يقول: منتهى علم ذلك إلى الله- عز وجل-"[٨].

قال الزجاج:" أي: منتهى علمها"[٩].

قال الزمخشري:" أي: منتهى علمها لم يؤت علمها أحدا من خلقه"[١٠].

قال ابن كثير:" أي : ليس علمها إليك ولا إلى أحد من الخلق، بل مَردها ومَرجعها إلى الله عز وجل، فهو الذي يعلم وقتها على التعيين، {ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ لا تَأْتِيكُمْ إِلا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ} [الأعراف : ١٨٧]، وقال هاهنا :{إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا} ولهذا لما سأل جبريلُ رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عن وقت الساعة قال : «ما المسئول عنها بأعلم من السائل»[١١]"[١٢].

قال السعدي:" أي: إنما نذارتك نفعها لمن يخشى مجيء الساعة، ويخاف الوقوف بين يديه، فهم الذين لا يهمهم سوى الاستعداد لها والعمل لأجلها. وأما من لا يؤمن بها، فلا يبالي به ولا بتعنته، لأنه تعنت مبني على العناد والتكذيب، وإذا وصل إلى هذه الحال، كان الإجابة عنه عبثا، ينزه الحكيم عنه"[١٣].

قال السمعاني:" وقيل معناه: أن كل من يسأل عنه يقول: الله أعلم، فيرد علمها إلى الله"[١٤].

قوله تعالى:{إِنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ مَنْ يَخْشَاهَا} [النازعات : ٤٥]، أي:" وإنما شأنك في أمر الساعة أن تحذر منها مَن يخافها"[١٥].

قال ابن عباس:" يعني: مَن يخشى القيامة[١].

---

(١) إعراب القرآن: ٩٢/٥.
(٢) تفسير السمعاني: ١٥٣/٦.
(٣) تفسير الإمام الشافعي: ١٤٢٢/٣.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٥) الدر المنثور: ٤١٤/٨.
(٦) التفسير البسيط للواحدي: ٢٠٣/٢٣.
(٧) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٤.
(٨) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨١/٤.
(٩) معاني القرآن: ٢٨١/٥.
(١٠) الكشاف: ٦٩٩/٤.
(١١)هذا جزء من حديث جبريل الطويل وهو في صحيح مسلم برقم (٨).
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣١٨/٨.
(١٣) تفسير السعدي: ٩١٠.
(١٤) تفسير السمعاني: ١٥٣/٦.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٨٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لمحمد: إنما أنت رسول مبعوث بإنذار الساعة من يخاف عقاب الله فيها على إجرامه ولم تكلف علم وقت قيامها، يقول: فدع ما لم تكلف علمَه واعمل بما أمرت به من إنذار من أُمرت بإنذاره"[٢].

قال السمعاني:" أي: تنذر بعذاب يوم القيامة من يخشى القيامة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : إنما بعثتك لتنذر الناس وتحذرهم من بأس الله وعذابه، فمن خشي الله وخاف مقامه ووعيده، اتبعك فأفلح وأنجح، والخيبة والخسار على من كذبك وخالفك "[٤].

قرأ أبو جعفر القارئ وابن محيصن: «مُنْذِرٌ»، بالتنوين، بمعنى: أنه منذر من يخشاها[٥].

عن أبي الزناد عن أبيه أنه سمع عمر بن عبد العزيز، يقرأ: "{أنت} منذرٌ {من يخشاها}"[٦].

قوله تعالى:{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} [النازعات : ٤٦]، أي:" كأنهم يوم يرون قيام الساعة لم يلبثوا في الحياة الدنيا؛ لهول الساعة إلا ما بين الظهر إلى غروب الشمس، أو ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار"[٧].

قال الطبري:" يقول جلّ ثناؤه: كأن هؤلاء المكذّبين بالساعة، يوم يرون أن الساعة قد قامت من عظيم هولها، لم يلبثوا في الدنيا إلا عشية يوم، أو ضحى تلك العشية"[٨].

قال ابن كثير:" أي : إذا قاموا من قبورهم إلى المحشر يستقصرون مُدّة الحياة الدنيا، حتى كأنها عندهم كانت عشية من يوم أو ضُحى من يوم"[٩].

قال القشيري:" فلشدة ما يرون تقل عندهم كثرة ما لبثوا تحت الأرض"[١٠].

قال المراغي:" أي: إن هذا اليوم الذي لجوا في إنكاره سيقع البتة، ويرونه بأعينهم، فإذا عاينوه حسبوا أنهم لم يلبثوا في الدنيا إلا ساعة من نهار ثم انقضت"[١١].

قال الفراء:" يقول القائل: وهل للعشى ضحا؟ إنما الضحى لصدر النهار، فهذا بين ظاهر من كلام العرب أن يقولوا: آتيك العشية أو غداتها، وآتيك الغداة أو عشيتها. تكون العشية في معنى: آخر، والغداة في معنى: أول، أنشدني بعض بنى عقيل[١٢]:

نَحْنُ صَبَحْنا عامِرًا فِي دَارِها ... عَشِيَّةَ الهِلالِ أوْ سِرَارِها

أراد عشية الهلال أو عشية سرار العشية، فهذا أسد من آتيك الغداة أو عشيتها"[١٣].

عن ابن جريج:" {إلّا عَشِيَّةً} قال: من الدنيا، {أوْ ضُحاها} قال: العَشِيّة"[١٤].

عن ابن عباس :"{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا} أما عَشِيَّة : فما بين الظهر إلى غروب الشمس، {أَوْ ضُحَاهَا} ما بين طلوع الشمس إلى نصف النهار"[١].

---

(١)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم، وابن مردويه.
(٢) تفسير الطبري: ٢١٣/٢٤.
(٣) تفسير السمعاني: ١٥٣/٦.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣١٨/٨.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢١٣/٢٤.
(٦) تفسير القرآن من الجامع لابن وهب(١٢٩):ص٥٧/٣، وتفسير الطبري: ٢١٣/٢٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٤.
(٨) تفسير الطبري: ٢١٤/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣١٨/٨.
(١٠) لطائف الإشارات: ٦٨٦/٣.
(١١) تفسير المراغي: ٣٧/٣٠.
(١٢)الرجز بلا نسبة في لسان العرب ٢/ ٥٠٣ (صبح)، ٤/ ٣٥٧ (سرر)؛ وتاج العروس ٦/ ٥١٧ (صبح)؛ ومقاييس اللغة ٣/ ٦٧؛ وتهذيب اللغة ٤/ ٢٦٥، ١٢/ ٢٨٥ ، وشرح ديوان الحماسة: ٣٧٧.
(١٣) معاني القرآن: ٢٣٤/٣-٢٣٤.
(١٤)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

عن قتادة، قوله: "{كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إلا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا}: وقت الدنيا في أعين القوم حين عاينوا الآخرة"[٢].

قال الثعلبي:" {لَمْ يَلْبَثُوا} في الدنيا، قيل: في قبورهم، {إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها}"[٣].

قال السمعاني:" فإن قيل: كيف يصح هذا الظن، وعندكم أنهم يعذبون في قبورهم؟ والجواب: أنهم يخفتون خفتة بين النفختين، فإذا بعثوا ظنوا ما بينا، لأنهم نسوا العذاب في تلك الخفتة"[٤].

قال النحاس:" أي: زال عنهم ما كانوا فيه فلم يفكروا في ما مضى وقلّ عندهم، وكان في هذا معنى التنبيه لمن اغتر بالدنيا وسلامته فيها في أنه سيتركها عن قليل ويذهب عنه ما كان يجد فيها من اللّذة والسرور فكأنه لم يلبث فيها إلا عشيّة أو ضحاها"[٥].

عن ابن عباس:" إذا عَسِر على المرأة ولدها، فيُكتب هاتين الآيتين والكلمات في صَحْفَة، ثم تُغسل، فتُسقى منها: بسم الله الذي لا إله إلا هو الحليم الكريم، سبحان الله ربّ السماوات السبع، وربّ العرش العظيم، {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَها لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحاها}، {كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ ما يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلّا ساعَةً مِن نَهارٍ بَلاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلّا القَوْمُ الفاسِقُونَ} [الأحقاف: ٣٥]"[٦].

فوائد الآيات: [٣٤-٤٦]:

١- تقرير عقيدة البعث والجزاء ب١كر أحوالها وصفاتها.

٢- الناس يوم القيامة مؤمن تقي في الجنة، وكافر وفاجر في النار.

٣- بيان استئثار الله تعالى بعلم الغيب والساعة، فإن مجيء الساعة من مفاتيح الغيب التي استأثر الله تعالى بعلمها، كما قال تعالى: {إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ الْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ مَاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ} [لقمان: ٣٤] وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً} [الأعراف: ١٨٧] الآية، وقال تعالى: {يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا - فِيمَ أَنْتَ مِنْ ذِكْرَاهَا - إِلَى رَبِّكَ مُنْتَهَاهَا} [النازعات: ٤٢ - ٤٤] الآيات، ولما «قال جبريل للنبي صلى الله عليه وسلم: فأخبرني عن الساعة. قال: ما المسئول عنها بأعلم من السائل» [٧]، وذكر أماراتها وزاد في رواية: «في خمس لا يعلمهن إلا الله تعالى» ، وتلا الآية السابقة.

٤- بيان أي الشدائد ينسى بعضها بعضا فإن عذاب القبر يهون أمام عذاب النار.

«آخر تفسير سورة (النازعات)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

---

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣١٨/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٢١٤/٢٤.

(٣) الكشف والبيان: ١٢٩/١٠.

(٤) تفسير السمعاني: ١٥٣/٦.

(٥) إعراب القرآن: ٩٣/٥.

(٦)أخرجه ابن أبي شيبة ٥/ ٣٩ (٢٣٥٠٨) واللفظ له، والبيهقي في الدعوات الكبير ٢/ ١٩٨ (٥٦٥)، والثعلبي ٩/ ٢٧، من طريق محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، عن الحكم بن عُتيبة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس به.

وفي سنده محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى، قال عنه ابن حجر في التقريب (٦٠٨١): «صدوق سيء الحفظ جدًا».

(٧)رواه البخاري (٥٠، ٤٧٧٧) ، ومسلم (الإيمان / ١، ٥).

بسم الله الرحمن الرحيم

تفسير سورة «عبس»

«سورة عبس» هي السورة الثمانون بحسب الرسم القرآني وهي السورة الثانية من المجموعة التاسعة من قسم المفصل، بعد سورة «النجم» وقبل سورة «القدر» ، فهي تعتبر السورة الثالثة والعشرون في ترتيب النزول، وآياتها ثنتان وأربعون في الحجاز، والكوفة، وواحدة في البصرة، وأربعون في الشأم. وكلماتها مائتان وثلاث وثلاثون. وحروفها خمسمائة وثلاث وثلاثون. والمختلف فيها من الآي ثلاث: {وَلِأَنْعَامِكُمْ} [عبس : ٣٢]، {طَعَامِهِ} [عبس : ٢٤]، {الصَّاخَّةُ} [عبس : ٣٣]. فواصل آياتها «هما»، وعلى الميم آية: {وَلِأَنْعَامِكُمْ} [عبس : ٣٢][١].

- **أسماء السورة:**
- **أولا:- اسمها التوقيفي: «سورة عبس»:**

سميت هذه الصورة في المصاحف وكتب التفسير وكتب السنة «سورة عبس»، ووجه تسميتها لافتتاحها بهذا الوصف البشري وهو عتاب للنبي-صلى الله عليه وسلم- على عبوسه في وجه الأعمى، قال تعالى: {عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)} [عبس : ١ - ٢].

- **ثانيا:- أسماؤها الاجتهادية:**
- **الاسم الأول: «سورة السفرة»:**

وردت هذه التسمية في بعض كتب التفسير وعلوم القرآن[٢]، ووجه تسميتها، أنها وقعت فيها هذه اللفظة وهي في قوله تعالى: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)} [عبس : ١٥ - ١٦].

- **الاسم الثاني: «سورة الصاخة»:**

سماها بهذا الاسم الخفاجي في حاشيته[٣]، كما ذكرها الألوسي في تفسيره[٤]، والقاسمي[٥]، والبقاعي[٦]. ولعل سبب تسميتها بسورة «الصاخة»، لأن هذه اللفظة وردت فيها في قوله تعالى: {فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ} [عبس : ٣٣]، ولم ترد في غيرها من سور القرآن الكريم.

- **الاسم الثالث: «سورة الأعمى»:**

ابن الهائم في «التبيان»[٧]، والألوسي في "تفسيره"[٨]، وقال أنها "سميت في غير كتاب سورة الأعمى"[٩]، ولم يفصل في كلامه.

وقال ابن عاشور:" في «أحكام ابن العربي» عنونها «سورة ابن أم مكتوم» . ولم أر هذا لغيره"[١٠].

---

(١) انظر: بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.

(٢) انظر: مثلا: تفسير الطبرسي: ٣٢/٣٠، والجمل: ٤٨٦/٤، وفتح القدير للشوكاني: ٥٣٨/٥، وروح المعاني: ٢٤١/١٥، وجمال القراء: ٩٢، وسماها العيني في "عمدة القاري: ١٣٨/١٦.

(٣) انظر: حَاشِيةُ الشِّهَابِ عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي، المُسَمَّاة: عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي عَلَى تفْسيرِ البَيضَاوِي: ٣١٩/٨.

(٤) انظر: روح المعاني: ٢٤١/١٥.

(٥) .

(٦) انظر: روح المعاني: ٢٤١/١٥.

(٧) انظر: التبيان في تفسير غريب القرآن: ٣٣٥.

(٨) انظر: روح المعاني: ٢٤١/١٥.

(٩) روح المعاني: ٢٤١/١٥.

(١٠) التحرير والتنوير: ١٠١/٣٠.

وكل ذلك تسمية بألفاظ وقعت فيها لم تقع في غيرها من السور أو بصاحب القصة التي كانت سبب نزولها، وهي أسماء من اجتهاد المفسرين ولم تثبت عن النبي-صلى الله عليه وسلم- ، في خبر صحيح، كما لم يرد عن الصحابة-رضوان الله عليهم أجمعين- أثر في تسميتها.

- **مكية السورة ومدنيتها:**

عن ابن عباس قال: " نزلت سورة عبس بمكة"[١]. وروي عن عبد الله بن الزبير مثله[٢].
قال ابن عطية:" هي مكية بإجماع المفسرين"[٣].
قال ابن الجوزي:" هي مكّيّة كلّها بإجماعهم"[٤].

- **مناسبة السورة لما قبلها:**

ومناسبتها- لما قبلها- أنه ذكر هناك أنه منذر من يخشاها- وذكر هنا من ينفعه الإنذار[٥].

- **أغراض السورة ومقاصدها**

تتمثل مقاصد سورة عبس الإجمالية في التأكيد على أن المراد الأعظم هو تزكية القابل للخشية بالتخويف بالقيامة التي قام الدليل على القدرة عليها بابتداء خلق الإنسان، وبكل من الابتداء والإعادة لطعامه والتعجيب ممن أعرض مع قيام الدليل، والإشارة إلى أن الاستغناء والترف أمارة الإعراض وعدم القابلية والتهيؤ للكفر والفجور، وإلى أن المصائب أمارة للطهارة والإقبال واستكانة القلوب وسمو النفوس لشريف الأعمال، فكل من كان فيها أرسخ كان قلبه أرق وألطف فكان أخشى، فكان الإقبال عليه أحب وأولى، واسمها {عبس} هو الدال على ذلك بتأمل آياته وتدبر فواصله وغاياته.

١- عتاب الله تعالى لحبيبه المصطفى وخاتم أنبيائه محمد صلى الله عليه وسلم، لتذكيره بالمساواة بين المسلمين في الدعوة إليه، ولا فرق بين أجناسهم وألوانهم ومكانتهم فكلهم سواء في الإسلام.

٢- اللطف مع الآخرين وإن كانوا يستحقون الزجر وأسلوب التأديب، فلا يجوز مقابلة ذلك بالجفاء.

٣- عمى البصر ليس العمى الحقيقي وإنّما يكون العمى الحقيقي هو عمى البصيرة، وهو النور الذي يمنحه الله تعالى للمؤمن في قلبه فيميّز الحق من الباطل.

٤- الاهتمام بمن اهتدى والحرص عليه وذلك بتعليمه، وعدم الانشغال مع الذين لا يرغبون دعوة الله تعالى.

٥- آيات الله تعالى فيها العظة والعبرة للإنسان، فهي سهلة واضحة الفهم لإدراك العقل وبذلك عليه أن يختار طريق الحق فيرحمه الله ويدخله جنانه، أو يختار طريق الضلال فيلعنه الله ويدخله النار، وقد اشتملت السورة على عرض نعم الله على الإنسان كالأشجار والغابات وأنواع الفواكه المختلفة كالزيتون والنخل، بالإضافة إلى إعطائه القوة وإخراج الماء، وهذا ما يحتاجه الإنسان في حياته وينتفع به، فنعم الله عليه لا تُعدّ ولا تُحصى.

٦- استعراض أهوال يوم القيامة، وفيها يخاف الإنسان ويفزع من أهوالها ويخاف لقاءه لهذا اليوم، ينقسم الناس يوم القيامة إلى فريقين: المؤمنون السعداء الذين تكون وجوههم مشرقةً ونيّرةً من طيب أعمالهم الصالحة، فيجازيهم الله تعالى الجنة حيث النعيم الأبدي،

---

(١) انظر: الدر المنثور: ٤١٥/٨، وعزاه إلى ابن الضريس والنحاس وابن مردويه والبيهقي في الدلائل.
(٢) انظر: الدر المنثور: ٤١٥/٨، وعزاه ابن مردويه.
(٣) المحرر الوجيز: ٤٣٦/٥.
(٤) زاد المسير: ٣٩٩/٤.
(٥) انظر: تفسير المراغي: ٣٨/٣٠.

أما الفريق الآخر فهم الكافرون الأشقياء وتكون وجوههم مسودةً يوم القيامة لسوء ما بشّروا به يوم القيامة بسبب كفرهم وعصيانهم في الدنيا فجزاؤهم نار جهنم خالدين فيها.

قال الفيروزآبادي:" معظم مقصود السورة: بيان حال الأعمى، وذكر شرف القرآن، والشكاية من أبى جهل، وإنكاره البعث والقيامة، وإقامة البرهان من حال النبات على البعث، وإحياء الموتى، وشغل الخلق في العرصات، وتفاوت حال أهل الدرجات والدركات، في قوله: {وُجُوهٌ } [عبس : ٣٨]، إلى آخرها"[١].

- **الناسخ والمنسوخ:**

المنسوخ فيها آية واحدة: {فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ} [عبس : ١٢]، نسختها آية السيف[٢].

قال هبة الله:" هِي أحدى السُّور السَّبع عشرَة الْمُخْتَلف فِي تنزيلهن وَهِي محكمَة إِلَّا آيَة وَاحِدَة وَهِي قَوْله تَعَالَى {كلا إِنَّهَا تذكرة}، هَذَا مُحكم والمنسوخ مِنْهَا: {فَمن شَاءَ ذكره}، نسخ ذَلِك بقوله تَعَالَى {وَمَا تَشاؤونَ إِلَّا أَن يَشاءَ اللَّه}"[٣].

- **فضائل السورة:**

- عن أبي بن كعب، قال: قال رسول الله صلّى الله عليه وسلّم: «من قرأ سورة عَبَسَ وَتَوَلَّى جاء يوم القيامة ووجهه ضاحك مستبشر» [٤].[موضوع]

هذا ما تيسر من التمهيد للسورة، وسوف نبدأ في تفسير آياتها بالتفصيل والتحليل، والله نسأل أن يوفقنا جميعا لما يحبه ويرضاه وأن يجنبنا فتنة القول والعمل. وأن يجعل أعمالنا وأقوالنا ونوايانا خالصة لوجهه الكريم.

---

(١)بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.
(٢) انظر: صائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز: ٥٠١/١.
(٣) الناسخ والمنسوخ: ١٩٤.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٠/١٠، وانظر: تفسير مجمع البيان: ٣٦٣/١٠. [والحديث موضوع].

القرآن

{عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢)} [عبس : ١-٢]

التفسير:

ظهر التغير والعبوس في وجه الرسول صلى الله عليه وسلم، وأعرض لأجل أن الأعمى عبد الله بن أم مكتوم جاءه مسترشدا، وكان الرسول صلى الله عليه وسلم منشغلا بدعوة كبار قريش إلى الإسلام.

سبب النزول:

عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: "أنزلت عبس وتولى في ابن أم مكتوم الأعمى فقالت: أتى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فجعل يقول: أرشدني، قالت: وعند رسول الله صلى الله عليه وسلم من عظماء المشركين، قالت: فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرض عنه ويقبل على الآخر ويقول: «أترى ما أقول بأسا»، فيقول: «لا». ففي هذا أنزلت {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس : ١]"[(١)].

قال مقاتل بن سليمان: يقول {عَبَسَ} ... نزلت في عبد الله بن أبى سَرح الأعمى، وأُمّه أُمّ مكتوم، اسمه: عمرو بن قيس بن زائدة بن رواحة بن الأصم بن حجر بن عبد ود بن بغيض بن عامر بن لؤي بن غالب. وأما أُمّ مكتوم اسمها: عاتكة بنت عامر بن عتكة بن عامر بن مخزوم بن يقظة بن مُرّة بن كعب بن لؤي، وذلك أنه ذات يوم كان جالسًا في المسجد الحرام وحده ليس معه ثانٍ، وكان رجلًا مكفوف البصر، إذ نزل مَلكان من السماء ليُصلّيا في المسجد الحرام، فقالا: مَن هذا الأعمى الذي لا يُبصر في الدنيا ولا في الآخرة؟ قال أحدهما: ولكن أعجبُ مِن أبي طالب يدعو الناس إلى الإسلام! وهو لا يبصرهما، ويسمع ذلك، فقام عبد الله حتى أتى رسول الله - صلى الله عليه وسلم -، وإذا معه أُميّة بن خلف، والعباس بن عبد المطلب، وهما قيام بين يديه يَعرض عليهما الإسلام، فقال عبد الله: يا محمد، قد جئتك تائبًا، فهل لي مِن توبة؟ فأعرَض النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - وجهه عنه، وأقبل بوجهه إلى العباس وأُميّة بن خلف، فكَرّر عبد الله كلامه، فأعرَض النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بوجهه وكَلح، فاستحيى عبد الله، وظن أنه ليس له توبة، فرجع إلى منزله؛ فأنزل الله - عز وجل - فيه: {عَبَسَ وتَوَلّى} يعني: كَلح النبي - صلى الله عليه وسلم -، {وتَوَلّى أنْ جاءَهُ الأعْمى}"[(٢)].

---

(١)أخرجه الحاكم في المستدرك(٣٨٩٦):ص٥٥٨/٢، وقال:" هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه، فقد أرسله جماعة عن هشام بن عروة". وأخرجه الطبري: (٢١٧/٢٤)، والترمذي (٥ / ٤٣٢ - ح: ٣٣٣١) وأبو يعلى (تفسير ابن كثير: ٣١٩/٨) وابن مردويه (فتح القدير: ٣٨٦/٥) من طريق يحيى عن هشام عن أبيه عن عائشة به, وإسناده صحيح. وأخرجه الإمام مالك (الموطأ برواية يحيى بن يحيى: ١٣٦ - ح: ٤٧٦) عن عروة مرسلا به.

وقال مقاتل في سبب نزول الآية:"" نزلت في عبد الله بن أبى سرح الأعمى، وأمه أم مكتوم، اسمه عمرو بن قبس بن زائدة بن رواحة بن الأصم بن حجر بن عبدود بن بغيض بن عامر بن لؤي بن غالب. وأما أم مكتوم: اسمها عاتكة بنت عامر بن عتكة بن عامر بن مخزوم بن يقظة بن مرة بن كعب بن لؤي، وذلك أنه ذات يوم كان جالسا في المسجد الحرام وحده ليس معه ثان، وكان رجلا مكفوف البصر، إذ نزل ملكان من السماء ليصليا في المسجد الحرام، فقالا: من هذا الأعمى الذي لا يبصر في الدنيا ولا في الآخرة؟ قال أحدهما: ولكن أعجب من أبي طالب يدعو الناس إلى الإسلام! وهو لا يبصرهما، ويسمع ذلك، فقام عبد الله حتى أتى رسول الله- صلى الله عليه وسلم- وإذا معه أمية بن خلف، والعباس بن عبد المطلب وهما قيام بين يديه يعرض عليهما الإسلام، فقال عبد الله: يا محمد، قد جئتك تائبا فهل لي من توبة؟ فأعرض النبي- صلى الله عليه وسلم- وجهه عنه، وأقبل بوجهه إلى العباس وأمية بن خلف، «فكرر عبد الله كلامه، فأعرض النبي- صلى الله عليه وسلم- بوجهه وكلح، فاستحيى عبد الله وظن أنه ليس له توبة فرجع إلى منزله، فأنزل الله- عز وجل- فيه: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} [عبس : ١]". [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٨٩/٤-٥٩٠]

(٢)تفسير مقاتل بن سليمان ٤/ ٥٨٩ - ٥٩٠.

قال الطبري-في تفسير الآية-: "يقول: قبض وجهه تكرها، وأعرض لأن جاءه الأعمى"[١].

قال القشيري:" يقال: في الخطاب لطف.. وهو أنه لم يواجهه بل قاله على الكناية"[٢].

قال الصاوي: "إنما أتى بضمائر الغيبة: {عَبَسَ وَتَوَلَّى} تلطفا به -صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ - وإجلالاً له، لما في المشافهة بتاء الخطاب ما لا يخفى من الشدة الصعوبة"[٣].

قال الزجاج:" نزلت في عبد اللَّه ابن أمِّ مكتوم. كان صار إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - والنبي يدعو بعض أشراف قريش إلى الإسلام رجاء أن يسلم بإسلامه غيره، فتشَاغَل - عليه السِلام - بدعائه عن الإقبال على عبد الله بن أم مكتوم، فأمره الله ألا يتشاغَلَ عن الإقبال على أحَدٍ من المسلمين بغيره"[٤].

قال الزمخشري:" وفي ذكر «الأعمى»، كأنه يقول: قد استحق عنده العبوس والإعراض لأنه أعمى، وكان يجب أن يزيده لعماه تعطفا وترؤفا وتقريبا وترحيبا، ولقد تأدّب الناس بأدب الله في هذا تأدبا حسنا، فقد روى عن سفيان الثوري رحمه الله أنّ الفقراء كانوا في مجلسه أمراء"[٥].

قال ابن كثير:" ذكر غيرُ واحد من المفسرين أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يوما يخاطبُ بعض عظماء قريش، وقد طمع في إسلامه، فبينما هو يخاطبه ويناجيه إذ أقبل ابنُ أم مكتوم - وكان ممن أسلم قديما - فجعل يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن شيء ويلح عليه، وودّ النبي صلى الله عليه وسلم أن لو كف ساعته تلك ليتمكن من مخاطبة ذلك الرجل ؛ طمعا ورغبة في هدايته. وعَبَس في وجه ابن أم مكتوم وأعرض عنه، وأقبل على الآخر، فأنزل الله عز وجل : {عَبَسَ وَتَوَلَّى (١) أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى (٢) وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣)} [عبس : ١ - ٣]"[٦].

عن هشام، عن أبيه، قال: "نزلت في ابن أمّ مكتوم: "{عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى}"[٧].

عن مجاهد: "{أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى}، قال: رجل من بني فهر، يقال له: ابن أمّ مكتوم"[٨].

عن قتادة: "{عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى}: عبد الله بن زائدة، وهو ابن أمّ مكتوم، وجاءه يستقرئه، وهو يناجي أُميَّة بن خلف، رجل من عِلْية قريش، فأعرض عنه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، فأنزل الله فيه ما تسمعون: {عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى}، إلى قوله: {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى}، ذُكر لنا أن نبيّ الله صلى الله عليه وسلم استخلفه بعد ذلك مرّتين على المدينة في غزوتين غزاهما يصلي بأهلها"[٩].

قال قتادة:" جاء ابن أمّ مكتوم إلى النبيّ صلى الله عليه وسلم وهو يكلم أبيَّ بن خَلَف، فأعرض عنه، فأنزل الله عليه: {عَبَسَ وَتَوَلَّى}، فكان النبيّ صلى الله عليه وسلم بعد ذلك يُكرمه قال أنس: فرأيته يوم القادسية عليه درع، ومعه راية سوداء"[١٠].

عن أنس بن مالك:" أنه رآه يوم القادسية معه راية سوداء، وعليه درع له"[١١].

---

(١) تفسير الطبري: ٢١٧/٢٤.
(٢) لطائف الإشارات: ٦٨٨/٣. أي: تحدث عن عبوس الوجه بضمير الغائب، ثم جاء العتاب بضمير الخطاب.
(٣) نقلا عن: صفوة التفاسير: ٤٩٤/٣.
(٤) معاني القرآن: ٢٨٣/٥.
(٥) الكشاف: ٧٠١/٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣١٩/٨.
(٧) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٤.
(٩) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٤.
(١٠) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٢١٨/٢٤-٢١٩.

قال الضحاك :" تصدّى رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل من مشركي قريش كثير المال، ورجا أن يؤمن، وجاء رجل من الأنصار أعمى يقال له: عبد الله بن أمّ مكتوم، فجعل يسأل نبيّ الله صلى الله عليه وسلم فكرهه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم وتولى عنه، وأقبل على الغنيّ، فوعظ الله نبيه، فأكرمه نبيّ الله صلى الله عليه وسلم، واستخلفه على المدينة مرّتين في غزوتين غزاهما"[١].

قال ابن زيد:" جاء ابن أمّ مكتوم إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقائده يبصر، وهو لا يبصر، قال: ورسول الله صلى الله عليه وسلم يشير إلى قائده يكفّ، وابن أمّ مكتوم يدفعه ولا يُبصر؛ قال: حتى عبس رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعاتبه الله في ذلك، فقال: {عَبَسَ وَتَوَلَّى أَنْ جَاءَهُ الأَعْمَى وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ... } إلى قوله: {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} قال ابن زيد: كان يقال: لو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كَتَمَ من الوحي شيئا، كتم هذا عن نفسه، قال: وكان يتصدّى لهذا الشريف في جاهليته رجاء أن يسلم، وكان عن هذا يتلَّهى"[٢].

عن عبد الرحمن بن زيد بن أسلم، قال:" لو أنّ رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كتم شيئًا مِن الوحي كتم هذا عن نفسه"[٣].

عن الحكم بن عُتيبة، قال: "ما رُئِي رسولُ الله - صلى الله عليه وسلم - بعد هذه الآية متصديًّا لِغنيٍّ، ولا مُعرِضًا عن فقير"[٤].

عن أبي أُمامة، قال: "أقبل ابن أُمّ مكتوم الأعمى، وهو الذي نزل فيه: {عَبَسَ وتَوَلّى أنْ جاءَهُ الأعْمى}. فقال: يا رسول الله، أنا كما ترى قد كَبِرتْ سِنّي، ورقّ عظمي، وذهب بصري، ولي قائد لا يلائمني قياده إياي؛ فهل تجد لي من رخصة أُصلّي الصلوات في بيتي. قال: «هل تسمع المؤذن؟». قال: نعم. قال: «ما أجد لك مِن رخصة»"[٥].

عن كعب بن عُجرة: إنّ الأعمى الذي أنزل الله فيه: {عَبَسَ وتَوَلّى} أتى النبيَّ - صلى الله عليه وسلم -، فقال: يا رسول الله، إني أسمع النداء، ولعلّي لا أجد قائدًا. فقال: «إذا سمعتَ النداء فأجب داعي الله»[٦].

القرآن

{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى (٣) أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى (٤)} [عبس : ٣-٤]

التفسير:

---

(١) أخرجه الطبري: ٢١٩/٢٤.

(٢) أخرجه الطبري: ٢١٩/٢٤.

(٣)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٤)عزاه السيوطي إلى ابن أبي حاتم.

(٥)أخرجه الطبراني في الكبير ٨/ ٢٢٤ (٧٨٨٦) مطولًا، من طريق علي بن يزيد، عن القاسم، عن أبي أمامة به.

قال الهيثمي في المجمع ٢/ ٤٣ (٢١٦٧): «فيه علي بن يزيد الألهاني عن القاسم، وقد ضعّفهما الجمهور، واختُلف في الاحتجاج بهما».

(٦)أخرجه الطبراني في الكبير ١٩/ ١٣٨ (٣٠٤)، والدارقطني ٢/ ٤٦٢ (١٨٨٠)، من طريق سليمان بن أبي داود الحراني، عن عبد الكريم الجزري، عن زياد بن أبي مريم، عن عبد الله بن معقل، عن كعب بن عُجرة به.

وأخرجه الطبراني في الكبير ١٩/ ١٣٩ (٣٠٥)، من طريق يزيد بن محمد بن سنان الرهاوي، عن أبيه، عن أبيه، عن زيد بن أبي أنيسة، عن عدي بن ثابت، عن عبد الله بن معقل، عن كعب بن عجرة به.

قال ابن أبي حاتم في العلل ٢/ ٣٧٥ (٤٤٩): «قال أبي: هذا حديث منكر». وقال الهيثمي في المجمع ٢/ ٤٢ (٢١٦٦): «فيه يزيد بن سنان؛ ضعّفه أحمد، وجماعة. وقال أبو حاتم: محله الصدق. وقال البخاري: مقارب الحديث». وقال الألباني في الصحيحة ٣/ ٣٣٩ - ٣٤٠ (١٣٥٤): «الحديث صحيح على كل حال؛ فإن له شواهد عديدة من حديث أبي هريرة عند مسلم وأبي عوانة وغيرهما». وأصل الحديث في صحيح مسلم ٢٥٥ - (٦٥٣) دون تعيين اسم الأعمى.

وأيُّ شيء يجعلك عالمًا بحقيقة أمره؟ لعله بسؤاله تزكو نفسه وتطهر، أو يحصل له المزيد من الاعتبار والازدجار.

قوله تعالى:{وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى} [عبس : ٣]، أي:" وأيُّ شيء يجعلك عالمًا بحقيقة أمره؟ لعله بسؤاله تزكو نفسه وتطهر"(١).

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: وما يدريك يا محمد لعلّ هذا الأعمى الذي عَبَست في وجهه يتطهَّر من ذنوبه"(٢).

عن ابن زيد: "{لَعَلَّهُ يَزَّكَّى}: يسلم"(٣).

قال السدي:" المعنى: لعله يزكى ويذَّكَّر"(٤).

قال السعدي:" أي: الأعمى، يتطهر عن الأخلاق الرذيلة، ويتصف بالأخلاق الجميلة"(٥).

قال الزمخشري:" وأيّ شيء يجعلك داريا بحال هذا الأعمى؟ {لَعَلَّهُ} يتطهر بما يتلقن من الشرائع من بعض أوضار الإثم.. وقيل: الضمير في {لَعَلَّهُ} للكافر. يعنى: أنك طمعت في أن يتزكى بالإسلام، أو يتذكر فتقرّبه الذكرى إلى قبول الحق، وما يدريك أن ما طمعت فيه كائن"(٦).

قوله تعالى:{أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى} [عبس : ٤]، أي:" أو يحصل له المزيد من الاعتبار والازدجار"(٧).

قال الطبري:" يقول: أو يتذكَّر فيعتبر فينفعه الاعتبار والاتعاظ"(٨).

قال الزمخشري:" أو يتعظ {فَتَنْفَعَهُ} ذكراك، أي: موعظتك، وتكون له لطفا في بعض الطاعات. والمعنى: أنك لا تدرى ما هو مترقب منه، من تزكّ أو تذكر، ولو دريت لما فرط ذلك منك"(٩).

قال السعدي:" أي: يتذكر ما ينفعه، فيعمل بتلك الذكرى، وهذه فائدة كبيرة، هي المقصودة من بعثة الرسل، ووعظ الوعاظ، وتذكير المذكرين، فإقبالك على من جاء بنفسه مفتقرا لذلك منك، هو الأليق الواجب، وأما تصديك وتعرضك للغني المستغني الذي لا يسأل ولا يستفتي لعدم رغبته في الخير، مع تركك من هو أهم منه، فإنه لا ينبغي لك، فإنه ليس عليك أن لا يزكى، فلو لم يتزك، فلست بمحاسب على ما عمله من الشر.

فدل هذا على القاعدة المشهورة، أنه: «لا يترك أمر معلوم لأمر موهوم، ولا مصلحة متحققة لمصلحة متوهمة»، وأنه ينبغي الإقبال على طالب العلم، المفتقر إليه، الحريص عليه أزيد من غيره"(١٠).

القرآن

{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى (٦) وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى (٧)} [عبس : ٥-٧]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٢) تفسير الطبري: ٢١٩/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢١٩/٢٤.
(٤)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٩٤ -.
(٥) تفسير السعدي: ٩١٠.
(٦) الكشاف: ٧٠١/٤.
(٧) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٨) .
(٩) الكشاف: ٧٠١/٤.
(١٠) تفسير السعدي: ٩١٠.

أما مَن استغنى عن هديك، فأنت تتعرض له وتصغي لكلامه، وأي شيء عليك ألا يتطهر من كفره؟

قوله تعالى:{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى (٥) فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى} [عبس : ٥-٦]، أي:" أما مَن استغنى عن هديك، فأنت تتعرض له وتصغي لكلامه"[١].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره لنبيه محمد صلى الله عليه وسلم: أما من استغنى بماله فأنت له تتعرّض رجاء أن يُسلِم"[٢].

قال الزجاج: {تَصَدَّى}، " أي: أنت تقبل عليه"[٣].

قال أبو عبيدة: أي:" تعرّض له"[٤].

قال الزمخشري:" تتعرض بالإقبال عليه، والمصاداة. المعارضة"[٥].

قال ابن قتيبة:" تعرَّضُ. يقال: فلان يتَصَدَّى لفلان؛ إذا تعرَّضَ له ليراه"[٦].

عن سفيان: "{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى}، قال: نزلت في العباس"[٧].

عن مجاهد:"{أَمَّا مَنِ اسْتَغْنَى}، قال: عتبة بن ربيعة، وشيبة بن ربيعة"[٨].

قال أبو مالك:" جاءه عبد الله بن أُمّ مكتوم، فعَبس في وجهه وتولّى، وكان يتصدّى لأُميّة بن خلف؛ فقال الله: {أمّا مَنِ اسْتَغْنى فَأَنْتَ لَهُ تَصَدّى}"[٩].

وقرئ:«تَصَّدَّى»، بإدغام التاء، فالمعنى –أيضا-: تتَصَدَّى، إلا أن التاء أدغمت في الصاد لقرب المخرجين - مخرج التاء مِنَ الصاد[١٠].

قوله تعالى:{وَمَا عَلَيْكَ أَلَّا يَزَّكَّى} [عبس : ٧]، أي:" وأي شيء عليك ألا يتطهر من كفره؟"[١١].

قال الطبري:" يقول: وأي شيء عليك أن لا يتطهَّر من كفره فيُسلم؟"[١٢].

قال الزجاج:" أي: أيّ شيء عليك أن لا يسلم من تَدْعُوه إلى الإسلام"[١٣].

قال الزمخشري:" وليس عليك بأس في أن لا يتزكى بالإسلام {إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغ} [الشورى : ٤٨]"[١٤].

القرآن

{وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى (٩) فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى (١٠) كَلَّا إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ (١١) فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ (١٢) فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ (١٣) مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ (١٤) بِأَيْدِي سَفَرَةٍ (١٥) كِرَامٍ بَرَرَةٍ (١٦)} [عبس : ٨-١٦]

التفسير:

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٢) تفسير الطبري: ٢٢٠/٢٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٨٣/٥.
(٤) مجاز القرآن: ٢٨٦/٢.
(٥) الكشاف: ٧٠١/٤.
(٦) غريب القرآن: ٥١٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٢٠/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٢٠/٢٤.
(٩)أخرجه سعيد بن منصور -كما في فتح الباري ٨/ ٦٩٢ - مختصرًا. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(١٠) معاني القرآن: ٢٨٣/٥-٢٨٤.
(١١) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٢٠/٢٤.
(١٣) معاني القرآن: ٢٨٤/٥.
(١٤) الكشاف: ٧٠٢/٤.

وأمَّا من كان حريصا على لقائك، وهو يخشى الله من التقصير في الاسترشاد، فأنت عنه تتشاغل. ليس الأمر كما فعلت -أيها الرسول-، إن هذه السورة موعظة لك ولكل من شاء الاتعاظ. فمن شاء ذكر الله وَأَتَمَّ بوحيه. هذا الوحي، وهو القرآن في صحف معظمة، موقرة، عالية القدر مطهرة من الدنس والزيادة والنقص، بأيدي ملائكة كتبة، سفراء بين الله وخلقه، كرام الخلق، أخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة.

قوله تعالى:{وَأَمَّا مَنْ جَاءَكَ يَسْعَى (٨) وَهُوَ يَخْشَى} [عبس : ٨-٩]، أي:" وأمَّا من كان حريصا على لقائك، وهو يخشى الله من التقصير في الاسترشاد"(١).

قال الطبري:" يقول: وأما هذا الأعمى الذي جاءك سعيا، وهو يخشى الله ويتقيه"(٢).

قال الزمخشري:" {يَسْعى}، يسرع في طلب الخير، {وَهُوَ يَخْشى} الله أو يخشى الكفار، وأذاهم في إتيانك. وقيل: جاء وليس معه قائد، فهو يخشى الكبوة"(٣).

قوله تعالى:{فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى} [عبس : ١٠]، أي:" فأنت عنه تتشاغل"(٤).

قال أبو عبيدة: أي:" تغافل بغيره"(٥).

قال الطبري:" يقول: فأنت عنه تعرض، وتشاغل عنه بغيره وتغافل"(٦).

قال الزجاج:" معناه: تَتَشَاغَلُ، يقال: لهيت عن الشيء ألهى عنه إذا تشاغلت عنه"(٧).

قال النحاس:" أي: تتشاغل، وفعل هذا صلّى الله عليه وسلّم طلبا منه لإسلام المشرك"(٨).

قال الزمخشري:" إن قلت: قوله: {فَأَنْتَ لَهُ تَصَدَّى}، {فَأَنْتَ عَنْهُ تَلَهَّى}، كأن فيه اختصاصا؟ قلت، نعم، ومعناه: إنكار التصدي والتلهي عليه، أي: مثلك خصوصا لا ينبغي له أن يتصدى للغنىّ ويتلهى عن الفقير"(٩).

قوله تعالى:{كَلَّا} [عبس : ١١]، أي:" ليس الأمر كما فعلت -أيها الرسول-"(١٠).

قال الطبري: "يقول تعالى ذكره: "ما الأمر كما تفعل يا محمد من أن تعبس في وجه من جاءك يسعى وهو يخشى، وتتصدّى لمن استغنى"(١١).

قال الزمخشري:" {كَلَّا} ردع عن المعاتب عليه، وعن معاودة مثله"(١٢).

قوله تعالى:{إِنَّهَا تَذْكِرَةٌ} [عبس : ١١]، أي:" إن هذه السورة موعظة لك ولكل من شاء الاتعاظ"(١٣).

قال قتادة، والسدي : "يعني : القرآن"(١٤).

قال الزمخشري:" أي: موعظة يجب الاتعاظ والعمل بموجبها"(١٥).

قال ابن قتيبة:" يعني: السورة"(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٢) تفسير الطبري: ٢٢٠/٢٤.
(٣) الكشاف: ٧٠٢/٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٥) مجاز القرآن: ٢٨٦/٢.
(٦) تفسير الطبري: ٢٢٠/٢٤.
(٧) معاني القرآن: ٢٨٤/٥.
(٨) إعراب القرآن: ٩٥/٥.
(٩) الكشاف: ٧٠٢/٤.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١١) صفوة التفاسير: ٢٢٠/٢٤-٢٢١.
(١٢) الكشاف: ٧٠٢/٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١٤) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢١/٨.
(١٥) الكشاف: ٧٠٢/٤.

قال الطبري:" يقول: إن هذه العظة وهذه السورة تذكرة عظة وعبرة"[٢].
قال الزجاج:" يعنى به: هذه الموعظة التي وعظ الله بها النبي عليه السلام"[٣].
قال ابن كثير:" أي : هذه السورة، أو الوصية بالمساواة بين الناس في إبلاغ العلم من شريفهم ووضيعهم"[٤].
قال السعدي:" أي: حقا إن هذه الموعظة تذكرة من الله، يذكر بها عباده، ويبين لهم في كتابه ما يحتاجون إليه، ويبين الرشد من الغي"[٥].
قوله تعالى:{فَمَنْ شَاءَ ذَكَرَهُ} [عبس : ١٢]، أي:" فمن شاء ذكر الله وَأَتَمَّ بوحيه"[٦].
قال السعدي:" أي: عمل به، كقوله تعالى: {وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ}"[٧].
قال ابن قتيبة:" يعني: القرآن"[٨].
قال أبو عبيدة: أي:" فمن شاء ذكره القرآن"[٩].
قال الطبري:" يقول: فمن شاء من عباد الله، ذكر تنزيل الله ووحيه"[١٠].
قال ابن كثير:" أي : فمن شاء ذكر الله في جميع أموره. ويحتمل عود الضمير على الوحي ؛ لدلالة الكلام عليه "[١١].
قال الزمخشري:" أي: كان حافظا له غير ناس، وذكر الضمير لأنّ التذكرة في معنى الذكر والوعظ "[١٢].
قوله تعالى:{فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ} [عبس : ١٣]، أي:" هذا الوحي، وهو القرآن في صحف معظمة، موقرة"[١٣].
قال الطبري:" يقول: إنها تذكرة {فِي صُحُفٍ} يعني: في اللوح المحفوظ، {مُكَرَّمَةٍ} عند الله "[١٤].
قال ابن كثير:" أي : هذه السورة أو العظة، وكلاهما متلازم، بل جميع القرآن {فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ} أي : معظمة موقرة "[١٥].
قال الزمخشري:" صفة لـ«تذكرة»، يعنى: أنها مثبتة في صحف منتسخة من اللوح"[١٦].
قال النحاس:" قيل: يعني به: اللوح المحفوظ. هذا على تفسير ابن عباس لأن سعيد بن جبير روي عنه في معنى {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} [عبس١٥]، أنهم الملائكة"[١٧].

---

(١) غريب القرآن: ٥١٤.
(٢) تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤.
(٣) معاني القرآن: ٢٨٤/٥.
(٤) تفسيرا بن كثير: ٣٢١/٨.
(٥) تفسير السعدي: ٩١١.
(٦) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٧) تفسير السعدي: ٩١١.
(٨) غريب القرآن: ٥١٤.
(٩) مجاز القرآن: ٢٨٦/٢.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤.
(١١) تفسيرا بن كثير: ٣٢١/٨.
(١٢) الكشاف: ٧٠٢/٤.
(١٣) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤.
(١٥) تفسيرا بن كثير: ٣٢١/٨.
(١٦) الكشاف: ٧٠٢/٤.
(١٧) إعراب القرآن: ٩٥/٥.

قوله تعالى:{مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ} [عبس : ١٤]، أي:" عالية القدر مطهرة من الدنس والزيادة والنقص"[١].

قال الطبري:" وهو المرفوع المطهر عند الله"[٢].

قال الزمخشري:" {مَرْفُوعَةٍ} في السماء. أو مرفوعة المقدار، {مُطَهَّرَةٍ}: منزهة عن أيدى الشياطين، لا يمسها إلا أيدى ملائكة مطهرين"[٣].

قال ابن كثير:" {مَرْفُوعَةٍ }، أي : عالية القدر، {مُطَهَّرَةٍ}، أي : من الدنس والزيادة والنقص"[٤].

عن قتادة:" {فِي صُحُفٍ مُكَرَّمَةٍ مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرَةٍ}، قال: هي عند الله"[٥].

قوله تعالى:{بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} [عبس : ١٥]، أي:" بأيدي ملائكة كتبة، سفراء بين الله وخلقه"[٦].

قال الطبري:" يقول: الصحف المكرّمة بأيدي سفرة"[٧].

وفي قوله تعالى:{بِأَيْدِي سَفَرَةٍ} [عبس : ١٥]، وجوه من التفسير:

أحدها : أن «السفرة»: الكتبة، وهم الملائكة الكرام الكاتبون. قاله ابن عباس[٨]، ومجاهد[٩]، وقتادة[١٠]،[١١]، وعطاء بن أبي رباح[١٢]، ومقاتل[١٣]، وأبو عبيدة[١٤]، وابن قتيبة[١٥]، والزجاج[١٦]، وحكاه ابن الجوزي عن الجمهور[١٧].

قال قتادة:" بأيدي كتبة"[١٨].

قال المفضل : "هو مأخوذ من: سفر يسفر سفراً ، إذا كتب"[١٩].

قال الثعلبي:" ويقال للورّاق :سفّرا -بلغة العبرانية-"[٢٠].

قال القاسم بن سلام:" كتبة -بلغة كنانة-"[٢١].

قال الزمخشري:" {سَفَرَةٍ}، كتبة ينتسخون الكتب من اللوح"[٢٢].

قال الزجاج :" «السَّفَرَةُ»: الكتبة، يعني: به الملائكة، واحدهم سَافِر وَسَفَرة مثل كاتب وكتبة، وكافر وكفرة، وَإنما قيل للكتاب سَفَرة، وللكاتب سافِر، لأن مَعْنَاه: أنه يبَيِّن الشيءَ

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٢) تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤.
(٣) الكشاف: ٧٠٢/٤.
(٤) تفسيرا بن كثير: ٣٢١/٨.
(٥)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٦) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٧) تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤.
(٩) انظر: الكشف والبيان: ١٣١/١٠.
(١٠) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٤٩٥):ص٣٩٢/٣.
(١١) انظر: تفسير عبدالرزاق(٣٤٩٥):ص٣٩٢/٣.
(١٢)أخرجه الخطيب في تاريخه ٩/ ١٨٦ - ١٨٧.
(١٣) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩١/٤.
(١٤) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٦/٢.
(١٥) انظر: غريب القرآن: ٥١٤.
(١٦) انظر: معاني القرآن: ٢٨٤/٥.
(١٧) انظر: زاد المسير: ٤١٠/٤.
(١٨) تفسير عبدالرزاق(٣٤٩٥):ص٣٩٢/٣.
(١٩) نقلا عن: النكت والعيون: ٢٠٤/٦.
(٢٠) الكشف والبيان: ١٣١/١٠.
(٢١)لغات القبائل الواردة في القرآن الكريم: ١٢.[مرقم آليا غير موافق للمطبوع]
(٢٢) الكشاف: ٧٠٢/٤.

وُيوَضحُه، يقال أسْفَرَ الصُّبْحُ إذا أضاء، وسفرت المرأة إذا كشفت النقاب عن وَجْهِهَا، ومنه: سَفَرت بين القوم أي كشفت قلب هذا وقلب هذا لأصلح بينهم"[١].

الثاني : أنهم القرّاء من الناس، قال قتادة-أيضا-[٢]، لأنهم يقرؤون الأسفار.

وقال ابن جريج، عن ابن عباس : "السفرة بالنبطية : القراء"[٣].

الثالث : أنهم أصحاب النبي -صلى الله عليه وسلم-. قاله وهب بن منبه[٤].

روي عن عبد الصمد بن معقل، قال: "سمعت عمّي وهب بن منبّه: {بِأَيْدِي سَفَرَةٍ}، قال: هم أصحاب محمد"[٥].

قال أبو حيان:" لأن بعضهم يسفر إلى بعض في الخير والتعليم والعلم"[٦].

قال ابن العربي:" لقد كان أصحاب محمد كراما بررة، ولكن ليسوا بمرادين بهذه الآية، ولا قاربوا المرادين بها؛ بل هي لفظة مخصوصة بالملائكة عند الإطلاق، ولا يشاركهم فيها سواهم، ولا يدخل معهم في متناولها غيرهم"[٧].

عن عائشة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «مثل الذي يقرأ القرآن، وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ، وهو يتعاهده، وهو عليه شديد فله أجران»[٨].

الرابع : أنهم الملائكة، ، قاله ابن عباس-أيضا-[٩]، ومجاهد-أيضا-[١٠]، وابن زيد[١١]، لأنهم السفرة بين يدي الله ورسله بالرحمة، كما يقال سَفَر بين القوم إذا بلغ صلاحاً، وبه قال النحاس[١٢]، والفراء[١٣]، وأنشد الأخير[١٤]:

وما أدَعُ السِّفارةَ بين قوْمي ... وما أمْشي بغِشٍ إنْ مَشَيْتُ

وقال البخاري : "سَفَرةٌ : الملائكة. سَفرت : أصلحت بينهم. وجعلت الملائكةُ إذا نزلت بوَحْي الله وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم"[١٥].

قال الفراء:" هم الملائكة، واحدهم: سافر، والعرب تقول: سفرت بين القوم إذا أصلحت بينهم، فجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله تبارك وتعالى وتأديبه كالسفير الذي يصلح بين القوم"[١٦].

وقال ابن زيد:" السَّفَرة: الذين يُحْصون الأعمال"[١٧].

قال النحاس:" ومعروف في كلام العرب أنه يقال: سفر الرجل بين القوم إذا ترسّل بينهم بالصلح. والملائكة سفرة لأنهم رسل الله تعالى إلى أنبيائه صلوات الله عليهم، وهم أيضا كتبة

---

(١) معاني القرآن: ٢٨٤/٥.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤.
(٣) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢١/٨.
(٤) انظر: الكشف والبيان: ١٣٢/١٠، وإعراب القرآن للنحاس: ٩٥/٥، وتفسير القرطبي: ٢١٦/١٩.
(٥) أخرجه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٢/١٠.
(٦) البحر المحيط: ٤٠٨/١٠.
(٧) أحكام القرآن: ٣٦٣/٤.
(٨) صحيح البخاري(٤٩٣٧):ص١٦٦/٦، وصحيح مسلم(٧٩٨):ص٥٤٩/١.
(٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤.
(١٠)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤.
(١٢) انظر: إعراب القرآن: ٩٥/٥.
(١٣) انظر: معاني القرآن: ٢٣٦/٣.
(١٤) في معاني القرآن: ٢٣٦/٣، وقد ورد البيت غير منسوب في: "تفسير الطبري: ٢٢٢/٢٤، "النكت والعيون" ٦/ ٢٠٤، "المحرر الوجيز" ٥/ ٤٣٨، "زاد المسير" ٨/ ١٨٢، "التفسير الكبير" ٣١/ ٥٩، "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ٢١٤، "البحر المحيط" ٤٢٥، "تفسير القرآن.
(١٥)صحيح البخاري (٦٩١/٨) "فتح".
(١٦) معاني القرآن: ٢٣٦/٣.
(١٧) أخرجه الطبري: ٢٢١/٢٤.

يكتبون أفعال العباد. فهذا كله غير متناقض إلّا أن وهب بن منبّه قال: السّفرة الكرام البررة: أصحاب محمد صلّى الله عليه وسلّم"[١].

قال الطبري:" وأولى الأقوال في ذلك بالصواب قول من قال: هم الملائكة الذين يَسْفِرون بين الله ورسله بالوحي. وسفير القوم: الذي يسعى بينهم بالصلح، يقال: سفرت بين القوم: إذا أصلحت بينهم ...وإذا وُجِّه التأويل إلى ما قلنا، احتمل الوجه الذي قاله القائلون: هم الكَتَبة، والذي قاله القائلون: هم القرّاء لأن الملائكة هي التي تقرأ الكتب، وتَسْفِر بين الله وبين رسله"[٢].

قوله تعالى:{كِرَامٍ بَرَرَةٍ} [عبس : ١٦]، أي:" كرام الخلق، أخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة"[٣].

قال ابن كثير:" أي : خُلقهم كريم حَسَنٌ شريف، وأخلاقهم وأفعالهم بارة طاهرة كاملة. ومن هاهنا ينبغي لحامل القرآن أن يكون في أفعاله وأقواله على السداد والرشاد"[٤].

قال الزجاج:"«بَرَرَةٍ»: جمع بارّ"[٥].

قال يحيى بن سلام:" {كِرَامٍ}، يعني: مسلمين"[٦].

قال مقاتل:" {كِرَامٍ}، يعني: مسلمين، وهم الملائكة، {بَرَرَةٍ}، يعني: مطيعين لله- تعالى- أنقياء أبرار من الذنوب، وكان ينزل إليهم من اللوح المحفوظ إلى سماء الدنيا في ليلة القدر، إلى الكتبة من الملائكة، ثم ينزل به جبريل إلى النبي- صلى الله عليه وسلم-"[٧].

قال السعدي:" {كِرَامٍ} أي: كثيري الخير والبركة، {بَرَرَةٍ} قلوبهم وأعمالهم، وذلك كله حفظ من الله لكتابه، أن جعل السفراء فيه إلى الرسل الملائكة الكرام الأقوياء الأتقياء، ولم يجعل للشياطين عليه سبيلا وهذا مما يوجب الإيمان به وتلقيه بالقبول، ولكن مع هذا أبى الإنسان إلا كفورا"[٨].

وفي معنى{كِرَامٍ} [عبس : ١٦]، ثلاثة أقوال:

أحدها: كرام على ربهم ، قاله الكلبي[٩].

الثاني: كرام عن المعاصي فهم يرفعون أنفسهم عنها. قاله الحسن[١٠].

الثالث: يتكرمون على من باشر زوجته بالستر عليه دفاعا عنه وصيانة له ، وهو معنى قول الضحاك"[١١].

وفي قوله تعالى{بَرَرَةٍ} [عبس : ١٦]، وجهان:

أحدهما: مطيعين، قاله السدي[١٢].

قال البغوي:" مطيعين، جمع: بار"[١٣].

الثاني: متقين مطهرين ، قاله ابن شجرة[١٤].

---

(١) إعراب القرآن: ٩٥/٥.
(٢) تفسير الطبري: ٢٢١/٢٤-٢٢٢.
(٣) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٢١/٨.
(٥) معاني القرآن: ٢٨٤/٥.
(٦)التصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢٥٢.
(٧) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩١/٤.
(٨) تفسير السعدي: ٩١١.
(٩) النكت والعيون: ٢٠٤/٦.
(١٠) النكت والعيون: ٢٠٤/٦.
(١١) النكت والعيون: ٢٠٤/٦.
(١٢) النكت والعيون: ٢٠٤/٦.
(١٣) تفسير البغوي: ٢١١/٥.
(١٤) النكت والعيون: ٢٠٤/٦.

فوائد الآيات: [١-١٦]:
١- بيان مقام النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأنه أشرف مقام وأسماه دل على ذلك أسلوب عتاب الله تعالى له حيث خاطبه في أسلوب شخص غائب حتى لا يواجهه بالخطاب فيؤلمه فتلطف معه، ثم أقبل عليه بعد أن أزال الوحشة يخاطبه وما يدريك.
٢- إثبات ما جاء في الخبر أدبني ربي فأحسن تأديبي فقد دلت الآيات عليه.
٣- بلغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بتأديب ربه له مستوى لم يبلغه سواه، فقد كان إذا جاءه ابن أم مكتوم يوسع له في المجلس ويجلسه إلى جنبه ويقول له مرحبا بالذي عاتبني ربي من اجله وولاه على المدينة مرات، وكان مؤذناً له في رمضان.
٤-استحالة كتمان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لشيء من الوحي فقد قالت أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها لو كان للرسول أن يكتم شيئا من وحي الله لكتم عتاب الله تعالى له في عبس وتولى.

القرآن
{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ (١٧) مِنْ أَيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ (١٨) مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ (١٩) ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ (٢٠) ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ (٢١) ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ (٢٢) كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ (٢٣)}
[عبس : ١٧-٢٣]
التفسير:
لُعِنَ الإنسان الكافر وعُذِّب، ما أشدَّ كفره بربه!! ألم ير مِن أيِّ شيء خلقه الله أول مرة؟ خلقه الله من ماء قليل -وهو المَنِيُّ- فقدَّره أطوارا، ثم بين له طريق الخير والشر، ثم أماته فجعل له مكانًا يُقبر فيه، ثم إذا شاء سبحانه أحياه، وبعثه بعد موته للحساب والجزاء. ليس الأمر كما يقول الكافر ويفعل، فلم يُؤَدِّ ما أمره الله به من الإيمان والعمل بطاعته.
قوله تعالى:{قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ} [عبس : ١٧]، أي:" لُعِنَ الإنسان الكافر وعُذِّب، ما أشدَّ كفره بربه!!"(١).
عن مجاهد:" {قُتِلَ الْإِنْسَانُ مَا أَكْفَرَهُ}، أي: لعن"(٢).
وفي «الإنسان» -ها هنا-، ثلاثة أقوال :
أحدها : أنه إشارة إلى كل كافر، قاله مجاهد(٣)، وسفيان(٤)، وبه قال الطبري(٥).
قال مجاهد:" ما كان في القرآن «قُتِلَ الإنسانُ» أو «فُعل بالإنسان»، فإنما عنِي به: الكافر"(٦).
قال سفيان:" بلغني أنه: الكافر"(٧).
قال الطبري:" لعن الإنسان الكافر ما أكفره"(٨).
قال ابن كثير:" وهذا لجنس الإنسان المكذب؛ لكثرة تكذيبه بلا مستند، بل بمجرد الاستبعاد وعدم العلم"(٩).
الثاني : أنه أمية بن خلف ، قاله الضحاك(١).

---

(١) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٢) تفسير مجاهد: ٦١٨.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٢/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٢/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٢/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٢٢/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٢٢/٢٤.
(٨) تفسير الطبري: ٢٢٢/٢٤.
(٩) تفسير ابن كثير: ٣٢٢/٨.

الثالث : أنه عتبة بن أبي لهب حين قال : إني كفرت برب النجم إذا هوى ، فقال النبي -صلى الله عليه وسلم-: «اللَّهم سلِّطْ عليه كلبك»[٢]، فأخذه الأسد في طريق الشام ، قاله عكرمة[٣]، وابن جريج[٤]، والكلبي[٥]، ومقاتل[٦].

عن عكرمة:" {قُتِلَ الإنْسانُ ما أكْفَرَهُ}، قال: نزلت في عُتبة بن أبي لهب؛ حين قال: كفرتُ بربّ النَّجم إذا هوى. فدعا عليه النبيُّ - صلى الله عليه وسلم -؛ فأخذه الأسد بطريق الشام"[٧].

وفي قوله تعالى:{مَا أَكْفَرَهُ} [عبس : ١٧]، ثلاثة وجوه:

أحدها : أن «ما» تعجب، وعادة العرب إذا تعجبوا من شيء قالوا قاتله الله ما أحسنه ، وأخزاه الله ما أظلمه ، والمعنى : أعجبوا من كفر الإنسان لجميع ما ذكرنا بعد هذا. ذكره الأخفش[٨].

وروي عن ابن جريج:" {ما أكْفَرَهُ}، قال: ما أشدّ كفره!"[٩]. وروي عن الكلبي مثله[١٠].

الثاني : أن «ما» الاستفهام، تعني: أي شيء يحمله على الكفر، قاله السدي[١١]، ويحيى بن سلام[١٢]، وحكاه الثعلبي والبغوي عن الكلبي[١٣]، ومقاتل[١٤].

الثالث : ما ألعنه، قاله قتادة[١٥].

قوله تعالى:{مِنْ أيِّ شَيْءٍ خَلَقَهُ} [عبس : ١٨]، أي:" ألم ير مِن أيِّ شيء خلقه الله أول مرة؟"[١٦].

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: من أي شيء خلق الإنسان الكافر ربه حتي يتكبر ويتعظم عن طاعة ربه، والإقرار بتوحيده"[١٧].

قوله تعالى:{مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ} [عبس : ١٩]، أي:" خلقه الله من ماء قليل -وهو المَنِيُّ- فقدَّره أطوارا"[١٨].

قال الطبري:" ثم بيّن جلّ ثناؤه الذي منه خلقه، فقال: {مِنْ نُطْفَةٍ خَلَقَهُ فَقَدَّرَهُ} أحوالا نطفة تارة، ثم عَلَقة أخرى، ثم مُضغة، إلى أن أتت عليه أحواله وهو في رحم أمه"[١٩].

قال ابن كثير:{فَقَدَّرَهُ}، " أي : قدر أجله ورزقه وعمله وشقي أو سعيد"[١].

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٠٥/٦.

(٢) قال مقاتل:" نزلت هذه الآية في عتبة بن أبى لهب بن عبد المطلب وذلك أنه كان غضب على أبيه فأتى محمدا- صلى الله عليه وسلم- فآمن به، «فلما رضي أبوه عنه وصالحه وجهزه وسرحه إلى الشام بالتجارات، فقال: بلغوا محمدا عن عتبة أنه قد كفر بالنجم، فلما سمع بذلك النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: اللهم سلط عليه كلبك يأكله فنزل ليلا في بعض الطريق فجاء الأسد فأكله". [تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩١/٤]

(٣)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٠٥/٦.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٠٥/٦.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩١/٤.

(٧)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(٨) انظر: معاني القرآن: ١٦٦/١.

(٩)عزاه السيوطي إلى ابن المنذر.

(١٠)ذكره يحيى بن سلام -كما في تفسير ابن أبي زمنين ٥/ ٩٥ -.

(١١) انظر: النكت والعيون: ٢٠٥/٦.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٠٥/٦.

(١٣) انظر: الكشف والبيان: ١٣٢/١٠، وتفسير البغوي: ٣٢٧/٨.

(١٤) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩١/٤، والكشف والبيان: ١٣٢/١٠، وتفسير البغوي: ٣٢٧/٨.

(١٥) انظر: النكت والعيون: ٢٠٥/٦.

(١٦) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٧) تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٤.

(١٨) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١٩) تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٤.

عن عكرمة:" {فَقَدَّرَهُ}، قال: قدَّره في رَحِمِ أمه كيف شاء"[٢].
قال مقاتل:" فأعلمه كيف خلقه ليعتبر في خلقه"[٣].
عن السدي:" ماء الرجل وماء المرأة إذا اختلطا فهما نطفة"[٤].
قوله تعالى:{ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} [عبس : ٢٠]، أي:" ثم بين له طريق الخير والشر"[٥].
قال الطبري:" ثم يسَّره للسبيل، يعني للطريق"[٦].
وفي تفسير قوله تعالى:{ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ} [عبس : ٢٠]، وجهان:
أحدها : خروجه من بطن أمه، قاله ابن عباس[٧]، وأبو صالح[٨]، وعكرمة[٩]، وقتادة[١٠]، والضحاك[١١]، وسفيان[١٢]، والسدي[١٣]، وبه قال الطبري[١٤].
قال أبو صالح:" سبيل الرحم"[١٥].
قال قتادة، والسدي:" أخرجه من بطن أمه"[١٦].
قال قتادة:" خروجه من بطن أمه"[١٧].
قال ابن عباس:" يعني بذلك: خروجه من بطن أمه يسَّره له"[١٨].
قال مقاتل:" يعني: هون طريقه في الخروج من بطن أمه"[١٩].
الثاني : سبيل السعادة والشقاوة، وهو كقوله: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا وَإِمَّا كَفُورًا} [الإنسان : ٣]. قاله مجاهد[٢٠]، وهكذا قال الحسن[٢١]، وابن زيد[٢٢]. وبه قال ابن كثير[٢٣].
قال الحسن: سبيل الخير"[٢٤].
قال مجاهد:" {ثُمَّ السَّبِيلَ يَسَّرَهُ}، قال: هو كقوله: {إِنَّا هَدَيْنَاهُ السَّبِيلَ إِمّا شاكِرًا وإمّا كَفُورًا} [الإنسان: ٣] الشقاء والسعادة"[٢٥].
وقال السدي:" يعني: طريق الحق والباطل"[٢٦].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٢٢/٨.
(٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.
(٣) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩٢/٤.
(٤) انظر: النكت والعيون: ١٦٣/٦.
(٥) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٦) تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(٩) انظ{: النكت والعيون: ٢٠٦/٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١١) انظ{: النكت والعيون: ٢٠٦/٦.
(١٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٤.
(١٥) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١٦) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١٧) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١٨) أخرجه الطبري: ٢٢٣/٢٤.
(١٩) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩٣/٤.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٤.
(٢١) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٤.
(٢٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٤.
(٢٣) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٢٢/٨.
(٢٤) أخرجه تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٤.
(٢٥)تفسير مجاهد ص ٧٠٥.
(٢٦)تفسير البغوي ٨/ ٣٣٧.

قال ابن زيد:" هداه للإسلام الذي يسَّره له، وأعلمه به، والسبيل سبيل الإسلام"[١].
قال ابن كثير:" وهذا هو الأرجح"[٢].
والصواب قول من قال: ثم الطريق، وهو الخروج من بطن أمه يسَّره، لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن الخبر من الله قبلها وبعدها عن صفته خلقه وتدبيره جسمه، وتصريفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده[٣].
قوله تعالى:{ثُمَّ أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ} [عبس : ٢١]، أي:" ثم أماته فجعل له مكانًا يُقبر فيه"[٤].
قال ابن كثير:" أي : إنه بعد خلقه له {أَمَاتَهُ فَأَقْبَرَهُ }، أي : جعله ذا قبر "[٥].
قال الطبري:" يقول: ثم قَبَضَ رُوحه، فأماته بعد ذلك، وصيره ذا قبر، والقابر: هو الدافن الميت بيده.. والمقبر: هو الله، الذي أمر عباده أن يقبروه بعد وفاته، فصيره ذا قبر"[٦].
قال الفراء:" جعله مقبورا، ولم يجعله ممن يُلْقَى للسباع والطير، ولا ممن يلقى فِي النواويس، كأن القبر مما أكرم المسلم بهِ، ولم يقل: فقبره لأنّ القابر هُوَ الدافن بيده، والمُقبر: اللَّه تبارك وتعالى لأنه صيره ذا قبر، وليس فعله كفعل الآدمي"[٧].
قال أبو عبيدة: أي: " أمر بأن يقبر، قالت بنو تميم لعمر بن هبيرة لما قتل صالح بن عبد الرحمن: «أقبرنا صالحا. قال: دونكموه»، والذي يدفن بيده هو القابر قال الأعشى[٨]:
لوْ أسْنَدَتْ مَيْتا إلى نَحْرِها ... عاشَ وَلمْ يُنْقَلْ إلى قابر"[٩].
قال قتادة: «أذل الله ابن آدم بالموت ، وجعل الدنيا دار فناء ، وجعل الآخرة دار جزاء وبقاء»[١٠].
قوله تعالى:{ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ} [عبس : ٢٢]، أي:" ثم إذا شاء سبحانه أحياه، وبعثه بعد موته للحساب والجزاء"[١١].
قال الطبري:" يقول: ثم إذا شاء الله أنشره بعد مماته وأحياه، يقال: أنشر الله الميت بمعنى: أحياه، ونشر الميت بمعنى حيى هو بنفسه"[١٢].
قال ابن كثير:" أي : بعثه بعد موته، ومنه يقال : البعث والنشور، {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ تَنْتَشِرُونَ} [الروم : ٢٠]، {وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا} [البقرة : ٢٥٩]"[١٣].
قال أبو عبيدة: {أَنْشَرَهُ}: أحياه، وأنشر الميت: حيى نفسه. قال الأعشى[١٤]:
حتى يقول الناس مما رأوا ... يا عجبا للميّت الناشر"[١٥].

---

(١) أخرجه الطبري: ٢٢٤/٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٣٢٢/٨.
(٣) تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٤.
(٤) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٥) تفسير ابن كثير: ٣٢٢/٨.
(٦) تفسير الطبري: ٢٢٤/٢٤-٢٢٥.
(٧) معاني القرآن: ٢٣٧/٣.
(٨)ديوانه ص ١٠٥ وتفسير: الطبري: ٢٢٤/٢٤، وتفسير: القرطبي: ١٩/ ٢١٧.
(٩) مجاز القرآن: ٢٨٦/٢.
(١٠) تفسير عبدالرزاق(٣٢٥٩):ص٣٢٥/٣.
(١١) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١٢) تفسير الطبري: ٢٢٥/٢٤.
(١٣) تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٨.
(١٤)ديوانه ص ١٠٥- وتفسير الطبري: ٢٢٥/٢٤، والجمهرة: ٢/ ٣٤٩، وتفسير القرطبي: ١٣/ ٣، واللسان والتاج (نشر).
(١٥) مجاز القرآن: ٢٨٦/٢.

قال الفراء:" أنشر الله الموتى فنشروا إذا حيوا.. وسمعت بعض بني الحارث يقول: «كان به جرب فنشر»، أي: عاد وحيي"[١].

عن قتادة في قوله:" {لَا يَرْجُونَ نُشُورًا} [الفرقان : ٤٠]، أي: بعثا ولا حسابا"[٢].

عن أبي سعيد، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "يأكل الترابُ كلَّ شيء من الإنسان إلا عَجْبُ ذَنَبه، قيل : وما هو يا رسول الله ؟ قال : "مثل حبة خردل منه ينشئون"[٣].

قال عكرمة: "إذا اختلف الناسُ في حرفٍ فانظر نظرةً مِن القرآن، فقِسْ عليه، ولا تَقسْ القرآن على الشِّعر ولا غيره، مثل قوله جلّ وعلا: {وانظر إلى العظام كيف ننشزها} [البقرة: ٢٥٩]، {إذا شاء أنشره} [عبس: ٢٢]، {يومهم الذي فيه يصعقون} تصديق: {فصعق من في السموات ومن في الأرض} [الزمر: ٦٨]"[٤].

قوله تعالى:{كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} [عبس : ٢٣]، أي:" ليس الأمر كما يقول الكافر ويفعل، فلم يُؤَدِّ ما أمره الله به من الإيمان والعمل بطاعته"[٥].

قال عطاء عن ابن عباس: {كَلَّا}: " يريد لا يؤمن الكافر أن الله يبعثه"[٦].

وروي عن الحسن:" {كَلَّا}، قال: أي: حقا لم يقض"[٧]. وفي رواية:" حتما"[٨].

وفي قوله تعالى:{كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ} [عبس : ٢٣]، ثلاثة وجوه:

أحدها : المعنى : {ثُمَّ إِذَا شَاءَ أَنْشَرَهُ }، أي: بعثه، {كَلا لَمَّا يَقْضِ مَا أَمَرَهُ}، أي: لا يفعله الآن حتى تنقضي المدة، ويفرغ القدر من بني آدم ممن كتب تعالى له أن سيُوجَدُ منهم، ويخرج إلى الدنيا، وقد أمر به تعالى كونا وقدرا، فإذا تناهى ذلك عند الله أنشر الله الخلائق وأعادهم كما بدأهم. قاله ابن كثير[٩].

وفي هذا المعنى روي عن وهب بن مُنَبّه قال : "قال عُزَير، عليه السلام : قال الملك الذي جاءني : فإن القبور هي بطنُ الأرض، وإن الأرض هي أم الخلق، فإذا خلق الله ما أراد أن يخلق وتمت هذه القبورُ التي مَدّ الله لها، انقطعت الدنيا ومات من عليها، ولفظت الأرض ما في جوفها، وأخرجت القبورُ ما فيها"[١٠].

قال ابن كثير:" وهذا شبيه بما قلنا من معنى الآية"[١١].

الثاني : أنه الكافر لم يفعل ما أمر به من الطاعة والإيمان، وبه قال يحيى بن سلام[١٢]، والطبري[١٣].

---

(١) معاني القرآن: ٧٣!/١.

(٢)أخرجه عبد الرزاق ٢/ ٧٠، وابن أبي حاتم(١٥١٩٥):ص ٨/ ٢٦٩٨ من طريق سعيد. وعلّقه يحيى بن سلام ١/ ٤٨٣. وعزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٣) رواه ابن أبي حاتم كما في "تفسير ابن كثير": ٣٢٣/٨، ورواه الحاكم في المستدرك (٦٠٩/٤) من طريق بحر بن نصر، عن ابن وهب به، وقال : "حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه" قلت : دراج عن أبي الهيثم ضعيف.

(٤)أخرجه أبو جعفر الرملي في جزئه (تفسير عطاء) ص ١٢٣.

(٥) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(٦) التفسير البسيط: ٢٢٦/٢٣.

(٧) تفسير الثعلبي: ٤٣٣/٢٨، [ط. دار التفسير]، وذكره الواحدي في "التفسير الوسيط": ٤٢٤/٤، والبغوي في "معالم التنزيل" ٨/ ٣٣٨، وابن الجوزي في "زاد المسير" ٩/ ٣٢، والقرطبي في "التفسير": ١٩/ ٢١٧.

(٨) تفسير الثعلبي: ١٣٢/١٠.

(٩) انظر: تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٨.

(١٠) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٨.

(١١) تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٨.

(١٢) انظر: النكت والعيون: ٢٠٦/٦.

(١٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٥/٢٤.

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: كلا ليس الأمر كما يقول هذا الإنسان الكافر من أنه قد أدّى حقّ الله عليه، في نفسه وماله، لم يؤدّ ما فرض عليه من الفرائض ربُّه"[١].

الثالث : أنه على العموم في المسلم والكافر.

قال مجاهد : "لا يقضي أحد أبدًا ما افتُرض عليه.- وقال الحارث-: كلّ ما افترض عليه"[٢] . وروي عن قتادة نحوه[٣].

وقال ابن عباس:" لما يقض ما أمره لم يف بالميثاق الذي أخذ عليه في صلب آدم"[٤].

قال الماوردي:" ويحتمل وجه حمله على العموم أن الكافر لا يقضيه عمراً ، والمؤمن لا يقضيه شهراً"[٥].

القرآن

{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ (٢٤) أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا (٢٥) ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا (٢٦) فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا (٢٨) وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا (٢٩) وَحَدَائِقَ غُلْبًا (٣٠) وَفَاكِهَةً وَأَبًّا (٣١) مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ (٣٢)} [عبس : ٢٤-٣٢]

التفسير:

فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟ بأنَّا صببنا الماء على الأرض صَبًّا، ثم شققناها بما أخرجنا منها من نبات شتى، فأنبتنا فيها حبًا، وعنبًا وعلفًا للدواب، وزيتونًا ونخلا وحدائق عظيمة الأشجار، وثمارًا وكلأ تَنْعَمون بها أنتم وأنعامكم.

قوله تعالى:{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} [عبس : ٢٤]، أي:" فليتدبر الإنسان: كيف خلق الله طعامه الذي هو قوام حياته؟"[٦].

قال ابن كثير:" فيه امتنان، وفيه استدلال بإحياء النبات من الأرض الهامدة على إحياء الأجسام بعدما كانت عَظاما بالية وترابا متمزقا"[٧].

وفي قوله تعالى:{فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} [عبس : ٢٤]، وجهان من التفسير:

أحدهما : إلى طعامه الذي يأكله وتحيا نفسه به، من أي: شيء كان ، قاله مجاهد[٨]، وبه قال يحيى بن سلام[٩]، والطبري[١٠].

عن مجاهد، قوله: "{فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}: آية لهم"[١١].

قال مجاهد: "{فَلْيَنْظُرِ الإنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}: إلى مأكله ومشربه"[١٢].

قال الطبري:" فلينظر هذا الإنسان الكافر المُنكر توحيد الله إلى طعامه كيف دبَّره"[١٣].

قال الزجاج:" أي: فلينظر الإنسان كيف خلق الله طعامه وطعام جميع الحيوان الذي جعله الله سبباً لحياتِهِمْ"[١٤].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢٥/٢٤.
(٢) أخرجه الطبري: ٢٢٥/٢٤.
(٣) تفسير القرطبي: ٢١٩/١٩.
(٤) تفسير القرطبي: ٢١٩/١٩.
(٥) النكت والعيون: ٢٠٦/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٧) تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٨.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(٩) انظر: النكت والعيون: ٢٠٧/٦.
(١٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(١١) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(١٢) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(١٤) معاني القرآن: ٢٨٦/٥.

الثاني : ما يخرج منه أي شيء كان ؟ ثم كيف صار بعد حفظ الحياة وموت الجسد.

قال الحسن :"{فَلْيَنْظُرِ الإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ}: ملك يثني رقبة ابن آدم إذا جلس على الخلاء لينظر ما يخرج منه"[١].

عن ابن الوليد قال: "سألت ابن عمر عن الرجل يدخل الخلاء فينظر إلى ما يخرج منه، قال: يأتيه الملك فيقول انظر إلى ما بخلت به إلى ما صار؟"[٢].

عن أبيّ بن كعب قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنّ مطعم ابن آدم جعل مثلا للدنيا وان قزحه وملحه فانظر إلى ما يصير»"[٣].

روي عن الضحاك بن سفيان الكلابي: "إن النبي صلى الله عليه وسلم قال له: «يا ضحاك ما طعامك؟» قال: يا رسول الله اللحم واللبن، قال: «ثم يصير إلى ماذا؟» قال: إلى ما قد علمت. قال: «قال الله سبحانه وتعالى: ضرب ما يخرج من ابن آدم مثلا للدنيا»"[٤].

ويحتمل إغراؤه بالنظر إلى وجهين[٥]:

أحدهما : ليعلم أنه محل الأقذار فلا يطغى .

الثاني : ليستدل على استحالة الأجسام فلا ينسى.

قوله تعالى:{أَنَّا صَبَبْنَا الْمَاءَ صَبًّا} [عبس : ٢٥]، أي:" بأنَّا صببنا الماء على الأرض صَبًّا"[٦].

قال الطبري:" يقول: أنا أنزلنا الغيث من السماء إنزالا وصببناه عليها صبا"[٧].

قال ابن كثير:" أي: أنزلناه من السماء على الأرض"[٨].

عن ابن عباس :"{إنا صببنا الماء صبا} قال: المطر"[٩].

قوله تعالى:{ثُمَّ شَقَقْنَا الْأَرْضَ شَقًّا} [عبس : ٢٦]، أي:" ثم شققناها بما أخرجنا منها من نبات شتى"[١٠].

قال الطبري:" يقول: ثم فتقنا الأرض فصدّعناها بالنبات"[١١].

قال ابن كثير:" أي : أسكناه فيها فدخل في تُخُومها وتَخَلَّل في أجزاء الحب المودعَ فيها فنبت وارتفع وظهر على وجه الأرض"[١٢].

عن ابن عباس :" {ثم شققنا الأرض شقا} عن النبات"[١٣].

قوله تعالى:{فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا (٢٧) وَعِنَبًا وَقَضْبًا} [عبس : ٢٧-٢٨]، أي:" فأنبتنا فيها حبًا، وعنبًا وعلفًا للدواب"[١٤].

قال الطبري:" {حَبًّا}، حبّ الزرع، وهو كلّ ما أخرجته الأرض من الحبوب كالحنطة والشعير، وغير ذلك {وَعِنَبًا}: وكرم عنب. {وَقَضْبًا}: الرطبة، وأهل مكة يسمون القَتَّ القَضْب"[١].

---

(١) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٣٢):ص٣٤٠١/١٠.
(٢) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٣/١٠، وانظر: تفسير القرطبي: ١٩/ ٢٢٠.
(٣) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٢/١٠-١٣٣.
(٤) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٢/١٠-١٣٣، وانظر: مسند أحمد: ٣/ ٤٢٥.
(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٠٧/٦.
(٦) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٧) تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(٨) تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٨.
(٩) الدر المنثور: ٤٢١/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١١) تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(١٢) تفسير ابن كثير: ٣٢٣/٨-٣٢٤.
(١٣) الدر المنثور: ٤٢١/٨، وعزاه إلى ابن المنذر.
(١٤) التفسير الميسر: ٥٨٥.

قال الزمخشري:" الحب: كل ما حصد من نحو الحنطة والشعير وغيرهما. والقضب: الرطبة، والمقضاب: أرضه، سمى بمصدر قضبه إذا قطعه، لأنه يقضب مرّة بعد مرّة"[٢].

قال ابن كثير:" فالحب : كل ما يذكر من الحبوب، والعنب معروف والقضب هو : الفصفصة التي تأكلها الدواب رطبة. ويقال لها : القَتّ أيضا"[٣].

عن ابن عباس، قوله: "{وَقَضْبا}، يقول: الفِصفِصة"[٤].

قال قتادة:" القضب: الفصافص"[٥].

قال الضحاك:" "يعني: الرطبة"[٦].

قال أبو جعفر -رحمه الله-: "الفِصفصة: الرَّطبة"[٧].

قال الحسن:" القضب: العَلَف"[٨].

قوله تعالى:{وَزَيْتُونًا وَنَخْلًا} [عبس : ٢٩]، أي:" وأخرجنا كذلك أشجار الزيتون والنخيل، يخرج منها الزيت والرطب والتمر"[٩].

قال الطبري:" {وَزَيْتُونًا}: وهو الزيتون الذي منه الزيت"[١٠].

قال ابن كثير:" {وَزَيْتُونًا}، وهو معروف، وهو أدْمٌ وعصيره أدم، ويستصبح به، ويدهن به. {وَنَخْلا}، يؤكل بلحا بسرا، ورطبا، وتمرا، ونيئا، ومطبوخا، ويعتصر منه رُبٌّ وخل"[١١].

قوله تعالى:{وَحَدَائِقَ غُلْبًا} [عبس : ٣٠]، أي:" وحدائق عظيمة الأشجار"[١٢].

قال الطبري:" {وَحَدَائِقَ}: الحديقة البستان المحوّط عليه. وقوله: {غُلْبا}، يعني: غلاظا، أي: أشجارا في بساتين غلاظ"[١٣].

وروي عن مجاهد:{وَحَدَائِقَ غُلْبًا}، قال: طيبة"[١٤].

واختلف في معنى «الحدائق»، على ثلاثة أقوال

أحدها : أنها ما التفّ واجتمع ، قاله ابن عباس[١٥].

قال مقاتل:" يعني: الشجر الملتف الشجرة التي يدخل بعضها في جوف بعض"[١٦].

قال الزجاج:" «حدائق»: واحدتها: حديقة، وهي البساتين، والشجر الملتف"[١٧].

الثاني : أنه نبت الشجر كله. رواه عصام عن أبيه[١٨].

وعن ابن عباس:" {وَحَدَائِقَ غُلْبًا}، قال: الشجر يستظلّ به في الجنة"[١٩].

---

(١) تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(٢) الكشاف: ٧٠٤/٤.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٢٤/٨.
(٤) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٤.
(٧) تفسير الطبري: ٢٢٦/٢٤.
(٨) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٤.
(٩) صفوة التفاسير: ٤٩٦/٣.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٤.
(١١) تفسير ابن كثير: ٣٢٤/٨.
(١٢) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١٣) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٤.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٢٧/٢٤.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٤.
(١٦) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩٢/٤.
(١٧) معاني القرآن: ٢٨٦/٥.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٤.
(١٩) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٤.

الثالث : أنه ما أحيط عليه من النخل والشجر، وما لم يحط عليه فليس بحديقة. حكاه أبو صالح[١].

وفي معنى: « الغُلب »، أقوال:

أحدها : أن الغُلب: الطوال. قاله ابن عباس[٢].

عن ابن عباس: "{وَحَدَائِقَ غُلْبًا}، يقول: طوالا"[٣].

الثاني : أن «الغُلب»: النخل الكرام. قاله قتادة[٤].

الثالث : أن «الغلب»: عظام النخل العظيمة الجذع، والغلب من الرجال: العظام الرقاب، يقال: هو أغلب الرقبة: عظيمها. وهذا قول عكرمة[٥]، وابن زيد[٦].

وعن عكرمة: "{حَدَائِقَ غُلْبًا}، قال: عظام الأوساط"[٧]. وفي لفظ «غلاظ الأوساط»[٨].

قال عكرمة:" غلاظ الرقاب، ألم تر إلى الرجل إذا كان غليظ الرقبة قيل: والله إنه لأغلب[٩].

قال أبو عبيدة:" يقال: نخلة وشجرة غلباء. إذا كانت غليظة"[١٠].

قال الزجاج:" {غُلْبًا}، معناه: مُتَكاثِفَة عِظام"[١١].

قال الزمخشري:" يحتمل أن يجعل كل حديقة غلباء، فيريد تكاثفها وكثرة أشجارها وعظمها، كما تقول: حديقة ضخمة، وأن يجعل شجرها غلبا، أي: عظاما غلاظا. والأصل في الوصف بالغلب: الرقاب، فاستعير"[١٢].

قال الطبري:"«الغلب»: جمع: أغلب، وهو الغليظ الرقبة من الرجال؛ ومنه قول الفرزدق[١٣]:

عَوَى فأثارَ أغْلَبَ ضَيْغَمِيًّا ... فَوَيْلِ ابْنِ المَراغَةِ ما اسْتَثارَا"[١٤].

قوله تعالى:{وَفَاكِهَةً وَأَبًّا} [عبس : ٣١]، أي:" وثمارًا وكلأ "[١٥].

وفي تفسير قوله تعالى:{وَأَبًّا} [عبس : ٣١]، وجوه:

أحدها : أن«الأبّ»: ما تأكله البهائم من العشب والنبات، و«الفاكهة»: ما يأكله الناس من ثمار الأشجار، قاله ابن عباس[١٦]، والحسن[١٧]، ومجاهد[١٨]، وقتادة[١٩]، وابن زيد[٢٠]، وبه قال أبو عبيدة[١]، والزجاج[٢]، والطبري[٣]، قال الشاعر في مدح النبي -صلى الله عليه وسلم- [٤]:

---

(١) انظر: النكت والعيون: ٢٠٦/٦.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٨/٢٤.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٤.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٨/٢٤.
(٥) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٢٨):ص٣٤٠٠/١٠.
(٦) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٨/٢٤.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٢٨/٢٤.
(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٢٨):ص٣٤٠٠/١٠.
(٩) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٢٨):ص٣٤٠٠/١٠.
(١٠) مجاز القرآن: ٢٨٦/٢.
(١١) معاني القرآن: ٢٨٦/٥.
(١٢) الكشاف: ٧٠٤/٤.
(١٣)البيت في ديوان الفرزدق : ٣٥٥.
(١٤) تفسير الطبري: ٢٢٧/٢٤.
(١٥) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١٦) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٣٤)، (١٩١٣٥):ص٣٤٠١/١٠، وتفسير الطبري: ٢٣٠/٢٤.
(١٧) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٤، ٢٣٠.
(١٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٤، ٢٣٠.
(١٩) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٠/٢٤.
(٢٠) انظر: تفسير الطبري: ٢٣١/٢٤.

لَهُ دَعْوةٌ مَيْمُونةٌ رِيحُهَا الصَّبا ... بِهَا يُنْبِتُ اللهُ الحَصِيدةَ والأَبَّا

عن ابن عباس، قال: "عدّ سبعا جعل رزقه في سبعة، وجعله من سبعة، وقال في آخر ذلك: الأبّ: ما أنبتت الأرض مما لا يأكل الناس"(٥).

قال ابن عباس:" الأبّ: نبت الأرض مما تأكله الدوابّ، ولا يأكله الناس"(٦).

قال ابن عباس:" الأب: ما أنبتت الأرض مما يأكله الدواب ولا يأكله الناس"(٧).

قال ابن عباس:" الأب: الحشيش للبهائم"(٨).

قال ابن عباس:" الأبّ: الكلأ والمرعى كله"(٩).

قال الحسن:" الأبّ: العشب"(١٠).

عن الحسن: "{وَفاكِهَةً}، قال: ما يأكل ابن آدم"(١١). "«الأبّ»: ما تأكل الأنعام"(١٢).

عن مجاهد: "{وَفاكِهَةً}، قال: ما أكل الناس"(١٣). "«الأبّ»: ما أكلت الأنعام"(١٤).

قال مجاهد:" الأبّ: المرعى"(١٥).

قال قتادة:" أما الفاكهة فلكم"(١٦)."أما «الأبّ»: فلأنعامكم، نعم من الله متظاهرة"(١٧).

قال ابن زيد:" الفاكهة لنا"(١٨). "{وأبًّا}: هو ما تأكله الدواب"(١٩).

قال ابن زيد:" الأبّ: لأنعامنا، والأبّ: ما ترعى. وقرأ: {مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ}"(٢٠).

عن الضحاك:" {وأبًّا}، يعني: المرعى"(٢١). وفي رواية:" الأبّ: هو النَّبْن"(٢٢).

عطاء بن أبي رباح، قال: "كلّ شيء يَنبتُ على ظهر الأرض فهو الأبّ"(٢٣).

قال عكرمة:" الأبّ: ما تأكل الدوابُّ"(٢٤).

قال أبو مالك:" الأبّ: الكلأ"(٢٥).

---

(١) انظر: مجاز القرآن: ٢٨٦/٢.

(٢) انظر: معاني القرآن: ٢٨٦/٥.

(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٢٩/٢٤.

(٤) البيت بلا نسبة في: الهداية إلى بلوغ النهاية لمكي بن أبي طالب: ٧٨٠٢/١٢، والنكت والعيون: ٢٠٨/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٢/١٩، والبحر المحيط: ٤٠٥/١٠، والدر المصون: ٦٩٤/١٠، وعمدة الحفاظ: ٤٤/١، واللباب: ١٦٨/٢٠، وروح المعاني: ٢٥٠/١٥.

(٥) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٣٤):ص٣٤٠١/١٠.

(٨) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٣٥):ص٣٤٠١/١٠.

(٩) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١٠) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١١) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٤.

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١٣) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٤.

(١٤) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١٥) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١٦) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٤.

(١٧) أخرجه الطبري: ٢٣٠/٢٤.

(١٨) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٤.

(١٩) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٤.

(٢٠) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٤.

(٢١) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٤.

(٢٢)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢٣)أخرجه عبد بن حميد -كما في فتح الباري ٦/ ٢٩٦، ١٣/ ٢٧١ -.

(٢٤)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

(٢٥)عزاه السيوطي إلى عبد بن حميد.

قال الزجاج:" الأب: جميع الكلأ الذي تعتلفه الماشيةُ، وذكر اللَّه عزَّ وجلَّ من آياته ما يدل على وحدانيته في إنشاء ما يغذو جميع الحيوان"[١].

قال أبو عبيدة:" وأما الأبّ: كل مرعى للهوام"[٢].

الثاني : أن «الأب»: كل شيء ينبت على وجه الأرض ، قاله الضحاك[٣].

الثالث : أن«الأب»: الثمار الرطبة ، رواه علي بن أبي طلحة عن ابن عباس[٤].

الخامس : أن«الأب»: التبن خاصة، وهو يحكي عن ابن عباس -أيضاً -[٥]، قال الشاعر[٦]:

فما لَهم مَرْتعٌ للسّوا ... م والأبُّ عندهم يُقْدَرُ

السادس : أن رطب الثمار هو الفاكهة ، ويابسها الأبّ. حكاه الماوردي عن بعض المتأخرين[٧].

السابع : أن الأبّ ما أخلف مثل أصله كالحبوب ، والفاكهة ما لم يخلف مثل أصله من الشجر. أفاده الماوردي[٨].

قال ابن عطية:" في اللفظة غرابة، وقد توقف في تفسيرها أبو بكر وعمر -رضي الله عنهما-"[٩].

عن إبراهيم التيمي:" إن أبا بكر سئل عن قوله: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}، فقال: أي سماء تظلّني وأي أرض تقلّني إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم"[١٠].

روي عن أنس، قال: "قرأ عمر بن الخطاب رضى الله عنه: {عَبَسَ وَتَوَلَّى}، فلما أتى على هذه الآية: {وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}، قال: قد عرفنا الفاكهة. فما الأبّ؟ قال: لعمرك يا بن الخطاب إن هذا لهو التكلف"[١١].

عن ابن شهاب، أن أنس بن مالك حدثه أنه سمع عمر بن الخطاب -رضى الله عنه- يقول: "قال الله: {وَقَضْبًا وَزَيْتُونًا وَنَخْلا وَحَدَائِقَ غُلْبًا وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}، كلّ هذا قد علمناه، فما الأبّ؟ ثم ضرب بيده، ثم قال: لعمرك إن هذا لهو التكلف، واتبعوا ما يتبين لكم في هذا الكتاب، قال عمر: وما يتبين فعليكم به، وما لا فدعوه"[١٢].

قال الماوردي: "وهذا مثل ضربه الله تعالى لبعث الموتى من قبورهم فهم كنبات الزرع بعد دثوره ، وتضمن امتناناً عليهم بما أنعم"[١٣].

قوله تعالى:{مَتَاعًا لَكُمْ وَلِأَنْعَامِكُمْ} [عبس : ٣٢]، أي:" تَنْعَمون بها أنتم وأنعامكم"[١٤].

---

(١) معاني القرآن: ٢٨٦/٥.

(٢) مجاز القرآن: ٢٨٦/٢.

(٣) انظر: الكشف والبيان: ١٣٣/١٠، والنكت والعيون: ٢٠٨/٦.

(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣١/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٣٣):ص٣٤٠١/١٠.

(٥) انظر: النكت والعيون: ٢٠٨/٦.

(٦) بلا نسبة في: النكت والعيون: ٢٠٨/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٣/١٩.

السوام والسائمة: المال الراعي من الإبل والغنم وغيرهما

(٧) انظر: النكت والعيون: ٢٠٨/٦.

(٨) انظر: النكت والعيون: ٢٠٨/٦.

(٩) المحرر الوجيز: ٤٣٩/٥.

(١٠) رواه الثعلبي في "الكشف والبيان": ١٣٤/١٠، وانظر: فضائل القرآن لأبي عبيد (ص ٢٢٧). قال ابن كثير: ٣٢٥/٨:" وهذا منقطع بين إبراهيم التيمي والصديق".

(١١) أخرجه الطبري: ٢٢٩/٢٤.

قال ابن كثير:٣٢٥/٨:" فهو إسناد صحيح، وقد رواه غير واحد عن أنس، به. وهذا محمول على أنه أراد أن يعرف شكله وجنسه وعينه، وإلا فهو وكل من قرأ هذه الآية يعلم أنه من نبات الأرض، لقوله : {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا حَبًّا * وَعِنَبًا وَقَضْبًا * وَزَيْتُونًا وَنَخْلا * وَحَدَائِقَ غُلْبًا * وَفَاكِهَةً وَأَبًّا}".

(١٢) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٤.

(١٣) النكت والعيون: ٢٠٨/٦.

(١٤) التفسير الميسر: ٥٨٥.

قال الطبري:" يقول: أنبتنا هذه الأشياء التي يأكلها بنو آدم متاعا لكم أيها الناس، ومنفعة تتمتعون بها، وتنتفعون، والتي يأكلها الأنعام لأنعامكم، وأصل الأنعام الإبل، ثم تستعمل في كلّ راعية"[١].

قال ابن كثير:" أي : عيشة لكم ولأنعامكم في هذه الدار إلى يوم القيامة"[٢].

قال الحسن:" متاعا لكم الفاكهة، ولأنعامكم العشب"[٣].

قال الزجاج:"{مَتَاعًا} منصوب، مصدر مؤكد لقوله: {فَأَنْبَتْنَا فِيهَا} الأشياء التي ذكرت، لأن إنباته هذه الأشياء قد أمتع بها الخلق من الناس وجميع الحيوان"[٤].

قال الحسن:" {مَتَاعًا لَكُمْ}: الفاكهة، {وَلِأَنْعَامِكُمْ}: العشب"[٥].

فوائد الآيات: [١٧-٣٢]:

١- بيان مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته وهي مقتضية للإيمان به وبآياته ورسوله ولقائه.

٢- الاستدلال بالصنعة على الصانع. وأن أثر الشيء يدل عليه، ولذا يتعجب من كفر الكافر بربه وهو خلقه ورزقه وكلأ حياته وحفظ وجوده إلى أجله.

٣- يجب على المؤمن مع تصديقه وجزمه أن ينظر في آيات الله، ويستعمل عقله للفهم كما تجب عليه جميع الواجبات في الإسلام، قال تعالى: {فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَى طَعَامِهِ} [عبس : ٢٤] ، والنظر الواجب على المكلف هو: النظر على الطريقة التي جاء بها القرآن، كما في الآية المتقدمة، لقوله تعالى: {وَإِنْ أَحَدٌ مِنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ} [التوبة : ٦] .

٤- فإنَّ كلَّ ما في الكون يحكي أنَّه إيجاد موجد حكيم عليم خبير، ولكنَّ الإنسان ظلوم جهول، كيف يمكن أن تتأتى المصادفة في خلق الإنسان وتكوينه، وفي صنع طعامه على هذا النحو المقدّر الذي تشارك فيه الأرض والسماء، وصدق الله في وصفه للإنسان: {إنَّه كان ظلوماً جهولاً} [الأحزاب: ٧٢].

٥-بيان أن الإنسان لا يزال مقصراً في شكر ربه ولو صام الدهر كله وصلى في كل لحظة من لحظاته.

القرآن

{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ (٣٣) يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ (٣٦) لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ (٣٧)} [عبس : ٣٣-٣٧]

التفسير:

فإذا جاءت صيحة البعث يوم القيامة التي تصمُّ مِن هولها الأسماع، يوم يفرُّ المرء لهول ذلك اليوم من أخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه. لكل واحد منهم يومئذٍ أمر يشغله ويمنعه من الانشغال بغيره.

سبب نزول قوله تعالى: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس : ٣٧]:

عن عائذ بن شريح، عن أنس قال: «سألت عائشة رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت: يا رسول الله بأبي أنت وأمي، إني سائلتك عن حديث أخبرني أنت به، قال:" إن كان عندي منه علم" قالت: يا نبي الله كيف يحشر الرجال؟ قال: " حفاة عراة "، ثم انتظرت ساعة فقالت: يا نبي الله كيف يحشر النساء؟ قال: " كذلك حفاة عراة "، قالت: واسوأتاه من يوم القيامة، قال: " وعن

---

(١) تفسير الطبري: ٢٣١/٢٤.
(٢) تفسير ابن كثير: ٢٣٥/٨.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٤.
(٤) معاني القرآن: ٢٨٦/٥.
(٥) أخرجه الطبري: ٢٣١/٢٤.

ذلك تسأليني؟ إنه قد نزلت علي آية لا يضرك كان عليك ثياب أم لا "، قالت: أي آية هي يا نبي الله؟ قال: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس : ٣٧]"»[١].

وفي رواية عن عائذ بن شريح الكندي قال: سمعت أنس بن مالك قال: قالت عائشة للنبي - صلى الله عليه وسلم - أنحشر عراة؟ قال: "نعم"، قالت: واسوأتاه، فأنزل الله تعالى: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس : ٣٧]"[٢].

قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ} [عبس : ٣٣]، أي:" فإذا جاءت صيحة البعث يوم القيامة التي تصمُّ مِن هولها الأسماع"[٣].

وفي قوله تعالى:{فَإِذَا جَاءَتِ الصَّاخَّةُ} [عبس : ٣٣]، وجهان:

أحدهما : أنها النفخة الثانية التي يصيخ الخلق لاستماعها، قاله الحسن[٤]، ومنه قول الشاعر[٥]:

يُصيِخُ للنْبأة أسْماعه ... إصاخَةَ الناشدِ للمُنْشِدِ

قال القرطبي:" لما ذكر أمر المعاش ذكر أمر المعاد، ليتزودوا له بالأعمال الصالحة، وبالإنفاق مما امتن به عليهم. والصاخة: الصيحة التي تكون عنها القيامة، وهي النفخة الثانية، تصخ الأسماع: أي: تصمها فلا تسمع إلا ما يدعى به للأحياء"[٦].

وذكر ناس من المفسرين قالوا: تصيخ لها الأسماع، من قولك: أصاخ إلى كذا: أي استمع إليه، ومنه الحديث: «ما على الأرض من دابة إلا وهى تصبح يوم الجمعة مصيخة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس»[٧]..قال بعض العلماء: وهذا يؤخذ على جهة التسليم للقدماء، فأما اللغة فمقتضاها القول الأول.. وأصل الكلمة في اللغة: الصك الشديد. وقيل: هي مأخوذة من صخه بالحجر: إذا صكه قال الراجز[٨]:

يا جارتي هل لك أن تجالدي ... جلادة كالصك بالجلامد

ومن هذا الباب قول العرب: صختهم الصاخة وباتتهم البائتة، وهي الداهية"[٩].

قال ابن العربي: "الصاخة التي تورث الصمم، وإنها لمسمعة، وهذا من بديع الفصاحة"[١٠].

---

(١)أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٤، من طريق عائذ به, وإسناده ضعيف, بسبب عائذ (ميزان الاعتدال: ٣٦٣/٢ - رقم: ٤١٠٠)، قال ابن حبان: كان قليل الحديث ممن يخطئ على قلته ... [مجروحين ٢/ ١٩٣].
وفي إسناده إبراهيم بن هراسة قال عنه ابن حبان: كان أبو عبيد يطلق عليه الكذب [مجروحين ١/ ١١١] .

(٢) أسباب النزول للواحدي: ٤٧٢.

(٣) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(٤) انظر: النكت والعيون: ٢٠٩/٦.

(٥) بلا نسبة في النكت والعيون: ٢٠٩/٦، وتفسير القرطبي: ٢٢٤/١٩.

(٦) تفسير القرطبي :٢٢٤/١٩.

(٧) الحديث:« خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه أهبط وفيه تيب عليه وفيه قبض وفيه تقوم الساعة ما على الأرض من دابة إلا وهى تصبح يوم الجمعة مصيخة من حين تصبح حتى تطلع الشمس شفقا من الساعة إلا الجن والإنس وفيه ساعة لا يصادفها عبد مؤمن وهو فى الصلاة يسأل الله شيئا إلا أعطاه إياه».
أخرجه مالك (١٠٨/١، رقم ٢٤١) ، وأحمد (٤٨٦/٢، رقم ١٠٣٠٨) ، وأبو داود (٢٧٤/١، رقم ١٠٤٦) ، والترمذى (٣٦٢/٢، رقم ٤٩١) ، والنسائى (٣٦٩/١، رقم ٦٣١) ، وابن حبان (٧/٧، رقم ٢٧٧٢) ، والحاكم (٤١٣/١، رقم ١٠٣٠) وقال: صحيح على شرط الشيخين. والبيهقى (٢٥٠/٣، رقم ٥٧٩٨) ، والضياء (٤٢٣/٩، رقم ٣٩٥) . وأخرجه أيضا: الشافعى فى المسند (٧٢/١) ، والطيالسى (٣١١/١، رقم ٢٣٦٢) ، وأبو يعلى (٣٣١/١٠، رقم ٥٩٢٥).
ومن غريب الحديث: "مصيخة": مصغية منتظرة لقيامها فيه وروى مسيخة بإبدال الصاد سينا.

(٨) بلا نسبة في تفسير السمعاني: ١٦٢/٦.

(٩) تفسير القرطبي :٢٢٤/١٩.

(١٠) نقلا عن: تفسير القرطبي: ٢٢٤/١٩، ولم أجده في "أحكام القرآن" .

قال الخليل:" الصاخة: صيحة تصخ الآذان فتصمها، ويقال: هي الأمر العظيم، يقال: رماه الله بصاخة، أي: بداهية وأمر عظيم. والغراب يصخ بمنقاره في دبر البعير، أي: يطعن فيه"[١].

قال السعدي:" تصخ لهولها الأسماع، وتنزعج لها الأفئدة يومئذ، مما يرى الناس من الأهوال وشدة الحاجة لسالف الأعمال"[٢]

الثاني : أنه اسم من أسماء القيامة، لإصاخة الخلق إليها من الفزع، قاله ابن عباس[٣]، وبه قال ابن قتيبة[٤].

قال الزجاج: {الصَّاخَّةُ}" التي تكون عليها القيامةُ، تصِخُّ الأسماع، أي: تُصِمُّها فلا يسمع إلا ما يدعى فيه لإحيائها"[٥].

قال ابن عباس:" هذا من أسماء يوم القيامة عظَّمه الله، وحذّره عباده"[٦].

قال الطبري:" ذُكر أنها اسم من أسماء القيامة، وأحسبها مأخوذة من قولهم: صاخ فلان لصوت فلان: إذا استمع له، إلا أن هذا يقال منه: هو مُصيخ له، ولعلّ الصوت هو الصاخّ، فإن يكن ذلك كذلك، فينبغي أن يكون قبل ذلك لنفخة الصور"[٧].

قال السمعاني:" هِيَ اسْم من أسمَاء يَوْم الْقِيَامَة، وَقيل: الصاخة الصاكة، يُقَال: صخ فلَانا إِذا صَكه، وَقيل: إِن الصاخة صَيْحَة إِسْرَافيل تصك الأسماع، وَعَن بَعضهم: أَن الصاخة مَا يصخ لَهُ كل شَيْء أي: ينصت يُقَال: رجل أصخ أي أصمّ"[٨].

قوله تعالى:{يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ (٣٤) وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ (٣٥) وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ} [عبس : ٣٤-٣٦]، أي:" يوم يفرُّ المرء لهول ذلك اليوم من أخيه، وأمه وأبيه، وزوجه وبنيه"[٩].

قال ابن كثير:" أي : يراهم، ويفر منهم، ويبتعد عنهم؛ لأن الهول عظيم، والخطب جليل"[١٠].

قال مقاتل:" يعني لا يلتفت إليه وأمه وأبيه وامرأته وبنيه"[١١].

قال يحيى بن سلام:" الفرار يعني الإعراض، يعني: يعرض ولا يلتفت"[١٢].

وعن سهل بن عبدالله في قوله تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ}، قال:" هابيل من قابيل، وسيدنا محمد صلّى الله عليه وسلّم من عمه، وإبراهيم من أبيه، ولوط عليه السلام من امرأته، ونوح من ولده"[١٣].

وفي فراره منهم ثلاثة وجوه [١٤]:

أحدها : حذراً من مطالبتهم إياه للتبعات التي بينه وبينهم. قاله الطبري[١٥].

---

(١) العين: ١٣٥/٤.
(٢) تفسير السعدي: ٩١١.
(٣) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٤.
(٤) انظر: غريب القرآن: ٥١٥.
(٥) معاني القرآن: ٢٨٧/٥.
(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٤.
(٧) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٤.
(٨) تفسير السمعاني: ١٦١/٦-١٦٢.
(٩) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(١٠) تفسير ابن كثير: ٣٢٥/٨.
(١١) تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩٣/٤.
(١٢)لتصاريف لتفسير القرآن مما اشتبهت أسمائه وتصرفت معانيه: ٢١٩.
(١٣) تفسير التستري: ١٨٧.
(١٤) انظر: النكت والعيون: ٢٠٩/٦.
(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٤.

قال الطبري:" يقول: فإذا جاءت الصاخة في هذا اليوم الذي يفرّ فيه المرء من أخيه{وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ}، وزوجته التي كانت زوجته في الدنيا، {وَبَنِيهِ}، حذرا من مطالبتهم إياه بما بينه وبينهم من التَّبعات والمظالم"[١].

الثاني : حتى لا يروا عذابه وما ينزل به. حكاه الطبري[٢].

قال النحاس:" قيل: يفرّون لأن بعضهم يستحي من بعض فيكره أن يرى ما ينزل به من الفضيحة"[٣].

الثالث : لاشتغاله بنفسه، كما قال تعالى بعده: {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس : ٣٧]، أي: يشغله عن غيره. قاله قتادة[٤]، وابن زيد[٥].

قال ابن كثير:" أي : هو في شُغُل شاغل عن غيره"[٦].

قال ابن زيد:" شأن قد شغله عن صاحبه"[٧].

قال قتادة:" أفضى إلى كلّ إنسان ما يشغله عن الناس"[٨].

قال قتادة : "الأحب فالأحبَ، والأقرب فالأقربَ، من هول ذلك اليوم"[٩].

قال قتادة:" ليس شيءٌ أشدَّ على الإنسان يوم القيامة مِن أن يرى مَن يعرفه؛ مخافة أن يكون يطلبه بمظلمة. ثم قرأ: {يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِن أَخِيهِ} الآية"[١٠].

عن قتادة:" {يوم يفر المرء من أخيه} قال: يفر هابيل من قابيل، {وأمه وأبيه} يفر النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - مِن أُمِّه، وإبراهيم - عليه السلام - مِن أبيه، {وصاحبته وبنيه} قالوا: لوط - عليه السلام - مِن صاحبته، ونوح - عليه السلام - مِن ابنه"[١١].

قال الحسن:" إنّ أول مَن يفرّ يوم القيامة من أبيه إبراهيم، وأول مَن يفرّ من أُمّه إبراهيم، وأول مَن يفرّ من ابنه نوح، وأول مَن يفرّ مِن أخيه هابيل، وأول مَن يفرّ مِن صاحبته نوح ولوط. وتلا هذه الآية: {يَوْمَ يَفِرُّ المَرْءُ مِن أَخِيهِ وأُمِّهِ وأَبِيهِ وصاحِبَتِهِ وبَنِيهِ}، فيَرَوْن أنّ هذه الآية نزلت فيهم"[١٢].

عن الحسن قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " ثلاثة مواطن لا يسأل فيها أحد أحدا: إذا وضعت الموازين حتى يعلم أيثقل ميزانه أم يخف، وإذا تطايرت الكتب حتى يعلم أيأخذ كتابه بيمينه أم بشماله، وعند الصراط حتى يعلم أيجوز الصراط أم لا يجوز "[١٣].

قال عكرمة : "يلقى الرجل زوجته فيقول لها : يا هذه، أيّ بعل كنتُ لك ؟ فتقول : نعم البعل كنتَ! وتثنى بخير ما استطاعت، فيقول لها : فإني أطلبُ إليك اليومَ حسنَة واحدَة تهبينها لي لعلي أنجو مما ترين. فتقول له : ما أيسر ما طلبتَ، ولكني لا أطيق أن أعطيك شيئا أتخوف مثل الذي تخاف. قال : وإن الرجل ليلقي ابنه فيتعلق به فيقول : يا بني، أيّ والد كنتُ لك ؟ فيثني بخير. فيقولُ له : يا بني، إني احتجت إلى مثقال ذرة من حسناتك لعلي أنجو بها مما ترى. فيقول

---

(١) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٤.
(٢) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٤.
(٣) إعراب القرآن: ٩٧/٥.
(٤) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٤.
(٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٤.
(٦) تفسير ابن كثير: ٣٢٦/٨.
(٧) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٤.
(٨) أخرجه تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٤.
(٩) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢٦/٨.
(١٠)عزاه السيوطي إلى أبي عبيد، وابن المنذر.
(١١)أخرجه الثعلبي ١٠/ ١٣٥، وأبو نعيم في حلية الأولياء ٢/ ٣٤١.
(١٢)أخرجه ابن عساكر ٦٤/ ٨.
(١٣) رواه يحيى بن سلام في "التفسير": ٤١٦/١.

ولده : يا أبت، ما أيسر ما طلبت، ولكني أتخوف مثل الذي تتخوف، فلا أستطيع أن أعطيك شيئا. يقول الله تعالى: {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}"[1].

وفي الحديث الصحيح - في أمر الشفاعة - : أنه إذا طلب إلى كل من أولي العزم أن يشفع عند الله في الخلائق، يقول : نفسي نفسي، لا أسأله اليومَ إلا نفسي، حتى إن عيسى ابن مريم يقول : لا أسأله اليوم إلا نفسي، لا أسأله مريم التي ولدتني. ولهذا قال تعالى : {يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ * وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ * وَصَاحِبَتِهِ وَبَنِيهِ}"[2].

قوله تعالى:{لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ} [عبس : ٣٧]، أي:" لكل واحد منهم يومئذٍ أمر يشغله ويمنعه من الانشغال بغيره"[3].

قال السعدي:" أي: قد شغلته نفسه، واهتم لفكاكها، ولم يكن له التفات إلى غيرها، فحينئذ ينقسم الخلق إلى فريقين: سعداء وأشقياء"[4]

قال ابن قتيبة:" أي: يَصرفُه ويَصدُّه عن قرابته. ومنه يقال: اعْنِ عني وجهَك: أي اصرفْه. واعْنِ عن السَّفيهِ"[5].

قال مقاتل:" يعني: إذا وكل بكل إنسان ما يشغله عن هؤلاء الأقرباء"[6].

قال الفراء:" أي: يشغله عن قرابته"[1].

---

(١) نقلا عن: تفسير ابن كثير: ٣٢٥/٨.

(٢) نص حديث الشفاعة: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم- «أنا سيد الناس يوم القيامة وهل تدرون مم ذاك يجمع الله الأولين والآخرين فى صعيد واحد يسمعهم الداعى وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول بعض الناس لبعض ألا ترون ما قد بلغكم ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم فيقول بعض الناس لبعض ائتوا آدم فيأتون آدم فيقولون يا آدم أنت أبونا أنت أبو البشر خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه وأمر الملائكة فسجدوا لك اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم آدم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه نهانى عن الشجرة فعصيته نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى نوح فيأتون نوحا فيقولون يا نوح أنت أول الرسل إلى أهل الأرض وسماك الله عبدا شكورا اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم نوح إن ربى قد غضب غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنه قد كان لى دعوة دعوت بها على قومى نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى إبراهيم فيأتون إبراهيم فيقولون يا إبراهيم أنت نبى الله وخليله من أهل الأرض اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم إبراهيم إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولم يغضب بعده مثله وإنى قد كذبت ثلاث كذبات نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى موسى فيأتون موسى فيقولون يا موسى أنت رسول الله فضلك الله برسالاته وبتكليمه على الناس اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى إلى ما قد بلغنا فيقول لهم موسى إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله وإنى قتلت نفسا لم أؤمر بقتلها نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى عيسى فيأتون عيسى فيقولون يا عيسى أنت رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه وكلمت الناس فى المهد اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فيقول لهم عيسى إن ربى قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله ولن يغضب بعده مثله نفسى نفسى نفسى اذهبوا إلى غيرى اذهبوا إلى محمد فيأتونى فيقولون يا محمد أنت رسول الله وخاتم الأنبياء وغفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر اشفع لنا إلى ربك ألا ترى ما نحن فيه ألا ترى ما قد بلغنا فأنطلق فآتى تحت العرش فأقع ساجدا لربى ثم يفتح الله على ويلهمنى من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتح لأحد قبلى يقال يا محمد ارفع رأسك سل تعطه واشفع تشفع فأرفع رأسى فأقول يا رب أمتى أمتى فيقال يا محمد أدخل الجنة من أمتك من لا حساب عليه من الباب الأيمن من أبواب الجنة وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب والذى نفسى بيده إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة لكما بين مكة وهجر أو كما بين مكة وبصرى».

أخرجه أحمد (٤٣٥/٢، رقم ٩٦٢١) ، والبخارى (١٧٤٥/٤، رقم ٤٤٣٥) ، ومسلم (١٨٤/١، رقم ١٩٤) ، والترمذى (٦٢٢/٤، رقم ٢٤٣٤) . وأخرجه أيضا: النسائى فى الكبرى (٣٧٨/٦، رقم ١١٢٨٦) ، وابن أبى شيبة (٣٠٧/٦ رقم ٣١٦٧٤).

(٣) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(٤) تفسير السعدي: ٩١١.

(٥) غريب القرآن: ٥١٥.

(٦) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩٣/٤.

قال سهل:" يشغله عن الناس كافة، إلا عن نفسه"[٢].
قال قتادة:" أفضى إلى كلِّ إنسان ما يَشغله عن الناس"[٣].
وقد قرأ بعض القراء: «يعنيه»، وهى شاذة[٤].
عن ابن عباس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «تحشرون حفاة عراة مشاة غرلا» قال: فقالت زوجته: يا رسول الله أويرى بعضنا عورة بعض؟ قال: لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه أو قال: «ما أشغله عن النظر»[٥].
عن عائشة، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : "يبعث الناس يوم القيامة حفاة عراة غُرلا". فقالت عائشة : يا رسول الله، فكيف بالعورات ؟ فقال : " {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}"[٦].
عن سودة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : "يبعث الناس حفاة عراة غُرلا قد ألجمهم العرق، وبلغ شحوم الآذان". فقلت : يا رسول الله، واسوأتاه ينظر بعضنا إلى بعض ؟ فقال : "قد شُغل الناس، {لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ يَوْمَئِذٍ شَأْنٌ يُغْنِيهِ}"[٧].

القرآن
{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ (٣٨) ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ (٣٩) وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ (٤٠) تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ (٤١) أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ (٤٢)} [عبس : ٣٨ - ٤٢]
التفسير:
وجوه أهل النعيم في ذلك اليوم مستنيرة، مسرورة فرحة، ووجوه أهل الجحيم مظلمة مسودَّة، تغشاها ذلَّة. أولئك الموصوفون بسواد الوجوه هم الذين كفروا بنعم الله وكذَّبوا بآياته، وتجرؤوا على محارمه بالفجور والطغيان.
قوله تعالى:{وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ} [عبس : ٣٨]، أي:" وجوه أهل النعيم في ذلك اليوم مستنيرة"[٨].
قال مقاتل:" يعني: فرحة بهجة"[٩].
قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: وجوه يومئذ مشرقة مضيئة، وهي وجوه المؤمنين الذين قد رضى الله عنهم، يقال: أسفر وجه فلان: إذا حَسُن، ومنه أسفر الصبح: إذا أضاء، وكلّ مضيء فهو مسفر"[١٠].

---

(١)معاني القرآن: ٢٣٨/٣.
(٢) تفسير التستري: ١٨٧.
(٣) أخرجه الطبري: ٢٣٢/٢٤.
(٤) انظر: معاني القرآن للفراء: ٢٣٨/٣. وهي قراءة ابن محيصن.
قال ابن جنى: وهذه قراءة حسنة إلا أن التي عليها الجماعة أقوى معنى، وذلك أن الإنسان قد يعنيه الشيء، ولا يغنيه عن غيره (المحتسب: ٢/ ٣٥٣).
(٥) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٢٩):ص٣٤٠٠/١٠.
(٦)سنن النسائي الكبرى برقم (١١٦٤٨).
(٧) رواه البغوي في "التفسير": ٣٤٠/٨، وأخرجه الحاكم: ٢ / ٥١٤-٥١٥، وقال: "هذا حديث صحيح على شرط مسلم". وزاد السيوطي في الدر المنثور: ٨ / ٤٢٣ عزوه للطبراني وابن مردويه والبيهقي. قال الهيثمي في المجمع: ١٠ / ٣٣٣: "رواه الطبراني ورجاله رجال الصحيح غير محمد بن عياش وهو ثقة، وذكره الهيثمي في المجمع من رواية الطبراني وقال: رواته ثقات. وزاد في الكنز عزوه لابن مردويه في "البعث" ١٤ / ٣٦٣.
قال ابن كثير:"٣٢٧/٨:" هذا حديث غريب من هذا الوجه جدا".
(٨) التفسير الميسر: ٥٨٥.
(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩٣/٤.
(١٠) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٤-٢٣٣.

قال ابن كثير:" أي : مسرورة فرحة من سرور قلوبهم، قد ظهر البشر على وجوههم، وهؤلاء أهل الجنة"[١].

عن ابن عباس: "{مُسْفِرَةٌ}، يقول: مشرقة"[٢].

قال الضحاك:" فَرِحة"[٣]. وروي عن السدي مثله[٤].

قال عطاء الخُراسانيّ:" مِن طول ما اغْبَرَّتْ في سبيل الله"[٥].

قال ابن زيد:" هؤلاء أهل الجنة"[٦].

قوله تعالى:{ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ} [عبس : ٣٩]، أي:" مسرورة فرحة"[٧].

قال الطبري:" يقول: ضاحكة من السرور بما أعطاها الله من النعيم والكرامة، {مُسْتَبْشِرَةٌ} لما ترجو من الزيادة"[٨].

قال مقاتل:" لما أعطيت من الخير والكرامة"[٩].

قوله تعالى:{وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ} [عبس : ٤٠]، أي:" ووجوه أهل الجحيم مظلمة مسودَّة"[١٠].

قال السمعاني:" أي: كسوف وسواد"[١١].

قال مقاتل:" يعنى: السواد كقوله: {سَنَسِمُهُ} [القلم : ١٦] بالسواد {عَلَى الْخُرْطُوم} [القلم : ١٦]"[١٢].

من طريق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده قال: «قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يلجم الكافر العرق، ثم تقع الغبرة على وجوههم، فهو قوله: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ}»[١٣].

قوله تعالى:{تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ} [عبس : ٤١]، أي:" تغشاها ذلّة"[١٤].

وفي تفسير قوله تعالى:{تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ} [عبس : ٤١]، وجوه:

أحدها : تغشاها ذلة وشدة، قاله ابن عباس[١٥].

الثاني : خزي، قال مجاهد[١٦].

الثالث : سواد الوجوه، قاله ابن عباس-أيضا-[١٧]، وبه قال عطاء[١٨]، والزجاج[١].

---

(١) تفسير ابن كثير: ٣٢٧/٨.

(٢) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٤.

(٣)أخرجه ابن أبي الدنيا في كتاب الأهوال -موسوعة الإمام ابن أبي الدنيا ٦/ ١٧٩ (١٠٥) -.

(٤) انظر: النكت والعيون ٢٠٩/٦.

(٥)أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٥/ ٢٠٠. وفي تفسير الثعلبي ١٠/ ١٣٥ مثله منسوبًا إلى عطاء دون تعيينه.

(٦) أخرجه الطبري: ٢٣٣/٢٤.

(٧) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(٨) تفسير الطبري: ٢٣٢/٢٤.

(٩) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩٣/٤.

(١٠) التفسير الميسر: ٥٨٥.

(١١) تفسير السمعاني: ١٦٣/٦.

(١٢) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩٣/٤.

(١٣) أخرجه ابن أبي حاتم(١٩١٣٨)ً: ٣٤٠١/١٠، وذكره السيوطي في الدر المنثور (٤٢٤/٨)، وله شاهد من حديث ابن مسعود : رواه ابن حبان في صحيحه برقم (٢٥٨٢) "موارد" من طريق شريك، عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن ابن مسعود مرفوعا : "إن الكافر ليلجمه العرق يوم القيامة فيقول : أرحنى ولو إلى النار".

(١٤) التفسير الميسر: ٥٨٦.

(١٥) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٤، وتفسير ابن أبي حاتم(١٩١٣٦):ص٣٤٠١/١٠.

(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢١٠/٦.

(١٧) انظر: تفسير ابن أبي حاتم(١٩١٣٧)ً: ٣٤٠١/١٠.

(١٨) انظر: النكت والعيون: ٢١٠/٦.

قال الزجاج:" أي: غَبَرَةٌ يعلوها سواد كالدخَان"[٢].
قال ابن كثير:" أي : يعلوها ويغشاها قترة، أي : سواد "[٣].
قال السعدي:" فهي سوداء مظلمة مدلهمة، قد أيست من كل خير، وعرفت شقاءها وهلاكها"[٤]
عن عطاء الخرساني: "{وُجُوه يَوْمئِذٍ مسفرة} لكثرة ما أغبرت في الدنيا بالحق. وقوله: {ووجوه يَوْمئِذٍ عَلَيْهَا غبرة} من كثرة ما ضحكت في الباطل"[٥].
و قال ابن أبي ليلى: "هو بعد نظرهم إلى ربهم عز وجل"[٦].
الرابع : غبار، قاله السدي[٧]، وابن زيد[٨]، وأبو عبيدة[٩]، وابن قتيبة[١٠]، وبه قال الطبري[١١]، قال الأخطل[١٢]:
يعلو القناطر يبنيها ويهدمها ... مسوّما فوقه الرايات والقتر
وقال الفرزدق[١٣]:
مُتَوَّجٌ برِداءِ المُلْكِ يَتْبَعُهُ ... مَوْجٌ تَرَى فَوْقَهُ الرَّاياتِ وَالْقَتَرَا
قال ابن زيد:" هذه وجوه أهل النار؛ قال: والقَتَرة من الغَبَرة، قال: وهما واحد، قال: فأما في الدنيا فإن القترة: ما ارتفع، فلحق بالسماء، ورفعته الريح، تسميه العرب القترة، وما كان أسفل في الأرض فهو الغبرة"[١٤].
قال الطبري:" {وَوُجُوهٌ}: وهي وجوه الكفار يومئذ عليها غبرة. ذُكر أن البهائم التي يصيرها الله ترابا يومئذ بعد القضاء بينها، يحوّل ذلك التراب غَبَرة في وجوه أهل الكفر {تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ}، يقول: يغشى تلك الوجوه قَتَرة، وهي الغَبَرة"[١٥].
الخامس : كسوف الوجه، قاله الكلبي[١٦]، ومقاتل[١٧].
قال مقاتل:" يعني: يغشاها الكسوف، وهي الظلمة"[١٨].
وجميع الأقوال السابقة قريبة من بعض، كما قال الثعلبي: أي: " ظلمة وكآبة وكسوف وسواد"[١٩].
قال السمعاني:" أي: تعلوها الكآبة والحزن، وقيل: هو في معنى قوله تعالى: {وَتَسْوَدُّ وُجُوه} [آل عمران : ١٠٦]"[١].

---

(١) انظر: معاني القرآن: ٢٨٧/٥.
(٢) معاني القرآن: ٢٨٧/٥.
(٣) تفسير ابن كثير: ٣٢٧/٨.
(٤) تفسير السعدي: ٩١١.
(٥) نقلا عن: تفسير السمعاني: ١٦٣/٦.
(٦) تفسير القرطبي :٣٣١/٨.
(٧) انظر: النكت والعيون: ٢١٠/٦.
(٨) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٤.
(٩) انظر: مجاز القرآن: ٢٧٧/١، و٢٨٦/٢.
(١٠) انظر: غريب القرآن: ٥١٥.
(١١) انظر: تفسير الطبري: ٢٣٣/٢٤.
(١٢) ديوانه ١٠٣.
(١٣) ديوانه ٢٩٠- والطبري: ٧٢/١٥، ورواه القرطبي في "التفسير": ٨/ ٣٣١، وصاحب "اللسان (قتر)": على أنه من إنشاد أبى عبيدة.
(١٤) أخرجه الطبري: ٢٣٤/٢٤.
(١٥) تفسير الطبري: ٢٣٣/٢٤.
(١٦) انظر: النكت والعيون: ٢١٠/٦.
(١٧) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩٣/٤.
(١٨) انظر: تفسير مقاتل بن سليمان: ٥٩٣/٤.
(١٩) الكشف والبيان: ١٣٥/١٠.

قوله تعالى:{أُولَئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ} [عبس : ٤٢]، أي:" أولئك الموصوفون بسواد الوجوه هم الذين كفروا بنعم الله وكذَّبوا بآياته، وتجرؤوا على محارمه بالفجور والطغيان"[٢].

قال السمعاني:" يعني: أَصْحَاب الْوُجُوه هم الَّذين كفرُوا بِاللَّه وفجروا"[٣].

قال ابن كثير:" أي : الكفرة قلوبهم، الفجرة في أعمالهم، كما قال تعالى :{وَلا يَلِدُوا إلا فَاجِرًا كَفَّارًا} [نوح : ٢٧]"[٤].

قال السعدي:" أي: الذين كفروا بنعمة الله وكذبوا بآيات الله، وتجرأوا على محارمه"[٥]

قال الطبري:" يقول تعالى ذكره: هؤلاء الذين هذه صفتهم يوم القيامة هم الكفرة بالله، كانوا في الدنيا الفجرة في دينهم، لا يبالون ما أتوا به من معاصي الله، وركبوا من محارمه، فجزاهم الله بسوء أعمالهم ما أخبر به عباده"[٦].

فوائد الآيات: [٣٣-٤٢]:

١-بيان شدة الهول يوم القيامة يدل على فرار المرء من أقربائه.

٢-خطر التبعات على العبد يوم القيامة وهي الحقوق التي يطالب بها العبد يوم القيامة.

٣-شدة الهول والفزع تنسي المرء يوم القيامة أن ينظر إلى عورة أحد من أهل الموقف.

٤-ثمرة الإيمان والتقوى تظهر في الموقف نورا على الوجه وإشراقا له وإضاءة وثمرة الكفر والفجور تظهر ظلمة وسوادا على الوجه وغبارا.

٥-تقرير عقيدة البعث والجزاء بعرض صورة من صورها.

«آخر تفسير سورة (عبس)، والحمد لله وحده»

نسأله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لمرضاته ويجعلنا من الفائزين بجناته، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

انتهى الجزء السابع والثلاثون من التفسير، ويليه الجزء الثامن والثلاثون بإذن الله، وبدايته تفسير الآية (١) من سورة «التكوير».

---

(١) تفسير السمعاني: ١٦٣/٦.
(٢) انظر: التفسير الميسر: ٥٨٦، وصفوة التفاسير: ٤٩٦/٣.
(٣) تفسير السمعاني: ١٦٣/٦.
(٤) تفسير ابن كثير: ٣٢٧/٨.
(٥) تفسير السعدي: ٩١١.
(٦) تفسير الطبري: ٢٣٤/٢٤.